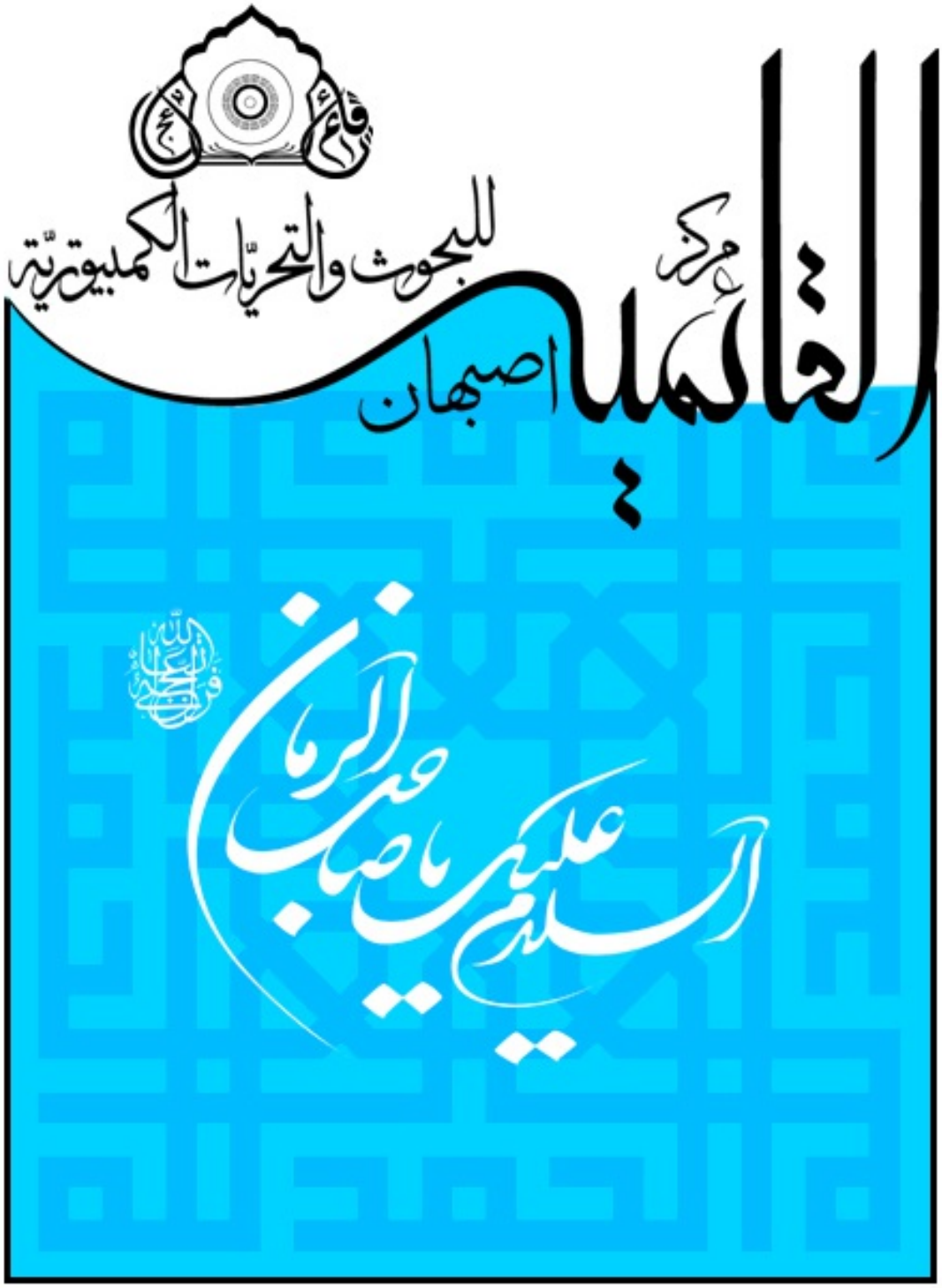

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

نفح الطيب

من غصن الأندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الرابع

تحقيق

يوسف الشيخ محمد البقاعي

إشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

كاتب:

مقرى، احمد بن محمد

نشرت فى الطباعة:

دارالفكر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب المجلد ۴ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
[تتمة القسم الاول] ----- ۲۰
الباب السابع [فی نبذة مما منّ اللّه به علی أهل الأندلس] ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
[ابن غالب یذکر فضائل الأندلس و الأندلسیین فی کتابه «فرحة الأنفس».] ----- ۲۰
[ابن سعید یذکر محاسن الأندلس و الأندلسیین] ----- ۲۱
[الحمیدی یذکر محاسن الأندلس و الأندلسیین] ----- ۲۲
[ابن بسام و الحجاری یذکران محاسن الأندلس و الأندلسیین] ----- ۲۲
[رسالة ابن حزم فی فضائل الأندلسیین] ----- ۲۳
[تذییل ابن سعید علی رسالة ابن حزم] ----- ۳۱
[رسالة الشقندی فی فضل الأندلس و الأندلسیین] ----- ۳۳
[شمائل أهل الأندلس] ----- ۴۵
[فضائل البلاد] ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
[محاسن إشبیلیته] ----- ۴۶
[قرطبة] ----- ۴۷
[جیان] ----- ۴۸
[غرناطة] ----- ۴۸
[المریّة] ----- ۴۹
[مرسیة] ----- ۵۰
[بلنسیة] ----- ۵۰

[جزیرة میورقة] ----- ۵۰
[بعض حکایات و أشعار الأندلسیین] ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
[مذهب الأندلسیین] ----- ۵۴
[من شعر ابن یغمور] ----- ۵۵
[الوزیر أبو محمد عبد الرحمن بن مالک المعافری] ----- ۵۵
[بین المعتمد و البطلیوسی النحلی] ----- ۵۷
[ابن عبد البر یفتی بجواز أکل طعام الأمراء] ----- ۵۷
[أبو بکر یحیی بن مجیر الفهری] ----- ۵۸
[من شعر الأندلسیین] ----- ۶۰
[سرعة ارتجال الأندلسیین] ----- ۶۱
[بین ابن شهید و ابن أبی عامر] ----- ۶۲
[ابن شهید عند القاضی ابن ذکوان] ----- ۶۲
[بین ابن شهید و جماعة من أصحابه] ----- ۶۲
[بین أبی العلاء بن زهر و ابن رزین] ----- ۶۳
[عبد اللّه بن عاصم صاحب الشرطة فی قرطبة] ----- ۶۴
[بین ابن ظافر و الملک الأشرف الأیوبی] ----- ۶۴
[بعض بدائع ابن ظافر] ----- ۶۵
[من ارتجال ابن قلاقش الاسکندری] ----- ۶۸
[عود إلی کلام أهل الأندلس] ----- ۷۰
[البطلیوسی و أولاد ابن الحاج] ----- ۸۵
[من ملح ابن الزقاق] ----- ۸۶
[من ملح السمیسر و لابن رزین و لسلطان بلنسیة] ----- ۸۷
[من ملح البطلیوسی المتلمس و لابن غالب و لابن فرج السمیسر] ----- ۸۷

[من ملح ابن برد و لابن عبدون و لأبی الفضل بن حسدای] ----- ۸۸
[بین ابن عبد ربه و یحیی القلفاط] ----- ۸۹
[من مروءة ابن جبیر الرحالة] ----- ۸۹
[من شعر أبی عمران المارتلی الزاهد] ----- ۹۰
[من شعر أبی الصلب أمیة بن عبد العزیز] ----- ۹۰
[من شعر ابن خفاجة] ----- ۹۱
[من مجون أهل الأندلس] ----- ۹۱
[من شعر ابن الأبار و ترجمة ابن الأبار] ----- ۹۴
[لجماعة من شعراء الأندلس] ----- ۹۵
[أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزیر] ----- ۹۶
[عود إلی ملح أهل الأندلس] ----- ۹۸
[أبو أمیة بن عفیرة قاضی إشبیلیة] ----- ۹۹
[علی بن ظافر و یعقوب] ----- ۹۹
[من محاسن أبی الحجاج البیاسی] ----- ۱۰۲
[ابن صارة و إخوان له] ----- ۱۰۲
[بین ابن خفاجة و ابن وهبون و ابن خفاجة و أصحاب له] ----- ۱۰۲
[بین السمیسر و بعض رؤساء المریة] ----- ۱۰۴
[عباد بن الحریش و رجال من سراة أصبهان] ----- ۱۰۴
[أبو الصلت و إخوان له] ----- ۱۰۵
[للوزیر الوقشی فی غلام أسود] ----- ۱۰۵
[أبو یحیی الیکی] ----- ۱۰۵
[من شعر ابن مفید و جماعة من أهل الأندلس] ----- ۱۰۶
[ابن عمار و غلامان من بنی جهور] ----- ۱۰۶
[ابن عمار و ابن معیشة الکنانی و ایضا ابن عمار و غلام لابن هود] ----- ۱۰۷

[المعتصم بن صمادح] ----- ۱۰۸
[بعض ما قیل فی البعوض] ----- ۱۰۸
[عود إلی أهل الأندلس] ----- ۱۰۹
[فی وصف الأهرام و فی وصف فرس] ----- ۱۱۰
[بکار المروانی] ----- ۱۱۱
[محمد بن أیوب المروانی] ----- ۱۱۴
[للمطرف بن عمر المروانی] ----- ۱۱۵
[بین الأمیر هشام بن عبد الرحمن و أخیه] ----- ۱۱۵
[بین سعید بن اضحی و بعض الشعراء] ----- ۱۱۶
[بین الحجاری و القاضی اللوشی] ----- ۱۱۷
[بین ابن بقی و التطیلی الأعمی] ----- ۱۱۸
[بدر الدین الحسن بن زفیر یصف حماما ببغداد] ----- ۱۱۹
[وصف دار جمال الملک البغدادی] ----- ۱۱۹
[بعض ما قیل فی الحمام] ----- ۱۲۰
[عود إلی ملح أهل الأندلس] ----- ۱۲۱
[من شعر ابن شهید] ----- ۱۲۳
[بین ابن غصن و ابن ذی النون و ابن هود] ----- ۱۲۶
[بین أبی عامر و الرمادی] ----- ۱۲۷
[من عدل المعتصم بن صمادح] ----- ۱۲۸
[عز الدولة بن المعتصم بن صمادح] ----- ۱۲۹
[بین ابن اللبانة و عز الدولة بن المعتصم] ----- ۱۲۹
[من شعر عز الدولة بن المعتصم و رفیع الدولة بن المعتصم بن صمادح] ----- ۱۲۹
[من شعر أبی جعفر بن المعتصم و لابن زهر و لابن شرف و لابن خفاجة] ----- ۱۳۰
[من شعر البیاسی و لابن حریق و لأبی الحسن بن الفضل] ----- ۱۳۱

[قصة فی الوفاء و القیام بحق الإخاء] ----- ۱۳۱
[قصة فی علو الهمة] ----- ۱۳۲
[عباس بن فرناس حکیم الأندلس] ----- ۱۳۲
[أول من اشتهر فی الأندلس بالحساب و النجوم] ----- ۱۳۳
[مثل من حفظ أهل الأندلس] ----- ۱۳۴
[ابن سیده و شیء من شعره] ----- ۱۳۵
[المظفر بن الأفطس و حبه للعلم] ----- ۱۳۵
[من کبار مؤلفات أهل الأندلس و من دعابات أهل الأندلس] ----- ۱۳۶
[من ملح الزهری خطیب إشبیلیة] ----- ۱۳۷
[ابن ورد و أحد الأعیان] ----- ۱۳۷
[من ملح ابن الطراوة نحوی المریة] ----- ۱۳۸
[مدغلیس صاحب الموشحات و الأزجال] ----- ۱۳۸
[لابن الفراء و ترجمته و جده] ----- ۱۳۸
[ابن الفراء الأخفش بن میمون] ----- ۱۳۹
[ابن مسعود و الطلیق القرشی] ----- ۱۴۰
[بین جاریة و شاعر من المریة و بین البیاسی و شیخ ثقیل] ----- ۱۴۱
[أبو علی بن حسون قاضی مالقة] ----- ۱۴۱
[موقف لابن الفخار] ----- ۱۴۲
[لابن شرف] ----- ۱۴۳
[من شعر الحکیم الفیلسوف أبی الفضل الجذامی] ----- ۱۴۴
[أبو عبد اللّه محمد بن معمر ابن أخت غانم] ----- ۱۴۵
[بین أبن عبدون و ابن ضابط] ----- ۱۴۵
[بین ابن الغلیظ و ابن السراج] ----- ۱۴۶
[العطاء المالقی فی وصف غادة] ----- ۱۴۶

[أبو القاسم السهيلى] ----- ۱۴۷
[بين السهيلى و الرصافى] ----- ۱۴۷
[أبو الفضل بن حسداى الوزير الكاتب] ----- ۱۴۸
[أبو الربيع السرقسطى و بين على بن خير و ابن عبد الصمد السرقسطى] ----- ۱۴۸
[قصة من رقة طباع الأندلسيين] ----- ۱۴۹
[بين ابن خفاجة و ابن عنق الفضة] ----- ۱۵۰
[من شعر أبى بكر بن سدراى الوزير] ----- ۱۵۱
[من شعر مروان بن عبد العزيز ملک بلنسية] ----- ۱۵۱
[من شعر أبى عامر بن الفرج الوزير] ----- ۱۵۲
[من شعر أبى الحسن على بن حريق] ----- ۱۵۲
[لأبى جعفر بن الذهبى] ----- ۱۵۳
[بين المعتصم بن صمادح و خلف السميسر] ----- ۱۵۳
[من شعر صارة و من شعر ابن الزقاق] ----- ۱۵۵
[من شعر أبى تمام غالب بن رباح الحجام] ----- ۱۵۵
[من شعر ابن زقاق و ابن مسعدة] ----- ۱۵۷
[من شعر أبى بكر محمد بن أرزق و أبى جعفر بن أزرق و أبى القاسم بن أزرق و راشد بن عريف] ----- ۱۵۸
[من شعر ابن عائش] ----- ۱۵۸
[من شعر أبى الحسن بن شعيب و أبى حامد بن شعيب و أبى الحسن بن رجاء و أبى محمد بن الفتح] ----- ۱۵۹
[من شعر أبى مروان عبد الملک بن غصن] ----- ۱۶۰
[من شعر إبراهيم الحجارى] ----- ۱۶۱
[من شعر ابن خيرة الاشبيلى و أبى جعفر الإشبيلى و الوزير أبى الوليد إسماعيل] ----- ۱۶۲
[للوزير أبى الحسن بن حصن] ----- ۱۶۳
[للوزير ابن طريف] ----- ۱۶۳
[من شعر أبى العباس الخزرجى و أبى سليمان بن أبى أمية و أبى على عمر بن أبى خالد] ----- ۱۶۴

[من شعر عبد اللّه المهیریس] ۱۶۴
[من شعر أبی بکر بن البناء] ۱۶۵
[حدیث عن بنی زهر] ۱۶۵
[من شعر أبی الولید بن حزم] ۱۶۶
[من شعر ابن عبد ربه و أبی عبد اللّه الرندی] ۱۶۷
[من شعر المعتمد بن عباد و ابن الفرج الجیانی] ۱۶۸
[من شعر الرصافی و ابن عبد ربه و ابن صارة و الغزال و أبی حیان] ۱۶۸
[من شعر ابن شهید] ۱۶۹
[من شعر أبی بکر بن بقی] ۱۶۹
[فی لبس الأندلسیین البیاض فی الحزن] ۱۷۰
[من شعر أبی جعفر بن خاتمة] ۱۷۰
[من شعر القسطلّی یصف هول البحر] ۱۷۰
[من شعر الرمادی و ابن صارة یصف النار] ۱۷۰
[من شعر ابن لبال و ابن شهید و محمد بن هانی] ۱۷۱
[من ابن عمار إلی ابن رزین] ۱۷۲
[من شعر ابن الجد و ابن عبد ربه و النحلی و ابن شهید] ۱۷۲
[أبی عمر بن أبی محمد الوزیر] ۱۷۳
[بین ابن عیاش و ابن زرقون] ۱۷۳
[بین ابن عبد ربه و فتی یهواه] ۱۷۴
[من شعر غانم المالقی و ابن بقی و الأبیض و ابن صارة و ابن عبدون البلنسی] ۱۷۴
[من شعر الوزیر ابن الحکیم و أبی جعفر بن برطال و ابن خفاجة و أبی الولید بن الحضرمی] ۱۷۵
[من شعر أبی أیوب سلیمان بن محمد بن بطال البطلیوسی] ۱۷۶
[من شعر إبراهیم البطلیوسی و شعر القلندر البطلیوسی] ۱۷۶
[من شعر ابن جاخ الصباغ و الکمیت البطلیوسی] ۱۷۷

[من شعر محمد بن البين البطليوسى] ----- ۱۷۷
[بين المتوكل و مضحک يدعى «الخطارة»] ----- ۱۷۸
[من شعر أبى زيد بن مولود الوزير و عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى] ----- ۱۷۸
[ضوابط لحروف الزيادة] ----- ۱۷۸
[من شعر عبد اللّه بن الليث و أبى القاسم بن الأبرشى] ----- ۱۷۹
[من شعر أبى الحسين على بن بسام الشنترينى و أبى عمر بن كوثر] ----- ۱۸۰
[من شعر أبى محمد بن سارة و منذر الأشبونى و خلف القطينى و أبى محمد بن السيد النحوى] ----- ۱۸۰
[من شعر ابن خفاجة و الرصافى و أبى بكر بن حبيش] ----- ۱۸۱
[من شعر أبى الحسن بن جابر و أبى بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلى] ----- ۱۸۲
[من شعر صفوان و من شعر أبى بكر بن يوسف و أبى القاسم القبتورى] ----- ۱۸۲
[من شعر أبى الحسن بن الحاج و أحمد بن أمية البلنسى و ابن برطلة و ابن خروف] ----- ۱۸۳
[من شعر أبى بكر بن مالک و أبى الحسن بن حريق و أبى الحسن بن زقاق] ----- ۱۸۳
[من شعر أبى بكر بن الجزار السرقسطى و أبى عبد الله الجذامى] ----- ۱۸۴
[من شعر سلمة بن أحمد و أبى الحسن بن حزمون] ----- ۱۸۴
[من شعر أبى بكر بن مالک و أبى بكر بن مالک و القاضى ابن السليم] ----- ۱۸۵
[من شعر الوزير ابن أبى الخصال و الرصافى] ----- ۱۸۵
[من شعر ابن باجة و ابن الابار و أبى العباس أحمد الإشبيلى] ----- ۱۸۵
[من شعر ابن زهر الحفيد و أبى بكر بن زهر الأصغر] ----- ۱۸۶
[من شعر أبى جعفر عمر ابن صاحب الصلاة و أبى بكر محمد ابن صاحب الصلاة فى عمرو بن مذحج] ----- ۱۸۷
[من شعر ابن السيد البطليوسى فى عمرو بن مذحج و ابن عبدون و جواب عمرو بن مذحج] ----- ۱۸۷
[لعمرو بن مذحج فى أبى العلاء بن زهر و محمد بن مذحج] ----- ۱۸۸
[من شعر أبى الوليد بن مذحج] ----- ۱۸۸
[من شعر أبى الحسين بن فندلة و أبى العباس بن سيد فى ابن فندلة و أبى القاسم بن حسان] ----- ۱۸۹
[من شعر أبى بكر بن مرتين و القاضى ابن زرقون] ----- ۱۸۹

[من شعر أبی عبد اللّه محمد بن عمر الإشبیلی و أبی بکر الزبیدی و أبی بکر بن طلحة الإشبیلی] ۱۹۰
[من شعر أبی جعفر بن الأبار الإشبیلی و أبی القاسم العطار الإشبیلی] ۱۹۱
[من شعر أبی عمرو الإشبیلی و أبو الحسن علی بن جابر الدباج الإشبیلی] ۱۹۲
[من شعر مالک بن وهیب الإشبیلی] ۱۹۲
[من شعر أبی الصلت أمیة بن عبد العزیز] ۱۹۳
[من شعر عبد الرحمن بن سبلاق و أبی بکر محمد بن نصر الإشبیلی و أحمد بن محمد الإشبیلی] ۱۹۵
[من شعر ابن الأصبغ بن سید و إبراهیم بن خیرة الصباغ و أبی بکر بن حجاج] ۱۹۶
[ن شعر أبی عبد اللّه الرصافی و أبی جعفر بن الجزار و أبی جعفر بن البنی] ۱۹۶
[من شعر أبی المطرف أحمد بن عمیرة و أبی جعفر أحمد بن طلحة] ۱۹۷
[من شعر أبی إسحاق بن خفاجة و أبی بکر محمد بن أحمد الأنصاری المعروف بالأبیض] ۱۹۸
[من شعر أبی علی عمر الشلوبین النحوی و أبی إسحاق إبراهیم الإلبیری و أبی بکر بن عبادة القزاز] ۱۹۹
[من شعر أبی الحسن بن نزار و خبره] ۲۰۰
[بین ابن نزار و أبی جعفر بن سعید] ۲۰۱
[بین ابن نزار و ابن سعید و الکتندی] ۲۰۲
[من شعر أبی الأصبغ عبد العزیز بن الأرقم و أبی عامر بن أبی الأصبغ] ۲۰۳
[من شعر أبی محمد عبد البر بن فرسان و حاتم بن حاتم العنسی] ۲۰۴
[من شعر التطیلی الأعمی] ۲۰۴
[ابن ظافر و القاضی المؤید] ۲۰۴
[من شعر ابن شعبة الوادی آشی و ابن الحداد الوادی آشی] ۲۰۵
[الوزیر الفقیه أبو بلال و من شعر ابن البراق] ۲۰۷
[من شعر أبی محمد عبد اللّه و علی بن مهلهل الجلیانی و یحیی بن مطروح] ۲۰۷
[من شعر أبی بکر محمد بن نصر الأوسی و أبی عبد اللّه محمد بن علی اللوشی] ۲۰۸
[من شعر أبی محمد عبد المولی اللوشی و أخباره] ۲۰۹
[من شعر حاتم بن سعید و مالک بن محمد بن سعید] ۲۱۱

[بين محمد بن غالب و الكتندى و أبى جعفر بن سعيد] ----- ۲۱۱
[من شعر أبى جعفر بن سعيد] ----- ۲۱۲
[بين ابن الصابونى و أحد الأدباء و من شعر ابن الصابونى و بعض أخباره] ----- ۲۱۴
[بين ابن الخصال و القاضى ابن مالک] ----- ۲۱۵
[بين أبى بكر بن المنخل و ابنه] ----- ۲۱۵
[من شعر ابن المرغوى] ----- ۲۱۶
[من شعر نسيم الإسرائيلى و إبراهيم بن سهل الإسرائيلى و ترجمته] ----- ۲۱۷
[من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاة] ----- ۲۱۸
[إبراهيم بن الفخار اليهودى] ----- ۲۱۹
[بين الياس بن المدور اليهودى و طبيب آخر] ----- ۲۲۰
[قسمونة بنت إسماعيل الشاعرة] ----- ۲۲۱
[من شعر أبى عبد اللّه بن رشيق القلعى و حديث عن ابن رشيق القلعى] ----- ۲۲۱
[من شعر أبى عيسى لبّ بن عبد الوارث القلعى] ----- ۲۲۲
[من شعر جابر بن خلف الفحصى] ----- ۲۲۲
[من شعر أبى يحيى بن الرميمى] ----- ۲۲۳
[من شعر أبى بحر يوسف بن عبد الصمد و أبى جعفر أحمد بن عباس الوزير] ----- ۲۲۳
[من شعر أبى بكر التطيلى الأعمى و أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى] ----- ۲۲۴
[من شعر عبد الملک بن سعيد الخازن و محمد بن الأستجى (زحكون)] ----- ۲۲۵
[من شعر المقدم بن المعافى و عبد الملک بن نظيف] ----- ۲۲۵
[من شعر هلال البيانى بن حمدين] ----- ۲۲۵
[بين الزجالى و الاسكندرانى الوزير و بين الزجالى و ابنه حامد] ----- ۲۲۶
[من شعر الوزير أبى عبد اللّه بن عبد العزيز و ترجمته] ----- ۲۲۷
[من شعر الوزير أبى الفرج و ترجمته] ----- ۲۲۷
[من شعر الوزير أبى عامر بن مسلمة و ترجمتة] ----- ۲۲۸

[من شعر الوزير أبي حفص أحمد بن برد و ترجمته] ۲۲۹
[من شعر الوزير أبي جعفر اللمائي و ترجمة الوزير حسان بن مالک و بعض شعره] ۲۳۰
[ترجمة الوزير أبي أيوب بن أبي أمية] ۲۳۱
[ترجمة الوزير أبي القاسم بن عبد الغفور] ۲۳۲
[من شعر الوزير أبي الوليد بن حزم] ۲۳۳
[من شعر ابن أبي زمنين و ترجمته] ۲۳۴
[من شعر خلف بن هارون يمدح بن حزم] ۲۳۴
[ترجمة الحافظ ابن حزم] ۲۳۴
[ترجمة أبي عبد اللّه بن مسرة] ۲۳۵
[فرار أبي عبد اللّه الخشني من المناصب] ۲۳۵
[من دعابات أهل الأندلس] ۲۳۵
[من أجوبة ملوک الأندلس و من شجاعة الأندلسيين] ۲۳۶
[ترجمة حريز بن عكاشة] ۲۳۶
[بين المقتدر و غلام نشأ عنده] ۲۳۷
[الأمير أبو عبد اللّه بن مردنيش] ۲۳۹
[من ظرف أهل الأندلس] ۲۳۹
[من شعر ابن عبد ربه و من سعة اطلاع ابن زيدون] ۲۳۹
[من شعر أبي الربيع سليمان بن على الشلبى و ابن مهران و ابن السيد البطليوسى و ابن صارة] ۲۴۰
[من شعر عبد الملک بن رزين و ابن عبد ربه] ۲۴۱
[من أنفة الأندلسيين] ۲۴۱
[من كرم الأندلسيين و من شعر أبي العرب الصقلى] ۲۴۲
[من كرم الوزير أبي بكر بن عبد العزيز و كرم المعتمد بن عباد] ۲۴۲
[من شعر الحجارى] ۲۴۳
[من شعر أبي العلاء إدريس بن أزرق و محمد بن هشام المروانى] ۲۴۳

[من شعر أحمد بن هشام المروانی و علو همته] ----- ۲۴۴
[المنذر بن عبد الرحمن الأوسط] ----- ۲۴۵
[من شعر المنذر بن عبد الرحمن و من کرم نفس المنذر بن عبد الرحمن] ----- ۲۴۶
[المطرف بن عبد الرحمن الأوسط] ----- ۲۴۶
[من شعر هشام بن عبد الرحمن الأوسط و یعقوب بن عبد الرحمن الأوسط] ----- ۲۴۷
[بین الأمیرین محمد و أبان ابنی عبد الرحمن الأسط أبنائه و شیء من شعرهم] ----- ۲۴۷
[من شعر محمد بن المنذر بن محمد و عبد اللّه بن الناصر] ----- ۲۴۸
[من جود بعض ملوک إفریقیة و بین عبد اللّه المروانی و صدیق و مقتل عبد اللّه بن الناصر و] ----- ۲۴۹
[من شعر عبد العزیز بن الناصر و محمد بن الناصر] ----- ۲۴۹
[من شعر محمد بن عبد الملک بن الناصر] ----- ۲۵۰
[من شعر مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملک] ----- ۲۵۱
[من شعر أحمد بن سلیمان بن أحمد] ----- ۲۵۲
[من شعر أبی عبد اللّه محمد بن محمد بن الناصر و عبد اللّه بن محمد المهدی (الأقرع)] ----- ۲۵۲
[من شعر سلیمان بن المرتضی بن محمد (الغزال)] ----- ۲۵۳
[من شعر سعید بن محمد المروانی] ----- ۲۵۴
[من شعر القاسم بن محمد المروانی و الأصم المروانی و أحمد المروانی] ----- ۲۵۴
[من شعر الأصبغ القرشی و سلیمان بن عبد الملک الأموی و أبی یزید بن العاصی] ----- ۲۵۵
[من شعر أبی الحجاج المنصفی] ----- ۲۵۶
[بین ابن مرج الکحل و طبیب] ----- ۲۵۶
[من شعر أبی محمد غانم بن ولید و أبی جعفر اللمائی و أبی عامر بن نیق] ----- ۲۵۶
[من شعر أبی الحسن اللورقی و أبی عیسی بن لبون و أبی عامر بن الحمارة و أبی العباس بن السعود] ----- ۲۵۷
[من شعر الحکم بن علندة و القاضی أبی موسی بن عمران و أبی بکر بن الجزار السرقسطی] ----- ۲۵۷
[من شعر أبی محمد بن حزم و ابن صارة و أبی القاسم بن العطار] ----- ۲۵۸
[من شعر سهل بن مالک و ابن صارة و صفوان بن إدریس و أبی جعفر بن وضاح] ----- ۲۵۹

[من شعر الوزير ابن عمار و أبى الحسن بن سعد الخير و ابن أبى الخصال] ----- ۲۶۰
[من شعر ابن صارة و الخفاجى و ابن وضاح] ----- ۲۶۰
[من شعر ابى اسحاق خولانى و ابن الابار و حازم] ----- ۲۶۰
[من شعر ابن سعد الخير و ابن نزار الوادى آشى و بعضهم فى القراسيا و بعضهم يصف معاهد أنسه] ----- ۲۶۱
[من شعر الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء] ----- ۲۶۲
[كتاب شذور الذهب لعلى بن موسى] ----- ۲۶۲
[مثل من سرعة بديهة الأندلسيين] ----- ۲۶۲
[بين المعتمد بن عباد و ابن جاخ الصباغ و بين الوزير ابن عمار و ابن جاخ الصباغ] ----- ۲۶۳
[بين الوزير ابن عمار و يحيى القصاب] ----- ۲۶۳
[بين المتوكل و ابن عبدون و بين ابن الغليظ و ابن السراج] ----- ۲۶۴
[بين ابن عبادة و ابن القابلة] ----- ۲۶۴
[بين ابن شهيد و أبى جعفر وزير الصقلبى] ----- ۲۶۵
[بين ابن عباد و ابنه الرشيد و بين الفقيه على بن القاسم و جماعة من أصحابه] ----- ۲۶۵
[بين الأمير عبد الرحمن و عبد اللّه بن الشمر و بين الأمير عبد الرحمن و محمد بن سعيد الزجالى] ----- ۲۶۶
[بين ابن عباد و ابن المرزبان] ----- ۲۶۶
[ابن الصيرفى يزيد على بيت لابن السمط] ----- ۲۶۷
[فى حضرة العالى بالله الإدريسى] ----- ۲۶۷
[فى حضرة عبد الرحمن بن الحكم و فى حضرة المعتمد بن عباد] ----- ۲۶۷
[بين المعتمد و الوزير ابن عمار و بين المعتمد بن عباد و ابن حمديس الصقلى] ----- ۲۶۸
[بين عبد الرحمن الناصر و جماعة من خواصه] ----- ۲۶۸
[بين ابن صارة و ابن القبطرنة] ----- ۲۶۹
[بين أبى بكر بن الزبيدى و أبى الحسن المصحفى و من شعر أبى بكر بن الزبيدى] ----- ۲۶۹
[بين سهل بن مالك و جماعة من الأدباء] ----- ۲۷۱
[بين ابن مطروح البلنسى و أبى الربيع الكلاعى] ----- ۲۷۱

[بين ابن حمدون و الشلوبين] ----- ۲۷۱
[من عفو المعتصم بن صمادح و من شعر أبي عبد اللّه الرصافي] ----- ۲۷۱
[من شعر أبي بكر محمد بن يحيى الشلطيشي و أبي بكر بن العطار اليابسي و محمد بن الحسن الجيلي] ----- ۲۷۲
[من شعر محمد بن حرب و محمد بن اليسع] ----- ۲۷۲
[من شعر أحمد بن أفلح و أحمد بن تليد و إسحاق بن المنادي] ----- ۲۷۳
[من شعر غالب بن عبد اللّه الثغري و الوزير أبي الحسن الغرناطي] ----- ۲۷۳
[من شعر الوزير أبي عامر بن الحمارة و ابن بقي] ----- ۲۷۴
[بين ابن عبادة و ابن القابلة] ----- ۲۷۴
[من شعر ابن خروف] ----- ۲۷۴
[بين ابن خفاجة و ابن عائشة و ابن الزقاق] ----- ۲۷۴
[من شعر الحسين بن الضحاك:] ----- ۲۷۵
[من شعر أبي بكر بن حبيش و أبي بكر اللخمي] ----- ۲۷۶
[بين أبي زيد بن أبي العافية و ابن العطار] ----- ۲۷۶
[بين ثلاثة أدباء] ----- ۲۷۷
[من شعر أبي إسحاق بن خفيف و أبي الصلت و بعض المغاربة ۳۹۱] ----- ۲۷۷
[من شعر عبد اللّه القرطبي و ابن هذيل الفزاري و ابن الزقاق] ----- ۲۷۸
[من شعر أبي حيان و أبي العباس بن سعيد و السميسر] ----- ۲۷۸
[من شعر ابن خفاجة و بعض الأندلسيين و يحيى بن هشام القرطبي] ----- ۲۷۸
[من شعر أبي جعفر البلنسي و أبي العباس القيجاطي و أبي العباس المالقي] ----- ۲۷۹
[جازة بين أبي القاسم بن عبد المنعم و أبي عبد اللّه الشاطبي و أبي بكر بن طاهر] ----- ۲۸۰
[من شعر أبي بكر بن عبادة و أبي بكر بن قزمان و ترجمته] ----- ۲۸۰
[من شعر أبي بكر بن القوطية و من شرع القاضي يونس بن عبد اللّه بن مغيث ترجمته] ----- ۲۸۱
[من شعر ابن سيده و ترجمته:] ----- ۲۸۲
[من شعر أبي محمد غانم بن الوليد المالقي] ----- ۲۸۲

[ابن عبد البر- ترجمته و شعره] ----- ۲۸۳
[من شعر أبی بکر بن أبی الدوس و أخباره و أبی الفضل بن الأعلم و أخباره] ----- ۲۸۴
[الرمادی: ترجمته و بعض شعره] ----- ۲۸۶
[ابن هانیء: ترجمته و بعض شعره] ----- ۲۸۹
[أبو أحمد بن فرج الجیانی: ترجمته و بعض شعره] ----- ۲۹۳
[أبو عبد اللّه محمد بن الحداد: ترجمته و بعض شعره] ----- ۲۹۴
[الأسعد بن بلیطة: ترجمته و بعض شعره] ----- ۲۹۵
فهرس الرسائل و الخطب و المراجعات للجزء الرابع من کتاب نفح الطیب ----- ۲۹۶
فهرس موضوعات الجزء الرابع ----- ۲۹۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۱۴

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المجلد ۴

اشارة

نام كتاب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

نويسنده: مقرى، احمد بن محمد

تاريخ وفات مؤلف: ۱۰۴۱ ه. ق

محقق / مصحح: بقاعى، يوسف

موضوع: جغرافياى شهرها

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱۰

ناشر: دار الفكر

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۱۹ ه. ق

[تتمة القسم الاول]

الباب السابع [فى نبذة مما منّ اللّه به على أهل الأندلس]

اشارة

فى نبذة ممّا منّ اللّه تعالى به على أهل الأندلس من توقّد الأذهان، و بذلهم فى اكتساب المعارف و المعالى ما عزّ وهان، و حوزهم فى ميدان البراعة، من قصب اليراعة، خصل الرهان، و جملة من أجوبتهم، الدالّة على لوذعيتهم، و أوصافهم المؤذنة بألمعيتهم، و غير ذلك من أحوالهم التى لها على فضلهم أوضح برهان.

[ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين فى كتابه «فرحة الأنفس».]

اعلم أنّ فضل أهل الأندلس ظاهر، كما أنّ حسن بلادهم باهر، و لذلك ذكر ابن غالب فى «فرحة الأنفس» لمّا أثنى على الأندلس و أهلها أن بطليموس جعل لهم- من أجل ولاية الزّهرة لبلادهم- حسن الهمّة فى الملبس و المطعم، و النظافة و الطهارة، و الحب للهو و الغناء، و توليد اللحون، و من أجل ولاية عطارد حسن التدبير، و الحرص على طلب العلم، و حبّ الحكمة و الفلسفة و العدل و الإنصاف.

و ذكر ابن غالب أيضا ما خصّوا به من تدبير المشترى و المريخ.

و انتقد عليه بعضهم بأنّ أقاليم الأندلس الرابع و الخامس و السادس فى ساحلها الشمالى، و السابع فى جزائر المجوس، و للإقليم الرابع الشمس، و للخامس الزّهرة، و للسادس عطارد، و للسابع القمر، و المشترى للإقليم الثانى، و المريخ للثالث، و لا مدخل لهما فى الأندلس، انتهى.

ثم قال صاحب الفرحة: و أهل الأندلس عرب فى الأنساب، و العزّة، و الأنفة، و علوّ الهمم، و فصاحة الألسن، و طيب النفوس، و إباء الضيم، و قلّة احتمال الذلّ، و السماحة بما فى أيديهم، و النزاهة عن الخضوع و إتيان الدنيّة، هنديّون فى إفراط عنايتهم بالعلوم و حبّهم

فيها و ضبطهم لها و روايتهم، بغداديون فى نظافتهم و ظرفهم، و رقّة أخلاقهم و نباهتهم، و ذكائهم، و حسن نظرهم، و جودة قرائحهم، و لطافة أذهانهم، و حدّة أفكارهم، و نفوذ خواطرهم، يونانيون فى استنباطهم للمياه، و معاناتهم لضروب الغراسات، و اختيارهم لأجناس الفواكه،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴

و تدبيرهم لتركيب الشجر، و تحسينهم للبساتين بأنواع الخضر و صنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، و منهم ابن بصال صاحب «كتاب الفلاحة» الذى شهدت له التجربة بفضله، و هم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الأعمال و مقاساة النّصب فى تحسين الصنائع، أحذق الناس بالفروسية، و أبصرهم بالطعن و الضرب.

و عدّ، رحمه اللّه تعالى، من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم، قال: و كان خطّهم أولا مشرقيّا، انتهى.

قال ابن سعيد: أمّا أصول الخطّ المشرقى و ما تجد له فى القلب و اللحظ من القبول فمسلّم له، لكن خطّ الأندلس الذى رأيته فى مصاحف ابن غطوس الذى كان بشرق الأندلس و غيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق، و رونق آخذ بالعقل، و ترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر و التجويد، انتهى.

و نحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور فى رسالة لابن حزم، و قال فيها: إنّ أهل الأندلس صينيون فى إتقان الصنائع العملية، و إحكام المهن الصورية، تركيون فى معاناة الحروب، و معالجات آلاتها، و النظر فى مهماتها، انتهى.

و عدّ ابن غالب من فضائلهم اختراعهم للموشّحات التى قد استحسنها أهل المشرق و صاروا ينزعون منزعها، و أمّا نظمهم و نثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علوّ طبقاتهم.

ثم قال ابن غالب: و لمّا نفذ قضاء اللّه تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرّقوا ببلاد المغرب الأقصى من برّ العدوة مع بلاد إفريقية، فأمّا أهل البادية فمالوا فى البوادى إلى ما اعتادوه، و داخلوا أهلها، و شاركوهم فيها، فاستنبطوا المياه، و غرسوا الأشجار، و أحدثوا الأرحىّ الطاحنة بالماء و غير ذلك، و علّموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها و لا رأوها، فشرفت بلادهم، و صلحت أمورهم، و كثرت مستغلّاتهم، و عمّتهم الخيرات، فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت و لأنّ اليونانيين سكنوا الأندلس فورثوا عنهم ذلك، و أمّا أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر و استوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء و الكتّاب و العمّال و جباة الأموال و المستعملون فى أمور المملكة، و لا يستعمل بلدى ما وجد أندلسى، و أما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد، و قطعوا معاشهم، و أخملوا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵

أعمالهم، و صيّروهم أتباعا لهم، و متصرّفين بين أيديهم، و متى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة، و أفرغوا فيه من أنواع الحذق و التجويد ما يميلون به النفوس إليهم، و يصير الذكر لهم، قال: و لا يدفع هذا عنهم إلّا جاهل أو مبطل، انتهى.

[ابن سعيد يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين]

و قال ابن سعيد، لمّا ذكر جملة من محاسن الأندلسيين: يعلم اللّه تعالى أنى ما أقصد إلّا إنصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصّب، و لا يجمح بهم الهوى، و لكن الحق أحقّ أن يتّبع، فلعلّ مطّلعا يقف على ما ذكره ابن غالب: فيقول: هذا الرجل تعصّب لأهل بلده، ثم يغمس التابع له و الراضى بنقل قوله فى هذه الصبغة و يحمله على ذلك بعده عن الأرضين:

[الطويل]

و لو أبصروا ليلى أقرّوا بحسنها و قالوا بأنى فى الثناء مقصّر

و يكفى فى الإنصاف أن أقول: إنّ حضرة مراكش هى بغداد المغرب، و هى أعظم ما فى برّ العدوة، و أكثر مصانعها و مبانيها الجليلة و

بساتينها إنما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن، و كانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم، و ذلك مشهور معلوم إلى الآن. و مدينة تونس بإفريقية قد انتقلت إليها السعادة التى كانت فى مراكش بسلطان إفريقية الآن أبى زكريا يحيى بن أبى محمد بن أبى حفص، فصار فيها من المبانى و البساتين و الكروم ما شابهت به بلاد الأندلس و عرفاء صناعه من الأندلس و تماثيله التى يبنى عليها، و إن كان أعرف خلق اللّه باختراع محاسن هذا الشأن، فإنما أكثرها من أوضاع الأندلسيين، و له من خاطره تنبيهات و زيادة ظهر حسن موقعها، و وجوه صنائع دولته لا تكاد تجدهم إلّا من الأندلس فصحّ قول ابن غالب، انتهى.

[الحميدى يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين]

قال الحميدى: أنشد بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، و هى:

[الطويل]

و ما ذا عليهم لو أجابوا فسلّموا و قد علموا أنى المشوق المتيّم

سروا و نجوم الليل زهر طوالع على أنّهم بالليل للناس أنجم

و أخفوا على تلك المطايا مسيرهم فنمّ عليهم فى الظلام التبسّم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها، و قال: هذا ما لا يقدر أندلسى على مثله، و بالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل، فقال بديها:

[الطويل]

عرفت بعرف الريح أين تيمّموا و أين استقلّ الظاعنون و خيّموا

خليلىّ، ردّانى إلى جانب الحمى فلست إلى غير الحمى أتيمّم

أبيت سمير الفرقدين كأنما وسادى قتاد أو ضجيعى أرقم

و أحور وسنان الجفون كأنّه قضيب من الريحان لدن منعّم

نظرت إلى أجفانه و إلى الهوى فأيقنت أنى لست منهنّ أسلم

كما أنّ إبراهيم أوّل نظرة رأى فى الدرّارى أنه سوف يسقم

[ابن بسام و الحجارى يذكران محاسن الأندلس و الأندلسيين]

و من كلام ابن بسام صاحب «الذخيرة» فى جزيرة الأندلس: أشراف عرب المشرق افتتحوها، و سادات أجناد الشام و العراق نزلوها، فبقى النسل فيها بكلّ إقليم، على عرق كريم، فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر، و شاعر قاهر.

و ذكر أن أبا على البغدادى، صاحب الأمالى، الوافد على الأندلس فى زمان بنى مروان قال: لمّا وصلت القيروان و أنا أعتبر من أمرّ به من أهل الأمصار فأجدهم درجات فى العبارات و قلّة الفهم، بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب و البعد، كأنّ منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصّة و مقايسة. قال أبو على: فقلت إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمّن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان، فى هذه الأوطان. قال ابن بسام: فبلغنى أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجّب من أهل هذا الأفق الأندلسى فى ذكائهم، و يتغطّى عنهم عند المباحثة و المناقشة، و يقول لهم: إنّ علمى علم رواية، و ليس علم دراية، فخذوا عنّى ما نقلت، فلم آل لكم أن صحّحت. هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم و كثرة الروايات، و الأخذ عن الثقات، انتهى.

و من كلام الحجارىّ فى «المسهب» د:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷

الأندلس عراق المغرب عزّة أنساب، و رقّة آداب، و اشتغالا بفنون العلوم، و افتنانا فى المنثور و المنظوم، لم تضق لهم فى ذلك ساحة، و لا قصرت عنه راحة، فما مرّ فيها بمصر إلّا و فيه نجوم و بدور و شموس، و هم أشعر الناس فيما كثره اللّه تعالى فى بلادهم، و جعله نصب أعينهم من الأشجار و الأنهار و الطيور و الكؤوس، لا ينازعهم أحد فى هذا الشأن، و ابن خفاجة سابقهم فى هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان. و أمّا إذا هبّ نسيم، و دار كأس فى كف ظبى رخيم، و رجّع بمّ وزير، و صفّق للماء خرير، أو رقّت العشيّة، و خلعت السحب أبرادها الفضية و الذهبية، أو تبسّم عن شعاع ثغر نهر، أو ترقرق بطلّ جفن زهر، أو خفق بارق، أو وصل طيف طارق، أو وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح، و بات مع من يهواه كالماء و الراح، إلى أن ودّع حين أقبل رائد الصباح، أو أزهرت دوحة السماء بزهر كواكبها، أو قوّضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها، فأولئك هم السابقون السابقون، الذين لا يجارون و لا يلحقون، و ليسوا بالمقصّرين فى الوصف إذا تقعقعت السلاح، و سالت خلجان الصّوارم بين قضبان الرماح، و بنت الحرب من العجاج سماء، و أطلعت شبه النجوم أسنّة و أجرت شبه الشّفق دماء، و بالجملة فإنهم فى جميع الأوصاف و التخيّلات أئمة، و من وقف على أشعارهم فى هذا الشأن فضّلهم فيه على أصناف الأمم، و قد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربية، و بقاعهم النّضرة و هممهم الأبيّة. و لشطار الأندلس من النوادر و التنكيتات، و التركيبات و أنواع المضحكات، ما تملأ الدواوين كثرته، و تضحك الثكلى و تسلّى المسلوب قصته، ممّا لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى و ما ركّب، و لا استغرب أحد ما أورده و لا تعجّب، إلّا أنّ مؤلّفى هذا الأفق طمحت هممهم عن التصنيف فى هذا الشأن فكاد يمرّ ضياعا، فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا، انتهى.

[رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلسيين]

و قد رأيت أن أذكر رسالة أبى محمد بن حزم الحافظ التى ذكر فيها بعض فضائل علماء الأندلس؛ لاشتمالها على ما نحن بصدده. و ذلك أنه كتب أبو على الحسن بن محمد بن أحمد بن الرّبيب التميمى القيروانى، إلى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس فى تخليد أخبار علمائهم و مآثر فضائلهم و سير ملوكهم، ما صورته:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸

كتبت يا سيدى، و أجلّ عددى، كتب اللّه تعالى لك السعادة، و أدام لك العزّ و السيادة، سائلا مسترشدا، و باحثا مستخبرا، و ذلك أنى فكرت فى بلادكم إذ كانت قرارة كلّ فضل، و منهل كلّ خير و نبل، و مصدر كلّ طرفة، و مورد كلّ تحفة، و غاية آمال الراغبين، و نهاية أمانى الطالبين، إن بارت تجارة فإليها تجلب، و إن كسدت بضاعة ففيها تنفق، مع كثرة علمائها، و وفور أدبائها، و جلالة ملوكها، و محبّتهم فى العلم و أهله، يعظّمون من عظّمه علمه، و يرفعون من رفعه أدبه، و كذلك سيرتهم فى رجال الحرب: يقدمون من قدمته شجاعته، و عظمت فى الحروب نكايته، فشجّع الجبان، و أقدم الهيّبان، و نبه الخامل، و علم الجاهل، و نطق العيىّ، و شعر البكى، و استنشر البغاث، و تثعبن الحفّاث، فتنافس الناس فى العلوم، و كثر الحذاق بجميع الفنون، ثم هم مع ذلك فى غاية التقصير و نهاية التفريط، من أجل أنّ علماء الأمصار دوّنوا فضائل أمصارهم، و خلّدوا فى الكتب مآثر بلدانهم، و أخبار الملوك و الأمراء، و الكتّاب و الوزراء، و القضاة و العلماء، فأبقوا لهم ذكرا فى الغابرين يتجدّد على مرّ الليالى و الأيام، و لسان صدق فى الآخرين، يتأكّد مع تصرّف الأعوام، و علماؤكم مع استظهارهم على العلوم كلّ امرئ منهم قائم فى ظلّه لا يبرح، و راتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف إن صنّف، و إن يعنّف، و إن ألّف أن يخالف، و لا يؤالف، أو تخطفه الطّير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق، لم يتعب أحد منهم نفسا فى جمع فضائل أهل بلده، و لم يستعمل خاطره فى مفاخر ملوكه، و لا بلّ قلما بمناقب كتّابه و وزرائه، و لا سوّد قرطاطا بمحاسن قضاته و علمائه، على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من لسانه، و بسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد للقول مساغا، و لم تضق عليه المسالك، و لم تخرج به المذاهب، و لا اشتبهت عليه المصادر و الموارد، و لكنّ همّ أحدهم أن يطلب شأو من تقدّمه من العلماء ليحوز قصبات السبق، و يفوز بقدح ابن مقبل، و يأخذ بكظم دغفل، و يصبر شجا فى حلق أبى العميثل، فإذا أدرك بغيته، و اخترمته

متيّته، دفن معه أدبه و علمه، فمات ذكره، و انقطع خبره، و من قدّمنا ذكره من علماء الأمصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الأكياس، فألّفوا دواوين بقى لهم بها ذكر مجدّد طول الأبد.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹

فإن قلت: إنه كان مثل ذلك من علمائنا، و ألّفوا كتبا لكنها لم تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق؛ لأنه ليس بيننا و بينكم غير روحة راكب، أو رحلة قارب، لو نفث من بلدكم مصدور، لأسمع من ببلدنا فى القبور، فضلا عمّن فى الدّور و القصور، و تلقّوا قوله بالقبول كما تلقّوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذى سمّاه بالعقد، على أنه يلحقه فيه بعض اللوم، لا سيما إذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده، و مناقب ملوكه يتيمة سلكه، أكثر الحزّ و أخطأ المفصل، و أطال الهزّ لسيف غير مقصل، و قعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم، و إغفال ما يهمهم.

فأرشد أخاك أرشدك اللّه! و اهده هداك اللّه! إن كانت عندك فى ذلك الجليّة، و بيدك فصل القضية، و السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته.

فكتب الوزير الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، عند وقوفه على هذه الرسالة، ما نصّه:

الحمد للّه ربّ العالمين، و صلّى اللّه على سيّدنا محمد عبده و رسوله، و على أصحابه الأكرمين، و أزواجه أمّهات المؤمنين، و ذرّيّته الفاضلين الطيّبين.

أمّا بعد يا أخى يا أبا بكر، سلام عليك سلام أخ مشوق طالت بينه و بينك الأميال و الفراسخ، و كثرت الأيام و الليالى، ثم لقيك فى حال سفر و نقلة، و وادّك فى خلال جولة و رحلة، فلم يقض من محاورتك أربا، و لا بلغ فى محاورتك مطلبا، و إنّى لمّا احتللت بك، و جالت يدى فى مكنون كتبك، و مضمون دواوينك، لمحت عينى فى تضاعيفها درجا، فتأمّلته، فإذا فيه خطاب لبعض الكتّاب من مصاقبينا فى الدار أهل إفريقية، ثم ممّن ضمّته حاضرة قيروانهم، إلى رجل أندلسى لم يعيّنه باسمه، و لا ذكره بنسبه، يذكر له فيها أنّ علماء بلدنا بالأندلس- و إن كانوا على الذّروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، و فى الغاية القصوى من التحكّم على وجوه المعارف- فإنّ هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، و مكارم ملوكهم، و محاسن فقهائهم، و مناقب قضاتهم، و مفاخر كتّابهم، و فضائل علمائهم، ثم تعدّى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منّا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم، و يبقى علمهم، بل قطع على أنّ كلّ واحد منهم قد مات فدفن علمه معه، و حقّق ظنّه فى ذلك، و استدلّ على صحّته عند

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰

نفسه بأنّ شيئا من هذه التآليف لو كان منّا موجودا لكان إليهم منقولا، و عندهم ظاهرا، لقرب المزار، و كثرة السّفّار، و تردّدهم إليهم، و تكرّرهم علينا. ثم لمّا ضمّنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، و المشهد الآهل بأنواع العلوم، و القصر المعمور بأنواع الفضائل، و المنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى و جليل المعالى، قرارة المجد و محلّ السؤدد، و محطّ رحال الخائفين، و ملقى عصا التّسيار عند الرئيس الأجلّ الشريف قديمه و حسبه، الرفيع حديثه و مكتسبه، الذى أجله عن كل خطّة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته، و لا ينال حضره هويناه، و أربى به عن كلّ مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو إلى المكارم سموّه، و لا يدنو من المعالى دنوّه، و لا يعلو فى حميد الخلال علوّه، بل أكتفى من مدحه باسمه المشهور، و أجتزى من الإطالة فى تقريظه بمنتماه المذكور، فحسبى بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور، و فضله المشهور، أبى عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن قاسم صاحب البونت أطال اللّه بقاءه! و أدام اعتلاءه! و لا عطّل الحامدين من تحليهم بحلاه! و لا أخلى الأيام من تزينها بعلاه! فرأيته أعزّه اللّه تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب، و راغبا فى أن يبين له ما لعلّه قد رآه فنسى أو بعد عنه فخفى، فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى أن ذلك المخاطب قد مات، رحمنا اللّه تعالى و إياه! فلم يكن لقصده بالجواب معنى، و قد صارت المقابر له مغنى، فلسنا بمسمعين من فى القبور، فصرفت عنان الخطاب إليك، إذ من قبلك صرت إلى الكتاب المجاوب عنه، و من لدنك وصلت إلى الرسالة المعارضة، و

فى وصول كتابى على هـذه الهيئـة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تآليف أهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الأول، و للّه الأمر من قبل و من بعد، و إن كنت فى إخبارى إياك بما أرسمه فى كتابى هذا كمهد إلى البركان نار الحباحب، و بانى صوّى فى مهيع القصـد اللاـحب، فإنـك و إن كنت المقصود و المواجه، فإنمـا المراد من أهل تلك الناحيـة من نأى عنه علم ما اسـتجلبه السائل الماضى، و ما توفيقى إلّا بالله سبحانه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱

فأما مآثر بلدنا فقد ألّف فى ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى كتبا جمّة: منها كتاب ضـخم ذكر فيه مسالك الأندلس و مراسيها، و أمّهات مـدنها و أجنادها السـتّة، و خواصّ كلّ بلـد منها، و ما فيه ممّا ليس فى غيره، و هو كتاب مريـح مليـح، و أنا أقول: لو لم يكن لأندلسنا إلّا ما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بشّر به و وصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرّة فى الحديث الذى رويناه من طريق أبى حمزة أنس بن مالـك أنّ خـالته أم حرام بنت ملحان زوج أبى الوليـد عبادة بن الصامت، رضـى اللّه تعالى عنه و عنهم أجمعين، حدّثته عن النبى صلى اللّه عليه و سلم، أنه أخبرها بذلك، لكفى شرفا بذلك يسرّ عاجله، و يغبط آجله.

فإن قال قائل: لعلّه صـلوات اللّه تعالى عليه إنما عنى بـذلك الحـديث أهل صـقلية و إقريطش، و ما الدليل على ما ادّعيته من أنه صـلى اللّه عليه و سـلم عنى الأنـدلس حتما؟ و مثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح، و بيان لائح، لا يحتمل التوجيه، و لا يقبل التجريح.

فالجواب- و بالله التوفيق- أنه صـلى اللّه عليه و سـلم، قـد أوتى جوامع الكلم، و فصل الخطاب، و أمر بالبيان لما أوحى إليه، و قد أخبر فى ذلك الحـديث المتّصل سـنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمّته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو ربّه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها صـلى اللّه عليه و سـلم و خبره الحقّ بأنها من الأولين، و هذا من أعلام نبوّته صلى اللّه عليه و سلم، و هو إخبـاره بالشـىء قبـل كونه، و صـحّ البرهـان على رسـالته بـذلك، و كانت من الغزاة إلى قبرس، و خرّت عن بغلتها هناك، فتوفيت، رحمها اللّه تعالى! و هى أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقينا أنّ الغزاة إلى قبرس هم الأولون الذين بشّر بهم النبى صلى اللّه عليه و سـلم، و كانت أم حرام منهم كما أخبر، صلوات اللّه تعالى و سلامه عليه، و لا سبيل أن يظنّ به و قد أوتى ما أوتى من البلاغـة و البيان أنه يـذكر طائفتين قد سـمّى إحداهما أولى إلّا و التالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة و تركيب العدد، و هذا مقتضـى طبيعـة صـناعة المنطق، إذ لا تكون الأولى أولى إلّا لثانية، و لا الثانية ثانية إلّا لأولى، فلا سبيل إلى ذكر ثالث إلّا بعد ثان ضـرورة، و هو صلى اللّه عليه و سلم إنما ذكر طائفتين، و بشّر بفئتين، و سمّى إحداهما الأولين، فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲

و الآخر من الأول هو الثانى الـذى أخبر صـلى اللّه عليه و سـلم أنه خير القرون بعـد قرنه، و أولى القرون بكل فضل بشـهادة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سـلم بأنه خير من كلّ قرن بعده، ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية، و كان الأمير بها فى تلك السـفن هبيرة الفزارى، و أمّا صـقلية فإنها فتحت صـدر أيام الأغالبة سنة ۲۱۲، أيام قاد إليها السـفن غازيا أسـد بن الفرات القاضـى صاحب أبى يوسف رحمه اللّه تعالى، و بها مات، و أما إقريطش فإنها فتحت بعد الثلاث و المائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ، من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلّوط المجاور لقرطبة من بلاد الأندلس، و كان من فلّ الرّبضـيين، و تداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذى غنمها فى أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ۳۵۰، و كان أكثر المفتتحين لها أهل الأندلس.

و أمـا فى قسم الأقـاليم فـإن قرطبـة مسـقط رؤوسـنا، و معقّ تمائمنا، مع سـرّ من رأى فى إقليم واحـد، فلنا من الفهم و الـذكاء ما اقتضاه إقليمنـا، و إن كـانت الأـنوار لاـ تأتينـا إلّا مغربـة عن مطالعهـا على الجزء المعمور، و ذلـك عنـد المحسـنين للأحكـام التى تـدلّ عليها الكواكب نـاقص من قوى دلائلها، فلها من ذلك على كلّ حال حظّ يفوق حظّ أكثر البلاد، بارتفاع أحـد النّيرين بها تسعين درجـة، و

ذلك من أدلّة التمكّن فى العلوم و النفاذ فيها عند من ذكرنا، و قد صدق ذلك الخبر، و أبانته التجربة، فكان أهلها من التمكّن فى علوم القراءات و الروايات و حفظ كثير من الفقه و البصر بالنحو و الشعر و اللغة و الخبر و الطب و الحساب و النجوم بمكان رحب الفناء، واسع العطن، متنائى الأقطار، فسيح المجال، و الذى نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكنّا فيه شركاء لأكثر أمّهات الحواضر، و جلائل البلاد، و متّسعات الأعمال، فهذه القيروان بلد المخاطب لنا، ما أذكر أنى رأيت فى أخبارها تأليفا غير «المعرب، عن أخبار المغرب» و حاشا تآليف محمد بن يوسف الوراق، فإنه ألّف للمستنصر رحمه اللّه تعالى فى «مسالك إفريقية و ممالكها» ديوانا ضخما، و فى أخبار ملوكها و حروبهم و القائمين عليهم كتبا جمّة، و كذلك ألّف أيضا فى أخبار تيهرت و وهران و تونس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳

و سجلماسة و نكور و البصرة و غيرها تآليف حسانا، و محمد هذا أندلسى الأصل و الفرع، آباؤه من وادى الحجارة، و مدفنه بقرطبة، و هجرته إليها، و إن كانت نشأته بالقيروان.

و لا بدّ من إقامة الدليل على ما أشرت إليه هنا إذ مرادنا أن نأتى منه بالمطلوب فيما يستأنف إن شاء اللّه تعالى، و ذلك أنّ جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين و الباقين، دون محاشاة أحد، بل قد تيقّنّا إجماعهم على ذلك، متّفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التى استقرّ بها و لم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات، فإن ذكروا الكوفيين من الصحابة، رضى اللّه تعالى عنهم، صدّروا بعلى و ابن مسعود و حذيفة، رضى اللّه تعالى عنهم، و إنما سكن علىّ الكوفة خمسة أعوام و أشهرا، و قد بقى ۵۸ عاما و أشهرا بمكة و المدينة شرّفهما اللّه تعالى. و كذلك أيضا أكثر أعمار من ذكرنا، و إن ذكروا البصريين بدءوا بعمران بن حصين و أنس بن مالك و هشام بن عامر و أبى بكرة، و هؤلاء مواليدهم و عامة زمن أكثرهم و أكثر مقامهم بالحجاز و تهامة و الطائف، و جمهرة أعمارهم حلت هنالك، و إن ذكروا الشاميين نوّهوا بعبادة بن الصامت و أبى الدرداء و أبى عبيدة بن الجراح و معاذ و معاوية، و الأمر فى هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم، و كذلك فى المصريين عمرو بن العاص و خارجة بن حذافة العدوى، و فى المكيين عبد اللّه بن عباس و عبد اللّه بن الزبير، و الحكم فى هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا، فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقّ به، و هو منّا بحكم جميع أولى الأمر منّا الذين إجماعهم فرض اتباعه، و خلافه محرم اقترافه، و من هاجر منّا إلى غيرنا فلا حظّ لنا فيه، و المكان الذى اختاره أسعد به، فكما لا ندع إسماعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع فى محمد بن هانىء سوانا، و العدل أولى ما حرص عليه، و النصف أفضل ما دعى إليه، بعد التفصيل الذى ليس هذا موضعه، و على ما ذكرنا من الأنصاف تراضى الكلّ.

و هذه بغداد حاضرة الدنيا و معدن كل فضيلة، و المحلّة التى سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، و التدقيق فى تصريف العلوم، و رقّة الأخلاق و النباهة و الذكاء و حدّة الأفكار و نفاذ الخواطر، و هذه البصرة و هى عين المعمور فى كل ما ذكرنا، و ما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبى طاهر، و أما سائر التواريخ التى ألّفها أهلها فلم يخصّوا بلدتهم بها دون سائر البلاد، و لا أعلم فى أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة، و كتاب لرجل من واد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبى سفيان فى خطط البصرة و قطائعها، و كتابين لرجلين من أهلها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴

يسمّى أحدهما عبد القاهر كريزى النسب و صفاها و ذكرا أسواقها و محالها و شوارعها، و لا أعلم فى أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة، و أمّا الجبال و خراسان و طبرستان و جرجان و كرمان و سجستان و السّند و أرمينية و أذربيجان و تلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم فى شىء منها تأليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحى، و علمائها و شعرائها و أطبائها، و لقد تاقت النفوس إلى أن يتّصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد، و ما علمناه علم، على أنهم العلية الرؤساء، و الأكابر العظماء، و لو كان فى شىء من ذلك تأليف لكان الحكم فى الأغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم، و كما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهانى فى أخبار أصبهان، و كتاب الموصلى و غيره فى أخبار مصر، و كما بلغنا سائر تآليفهم فى أنحاء العلوم، و قد بلغنا تأليف القاضى أبى العباس محمد بن

عبدون القيروانى فى الشروط، و اعتراضه على الشافعى رحمه اللّه تعالى، و كذلك بلغنا ردّ القاضى أحمد بن طالب التميمى على أبى حنيفة و تشيعه على الشافعى، و كتب ابن عبدوس و محمد بن سحنون و غير ذلك من خوامل تآليفهم دون مشهورها.

و أما جهتنا فالحكم فى ذلك ما جرى به المثل السائر «أزهد الناس فى عالم أهله»، و قرأت فى الإنجيل أنّ عيسى، عليه السلام قال: «لا يفقد النبىّ حرمته إلّا فى بلده» و قد تيقّنا ذلك بما لقى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، من قريش- و هم أوفر الناس أحلاما، و أصحّهم عقولا، و أشدّهم تثبتا، مع ما خصّوا به من سكناهم أفضل البقاع، و تغذيتهم بأكرم المياه- حتى خصّ اللّه تعالى الأوس و الخزرج بالفضيلة التى أبانهم بها عن جميع الناس، و اللّه يؤتى فضله من يشاء؛ و لا سيما أندلسنا فإنها خصّت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم، و استقلالهم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵

كثير ما يأتى به، و استهجانهم حسناته، و تتبعهم سقطاته و عثراته، و أكثر ذلك مدّة حياته، بأضعاف ما فى سائر البلاد، إن أجاد قالوا: سارق مغير و منتحل مدّع، و إن توسّط قالوا: غثّ بارد و ضعيف ساقط، و إن باكر الحيازة لقصب السّبق قالوا: متى كان هذا؟ و متى تعلّم؟ و فى أى زمان قرأ؟ و لأمّه الهبل! و بعد ذلك إن و لجت به الأقدار أحد طريقين إمّا شفوفا بائنا يعليه على نظرائه أو سلوكا فى غير السبيل التى عهدوها فهنالك حمى الوطيس على البائس، و صار غرضا للأقوال، و هدفا للمطالب، و نصبا للتسبّب إليه، و نهبا للألسنة، و عرضة للتطرق إلى عرضه، و ربما نحل ما لم يقل، و طوّق ما لم يتقلّد، و ألحق به ما لم يفه به و لا أعتقده قلبه، و بالحرى و هو السابق المبرّز إن لم يتعلّق من السلطان بحظّ أن يسلم من المتالف و ينجو من المخالف، فإن تعرّض لتأليف غمز و لمز، و تعرّض و همز، و اشتطّ عليه، و عظم يسير خطبه، و استشنع هين سقطه، و ذهبت محاسنه، و سترت فضائله، و هتف و نودى بما أغفل، فتنكسر لذلك همّته، و تكلّ نفسه، و تبرد حميّته، و هكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا، أو يعمل بعمل رياسة، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، و لا يتخلّص من هذه النّصب إلّا الناهض الفائت و المطفّف المستولى على الأمد.

و على ذلك فقد جمع ما ظنّه الظانّ غير مجموع، و ألّفت عندنا تآليف فى غاية الحسن، لنا خطر السبق فى بعضها: فمنها كتاب «الهداية» لعيسى بن دينار، و هى أرفع كتب جمعت فى معناها على مذهب مالك و ابن القاسم، و أجمعها للمعانى الفقهيّة على المذهب، فمنها كتاب الصلاة و كتاب البيوع و كتاب الجدار فى الأقضية و كتاب النكاح و الطلاق، و من الكتب المالكية التى ألّفت بالأندلس كتاب القطنىّ مالك بن على، و هو رجل قرشى من بنى فهر، لقى أصحاب مالك و أصحاب أصحابه، و هو كتاب حسن فيه غرائب و مستحسنات من الرسائل المولدات، و منها كتاب أبى إسحاق إبراهيم بن مزين فى تفسير الموطأ و الكتب المستقصية لمعانى الموطأ و توصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا، و كتابه فى رجال الموطأ و ما لمالك عن كلّ واحد منهم من الآثار فى موطّئه.

و فى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶

أستثنى فيه أنه لم يؤلّف فى الإسلام تفسير مثله، و لا تفسير محمد بن جرير الطبرى و لا غيره.

و منها فى الحديث مصنّفه الكبير الذى رتّبه على أسماء الصحابة، رضى اللّه تعالى عنهم! فروى فيه عن ألف و ثلاثمائة صاحب و نيّف، ثم رتّب حديث كلّ صاحب على أسماء الفقه و أبواب الأحكام، فهو مصنّف و مسند، و ما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته و ضبطه و إتقانه و احتفاله فى الحديث و جودة شيوخه، فإنه روى عن مائتى رجل و أربعة و ثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء، و سائرهم أعلام مشاهير. و منها مصنّفه فى فضل الصحابة و التابعين و من دونهم، الذى أربى فيه على مصنّف أبى بكر بن أبى شيبة و مصنّف عبد الرزاق بن همام و مصنّف سعيد بن منصور و غيرها، و انتظم علما عظيما لم يقع فى شىء من هذه، فصارت تآليف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، و كان متخيّرا لا يقلّد أحدا، و كان ذا خاصّة من أحمد بن حنبل رضى اللّه تعالى عنه!.

و منها فى أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجارى، و كان شافعى المذهب بصيرا بالكلام على اختياره، و كتاب القاضى أبى الحكم

منذر بن سعيد، و كان داودى المذهب قويّا على الانتصار له، و كلاهما فى أحكام القرآن غاية، و لمنذر مصنّفات منها كتاب «الإبانة، عن حقائق أصول الديانة».

و منها فى الحديث مصنّف أبى محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح، و مصنّف محمد بن عبد الملك بن أيمن، و هما مصنّفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث و غريبه على ما ليس فى كثير من المصنّفات. و لقاسم بن أصبغ هذا تآليف حسان جدا، منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل و كلامه، و منها كتاب «المجتبى، على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى» و هو خير منه و أنقى حديثا و أعلى سندا و أكثر فائدة، و منها كتاب فى فضائل قريش و كنانة، و كتابه فى الناسخ و المنسوخ، و كتاب غرائب حديث مالك بن أنس ممّا ليس فى الموطأ. و منها كتاب «التمهيد» لصاحبنا أبى عمر يوسف بن عبد البر، و هو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سنّ الشيخوخة، و هو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه، و منها كتاب «الاستذكار» و هو اختصار التمهيد المذكور، و لصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها: منها كتابه المسمّى بالكافى فى الفقه على مذهب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷

مالك و أصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتى الحاجة إليه و بوّبه و قرّبه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال فى معناه، و منها كتابه فى الصحابة ليس لأحد من المتقدّمين مثله على كثرة ما صنّفوا فى ذلك، و منها كتاب «الاكتفاء، فى قراءة نافع و أبى عمرو بن العلاء، و الحجّة لكلّ واحد منهما» و منها كتاب «بهجة المجالس، و أنس المجالس، ممّا يجرى فى المذاكرات، من غرر الأبيات و نوادر الحكايات»، و منها كتاب «جامع بيان العلم و فضله، و ما ينبغى فى روايته».

و منها كتاب شيخنا القاضى أبى الوليد عبد اللّه بن يوسف بن الفرضى فى المختلف و المؤتلف فى أسماء الرجال، و لم يبلغ عبد الغنى الحافظ البصرى فى ذلك إلّا كتابين، و بلغ أبو الوليد رحمه اللّه تعالى نحو الثلاثين، لا أعلم مثله فى فنّه البتّة، و منها تاريخ أحمد بن سعيد، ما وضع فى الرجال أحد مثله إلّا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلى البغدادى، و لم أره، و أحمد بن سعيد هو المتقدّم فى التأليف القائم فى ذلك، و منها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضى، و هى كثيرة؛ منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى، و كتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى.

و مما يتعلّق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطى، فما شآه أبو عبيد إلّا بتقدّم العصر فقط.

و منها فى الفقه «الواضحة» و المالكيون لا تمانع بينهم فى فضلها و استحسانهم إيّاها، و منها «المستخرجة من الأسمعة» و هى المعروفة بالعتبية، و لها عند أهل إفريقية القدر العالى و الطيران الحثيث، و الكتاب الذى جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الإشبيلى المعروف بابن المكوى، و القرشى أبو مروان المعيطى فى جمع أقاويل مالك كلّها على نحو الكتاب «الباهر» الذى جمع فيه القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد البصرى أقاويل الشافعى كلّها، و منها كتاب «المنتخب» الذى ألّفه القاضى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة، و ما رأيت لمالكى قطّ كتابا أنبل منه فى جمع روايات المذهب و شرح مستغلقها و تفريع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸

وجوهها، و تآليف قاسم بن محمد، المعروف بصاحب الوثائق، و كلّها حسن فى معناه، و كان شافعىّ المذهب نظارا جاريا فى ميدان البغداديين.

و منها فى اللغة الكتاب «البارع» الذى ألّفه إسماعيل بن القاسم، يحتوى على لغة العرب، و كتابه فى «المقصور و الممدود و المهموز» لم يؤلّف مثله فى بابه، و كتاب «الأفعال» لمحمد بن عمر بن عبد العزيز، المعروف بابن القوطية، بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع فى فنّه مثله، و كتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى فى اللغة لم يؤلّف مثله اختصارا و إكثارا و ثقة نقل، و هو أظنّ فى الحياة بعد.

و هاهنا قصة لا ينبغى أن تخلو رسالتنا منها، و هى أن أبا الوليد عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه المعروف بابن الفرضى، حدّثنى أنّ أبا

الجيش مجاهدا صاحب الجزائر و دانية وجّه إلى أبى غالب أيام غلبته على مرسية، و أبو غالب ساكن بها، ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور «ممّا ألّفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهد» فردّ الدنانير و أبى من ذلك، و لم يفتح فى هذا بابا البتّة، و قال: و اللّه لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت و لا استجزت الكذب؛ لأنى لم أجمعه له خاصّة بل لكلّ طالب، فأعجب لهمة هذا الرئيس و علوّها، و أعجب لنفس هذا العالم و نزاهتها.

و منها كتاب أحمد بن أبان بن سيد فى اللغة المعروف بكتاب «العالم» نحو مائة سفر على الأجناس فى غاية الإيعاب، بدأ بالفلك و ختم بالذرة. و كتاب «النوادر» لأبى على إسماعيل بن القاسم، و هو مبار لكتاب «الكامل» لأبى العباس المبرد، و لعمرى لئن كان كتاب أبى العباس أكثر نحوا و خبرا فإنّ كتاب أبى على لأكثر لغة و شعرا، و كتاب «الفصوص» لصاعد بن الحسن الربعى، و هو جار فى مضمار الكتابين المذكورين.

و من الأنحاء تفسير الجرفى لكتاب الكسائى، حسن فى معناه، و كتاب ابن سيده فى ذلك المنبوز ب «العالم و المتعلّم» و شرح له لكتاب الأخفش.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹

و مما ألّف فى الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء فى «أخبار شعراء الأندلس» كتاب حسن، و كتاب «الحدائق» لأبى عمر أحمد بن فرج، عارض به كتاب الزهرة لأبى محمد بن داود رحمه اللّه تعالى، إلّا أنّ أبا بكر إنما أدخل مائة باب فى كل باب مائة بيت، و أبو عمر أورد مائتى باب فى كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرّر اسمه لأبى بكر، و لم يورد فيه لغير أندلسى شيئا، و أحسن الاختيار ما شاء و أجاد، فبلغ الغاية، و أتى الكتاب فردا فى معناه، و منها كتاب «التشبيهات من أشعار أهل الأندلس» جمعه أبو الحسن على بن محمد بن أبى الحسن الكاتب، و هو حىّ بعد.

و ممّا يتعلّق بذلك شرح أبى القاسم إبراهيم بن محمد بن الإفليلى لشعر المتنبى، و هو حسن جدا.

و من الأخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى فى أخبار ملوك الأندلس و خدمتهم و غزواتهم و نكباتهم، و ذلك كثير جدا، و كتاب له فى صفة قرطبة و خططها و منازل الأعيان بها، على نحو ما بدأ به ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد و ذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها. و تواريخ متفرّقة رأيت منها: أخبار عمر بن حفصون القائم بريّة و وقائعه و سيره و حروبه، و تاريخ آخر فى أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقى القائم بالحوف، و فى أخبار بنى قيس و التّجيبيين و بنى الطويل و الثغر، فقد رأيت من ذلك كتبا مصنّفة فى غاية الحسن، و كتاب مجزأ فى أجزاء كثيرة فى أخبار ريّة و حصونها و حروبها و فقهائها و شعرائها تأليف إسحاق بن سلمة بن إسحاق الليثى، و كتاب محمد بن الحارث الخشنى فى «أخبار القضاة بقرطبة و سائر بلاد الأندلس، و كتاب فى أخبار الفقهاء بها، و كتاب لأحمد بن محمد بن موسى فى «أنساب مشاهير أهل الأندلس» فى خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب فى الأنساب و أوسعها، و كتاب قاسم بن أصبغ فى «الأنساب» فى غاية الحسن و الإيعاب و الإيجاز، و كتابه فى «فضائل بنى أمية»، و كان من الثقة و الجلالة بحيث اشتهر أمره، و انتشر ذكره، و منها كتب مؤلفة فى أصحاب المعاقل و الأجناد الستة بالأندلس، و منها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر رحمه اللّه تعالى، رأيت منها «أخبار شعراء إلبيرة» فى نحو عشرة أجزاء، و منها كتاب «الطوالع» فى أنساب أهل الأندلس، و منها كتاب «التاريخ الكبير فى أخبار أهل الأندلس» تأليف أبى مروان بن حيّان نحو عشرة أسفار من أجلّ كتاب ألّف فى هذا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰

المعنى، و هو فى الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال، و كتاب «المآثر العامرية» لحسين بن عاصم فى سير ابن أبى عامر و أخباره، و كتاب الأقشتين محمد بن عاصم النحوى فى «طبقات الكتّاب بالأندلس»، و كتاب سكن بن سعيد فى ذلك، و كتاب أحمد بن فرج فى «المنتزين و القائمين بالأندلس و أخبارهم»، و كتاب «أخبار أطباء الأندلس» لسليمان بن جلجل.

و أما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحاق و هى كتب حسان رفيعة، و كتب محمد بن الحسن المذحجىّ أستاذنا رحمه اللّه تعالى! و هو المعروف بابن الكتانى و هى كتب رفيعة حسان، و كتب التصريف لأبى القاسم خلف بن عياش الزهراوى، و قد أدركناه و شاهدناه، و لئن قلنا إنه لم يؤلّف فى الطب أجمع منه و لا أحسن للقول و العمل فى الطبائع لنصدقنّ، و كتب ابن الهيثم فى الخواصّ و السموم و العقاقير من أجلّ الكتب و أنفعها.

و أما الفلسفة فإنى رأيت فيها رسائل مجموعة و عيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السّرقسطى المعروف بالحمار دالّة على تمكّنه من هذه الصناعة، و أما رسائل أستاذنا أبى عبد اللّه محمد بن الحسن المذحجىّ فى ذلك فمشهورة متداولة و تامّة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة.

و أما العدد و الهندسة فلم يقسم لنا فى هذا العلم نفاذ، و لا تحقّقنا به، فلسنا نثق بأنفسنا فى تمييز المحسن من المقصّر فى المؤلفين فيه من أهل بلدنا إلّا أنى سمعت من أثق بعقله و دينه من أهل العلم ممّن اتّفق على رسوخه فيه يقول: إنه لم يؤلّف فى الأزياج مثل زيج مسلمة و زيج ابن السمح، و هما من أهل بلدنا، و كذلك كتاب «المساحة المجهولة» لأحمد بن نصر فما تقدّم إلى مثله فى معناه.

و إنما ذكرنا التآليف المستحقّة للذكر، و التى تدخل تحت الأقسام السبعة التى لا يؤلّف عاقل عالم إلّا فى أحدها، و هى إمّا شىء يخترعه لم يسبق إليه، أو شىء ناقص يتمّه، أو شىء مستغلق يشرحه، أو شىء طويل يختصره دون أن يخلّ بشىء من معانيه، أو شىء متفرّق يجمعه، أو شىء مختلط يرتّبه، أو شىء أخطأ فيه صاحبه يصلحه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱

و أما التآليف المقصّرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها، و هى عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها.

و أما علم الكلام فإن بلادنا و إن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، و لا اختلفت فيها النحل، فقلّ لذلك تصرّفهم فى هذا الباب، فهى على كل حال غير عريّة عنه، و قد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، و لهم فيه تآليف: منهم خليل بن إسحاق، و يحيى بن السمينة، و الحاجب موسى بن حدير و أخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، و كان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك. و لنا على مذهبنا الذى تخيّرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب فى هذا المعنى، و هو و إن كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لأنّا أسقطنا فيه المشاغب كلّها، و أضربنا عن التطويل جملة، و اقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدّمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحسّ و بديهة العقل لها بالصحة. و لنا فيما تحقّقنا به تآليف جمّة، منها ما قد تمّ، و منها ما شارف التمام، و منها ما قد مضى منه صدر و يعين اللّه تعالى على باقيه، لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها، و لا أردنا السمعة فنسمّيها، و المراد بها ربّنا جلّ وجهه، و هو ولى العون فيها، و الملىّ بالمجازاة عليها، و ما كان للّه تعالى فسيبدو، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و بلدنا هذا- على بعده من ينبوع العلم، و نأيه من محلّة العلماء- فقد ذكرنا من تآليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس و الأهواز و ديار مضر و ديار ربيعة و اليمن و الشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم و ذويه و مراد المعارف و أربابها.

و نحن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمّة الكلابى فى الشعر لم نباه به إلّا جريرا و الفرزدق، لكونه فى عصرهما، و لو أنصف لاستشهد بشعره، فهو جار على مذهب الأوائل، لا على طريقة المحدثين، و إذا سمّينا بقى بن مخلد لم نسابق به إلّا محمد بن إسماعيل البخارى و مسلم بن الحجاج النيسابورى و سليمان بن الأشعث السجستانى و أحمد بن شعيب النسائى. و إذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به إلّا القفّال و محمد بن عقيل الفريابى، و هو

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲

شريكهما فى صحبة المزنى أبى إبراهيم و التتلمذ له، و إذا نعتنا عبد اللّه بن قاسم بن هلال و منذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن بن المفلس و الخلال و الديباجى و رويم بن أحمد.

و قد شاركهم عبد اللّه فى أبى سليمان و صحبته، و إذا أشرنا إلى محمد بن عمر بن لبابة و عمّه محمد بن عيسى و فضل بن سلمة لم نناطح بهم إلّا محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم و محمد بن سحنون و محمد بن عبدوس، و إذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرياحى و أبى عبد اللّه محمد بن عاصم لم يقصّرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد.

و لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلّا أحمد بن محمد بن دراج القسطلّى لما تأخّر عن شأو بشار بن برد و حبيب و المتنبى، فكيف و لنا معه جعفر بن عثمان الحاجب، و أحمد بن عبد الملك بن مروان، و أغلب بن شعيب، و محمد بن شخيص، و أحمد بن فرج، و عبد الملك بن سعيد المرادى، و كلّ هؤلاء فحل يهاب جانبه، و حصان ممسوح الغرّة.

و لنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا و صاحبنا، و هو حىّ بعد لم يبلغ سنّ الاكتهال، و له من التصرّف فى وجوه البلاغة و شعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو و سهل و محمد بن عبد اللّه بن مسرة فى طريقه التى سلك فيها، و إن كنّا لا نرضى مذهبه، فى جماعة يكثر تعدادهم.

و قد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه اللّه تعالى من البيان، و لم نتزيد فيما رغب فيه إلّا ما دعت الضرورة إلى ذكره لتعلّقه بجوابه، و الحمد للّه الموفق لعلمه، و الهادى إلى الشريعة المزلفة منه و الموصلة، و صلّى اللّه على محمد عبده و رسوله و على آله و صحبه و سلّم، و شرّف و كرّم، انتهت الرسالة.

و كتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها «و إنما سكن على الكوفة خمسة أعوام و أشهرا» ما نصّه: صوابه أربعة أعوام، انتهى.

[تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم]

و قال ابن سعيد، بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته: رأيت أن أذيّل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الأندلس بما حضرنى و اللّه تعالى ولى الإعانة.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳

أما القرآن فمن أجلّ ما صنّف فى تفسيره كتاب «الهداية، إلى بلوغ النهاية» فى نحو عشرة أسفار، صنّفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى، و له كتاب «تفسير إعراب القرآن»، و عدّ ابن غالب فى كتاب «فرحة الأنفس» تآليف مكّى المذكور، فبلغ بها ۷۷ تأليفا، و كانت وفاته سنة ۴۳۷، و لأبى محمد بن عطية الغرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر و طار فى الغرب و الشرق، و صاحبه من فضلاء المائة السادسة.

و أما القراءات فلمكى المذكور فيها كتاب «التبصرة» و كتاب «التيسير» لأبى عمرو الدانى مشهور فى أيدى الناس.

و أما الحديث فكان بعصرنا فى المائة السابعة الإمام أبو الحسن على بن القطان القرطبى الساكن بحضرة مراكش، و له فى تفسير غريبه و فى رجاله مصنّفات، و إليه كانت النهاية و الإشارة فى عصرنا، و سمعت أنه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة، و حذف المكرّر، و كتاب رزين بن عمار الأندلسى فى جمع ما يتضمّنه كتاب مسلم و البخارى و الموطأ و السنن و النسائى و الترمذى كتاب جليل مشهور فى أيدى الناس بالمشرق و المغرب، و كتاب «الأحكام» لأبى محمد عبد الحق الإشبيلى مشهور متداول القراءة، و هى أحكام كبرى، و أحكام صغرى، قيل: و وسطى، و كتاب «الجمع بين الصحيحين» للحميدى مشهور.

و أما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذى ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالإسكندرية فكتاب «التهذيب» للبراذعى السرقسطى، و كتاب «النهاية» لأبى الوليد بن رشد، كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية، و كذلك كتاب «المنتقى» للباجى.

و أما أصول الدين و أصول الفقه فللإمام أبى بكر بن العربى الإشبيلى من ذلك ما منه كتاب «العواصم و القواصم» المشهور بأيدى الناس، و له تصانيف غير هذا، و لأبى الوليد بن رشد فى أصول الفقه ما منه «مختصر المستصفى».

و أما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف «بالمتين» فى نحو ستين مجلّدة و إنما ذكر ابن حزم كتاب «المقتبس» و هو فى عشر

مجلّدات، و المتين يذكر فيه أخبار عصره، و يمعن فيها ممّا شاهده، و منه ينقل صاحب الذخيرة، و قد ذيل عليه أبو الحجاج البيّاسى أحد معاصرينا،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴

و هو الآن بإفريقية فى حضرتها تونس عند سلطانها تحت إحسانه الغمر، و كتاب المظفر بن الأفطس ملك بطليوس المعروف «بالمظفرى» نحو كتاب «المتين» فى الكبر، و فيه تاريخ على السنين، و فنون آداب كثيرة، و تاريخ ابن صاحب الصلاة فى الدولة اللمتونية، و ذكر ابن غالب أن ابن الصيرفى الغرناطى له كتاب فى أخبار دولة لمتونة، و أن أبا الحسن السالمى له كتاب «فى أخبار الفتنة الثانية بالأندلس»، بدأ من سنة ۵۳۹، و رتّبه على السنين و بلغ به سنة ۵۴۷، و أبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب فى «تاريخ أصحاب الأندلس» من فتحها إلى زمانه، و أضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة و غيرها ما جاء فى خاطره، و له كتاب «الصلة» فى تاريخ العلماء، و للحميدى قبله «جذوة المقتبس» و قد ذيّل كتاب الصلة فى عصرنا هذا أبو عبد اللّه بن الأبّار البلنسى صاحب كتاب سلطان إفريقية. و ذكر ابن غالب أنّ الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجى القرطبى له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة إلى أن انتهى فى أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن، قال: و فارقته سنة ۵۶۵، و أبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدّمة الذكر له كتب جمّة فى التواريخ، مثل كتاب «نقط العروس، فى تواريخ الخلفاء» و قد صنّف أبو الوليد بن زيدون كتاب «التبيين فى خلفاء بنى أمية بالأندلس» على منزع كتاب «التعيين فى خلفاء المشرق» للمسعودى. و للقاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى كتاب «التعريف، بأخبار علماء الأمم من العرب و العجم» و كتاب «جامع أخبار الأمم». و أبو عمر بن عبد البر له كتاب «القصد و الأمم، فى معرفة أخبار العرب و العجم». و عريب بن سعد القرطبى له كتاب «اختصار تاريخ الطبرى» قد سعد باغتباط الناس به، و أضاف إليه تاريخ إفريقية و الأندلس، و لأحمد بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن الفياض كتاب «العبر» و كتاب أبى بكر الحسين بن محمد الزبيدى فى أخبار النحويين و اللغويين بالمشرق و الأندلس»، و كتاب القاضى أبى الوليد بن الفرضى فى «أخبار العلماء و الشعراء» و ما يتعلّق بذلك، و ليحيى بن حكم الغزال تاريخ ألّفه كلّه منظوما، كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبى من جزيرة شقر فى التاريخ الذى أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد، و كتاب «الذخيرة» لابن بسام فى جزيرة الأندلس ليس هذا مكان الإطناب فى تفصيلها و هى كالذيل على حدائق ابن فرج، و فى عصرها صنّف الفتح كتاب «القلائد» و هو مملوء بلاغة، و المحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر، و لصاحب القلائد كتاب «المطمح» و هو ثلاث نسخ: كبرى، و وسطى، و صغرى، يذكر فيها من الذين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵

ذكرهم فى القلائد و من غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم، و كتاب «سمط الجمان، و سقط المرجان» لأبى عمرو بن الإمام بعد الكتابين المذكورين، ذكر من أخلّا بتوفيته حقّه من الفضلاء، و استدرك من أدركه بعصره فى بقية المائة السادسة، و ذيّل عليه- و إن كان ذيلا قصيرا- أبو بحر صفوان بن إدريس المرسى بكتاب «زاد المسافر» ذكر فيه جماعة ممّن أدرك المائة السابعة، و كتاب أبى محمد عبد اللّه بن إبراهيم الحجارى المسمى ب «المسهب، فى فضائل المغرب» صنّفه بعد «الذخيرة» و «القلائد» من أوّل ما عمرت الأندلس إلى عصره، و خرج فيه عن مقصد الكتابين إلى ذكر البلاد و خواصّها ممّا يختصّ بعلم الجغرافيا، و خلطه بالتاريخ و تفنّن الأدب على ما هو مذكور فى غير هذا المكان، و لم يصنّف فى الأندلس مثل كتابه، و لذلك فضّله المصنّف له عبد الملك بن سعيد، و ذيّل عليه، ثم ذيّل على ذلك ابناه أحمد و محمد ثم موسى بن محمد ثم على بن موسى كاتب هذه النسخة و مكمّل كتاب «فلك الأدب، المحيط بحلى لسان العرب» المحتوى على كتابى «المشرق، فى حلى المشرق» و «المغرب، فى حلى المغرب»؛ فيكفى الأندلس فى هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص فى ۱۱۵ سنة آخرها سنة ۶۴۵، و قد احتوى على جميع ما يذاكر به و يحاضر بحلاه من فنون الأدب المختارة على جهد الطاقة فى شرق و غرب على النوع الذى هو مذكور فى غير هذا الموضع، و من أغفلت التنبيه على عصره، و غير ذلك من المصنّفين المتقدّمى الذكر، فيطلب الملتمس منهم فى مكانه المنسوب إليه كابن بسام فى شنترين، و الفتح فى

إشبيلية، و ابن الإمام فى إستجة، و الحجارى فى وادى الحجارة.

و أمّا ما جاء منثورا من فنون الأدب فكتاب «سراج الأدب» لأبى عبد اللّه بن أبى الخصال الشقورى رئيس كتّاب الأندلس، صنّفه على منزع كتاب «النوادر» لأبى على، و «زهر الآداب» للحصرى، و كتاب «واجب الأدب» لوالدى موسى بن محمد بن سعيد، و اسمه يغنى عن المراد به، و كتاب «اللآلئ» لأبى عبيد البكرى على كتاب «الأمالى» لأبى على البغدادى مفيد فى الأدب، و كذلك كتاب «الاقتضاب، فى شرح أدب الكتّاب» لأبى محمد بن السيّد البطليوسى، و أما شرح «سقط الزند» له فهو الغاية، و يكفى ذكره عند أرباب هذا الشأن و ثناؤهم عليه، و شروح أبى الحجّاج الأعلم لشعر المتنبى و الحماسة و غير ذلك مشهورة.

و أما «كتب» النحو فلأهل الأندلس من الشروح على «الجمل» ما يطول ذكره، فمنها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶

شرح ابن خروف، و منها شرح الزّندى، و منها شرح شيخنا أبى الحسن بن عصفور الإشبيلى، و إليه انتهت علوم النحو، و عليه الإحالة الآن من المشرق و المغرب، و قد أتيت له من إفريقية بكتاب «المقرب» فى النحو فتلقّى باليمين من كل جهة، و طار بجناح الاغتباط، و لشيخنا أبى على الشلوبين كتاب «التوطئة» على الجزولية و هو مشهور، و لابن السيّد و ابن الطراوة و السّهيلى من التقييدات فى النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشأن معتمد عليه، و لأبى الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه.

و أما علم الجغرافيا فيكفى فى ذلك كتاب «المسالك و الممالك» لأبى عبيد البكرى الأونبى و كتاب «معجم ما استعجم من البقاع و الأماكن»، و فى كتاب «المسهب» للحجارى فى هذا الشأن و تذييلنا عليه فى هذا الكتاب الجامع ما جمع زبد الأولين و الآخرين فى ذلك.

و أما «كتب علم» الموسيقى فكتاب أبى بكر بن باجة الغرناطى فى ذلك فيه كفاية و هو فى المغرب بمنزلة أبى نصر الفارابى بالمشرق، و إليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التى عليها الاعتماد، و ليحيى الخدّج المرسى كتاب «الأغانى الأندلسية» على منزع «الأغانى» لأبى الفرج، و هو ممّن أدرك المائة السابعة.

و أما «كتب» الطب فالمشهور بأيدى الناس الآن فى المغرب، و قد سار أيضا فى المشرق لنبله، كتاب «التيسير» لعبد الملك بن أبى العلاء بن زهر، و له كتاب «الأغذية» أيضا مشهور مغتبط به فى المغرب و المشرق، و لأبى العباس بن الرومية الإشبيلى من علماء عصرنا بهذا الشأن كتاب فى الأدوية المفردة، و قد جمع أبو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشأن حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقى و كتاب الزهراوى و كتاب الشريف الإدريسى الصقلى و غيرها و ضبطه على حروف المعجم، و هو النهاية فى مقصده.

و أما «كتب» الفلسفة فإمامها فى عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبى، و له فيها تصانيف جحدها لمّا رأى انحراف منصور بنى عبد المؤمن عن هذا العلم، و سجنه بسببها، و كذلك ابن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷

حبيب الذى قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشبيلية، و هو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تخفى تصانيفه.

و أما «كتب» التنجيم فلابن زيد الأسقف القرطبى فيه تصانيف، و كان مختصّا بالمستنصر بن الناصر المروانى، و له ألّف كتاب «تفصيل الأزمان، و مصالح الأبدان» و فيه من ذكر منازل القمر، و ما يتعلّق بذلك ما يستحسن مقصده و تقريبه، و كان مطرف الإشبيلى فى عصرنا قد اشتغل بالتصنيف فى هذا الشأن، إلّا أنّ أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئا مما يصنّف.

[رسالة الشقندى فى فضل الأندلس و الأندلسيين]

ثم قال ابن سعيد: أخبرنى والدى قال: كنت يوما فى مجلس صاحب سبتة أبى يحيى بن أبى زكريا صهر ناصر بنى عبد المؤمن، فجرى بين أبى الوليد الشّقندى و بين أبى يحيى بن المعلم الطنجى نزاع فى التفضيل بين البرّين، فقال الشقندى: لو لا الأندلس لم يذكر برّ العدوة، و لا سارت عنه فضيلة، و لو لا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم، فقال الأمير أبو يحيى: أ تريد أن تقول كون أهل برّنا عربا و أهل برّكم بربر؟ فقال: حاش للّه! فقال الأمير: و اللّه ما أردت غير هذا، فظهر فى وجهه أنه أراد ذلك، فقال ابن المعلم: أ تقول هذا و ما الملك و الفضل إلّا من برّ العدوة، فقال الأمير: الرأى عندى أن يعمل كل واحد منكما رسالة فى تفضيل برّه، فالكلام هنا يطول و يمرّ ضياعا، و أرجو إذا أخليتما له فكر كما يصدر عنكما ما يحسن تخليده، ففعلا ذلك.

فكانت رسالة الشقندى، الحمد للّه الذى جعل لمن يفخر بالأندلس أن يتكلّم ملء فيه، و يطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه و لا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلم، و لا لوجه النعيم: يا قبيح: [البسيط]

و قد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلنى ممّن أنشأته، و حبانى بأن كنت ممّن أظهرته، فامتدّ فى الفخر باعى، و أعاننى على الفضل كرم طباعى، و أصلّى على سيّدنا محمد نبيّه الكريم، و على آله و صحبه الأكرمين، و أسلّم تسليما.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸

أمّا بعد؛ فإنه حرّك منّى ساكنا، و ملأ منى فارغا، فخرجت عن سجيتى فى الإغضاء، مكرها إلى الحميّة و الإباء، منازع فى فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع، و يأتى بما لم تقبله النواظر و الأسماع، إذ من رأى و من سمع لا يجوز عنده ذلك، و لا يضلّه من تاه فى تلك المسالك، رام أن يفضل برّ العدوة على برّ الأندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار، و يقول:

الليل أضوأ من النهار، فيا عجبا كيف قابل العوالى بالزّجاج، و صادم الصّفاة بالزّجاج، فيا من نفخ فى غير ضرم، و رام صيد البزاة بالرخم، و كيف تتكثر بما جعله اللّه قليلا، و تتعزّز بما حكم اللّه أن يكون ذليلا؟ ما هذه المباهتة التى لا تجوز؟ و كيف تبدى أمام الفتاة العجوز؟ سل العيون إلى وجه من تميل؟ و استخبر الأسماع إلى حديث من تصغى؟: [الطويل]

لشتّان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم و الأغرّ بن حاتم

اقن حياءك أيها المغرّد بالنحيب، المتزيّن بالخلف المتحبّب إلى الغوانى بالمشيب الخضيب، أين عزب عقلك؟ و كيف نكص على عقبه فهمك و لبّك؟ أبلغت العصبية من قلبك، أن تطمس على نورى بصرك و لبّك؟ أما قولك «الملوك منّا» فقد كان الملوك منّا أيضا، و ما نحن إلّا كما قال الشاعر: [المتقارب]

فيوم علينا و يوم لنا و يوم نساء و يوم نسرّ

إن كان الآن كرسىّ جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن- أدامها اللّه تعالى!- فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم: [الطويل]

و إنّى من قوم كرام أعزّة لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر

خلائف فى الإسلام فى الشّرك قادة بهم و إليهم فخر كلّ مفاخر

و يقول مغربيهم:

ألسنا بنى مروان كيف تبدّلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹

إذا ولد المولود منّا تهلّلت له الأرض و اهتزّت إليه المنابر

و قد نشأ فى مدّتهم من الفضلاء و الشعراء ما اشتهر فى الآفاق، و صار أثبت فى صحائف الأيام، من الأطواق فى أعناق الحمام:

[الطويل]

و سار مسير الشمس فى كلّ بلدة و هبّ هبوب الريح فى البرّ و البحر

و لم تزل ملوكهم فى الاتساق كما قيل: [البسيط]

إنّ الخلافة فيكم لم تزل نسقا كالعقد منظومة فيه فرائده

إلى أن حكم اللّه بنثر سلكهم، و ذهاب ملكهم، فذهبوا و ذهبت أخبارهم، و درسوا و درست آثارهم: [البسيط]

جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة و هم بعد الممات جمال الكتب و السّير

فكم مكرمة أنالوها، و كم عثرة أقالوها: [الرجز]

و إنّما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

و كان من حسنات ملكهم المنصور بن أبى عامر، و ما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا إلى البحر الأخضر، و لم يترك أسيرا فى بلادهم من المسلمين، و لم يبرح فى جيش الهرقل و عزمة الإسكندر، و لمّا قضى نحبه كتب على قبره: [الكامل]

آثاره تنبيك عن أوصافه حتى كأنّك بالعيان تراه

تاللّه لا يأتى الزمان بمثله أبدا و لا يحمى الثغور سواه

و قد قيل فيه من الأمداح، و ألّف له من الكتب، ما سمعت و علمت، حتى قصد من بغداد، و عمّ خيره و شرّه أقاصى البلاد، و لمّا ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف و تفرّقوا فى البلاد، و كان فى تفرّقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفّقوا سوق العلوم، و تباروا فى المثوبة على المنثور و المنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلّا قول: العالم الفلانى عند

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰

الملك الفلانى، و الشاعر الفلانى مختصّ بالملك الفلانى، و ليس منهم إلّا من بذل وسعه فى المكارم، و نبهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم، و قد سمعت ما كان من الفتيان العامريّة مجاهد و منذر و خيران، و سمعت عن الملوك العربية: بنو عباد و بنو صمادح و بنو الأفطس و بنو ذى النون و بنو هود، كلّ منهم قد خلّد فيه من الأمداح، ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح، و لم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النّواسم بين الرّياض، و تفتك فى أموالهم فتكة البرّاض، حتى إنّ أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم فى أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة إلّا بمائة دينار، و أنّ المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته و إفراط هيبته كلّفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه فى قسمه، و من أعظم ما يحكى من المكارم التى لم نسمع لها أختا أنّ أبا غالب اللغوى ألّف كتابا، فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية ألف دينار و مركوبا و كسا على أن يجعل الكتاب باسمه، فلم يقبل ذلك أبو غالب، و قال: كتاب ألّفته لينتفع به الناس، و أخلّد فيه همّتى، أجعل فى صدره اسم غيرى، و أصرف الفخر له، لا أفعل ذلك، فلمّا بلغ هذا مجاهدا استحسن أنفته و همّته، و أضعف له العطاء، و قال: هو فى حلّ من أن يذكرنى فيه، لا نصدّه عن غرضه. و إن كان كلّ ملوك الأندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة الحضر، فإنى أخصّ منهم بنى عباد، كما قال اللّه تعالى: فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (۶۸) [سورة الرحمن، الآية: ۶۸] فإنّ الأيام لم تزل بهم كأعياد، و كان لهم من الحنو على الأدب، ما لم يقم به بنو حمدان فى حلب، و كانوا هم و بنوهم و وزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم و النثر، مشاركين فى فنون العلم، و آثارهم مذكورة، و أخبارهم مشهورة، و قد خلّدوا من المكارم التامّة، ما هو متردّد فى ألسن الخاصّة و العامّة، و باللّه إلّا سمّيت لى بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية، أبسقوت الحاجب؟ أم بصالح البرغواطى؟ أم بيوسف بن تاشفين الذى لولا توسّط ابن عباد لشعراء الأندلس فى مدحه ما أجروا له ذكرا، و لا رفعوا لملكه قدرا؟ و بعد ما ذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فإنّ المعتمد قال له، و قد أنشدوه: أ يعلم أمير المسلمين ما قالوه؟ قال: لا أعلم و لكنهم يطلبون الخبز، و لمّا انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱

بنتم و بنّا فما ابتلّت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفّت مآقينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا و كانت بكم بيضا لياليا

فلمّا قرىء عليه هذان البيتان قال للقارىء: يطلب منّا جوارى سودا و بيضا، قال: لا يا مولانا، ما أراد إلّا أنّ ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا؛ لأنّ ليالى السرور بيض، فعاد نهاره ببعده ليلا لأنّ أيام الحزن ليال سود، فقال: و اللّه جيد، أكتب له فى جوابه: إنّ دموعنا تجرى عليه، و رؤوسنا توجعنا من بعده، فليت العباس بن الأحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق: [الطويل]

و لا تنكرن مهما رأيت مقدّما على حمر بغلا فثمّ تناسب

فاسكتوا، فلو لا هذه الدولة، لما كان لكم على الناس صولة: [الوافر]

و إنّ الورد يقطف من قتاد و إنّ النار تقبس من رماد

و إنك إن تعرّضت للمفاضلة بالعلماء فأخبرنى: هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذى يعمل بأقواله إلى الآن، و مثل أبى الوليد الباجى، و مثل أبى بكر بن العربى، و مثل أبى الوليد بن رشد الأكبر، و مثل أبى الوليد بن رشد الأصغر؟ و هو ابن ابن الأكبر، نجوم الإسلام، و مصابيح شريعة محمد عليه السلام، و هل لكم فى الحفظ مثل أبى محمد بن حزم الذى زهد فى الوزارة و المال و مال إلى رتبة العلم، و رآها فوق كل رتبة، و قال و قد احترقت كتبه: [الطويل]

دعونى من إحراق رقّ و كاغد و قولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمّنه القرطاس، إذ هو فى صدرى

و مثل أبى عمر بن عبد البر صاحب «الاستيعاب» و «التمهيد» و مثل أبى بكر بن الجد حافظ الأندلس فى هذه الدولة، و هل لكم فى حفّاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب «المحكم»

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲

و كتاب «السماء و العالم» الذى إن أعمى اللّه بصره فما أعمى بصيرته، و هل لكم فى النحو مثل أبى محمد بن السّيد و تصانيفه؟ و مثل ابن الطراوة، و مثل أبى على الشلوبين الذى بين أظهرنا الآن، و قد سار فى المغارب و المشارق ذكره، و هل لكم فى علوم اللحون و الفلسفة كابن باجة.

و هل لكم فى علم النجوم و الهندسة و الفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة، فإنه كان فى ذلك آية؟ و هل لكم فى الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة «حى بن يقظان» المقدم فى علم الفلسفة، و مثل بنى زهر أبى العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبى بكر ثلاثة على نسق؟

و هل لكم فى علم التاريخ كابن حيّان صاحب «المتين» و «المقتبس»؟ و هل عندكم فى رؤساء علم الأدب مثل أبى عمر بن عبد ربه صاحب «العقد»؟ و هل لكم فى الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء إقليمه و الاجتهاد فى حشد محاسنهم مثل ابن بسّام صاحب «الذخيرة»؟ و هب أنه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكنيسة فى البيت الفارغ؟ و هل لكم فى بلاغة النثر كالفتح بن عبيد اللّه الذى إن مدح رفع، و إن ذمّ وضع، و قد ظهر له من ذلك فى كتاب «القلائد» ما هو أعدل شاهد، و مثل ابن أبى الخصال فى ترسّله، و مثل أبى الحسن سهل بن مالك الذى بين أظهرنا الآن فى خطبه، و هل لكم فى الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد فى قوله: [الطويل]

و ليل بسدّ النهر أنسا قطعته بذات سوار مثل منعطف النهر

نضت بردها عن غصن بان منعّم فيا حسن ما انشقّ الكمام عن الزهر

و قوله فى أبيه: [البسيط]

سميدع يهب الآلاف مبتدئا و بعد ذلك يلفى و هو يعتذر

له يد كلّ جبّار يقبّلها لو لا نداها لقلنا إنها الحجر

و مثل ابنه الراضى فى قوله: [البسيط]

مرّوا بنا أصلا من غير ميعاد فأوقدوا نار قلبى أىّ إيقاد

لا غرو أن زاد فى وجدى مرورهم فرؤية الماء تذكى غلّة الصادى

و هل لكم ملك ألّف فى فنون الأدب كتابا فى نحو مائة مجلّدة مثل المظفر بن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳

الأفطس ملك بطليوس و لم تشغله الحروب و لا المملكة عن همّة الأدب؟ و هل لكم من الوزراء مثل ابن عمار فى قصيدته التى سارت أشرد من مثل، و أحبّ إلى الأسماع من لقاء حبيب وصل؟ التى منها: [الكامل]

أثمرت رمحك من رؤوس ملوكهم لمّا رأيت الغصن يعشق مثمرا

و صبغت درعك من دماء كماتهم لمّا رأيت الحسن يلبس أحمرا

و مثل ابن زيدون فى قصيدته التى لم يقل مع طولها فى التشبيب أرقّ منها، و هى التى يقول فيها: [البسيط]

كأنّنا لم نبت و الوصل ثالثنا و السعد قد غضّ من أجفان واشينا

سرّان فى خاطر الظّلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

و هل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون فى بديهته بين يدى المعتمد بن عباد و إصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبى: [الطويل]

إذا ظفرت منك المطىّ بنظرة أثاب بها معيى المطىّ و رازمه

فارتجل: [الطويل]

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما تجيد العطايا، و اللّها تفتح اللّها

تنبّأ عجبا بالقريض و لو درى بأنك تروى شعره لتألّها

و هل لكم مثل شاعر الأندلس ابن درّاج الذى قال فيه الثعالبى «هو بالصقع الأندلسى كالمتنبى بصقع الشام الذى إن مدح الملوك قال مثل قوله: [الطويل]

أ لم تعلمى أنّ الثواء هو الثّوى و أنّ بيوت العاجزين قبور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴

و أنّ خطيرات المهالك ضمّن لراكبها أنّ الجزاء خطير

تخوّفنى طول السّفار و إنّه بتقبيل كفّ العامرىّ جدير

مجير الهدى و الدين من كلّ ملحد و ليس عليه للضلال مجير

تلاقت عليه من تميم و يعرب شموس تلاقت فى العلا و بدور

هم يستقلّون الحياة لراغب و يستصغرون الخطب و هو كبير

و لمّا توافوا للسّلام و رفّعت عن الشمس فى أفق الشروق ستور

و قد قام من زرق الأسنّة دونها صفوف و من بيض السيوف سطور

رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها و آيات صنع اللّه كيف تنير

و كيف استوى بالبر و البحر مجلس و قام بعبء الراسيات سرير

فجاؤوا عجالا و القلوب خوافق و ولّوا بطاء و النواظر صور

يقولون و الإجلال يخرس ألسنا و حازت عيون ملأها و صدور

لقد حاط أعلام الهدى بك حائط و قدّر فيك المكرمات قدير

و أنا أقسم بما حازته هذه الأبيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بنى حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذى ساد كل شاعر، و رأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنّن فيه كل ناظم و ناثر.

[الكامل]

قالت و قد مزج الفراق مدامعا بمدامع و ترائبا بترائب

أتفرّق حتى بمنزل غربة؟ كم نحن للأيام نهبة ناهب

و لئن جنيت عليك ترحة راحل فأنا الزعيم لها بفرحة آئب

هل أبصرت عيناك بدرا طالعا فى الأفق إلّا من هلال غارب

و إن شبّه قال: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵

كمعاقل من سوسن قد شيّدت أيدى الربيع بناءها فوق القضب

شرفاتها من فضّة و حماتها حول الأمير لهم سيوف من ذهب

و هل من شعرائكم من تعرّض لذكر العفّة فاستنبط ما يسحر به السحر، و يطيب به الزهر، و هو أبو عمر بن فرج فى قوله: [الوافر]

و طائعة الوصال عففت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع

بدت فى الليل سافرة فباتت دياجى الليل سافرة القناع

و ما من لحظة إلّا و فيها إلى فتن القلوب لها دواعى

فملّكت النّهى جمحات شوقى لأجرى فى العفاف على طباعى

و بتّ بها مبيت السّقب يظما فيمنعه الكعام من الرضاع

كذاك الروض ما فيه لمثلى سوى نظر و شمّ من متاع

و لست من السوائم مهملات فأتّخذ الرياض من المراعى

و هل بلغ أحد من مشبّهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر اللمائى: [الرمل]

عارض أقبل فى جنح الدّجا يتهادى كتهادى ذى الوجى

بدّدت ريح الصّبا لؤلؤه فانبرى يوقد عنها سرجا

و مثل قول أبى حفص بن برد: [المديد]

و كأنّ الليل حين لوى ذاهبا و الصبح قد لاحا

كلّة سوداء أحرقها عامد أسرج مصباحا

و هل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق: [الرمل]

أصبحت شمسا وفوه مغربا و يد الساقى المحيّ مشرقا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶

و إذا ما غربت فى فمه تركت فى الخدّ منه شفقا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان، و يفخر كل إنسان.

و هل منكم من عمد إلى قول امرئ القيس: [الطويل]

سموت إليها بعد ما نام أهلها سموّ حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الأزهار، و استلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طلّ الأسحار، فلطفه تلطيفا يمتزج بالأرواح، و يغنى فى الارتياح عن شرب الراح، و هو ابن شهيد فى قوله: [المتقارب]

و لمّا تملّأ من سكره و نام و نامت عيون الحرس

دنوت إليه على رقبة دنوّ رفيق درى ما التمس

أدبّ إليه دبيب الكرى و أسمو إليه سموّ النّفس

أقبّل منه بياض الطّلى و أرشف منه سواد اللّعس

فبتّ به ليلتى ناعما إلى أن تبسّم ثغر الغلس

و قد تناول هذا المعنى ابن أبى ربيعة على عظم قدره و تقدّمه فعارض الصّهيل بالنّهاق، و قابل العذب بالزّعاق، فقال وليته سكت: [الطويل]

و نفّضت عنّى العين أقبلت مشية ال حباب و ركنى خيفة القوم أزور

و أنا أقسم لو زار جمل محبوبة له لكان ألطف فى الزيارة من هذا الأزور الركن المنفض للعيون، لكنه إن أساء هنا فقد أحسن فى قوله: [السريع]

قالت لقد أعييتنا حجّة فأت إذا ما هجع الساهر

و اسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه و لا زاجر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷

و للّه درّ محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخّرين عصرا، المتقدّمين قدرا، حيث نقل السعى إلى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا، فبمثله ينبغى أن يتكلّم، و مثله يليق أن يدوّن:

[الطويل]

و واعدتها و الشمس تجنح للنوى بزورتها شمسا و بدر الدجى يسرى

فجاءت كما يمشى سنا الصبح فى الدجى و طورا كما مرّ النسيم على النهر

عطّرت الآفاق حولى فأشعرت بمقدمها و العرف يشعر بالزهر

فتابعت بالتقبيل آثار سعيها كما يتقصّى قارىء أحرف السطر

فبتّ بها و الليل قد نام و الهوى تتبه بين الغصن و الحقف و البدر

أعانقها طورا و ألثم تارة إلى أن دعتنا للنوى راية الفجر

ففضّت عقودا للتعانق بيننا فيا ليلة القدر اتركى ساعة النفر

و هل منكم من قيّد بالإحسان فأطلق لسانه الشكر، فقال و هو ابن اللّبّانة: [الطويل]

بنفسى و أهلى جيرة ما استعنتهم على الدهر إلّا و انثنيت معانا

أراشوا جناحى ثم بلّوه بالندى فلم أستطع من أرضهم طيرانا

و من يقول و قد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الإحسان، فقابل ذلك بقطع مدحه له، فبلغه أنه عتبه على ذلك، و هو ابن وضّاح: [الكامل]

هل كنت إلّا طائرا بثنائكم فى دوح مجدكم أقوم و أقعد

إن تسلبونى ريشكم و تقلّصوا عنّى ظلالكم فكيف أغرّد

و هل منكم شاعر رأى الناس قد ضجّوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاح، و تشبيه الزهر بالنجوم، و تشبيه الخدود بالشقائق، فتلطّف لذلك فى أن يأتى به فى منزع يصيّر خلقه فى الأسماع جديدا، و كليله فى الأفكار حديدا، فأغرب أحسن إغراب، و أعرب عن فهمه بحسن تخيّله أنبل إعراب، و هو ابن الزقاق: [المنسرح]

و أغيد طاف بالكؤوس ضحى و حثّها و الصباح قد وضحا

و الروض أهدى لنا شقائقه و آسه العنبرىّ قد نفحا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸

قلنا: و أين الأقاح؟ قال لنا: أودعته ثغر من سقى القدحا

فظلّ ساقى المدام يجحد ما قال فلمّا تبسّم افتضحا

و قال: [الوافر]

أديراها على الروض المندّى و حكم الصبح فى الظّلماء ماضى

و كأس الريح تنظر عن حباب ينوب لنا عن الحدق المراض

و ما غربت نجوم الأفق لكن نقلن من السماء إلى الرياض

و قال: [الخفيف]

و رياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها و الغمام يجلد منها زهرات تروق لون الراح

قل ما ذنبها؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين؟ و كيف سابق بهذا المبتدعين؟

و هل منكم من برع فى أوصاف الرياض و المياه و ما يتعلّق بذلك فانتهى إلى غاية السباق، و فضح كل من طمع بعده فى اللحاق، و هو أبو إسحاق بن خفاجة القائل: [الكامل]

و عشىّ أنس أضجعتنى نشوة فيها يمهّد مضجعى و يدمّث

خلعت علىّ بها الأراكة ظلّها و الغصن يصغى و الحمام يحدّث

و الشمس تجنح للغروب مريضة و الرعد يرقى و الغمامة تنفث

و القائل: [الكامل]

للّه نهر سال فى بطحاء أشهى ورودا من لمى الحسناء

متعطّف مثل السّوار كأنه و الزهر يكنفه مجرّ سماء

قد رقّ حتى ظنّ قرصا مفرغا من فضّة فى بردة خضراء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹

و غدت تحفّ به الغصون كأنها هدب تحفّ بمقلة زرقاء

و لطالما عاطيت فيه مدامة صفراء تخضب أيدى النّدماء

و الريح تعبث بالغصون و قد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

و القائل: [الكامل]

حثّ المدامة و النسيم عليل و الظّلّ خفّاق الرّواق ظليل

و الروض مهتزّ المعاطف نعمة نشوان تعطفه الصّبا فيميل

ريّان فضّضه الندى ثم انجلى عنه فذهّب صفحتيه أصيل

و القائل: [الكامل]

أذن الغمام بديمة و عقار فامزج لجينا منهما بنضار

و اربع على حكم الربيع بأجرع هزج الندامى مفصح الأطيار

متقسّم الألحاظ بين محاسن من ردف رابية و خصر قرار

نثرت بحجر الروض فيه يد الصّبا درر الندى و دراهم الأنوار

و هفت بتغريد هنالك أيكة خفّاقة بمهبّ ريح عرار

هزّت له أعطافها و لربما خلعت عليه ملاءة النوّار

و القائل: [المنسرح]

سقيا لها من بطاح خزّ و دوح نهر بها مطلّ

إذ لا ترى غير وجه شمس أطلّ فيه عذار ظلّ

و القائل: [الكامل]

نهر كما سال اللّمى سلسال و صبا بليل ذيلها مكسال

و مهبّ نفحة روضة مطلولة فى جانبيها للنسيم مجال

غازلتها و الأقحوانة مبسم و الآس صدغ و البنفسج خال

و القائل: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰

و ساق كحيل اللحظ فى شأو حسنه جماح و بالصبر الجميل حران

ترى للصّبا نارا بخدّيه لم يثر لها من سوادى عارضيه دخان

سقاها و قد لاح الهلال عشية كما اعوجّ فى درع الكمىّ سنان

عقارا نماها الكرم فهى كريمة و لم تزن بابن المزن فهى حصان

و قد جال من جون الغمامة أدهم له البرق سوط و الشّمال عنان

و صمّخ درع الشمس نحر حديقة عليه من الطلّ السقيط جمان

و نمّت بأسرار الرياض خميلة لها النّور ثغر و النسيم لسان

و القائل فى وصف فرس و لم يخرج عن طريقته: [السريع]

و أشقر تضرم منه الوغى بشعلة من شعل الباس

من جلّنار ناضر لونه و أذنه من ورق الآس

يطلع للغرّة فى شقرة حبابة تضحك فى كاس

و هل منكم من يقول منادما لنديمه و قد باكر روضا بمحبوب و كأس، فألفاه قد غطّى محاسنه ضباب، فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك، و هو أبو الحسن بن بسّام:

[الوافر]

ألا بادر فما ثان سوى ما عهدت الكأس و البدر التمام

و لا تكسل برؤيته ضبابا تغصّ به الحديقة و المدام

فإنّ الروض ملتثم إلى أن توافيه فينحطّ اللثام

و هل منكم من تغزّل فى غلام حائك بمثل قول الرصافى: [البسيط]

قالوا و قد أكثروا فى حبّه عذلى لو لم تهم بمذال القدر مبتذل

فقلت لو كان أمرى فى الصّبابة لى لاخترت ذاك و لكن ليس ذلك لى

علّقته حبيّ الثّغر عاطره حلو اللّمى ساحر الأجفان و المقل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱

غزيّل لم تزل فى الغزل جائلة بناته جولان الفكر فى الغزل

جذلان تلعب بالمحواك أنمله على السّدى لعب الأيام بالأمل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۴۱

ضمّا بكفّيه أو فحصا بأخمصه تخبّط الظبى فى أشراك محتبل

و مثل قوله فى تغلّب مسكة الظلام على خلوق الأصيل: [الرمل]

و عشيّ رائق منظره قد قطعناه على صرف الشّمول

و كأنّ الشمس فى أثنائه ألصقت بالأرض خدّا للنزول

و الصّبا ترفع أذيال الرّبا و محيّا الجوّ كالنهر الصقيل

حبّذا منزلنا مغتبقا حيث لا يطرقنا غير الهديل

طائر شاد و غصن منثن و الدّجى تشرب صهباء الأصيل

و هل منكم من يقول فى موشّح فيما يجرّه هذا المعنى:

رداء الأصيل تطويه كفّ الظلام

و هو أبو قاسم بن الفرس.

و هل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف: [الكامل]

و منزع الحركات يلعب بالنّهى لبس المحاسن عند خلع لباسه

متأوّدا كالغصن وسط رياضه متلاعبا كالظبى عند كناسه

بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

و يضمّ للقدمين منه رأسه كالسيف ضمّ ذبابه لرياسه

و هل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار: [الوافر]

ألوّامى على كلفى بيحيى متى من حبّه ألقى سراحا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲

و بين الخدّ و الشفتين خال كزنجيّ أتى روضا صباحا

تحيّر فى جناه فليس يدرى أ يجنى الورد أم يجنى الأقاحا

و هل منكم الذى اهتدى إلى معنى فى لثم وردة الخدّ ورشف رضاب الثغر لم يهتد إليه أحد غيره، و هو أبو الحسن سلام بن سلام المالقى فى قوله: [الكامل]

لمّا ظفرت بليلة من وصله و الصّبّ غير الوصل لا يشفيه

أنضجت وردة خدّه بتنفّسى و طفقت أرشف ماءها من فيه

و هل منكم من هجا من غير النطق بإقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع، و هو المخزومى فى قوله: [مخلع البسيط]

يودّ عيسى نزول عيسى عساه من دائه يريح

و موضع الداء منه عضو لا يرتضى مسّه المسيح

و لمّا أقذع أتى أيضا بأبدع، فقال: [السريع]

يا فارس الخيل و لا فارس إلّا على متن جواد الخصى

زدت على موسى و آياته تفجّر الماء و تخفى العصا

و هل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح، ثم نقله إلى الهجاء فبلغ به النهاية من الذمّ، و هو البكى فى قوله مادحا: [الكامل]

قوم لهم شرف العلا فى حمير و إذا انتموا لمتونة فهم هم

لمّا حووا أحراز كلّ فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثّموا

و فى قوله هاجيا: [الكامل]

إنّ المرابط باخل بنواله لكنه بعياله يتكرّم

الوجه منه مخلّق لقبيح ما يأتيه فهو من أجله يتلثّم

و هل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبى العباس بن حنون الإشبيلى: [الكامل]

يا طلعة أبدت قبائح جمّة فالكلّ منها إن نظرت قبيح

أ بعينك الشّتراء عين ثرّة منها ترقرق دمعها المسفوح

شترت فقلنا: زورق فى لجّة مالت بإحدى دفّتيه الريح

و كأنما إنسانها ملّاحها قد خاف من غرق فظلّ يميح

و هل منكم من حضر مع عدوّ له جاحد لما فعله معه من الخير، و أمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود المذكور: إن كنت شاعرا فقل فى هذه، فقال ارتجالا، و هو ابن مجبر: [الطويل]

سأشكو إلى النّدمان أمر زجاجة تردّت بثوب حالك اللون أسحم

نصبّ بها شمس المدامة بيننا فتغرب فى جنح من الليل مظلم

و تجحد أنوار الحميّا بلونها كقلب حسود جاحد يد منعم

و هل منكم من قال لفاضل جمع بينه و بين فاضل، و هو أبو جعفر الذهبى: [الخفيف]

أيها الفاضل الذى قد هدانى نحو من قد حمدته باختبار

شكر اللّه ما أتيت و جازا ك و لا زلت نجم هدى لسارى

أىّ برق أفاد أىّ غمام و صباح أدّى لضوء نهار

و إذا ما غدا النسيم دليلى لم يحلنى إلّا على الأزهار

و هل منكم أعمى قال فى ذهاب بصره و سواد شعره، و هو التّطيلى: [البسيط]

أما اشتفت منّى الأيام فى وطنى حتى تضايق فيما عنّ من وطرى

و لا قضت من سواد العين حاجتها حتى تكرّ على ما طلّ فى الشّعر

و هل منكم الذى طار فى مشارق الأرض و مغاربها قوله، و هو أبو القاسم محمد بن هانىء الإلبيرى: [الكامل]

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر و أمدّكم فلق الصباح المسفر

و جنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر

و قد سمعت فائيته فى النجوم، و لو لا طولها لأنشدتها هنا، فإنها أحسن ما قيل فى معناها.

و هل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى: [الخفيف]

أنا فى حالتى التى قد ترانى إن تأمّلت أحسن الناس حالا

منزلى حيث شئت من مستقرّ ال أرض أسقى من المياه زلالا

ليس لى كسوة أخاف عليها من مغير و لن ترى لى مالا

أجعل الساعد اليمين و سادى ثم أثنى إذا انقلبت الشمالا

ليس لى والد و لا مولود لا و لا حزت مذ عقلت عيالا

قد تلذّذت حقبة بأمور فتأمّلتها فكانت خيالا

و مثل قول أبى محمد عبد اللّه بن لعسال الطليطلى: [مجزوء الرمل]

أنظر الدنيا فإن أب صرتها شيئا يدوم

فاغد منها فى أمان إن يساعدك النعيم

و إذا أبصرتها من ك على كره تهيم

فاسل عنها و اطّرحها و ارتحل حيث تقيم

و هل نشأ عندكم من النساء مثل ولّادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون، و كان له غلام اسمه «على»: [السريع]

ما لابن زيدون على فضله يغتابنى ظلما و لا ذنب لى

ينظرنى شزرا إذا جئته كأنما جئت لأخصى على

و مثل زينب بنت زياد المؤدّب، الوادى آشية التى تقول: [الطويل]

و لمّا أبى الواشون إلّا فراقنا و ما لهم عندى و عندك من ثار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۵

و شنّوا على أسماعنا كلّ غارة و قلّ حماتى عند ذاك و أنصارى

غزوتهم من مقلتيك و أدمعى و من نفسى بالسيف و الماء و النار

و أنا أختم هذه القطع المتخيّرة بقول أبى بكر بن بقى ليكون الختام مسكا: [الكامل]

عاطيته و الليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الفتيق لناشق

و ضممته ضمّ الكمىّ لسيفه و ذؤابتاه حمائل فى عاتقى

حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئا و كان معانقى

باعدته عن أضلع تشتاقه كيلا ينام على وساد خافق

و يقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى: [الوافر]

هم نظروا لواحظها فهاموا و تشرب لبّ شاربها المدام

يخاف الناس مقلتها سواها أ يذعر قلب حامله الحسام

سما طرفى إليها و هو باك و تحت الشمس ينسكب الغمام

و أذكر قدّها فأنوح وجدا على الأغصان تنتدب الحمام

و أعقب بينها فى الصدر غمّا إذا غربت ذكاء أتى الظلام

و بقوله أيضا: [الوافر]

لها ردف تعلّق فى لطيف و ذاك الرّدف لى و لها ظلوم

يعذّبنى إذا فكّرت فيه و يتعبها إذا رامت تقوم

و قد أطلت عنان النظم، على أنى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح، فباللّه إلّا ما أخبرتنى: من شاعركم الذى تقابلون به شاعرا ممّن ذكرت؟ لا أعرف لكم أشهر ذكرا، و أضخم شعرا، من أبى العباس الجراوى، و أولى لكم أن تجحدوا فخره، و تنسوا ذكره، فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة: [الطويل]

إذا كان أملاك الزمان أراقما فإنك فيهم دائم الدهر ثعبان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۶

فما أقبح ما وقع «ثعبان» و ما أضعف ما جاء «دائم الدهر» و لقد أنشدت أحد ظرفاء الأندلس هذا البيت، فقال: لا ينكر هذا على مثل الجراوى، فسبحان من جعل روحه و نسبه و شعره تتناسب فى الثقالة.

و إن أردت الافتخار بالفرسان، و التفاضل بالشجعان، فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن أبى عامر و مدة ملوك الطوائف أخبارهم مشهورة، و آثارهم مذكورة، و كفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبى عبد اللّه بن مردنيش و أنه كان يدفع فى مواكب النصارى و يشقّها يمينا و يسارا منشدا: [الوافر]

أكرّ على الكتيبة لا أبالى أ حتفى كان فيها أم سواها

حتى أنه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع و قتل، و ظهر منه ما أعجبت به نفسه، فقال لشيخ من خواصّه، عالم بأمور الحرب مشهور بها: كيف رأيت؟ فقال له: لو رآك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال، و أعلى مرتبتك، أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الإقدام، و يتعرّض بهلاك نفسه إلى هلاكهم، فقال له: دعنى فإنى لا أموت مرتين، و إذا متّ أنا فلا عاش من بعدى.

و القائد أبو عبد اللّه بن قادوس الذى اشتهر من شجاعته و مواقعه فى النصارى و حسن بلائه ما صيّر النصارى من رعبه و الإقرار بفضله فى هذا الشأن أن يقول أحدهم لفرسه إذا سقاه فلم يقبل على الماء: مالك؟ أ رأيت ابن قادوس فى الماء، و هذه مرتبة عظيمة: [الكامل]

و الفضل ما شهدت به الأعداء

و لقد أخبرنى من أثق به أنه خرج من عسكر فى كتيبة مجرّدة برسم الغارة على بلاد النصارى، فوقع فى جمع كبير منهم، فجهد جهده فى الخلاص منهم و الرجوع إلى العسكر، فجعل يقاتل مع أصحابه فى حالة الفرار إلى أن كبا بأحد جنده فرسه، و فرّ عنه، فناداه مستغيثا، فقال: اصبر، ثم نظر إلى فارس من النصارى قد طرق فقال: اجر إلى هذا النصرانى، فخذ فرسه، و ركض نحوه، فأسقطه، و قال لصاحبه: اركب، فركب و نجا معه سالما.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۷

و أمثال هذا كثير، و إنما جئت بحصاة من ثبير.

[شمائل أهل الأندلس]

و أمّا كرم النّفس و شمائل الرياسة فأنا أحكى لك حكاية تتعجّب منها، و هى ممّا جرى فى عصرنا، و ذلك أن أبا بكر بن زهر نشأت بينه و بين الحافظ أبى بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك فى العلم و الرياسة و كثرة المال و البلدية، فأجرى ابن زهر يوما ذكره فى جماعة من أصحابه، و قال: لقد آذانا هذا الرجل أشدّ أذيّة، و لم يقصر فى القول عند أمير المؤمنين و عند خواصّ الناس و عوامّهم،

فقال له أحد عوامّهم: إنى أذكر لك عليه عقدا فيه مخاصمة فى موضع ممّا يعزّ عليه من مواضعه، و متى خاصمته فى ذلك بلغت منه فى النكاية أشدّ مبلغ، فخرج ابن زهر، و أظهر الغضب الشديد، و الإنكار لذلك، و قال لوكيله: أمثلى يجازى على العداوة بما يجازى به السفل و الأوباش؟ و إنى أجعل ابن الجد فى حل من موضع الخصام، و أمر بأن يحمل له العقد، ثم قال: و إنى و اللّه ما أروم بذلك أن أصالحه، فإنّ عداوته من حسد، و أنا أسأل اللّه تعالى أن يديمها؛ لأنها مقترنة بدوام نعم اللّه علىّ.

[فضائل البلاد]

اشارة

و إن تعرضت إلى ذكر البلاد، و تفسير محاسنها، و ما خصّها اللّه تعالى به ممّا حرمه على غيرها، فاسمع ما يميت الحسود كمدا:

[محاسن إشبيليته]

أما إشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء، و حسن المبانى، و تزيين الخارج و الداخل، و تمكن التمصّر، حتى أنّ العامّة تقول: لو طلب لبن الطير فى إشبيلية وجد، و نهرها الأعظم الذى يصعد المدّ فيه اثنين و سبعين ميلا ثم يحسر، و فيه يقول ابن سفر: [الكامل]

شقّ النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شطّيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزأ فضمّ من الحياء إزاره

و زيادته على الأنهار كون ضفّتيه مطرّزتين بالمنازه و البساتين و الكروم و الأنسام متّصل ذلك اتّصالا لا يوجد على غيره.

و أخبرنى شخص من الأكياس دخل مصر و قد سألته عن نيلها أنه لا تتّصل بشطّيه البساتين

و المنازه اتّصالها بنهر إشبيلية، و كذلك أخبرنى شخص آخر دخل بغداد، و قد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرّة، و أنّ جميع أدوات الطرب و شرب الخمر فيه غير منكر لا ناه عن ذلك و لا منتقد، ما لم يؤدّ السكر إلى شرّ و عربدة، و قد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك، فلم يستطيعوا إزالته، و أهله أخفّ الناس أرواحا، و أطبعهم نوادر، و أحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السّبّ، قد مرنوا على ذلك، فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه و لا يتلاعن ممقوتا ثقيلا، و قد سمعت عن شرف إشبيلية الذى ذكره أحد الوشاحين فى موشحة مدح بها المعتضد بن عباد:

إشبيليا عروس و بعلها عبّاد و تاجها الشرف و سلكها الواد

أى شرف قد حاز ما شاء من الشرف إذ عمّ أقطار الأرض خيره، و سفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية، و تزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها، و تهمّم سكانها فيها داخلا و خارجا، إذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون.

و قيل لأحد من رأى مصر و الشام: أيها رأيت أحسن هذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: و شرفها غابة بلا أسد، و نهرها نيل بلا تمساح. و قد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها، و كثرة ما فيها من التين القوطى و الشعرى، و هذان الصنفان أجمع المتجوّلون فى أقطار الأرض أن ليس فى غير إشبيلية مثل لهما، و قد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال و الكريج و العود و الروطة و الرباب و القانون و المؤنس و الكثيرة و الفنار و الزلامى و الشقرة و النورة- و هما مزماران الواحد غليظ الصوت و الآخر رقيقه- و البوق، و إن كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر و أوجد، و ليس فى برّ العدوة من هذا شىء إلّا ما جلب إليه من الأندلس، و حسبهم الدفّ و أقوال و اليرا و أبو قرون و دبدبة السودان و حماقى البرابر، و أمّا جواريها و مراكبها برّا و بحرا و مطابخها و فواكهها الخضراء و اليابسة فأصناف أخذت من التفضيل بأوفر نصيب، و أمّا مبانيها فقد سمعت عن إتقانها و

اهتمام أصحابها و كون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى و الأشجار المتكاثفة كالنارنج و الليم و الليمون و الزنبوع و غير ذلك، و أمّا علماؤها فى كل صنف رفيع أو وضيع جدا أو هزلا- فأكثر من أن يعدّوا، و أشهر من أن يذكروا، و أما ما فيها من الشعراء و الوشّاحين و الزجّالين فما لو قسموا على برّ العدوة ضاق بهم، و الكل ينالون خير رؤسائها و رفدهم، و ما من جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة إلّا و قصدى به العبارة عن فضائل جميع الأندلس، فما تخلو بلادها من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۹

ذلك، و لكن جعلت إشبيلية، بل اللّه جعلها أمّ قراها، و مركز فخرها و علاها، إذ هى أكبر مدنها، و أعظم أمصارها.

[قرطبة]

و أما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم، و مركز العلم و منار التقى و محلّ التعظيم و التقديم، بها استقرّت ملوك الفتح و عظماؤه، ثم الملوك المروانية، و بها كان يحيى بن يحيى راوية مالك، و عبد الملك بن حبيب، و قد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة، و منافستهم فى السؤدد بعلمها، و أنّ ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها، و يرفعون أقدارهم، و يصدرون عن آرائهم، و أنهم كانوا لا يقدّمون وزيرا و لا مشاورا لما لم يكن عالما، حتى أنّ الحكم المستنصر لمّا كره له العلماء شرب الخمر همّ بقطع شجرة العنب من الأندلس، فقيل له: فإنها تعصر من سواها، فأمسك عن ذلك. و أنهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى و لا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، و تعقد له مجالس المذاكرة، و يكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما فى أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين، و لقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختصّ به للشهادة، فأخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى و عبد الملك و غيرهما من أعلام العلماء، فقالوا له: هو أهل، و لكنه شديد الفقر، و من يكون فى هذه الحالة لا تأمنه على حقوق المسلمين، لا سيما و أنت تريد انتفاعه و ظهوره فى الدخول فى المواريث و الوصايا و أشباه ذلك، فسكت و لم ير منازعتهم، و بقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله، فنظر إليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده، و على وجهه أثر ذلك، فقال: ما بالك يا مولاى؟ فقال: ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم و ننوّه عند الناس بمكانهم، حتى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط، بل ما لا يعيبهم، و لا ممّا هو يرزؤهم، صدّونا عنه، و غلقوا أبواب الشفاعة، و ذكر له ما كان منهم، فقال: يا مولاى، أنت أولى الناس بالإنصاف، إنّ هؤلاء ما قدمتهم أنت و لا نوّهت بهم، و إنما قدّمهم و نوّه بهم علمهم، أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم فى مواضعهم؟ قال: لا، قال:

فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا و راحة الآخرة، قال: صدقت، ثم قال: و أمّا كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدّة فقره فالعلّة فى ذلك تنحسم بما يبقى لك فى الصالحات ذكرا، قال: و ما هو؟ قال: تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهّله لتلك المنزلة، و يزيل عنك خجل ردّهم لك، و تكون هذه مكرمة ما سبقك إليها أحد، فتهلّل وجه الحكم و قال: إلىّ إلىّ، إنها و اللّه شنشنة عبشمية و إنّ الذى قال فينا لصادق: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۰

و أبناء أملاك خضارم سادة صغيرهم عند الأنام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب و سأله عن قدر ما يؤهّله لتلك المرتبة من الغنى، فذكر له عددا، فأمر له به فى الحين، و نبّه قدره بأن أعطاه من إصطبله مركوبا، و كانت هذه أكرومة لا خفاء بعظمها: [الكامل]

يفنى الزمان و ما بنته مخلّد

ثم إنه إذا كان له من الغنى ما يكفّه عن أموال الناس، و من الدين ما يصدّه عن محارم اللّه تعالى، و من العلم ما لا يجهل به التصرّف فى الشريعة، أباحوا له الفتوى و الشهادة، و جعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس و الرداء.

و أهل قرطبة أشدّ الناس محافظة على العمل بأصحّ الأقوال المالكية، حتى أنهم كانوا لا يولّون حاكما إلّا بشرط أن لا يعدل فى الحكم

عن مذهب ابن القاسم.

و قال ابن سارة لمّا دخل قرطبة [البسيط]:

الحمد للّه قد وافيت قرطبة دار العلوم و كرسيّ السلاطين

و هى كانت مجمع جيوش الإسلام، و منها نصر اللّه على عبدة الصليب.

يقال: إن المنصور بن أبى عامر- حين تمّ له ملك البرّين، و توفّرت الجيوش و الأموال- عرض بظاهر قرطبة خيله و رجله، و قد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به إلى قتال العدوّ و تدويخ بلاده، فنيّف الفرسان على مائتى ألف، و الرّجّالة على ستمائة ألف. و بها حتى الآن من صناديد المسلمين و قوادهم من لا يفتر عن محاربة، و لا يملّ من مضاربة، من أسماؤهم بأقاصى بلاد النصارى مشهورة، و آثارهم فيها مأثورة، و قلوبهم على البعد بخوفهم معمورة.

و يحكى أن العمارة فى مبانى قرطبة و الزهراء اتّصلت إلى أن كان يمشى فيها بضوء السّرج المتّصلة عشرة أميال، و أمّا جامعها الأعظم فقد سمعت أنّ ثريّاته من نواقيس النصارى، و أنّ الزيادة التى زاد فى بنائه ابن أبى عامر من تراب نقله النصارى على رؤوسهم ممّا هدم من

كنائس بلادهم، و قد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى و كثرة أرحىّ واديها، يقال: إنها تنيّف على خمسة آلاف حجر، و قد سمعت عن كنبانيّتها و ما فضّل اللّه تعالى به تربها من بركة و ما ينبت فيها من القمح و طيبه، و فيها جبال الورد الذى بلغ الربع منه مرات إلى ربع درهم، و صار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يمنحونه منه، و نهرها إن صغر عندها عن عظمه عند إشبيلية فإنّ لتقارب برّيه هنالك و تقطّع غدره و مروجه معنى آخر و حلاوة أخرى، و زيادة أنس، و كثرة أمان من الغرق، و فى جوانبه من البساتين و المروج ما زاده نضارة و بهجة.

[جيان]

و أما جيّان فإنها لبلاد الأندلس قلعة، إذ هى أكثرها زرعا، و أصرمها أبطالا، و أعظمها منعة، و كم رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيّوق، و أعزّ منالا من بيض الأنوق، و لا خلت من علماء و لا من شعراء، و يقال لها «جيان الحرير» لكثرة اعتناء باديتها و حاضرتها بدود الحرير.

و ممّا يعدّ فى مفاخرها ما ببيّاسة إحدى بلاد أعمالها من الزعفران الذى يسفّر برّا و بحرا، و ما فى أبدة من الكروم التى كاد العنب لا يباع فيها و لا يشترى كثرة، و ما كان بأبدة من أصناف الملاهى و الرواقص المشهورات بحسن الانطباع و الصنعة، فإنهنّ أحذق خلق اللّه تعالى باللعب بالسيوف والدك، و إخراج القروى و المرابط و المتوجه.

[غرناطة]

و أما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس، و مسرح الأبصار، و مطمح الأنفس، لها القصبة المنيعة ذات الأسوار الشامخة، و المبانى الرفيعة، و قد اختصّت بكون النهر يتوزّع على ديارها و أسواقها و حماماتها و أرحاها الداخلة و الخارجة و بساتينها، و زانها اللّه تعالى بأن جعلها مرتّبة على بسيطها الممتدّ الذى تفرّعت فيه سبائك الأنهار بين زبرجد الأشجار، و لنسيم نجدها و بهجة منظر حورها فى القلوب و الأبصار، استلطاف يروق الطباع، و يحدث فيها ما شاءه الإحسان من الاختراع و الابتداع، و لم تخل من أشراف أماثل، و علماء أكابر، و شعراء أفاضل، و لو لم يكن لها إلّا ما خصّها اللّه تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية و زينب

بنت زياد، و قد تقدّم شعرهما، و حفصة بنت الحاج، و ناهيك فى الظرف و الأدب، و هل ترى أظرف منها فى جوابها للحسيب الوزير الناظم الناثر أبى جعفر بن القائد الأجلّ أبى مروان بن سعيد، و ذلك أنهما باتا بحور مؤمّل على ما يبيت به الروض و النسيم،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۲

من طيب النفحة و نضارة النعيم، فلمّا حان الانفصال قال أبو جعفر: [الطويل]

رعى اللّه ليلا لم يرع بمذمّم عشيّة و ارانا بحور مؤمّل

و قد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبّت بريّا القرنفل

و غرّد قمرىّ على الدّوح و انثنى قضيب من الريحان من فوق جدول

ترید الروض مسرورا بما قد بدا له عناق و ضمّ و ارتشاف مقبّل

و كتبه إليها بعد الافتراق، لتجاوبه على عادتها فى ذلك، فكتبت له ما لا يخفى فيه قيمتها: [الطويل]

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا و لكنّه أبدى لنا الغلّ و الحسد

و لا صفّق النهر ارتياحا لقربنا و لا صدح القمرىّ إلّا بما وجد

فلا تحسن الظّنّ الذى أنت أهله فما هو فى كلّ المواطن بالرّشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

و أما مالقة فإنها قد جمعت بين منظر البحر و البرّ بالكروم المتّصلة التى لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر، و البروج التى شابهت نجوم السماء، كثرة عدد و بهجة ضياء، و تخلّل الوادى الزائر لها فى فصلى الشتاء و الربيع فى سرر بطحائها، و توشيحه لخصور أرجائها، و ممّا اختصّت به من بين سائر البلاد التين الربى المنسوب إليها؛ لأنّ اسمها فى القديم ربة، و لقد أخبرت أنه يباع فى بغداد على جهة الاستطراف، و أما ما يسفّر منه المسلمون و النصارى فى المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره، و لقد اجتزت بها مرّة، و أخذت على طريق الساحل من سهيل إلى أن بلغت إلى بليش قدر ثلاثة أيام متعجّبا فيما حوته هذه المسافة من شجر التين، و إنّ بعضها ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالأرض، و قد حوت ما يتعب الجماعة كثرة، و تين بليش هو الذى قيل فيه لبربرى: كيف رأيته؟ قال: لا- تسألنى عنه، و صبّ فى حلقى بالقفة، و هو لعمر اللّه معذور؛ لأنه نعمة حرمت بلاده منها، و قد خصّت بطيب الشراب الحلال و الحرام، حتى سار المثل بالشراب المالقى، و قيل لأحد الخلعاء،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۳

و قد أشرف على الموت: اسأل ربّك المغفرة، فرفع يديه و قال: يا ربّ، أسألك من جميع ما فى الجنّة خمر مالقة و زبيبىّ إشبيلية، و فيها تنسج الحلل الموشيّة التى تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم، و ساحلها محطّ تجارة لمراكب المسلمين و النصارى.

[المريّة]

و أما المريّة فإنها البلد المشهور الذكر، العظيم القدر، الذى خصّ أهله باعتدال المزاج، و رونق الديباج، و رقّة البشرة، و حسن الوجوه و الأخلاق، و كرم المعاشرة و الصحبة. و ساحلها أنظف السواحل و أشرحها و أملحها منظرا، و فيها الحصا الملوّن العجيب الذى يجعله رؤساء مراكش فى البراريد، و الرخام الصقيل الملوكى، و واديها المعروف بوادى بجانة من أفرج الأودية، ضفّتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر، فحق أن ينشد فيها: [الكامل]

أرض وطئت الدّرّ رضراضا بها و التّرب مسكا و الرياض جنانا

و فيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر، و قطع سفرهم فيه، و ضرب على بلاد الرمانية، فقتل و سبى، و ملأ صدور

أهلها رعبا، حتى كان منه كما قال أشجع:

[الكامل]

فإذا تنبّه رعته و إذا غفا سلّت عليه سيوفك الأحلام

و بها كان محطّ مراكب النصارى، و مجتمع ديوانهم، و منها كانت تسفّر لسائر البلاد بضائعهم، و منها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم، و قصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم، و لم يوجد لهذا الشأن مثلها، لكونها متوسطة و متسعة قائمة بالوارد و الصادر، و هى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة.

[مرسية]

و أما مرسية فإنها حاضرة شرق الأندلس، و لأهلها من الصّرامة و الإباء ما هو معروف مشهور، و واديها قسيم وادى إشبيلية، كلاهما ينبع من شقورة و عليه من البساتين المتهدبة الأغصان، و النواعير المطربة الألحان، و الأطيار المغرّدة، و الأزهار المتنضدة، ما قد سمعت، و هى من أكثر البلاد فواكه و ريحانا، و أهلها أكثر الناس راحات و فرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره، و هى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لا تفتقر فى شىء من ذلك إلى سواها. و هى للمرية و مالقة فى صنعة الوشى ثالثة، و قد اختصّت بالبسط التنتلية التى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۴

تسفّر لبلاد المشرق، و بالحصر التى تغلّف بها الحيطان المبهجة للبصر، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره، و لم تخل من علماء و شعراء و أبطال.

[بلنسية]

و أما بلنسية فإنها لكثرة بساتينها تعرف بمطيب الأندلس، و رصافتها من أحسن متفرّجات الأرض، و فيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء و الرونق، و يقال إنه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية إذ هى موصوفة بذلك، و ممّا خصّت به النسيج البلنسى الذى يسفّر لأقطار المغرب، و لم تخل من علماء و لا شعراء، و لا فرسان يكابدون مضايقة الأعداء، و يتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضرّاء، و أهلها أصلح الناس مذهبا، و أمتنهم دينا، و أحسنهم صحبة، و أرفقهم بالغريب.

[جزيرة ميورقة]

و أما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد اللّه تعالى أرجاء، و أكثرها زرعا و رزقا و ماشية، و هى على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها، يصل فاضل خيرها إلى غيرها، إذ فيها من الحضارة و التمكّن و التمصّر و عظم البادية ما يغنيها، و فيها من الفوائد ما فيها، و لها فضلاء و أبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء المحدقة بها: [الكامل]

من كلّ من جعل الحسام خليله لا يبتغى أبدا سواه معينا

هذا- زان اللّه تعالى فضلك بالإنصاف، و شرّف كرمك بالاعتراف!- ما حضرنى الآن فى فضل جزيرة الأندلس، و لم أذكر من بلادها إلّا ما كلّ بلد منها مملكة مستقلّة يليها ملوك بنى عبد المؤمن على انفراد، و غيرها فى حكم التبع.

و أمّا علماؤها و شعراؤها فإنى لم أعرض منهم إلّا لمن هو فى الشهرة كالصباح، و فى مسير الذكر كمسير الرياح، و أنا أحكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الرئيس الفقيه أبى بكر بن زهر، و ذلك أنى كنت يوما بين يديه، فدخل علينا رجل عجمىّ من فضلاء

خراسان، و كان ابن زهر يكرمه، فقلت له: ما تقول فى علماء الأندلس و كتّابهم و شعرائهم؟ فقال:

كبّرت، فلم أفهم مقصده، و استبردت ما أتى به، و فهم منى أبو بكر بن زهر أنى نظرته نظر المستبرد المنكر، فقال لى: أقرأت شعر المتنبى؟ قلت: نعم، و حفظت جميعه، قال: فعلى نفسك إذن فلتنكر، و خاطرك بقلّة الفهم فلتتّهم، فذكرنى بقول المتنبى: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۵

كبّرت حول ديارهم لمّا بدت منها الشموس و ليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراسانى، و قلت له: قد و اللّه كبرت فى عينى بقدر ما صغرت نفسى عندى، حين لم أفهم نبل مقصدك، فالحمد للّه الذى أطلع من المغرب هذه الشموس، و جعلها بين جميع أهله بمنزلة الرءوس، و صلّى اللّه على سيدنا محمد نبيّه المختار من صفوة العرب، و على آله و صحبه، صلاة متّصلة إلى غابر الحقب.

كملت رسالة الشّقندى. و هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد، و شقندة المنسوب إليها:

قرية مطلّة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب.

قال ابن سعيد: و هو ممّن كان بينه و بين والدى صحبة أكيدة، و مجالسات أنس عديدة، و مزاورات تتّصل، و محاورات لا تكاد تنفصل، و انتفعت بمجالسته، و له رسالة فى تفضيل الأندلس يعارض بها أبا يحيى فى تفضيل برّ العدوة، أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع، و عذوبة المشرع، و كان جامعا لفنون من العلوم الحديثة و القديمة، و عنى بمجلس المنصور، فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة. و ولى قضاء بياسة و قضاء لورقة، و لم يزل محفوظ الجانب، محمود المذاهب، سمعته ينشد والدى قصيدة فى المنصور و قد نهض للقاء العدوّ، منها: [البسيط]

إذا نهضت فإنّ السيف منتهض ترمى السعود سهاما و العدا غرض

لكك البسيطة تطويها و تنشرها فليس فى كلّ ما تنويه معترض

قال: و سمعته يقول له: أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أوّلها: [البسيط]

استوقف الركب قد لاحت لكك الدار و اسأل بربع تناءت عنه أقمار

لا خفّف اللّه عنى بعد بينهم فإننى سرت و الأحباب ما ساروا

و منها:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۶

ألا رعى اللّه ظبيا فى قبابهم منه لهم فى ظلام الليل أنوار

و له: [الخفيف]

علّلانى بذكر من همت فيه و عدانى عنه بما أرتجيه

و إذا ما طربتما لارتياحى فاجعلا خمرتى مدامة فيه

ليت شعرى و كم أطيل الأمانى أىّ يوم فى خلوة ألتقيه

و إذا ما ظفرت يوما بشكوى قال لى: أين كلّ ما تدّعيه

لا دموع و لا سقام فماذا شاهد عنك بالذى تدّعيه

قلت دعنى أمت بدائى فإنّى لو برانى الغرام لا أبديه

و قال فى عوّاده لمّا مرض: [مجزوء الرجز]

إنى مرضت مرضة أسقط منها فى يدى

فكان فى الإخوان من لم أره فى العوّد

فقلت فى كلّهم قول امرئ مقتصد

أير الذى قد عادنى فى است الذى لم يعد

مات بإشبيلية سنة ۶۲۹ انتهى.

و قال ابن سعيد: أنشدنى والدى للحافظ أبى الطاهر السّلفى، قال: و كفى به شاهدا، و بقوله مفتخرا: [الطويل]

بلاد أذربيجان فى الشرق عندنا كأندلس بالغرب فى العلم و الأدب

فما إن تكاد الدهر تلقى مميزا من اهليهما إلّا و قد جدّ فى الطلب

[بعض حكايات و أشعار الأندلسيين]

اشارة

و حكى غير واحد كابن الأبار أنّ عباس بن ناصح الشاعر لمّا توجّه من قرطبة إلى بغداد، و لقى أبا نواس، قال له: أنشدنى لأبى الأجرب، قال: فأنشدته، ثم قال: أنشدنى لبكر الكنانىّ، فأنشدته، و هذان شاعران من الأندلس.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۷

و اعلم أننا إن تتبّعنا كلام الأندلسيين و حكاياتهم الدالّة على سبقهم طال بنا الكتاب، و لم نستوف المراد، فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال و أبداه، ليكون عنوانا دالا على ما عداه: [البسيط]

يكفى من الحلى ما قد حفّ بالعنق

و لنبدأ ما نسوقه من أخبار الأندلسيين و أشعارهم و حكاياتهم فى الجدّ و الهزل، و التولية و العزل، بقول الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران المارتلى، و كان سكن إشبيلية:

[البسيط]

لا تبك ثوبك إن أبليت جدّته و ابك الذى أبلت الأيام من بدنك

و لا تكوننّ مختالا بجدّته فربما كان هذا الثوب من كفنك

و لا تعفه إذا أبصرته دنسا فإنما اكتسب الأوساخ من درنك

و قال أبو عمرو اليحصبى اللوشى: [الخفيف]

شرّد النوم عن جفونك و انظر حكمة توقظ النفوس النياما

فحرام على امرئ لم يشاهد حكمة اللّه أن يذوق المناما

و قال أيضا: [الرمل]

ليس للمرء اختيار فى الذى يتمنّى من حراك و سكون

إنما الأمر لربّ واحد إن يشأ قال له: كن فيكون

و قال أبو وهب القرطبى: [الوافر]

تنام و قد أعدّ لك السهاد و توقن بالرحيل و ليس زاد

و تصبح مثل ما تمسى مضيعا كأنك لست تدرى ما المراد

أ تطمع أن تفوز غدا هنيئا و لم يك منك فى الدنيا اجتهاد

إذا فرّطت فى تقديم زرع فكيف يكون من عدم حصاد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۸

و قيل: إنّ الأبيات السابقة التى أولها: أنا فى حالتى التى- إلى آخره، وجدت فى تركته بخطّه فى شقف، و بعضهم ينسبها لغيره، و اسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن، و ذكره ابن بشكوال فى الصّلة، و أثنى عليه بالزهد و الانقطاع، و كان فى أول أمره قد حسب عامة الناس أنه مختلّ العقل، فجعلوا يؤذونه و يرمونه بالحجارة، و يصيحون عليه: يا مجنون، يا أحمق، فيقول: [السريع]

يا عاذلى، أنت به جاهل دعنى به لست بمغبون

أما ترانى أبدا والها فيه كمسحور و مفتون

أحسن ما أسمع فى حبّه وصفى بمختلّ و مجنون

و قال الخطيب أبو محمد بن برطلة: [الطويل]

بأربعة أرجو نجاتى و إنها لأكرم مذخور لدىّ و أعظم

شهادة إخلاصى و حبّى محمدا و حسن ظنونى ثم أنى مسلم

و قال ابن حبيش: [البسيط]

قالوا تصبّر عن الدنيا الدنيّة أو كن عبدها و اصطبر للذلّ و احتمل

لا بدّ من أحد الصّبرين، قلت نعم الصبر عنها بعون اللّه أوفق لى

و قال ابن الشيخ: [الكامل]

أطلب لنفسك فوزها و اصبر لها نظر الشفيق و خف عليها و اتّق

من ليس يرحم نفسه و يصدّها عمّا سيهلكها فليس بمشفق

و قال أبو محمد القرطبى: [الطويل]

لعمرك ما الدنيا و سرعة سيرها بسكانها إلّا طريق مجاز

حقيقتها أنّ المقام بغيرها و لكنهم قد أولعوا بمجاز

و قال الشميس: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۵۹

للّه فى الدنيا و فى أهلها معمّيات قد فككناها

من بشر، نحن فمن طبعنا نحبّ فيها المال و الجاها

دعنى من الناس و من قولهم فإنما الناس أخلّاها

لم تقبل الدنيا على ناسك إلّا و بالرحب تلقّاها

و إنما يعرض عن وصلها من صرفت عنه محيّاها

و قال أبو القاسم بن بقى: [الطويل]

ألا إنما الدنيا كراح عتيقة أراد مديروها بها جلب الأنس

فلمّا أداروها أثارت حقودهم فعاد الذى راموا من الأنس بالعكس

و قال أبو محمد عبد اللّه بن العسال الطليطلى: [مجزوء الرمل]

انظر الدنيا فإن أب صرتها شيئا يدوم

فاغد منها فى أمان إن يساعدك النعيم

و إذا أبصرتها من ك على كره تهيم

فاسل عنها و اطّرحها و ارتحل حيث تقيم

و قال ابن هشام القرطبى: [الكامل]

و أبى المدامة لا أريد بشربها صلف الرقيع و لا انهماك اللاهى

لم يبق من عهد الشباب و طيبه شىء كعهدى لم يحل إلّا هى

إن كنت أشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا للّه

و قال أبو محمد بن السّيد البطليوسى مما نسبه إليه فى «المغرب»: [الطويل]

أخو العلم حىّ خالد بعد موته و أوصاله تحت التراب رميم

و ذو الجهل ميت و هو ماش على الثرى يظنّ من الأحياء و هو عديم

و قال أبو الفضل بن شرف: [الوافر]

لعمرك ما حصلت على خطير من الدنيا و لا أدركت شيّا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۰

وها أنا خارج منها سليبا أقلّب نادما كلتا يديّا

و أبكى ثم أعلم أنّ مبكا ى لا يجدى فأمسح مقلتيّا

و لم أجزع لهول الموت لكن بكيت لقلّة الباكى عليّا

و أنّ الدهر لم يعلم مكانى و لا عرفت بنوه ما لديّا

زمان سوف أنشر فيه نشرا إذا أنا بالحمام طويت طيّا

أسرّ بأننى سأعيش ميتا به و يسوءنى أن متّ حيّا

و قال الزاهد العارف بالله سيدى أبو العباس بن العريف نفعنا اللّه تعالى به: [البسيط]

سلوا عن الشوق من أهوى فإنّهم أدنى إلى النفس من وهمى و من نفسى

فمن رسولى إلى قلبى ليسألهم عن مشكل من سؤال الصّبّ ملتبس

حلّوا فؤادى فما يندى، و لو وطئوا صخرا لجاد بماء منه منبجس

و فى الحشا نزلوا و الوهم يجرحهم فكيف قرّوا على أذكى من القبس

لأنهضنّ إلى حشرى بحبّهم لا باركَ اللّه فيمن خانهم و نسى

قلت: و قد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر و ألف، و هو ممّن يتبرّك به فى تلك الديار، و يستسقى به الغيث، و هو من أهل المرية، و أحضره السلطان إلى مراكش فمات بها، و له كرامات شهيرة و مقامات كبيرة، نفعنا اللّه تعالى به!.

[مذهب الأندلسيين]

و اعلم أنّ أهل الأندلس كانوا فى القديم على مذهب الأوزاعى، و أهل الشام منذ أول الفتح، ففى دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل- و هو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين- انتقلت الفتوى إلى رأى مالك بن أنس و أهل المدينة، فانتشر علم مالك و رأيه بقرطبة و الأندلس جميعا، بل و المغرب، و ذلك برأى الحكم و اختياره، و اختلفوا فى السبب المقتضى لذلك، فذهب الجمهور إلى أن سببه رحلة علماء الأندلس إلى المدينة، فلما رجعوا إلى الأندلس و صفوا فضل مالك وسعة علمه، و جلالة قدره، فأعظموه كما قدّمنا ذلك، و قيل: إن الإمام مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، فوصف له سيرته، فأعجبت مالكا لكون سيرة بنى العباس فى ذلك الوقت لم تكن بمرضية، و كابد لما صنع أبو جعفر المنصور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۱

بالعلويـة بالمدينة من الحبس و الإهانة و غيرهما على ما هو مشـهور فى كتب التاريخ، فقال الإمام مالك، رضـى اللّه تعالى عنه، لذلك المخبر: نسأل اللّه تعالى أن يزين حرمنا بملككم، أو كلاما هـذا معناه، فنميت المسألـة إلى ملك الأندلس، مع ما علم من جلالة مالك و دينه، فحمل الناس على مذهبه، و ترك مذهب الأوزاعى، و اللّه تعالى أعلم.

[من شعر ابن يغمور]

و حكى أنّ القاضـى الزاهـد أبا إسـحاق إبراهيم بن عبـد اللّه بن أبى يغمور لمّا ندبه أهل الأمر لولاية القضاء بمدينة فاس اسـتعفى، فلم يقبل منه، و خرج إلى تلك الناحية، و خرج الناس لوداعه، فأنشد: [الطويل]

عليكم سلام اللّه إنى راحل و عيناى من خوف التفرّق تدمع

فإن نحن عشنا فهو يجمع بيننا و إن نحن متنا فالقيامة تجمع

و أنشد أصحابه رحمه اللّه تعالى، و لا أدرى هل هى له أو لغيره: [البسيط]

كنّا نعظّم بالآمال قدركم حتى انقضت فتساوى عندنا الناس

لم تفضلونا بشىء غير واحدة هى الرجاء فسوّى بيننا الياس

و أنشد أيضا: [الطويل]

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد كما أشتهى منهم صديقا و صاحبا

فصوّبت رأيى فى فرارى منهم و شمّرت أذيالى و أمعنت هاربا

و أنشد لغيره فى الكتمان: [الكامل]

أخفى الغرام فلا جوارحه شعرت بذاك و لا مفاصله

كالسيف يصحبه الحمام و لم يعلم بما حملت حمائله

و أنشد: [الكامل]

قد كنت أمرض فى الشبيبة دائما و الموت ليس يمرّ لى فى البال

و الآن شبت و صحّتى موجودة و أرى كأنّ الموت فى أذيالى

و لمّا أنشده تاج الدين بن حمويه السّرخسى الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۲

فلا تحقرنّ عدوا رماك و إن كان فى ساعديه قصر

فإنّ السيوف تحزّ الرقاب و تعجز عمّا تنال الإبر

قال: حسن جيّد، و لكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلّى، و أنشد: [الطويل]

أثرنى لكشف الخطب و الخطب مشكل و كلنى لليث الغاب و هو هصور

فقد تخفض الأسماء و هى سواكن و يعمل فى الفعل الصريح ضمير

و تنبو الرّديتيّات، و الطول وافر و يبعد وقع السّهم و هو قصير

[الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى]

و كان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى أحد وزراء الأندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك و أخلاق السادة، لم ير بعده مثله فى رجال الأندلس، ذاكرا للفقه و الحديث، بارعا فى الآداب، شاعرا مجيدا، و كاتبا بليغا، كثير الخدم و الأهل، و من آثاره الحمّام بجوفىّ الجامع الأعظم من غرناطة، و زاد فى سقف الجامع من صحنه و عوّض أرجل قسيّه أعمدة الرخام، و جلب الرءوس و الموائد من قرطبة، و فرش صحنه بكدان الصخر. و وجّهه أميره على بن يوسف بن تاشفين إلى طرطوشة برسم بنائها، فلمّا حلّها سأل قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممّن ضعفت حاله و قلّ تصرّفه من ذوى البيوتات، فاستعملهم أمناء، و وسّع أرزاقهم، حتى كمل له ما أراد من عمله، و من عجز أن يستعمله وصله من ماله، فصدر عنها و قد أنعش خلقا، رضى اللّه تعالى عنه و رحمه!.

و من شعره فى مجلس أطربه سماعه، و بسطه احتشاد الأنس فيه و اجتماعه، فقال: [الخفيف]

لا تلمنى إذا طربت لشجو يبعث الأنس فالكريم طروب

ليس شقّ الجيوب حقّا علينا إنّما الحق أن تشقّ القلوب

و قطف غلام من غلمانه نوّارة و مدّ بها يده إلى أبى نصر الفتح بن عبيد اللّه، فقال أبو نصر: [الطويل]

و بدر بدا و الطّرف مطلع حسنه و فى كفّه من رائق النّور كوكب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۳

يروح لتعذيب النفوس و يغتدى و يطلع فى أفق الجمال و يغرب

فقال أبو محمد بن مالك: [الطويل]

و يحسد منه الغصن أىّ مهفهف يجىء على مثل الكثيب و يذهب

و قد سبق هذا.

و كتب إلى الفتح من غير تروّ: يا سيدى، جرت الأيام بفراقك، و كان اللّه جارك فى انطلاقك، فغيرك من روّع بالظّعن، و أوقد للوداع جاحم الشّجن، فإنك من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقرّ على وطن، كأنك- و اللّه يختار لك ما تأتيه و ما تدعه- موكل بفضاء الأرض تذرعه، فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع، أن يعدّك من العوارى السريعة الارتجاع، فلا يأسف على قلّة الثوا و ينشد: [الطويل]

و فارقت حتى ما أبالى من النّوى

و مات رحمه اللّه تعالى بغرناطة سنة ۵۱۸، و حضر جنازته الخاصّة و العامّة، و هو من محاسن الأندلس، رحمه اللّه تعالى!.

و من نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد، و عليها قميص لا تكاد تفرق بينه و بين جسمها، و ذوائبها تخفى آثار مشيها، فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه، و قال: [الكامل]

علّقت جائلة الوشاح غريرة تختال بين أسنّة و بواتر

و قال لبعض الخدم: سر إلى أبى الوليد البطليوسى المشهور بالنحلى، و خذه بإجازة هذا البيت، و لا تفارقه حتى يفرغ منه، فأجاب النحلى لأول وقوع الرقعة بين يديه: [الكامل]

راقت محاسنها و رقّ أديمها فتكاد تبصر باطنا من ظاهر

و تمايلت كالغصن فى دعص النّقا تلتفّ فى ورق الشباب الناضر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۴

يندى بماء الورد مسبل شعرها كالطّلّ يسقط من جناح الطائر

تزهى برونقها و عزّ جمالها زهو المؤيّد بالثناء العاطر

ملك تضاءلت الملوك لقدره و عنا له صرف الزمان الجائر

و إذا لمحت جبينه و يمينه أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره، و قال له: أحسنت، أ و معنا كنت؟ فقال له: يا قاتل المحل، أما تلوت فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (۶۸) [سورة النحل، الآية: ۶۸].

[بين المعتمد و البطليوسى النحلى]

و أصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمّام، و أمر أن يدخل النحلىّ معه، فجاء و قعد فى مسلخ الحمام حتى يستأذن عليه، فجعل المعتمد يحبق فى الحمام و هو خال و قد بقيت فى رأسه بقيّة من السكر، و جعل كلّما سمع دوىّ ذلك الصوت يقول: الجوز، اللوز، القسطل، و مرّ على هذا ساعة، إلى أن تذكّر النحلى، فصادفه، فلمّا دخل قال له: من أىّ وقت أنت هنا؟ قال: من أول ما رتّب مولانا الفواكه فى النصبة، فغشى عليه من الضحك، و أمر له بإحسان. و النصبة: مائدة يصبون فيها هذه الأصناف.

و لمّا استحسن المعتمد قول المتنبى: [الطويل]

إذا ظفرت منك المطىّ بنظرة أثاب بها معيى المطىّ و رازمه

قال ابن وهبون بديهة: [الطويل]

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما تجيد العطايا، و اللّها تفتح اللّها

تنبّأ عجبا بالقريض و لو درى بأنك تروى شعره لتألّها

و قد تقدّم ذكرهما، فأمر له بمائتى دينار.

و لمّا قال ابن وهبون المذكور: [البسيط]

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل و لا يمرّ لمخلوق على بال

قد صار عندهم عنقاء مغربة أو مثل ما حدّثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد: عنقاء مغربة و ألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء؟ فقال: نعم، قال: قد أمرنا لك بألف دينار و بألف دينار أخرى تنفقها.

[ابن عبد البر يفتى بجواز أكل طعام الأمراء]

و ذكر القرطبى صاحب «التذكرة» فى كتابه «قمع الحرص بالزهد و القناعة» ما صورته:

روينا أن الإمام أبا عمر بن عبد البر، رضى اللّه تعالى عنه، بلغه و هو بشاطبة أنّ أقواما عابوه بأكل طعام السلطان و قبول جوائزه، فقال: [مجزوء الرمل]

قل لمن ينكر أكلى لطعام الأمراء

أنت من جهلك هذا فى محلّ السّفهاء

لأنّ الاقتداء بالصالحين، من الصحابة و التابعين، و أئمّة الفتوى من المسلمين، من السلف الماضين، هو ملاك الدين، فقد كان زيد بن ثابت- و كان من الراسخين فى العلم- يقبل جوائز معاوية و ابنه يزيد، و كان ابن عمر، رضى اللّه تعالى عنهما- مع ورعه و فضله- يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد، و يأكل طعامه، و يقبل جوائزه، و قال عبد اللّه بن مسعود- و كان قد ملئ علما- لرجل سأله،

فقال: إنّ لى جارا يعمل بالربا، و لا يجتنب فى مكسبه الحرام، يدعونى إلى طعامه، أ فأجيبه؟ قال: نعم، لك المهنأ و عليه المأثم، ما لم تعلم الشيء بعينه حراما، و قال عثمان بن عفان رضى اللّه تعالى عنه- حين سئل عن جوائز السلاطين-:

لحم ظبى ذكى، و كان الشعبى- و هو من كبار التابعين و علمائهم- يؤدّب بنى عبد الملك بن مروان، و يقبل جوائزه و يأكل طعامه، و كان إبراهيم النخعى و سائر علماء الكوفة و الحسن البصرى- مع زهده و ورعه- و سائر علماء البصرة و أبو سلمة بن عبد الرحمن و أبان بن عثمان و الفقهاء السبعة بالمدينة- حاشا سعيد بن المسيّب- يقبلون جوائز السلطان، و كان ابن شهاب يقبلها، و يتقلّب فى جوائزهم، و كانت أكثر كسبه، و كذلك أبو الزناد، و كان مالك و أبو يوسف و الشافعى و غيرهم من فقهاء الحجاز و العراق يقبلون جوائز السلاطين و الأمراء، و كان سفيان الثورى- مع ورعه و فضله- يقول: جوائز السلطان أحبّ إلىّ من صلة الإخوان؛ لأنّ الإخوان يمنّون و السلطان لا يمنّ، و مثل هذا عن العلماء و الفضلاء كثير، و قد جمع الناس فيه أبوابا، و لأحمد بن خالد فقيه الأندلس و عالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه و جمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر، إذ نقله إلى المدينة بقرطبة، و أسكنه دارا من دور الجامع قربه، و أجرى عليه الرزق من الطعام و الإدام و الناضّ، و له و لمثله فى بيت المال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۶

حظّ، و المسؤول عن التخليط فيه هو السلطان، كما قال عبد اللّه بن مسعود «لك المهنأ و عليه المأثم، ما لم تعلم الشيء بعينه حراما»، و معنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه، فمن علم الشيء بعينه حراما مأخوذا من غير حلّه كالجريمة و غيرها و شبهها من الطعام أو الدابة و ما كان مثل ذلك كلّه من الأشياء المتعيّنة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بيّن لا شبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه، و سقوط عدالة آكله، و أخذه و تملّكه، و ما أعلم من علماء التابعين أحدا تورّع عن جوائز السلطان، إلّا سعيد بن المسيّب بالمدينة، و محمد بن سيرين بالبصرة، و هما قد ذهبا مثلا فى التورّع، و سلك سبيلهما فى ذلك أحمد بن حنبل و أهل الزهد و الورع و التقشّف، رحمة اللّه تعالى عليهم أجمعين! و الزهد فى الدنيا من أفضل الفضائل، و لا يحلّ لمن وفّقه اللّه تعالى و زهد فيها أن يحرّم ما أباح اللّه تعالى منها، و العجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات، و هم يستحلّون المحرّمات، و مثالهم عندى كالذين سألوا عبد اللّه بن عمر، رضى اللّه تعالى عنهما، عن المحرم يقتل الفراد و الحلمة، فقال للسائلين له:

من أنتم؟ فقالوا: من أهل الكوفة، فقال: تسألوننى عن هذا و أنتم قتلتم الحسين بن على، رضى اللّه تعالى عنهما؟ و روى ابن عمر عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «ما أتاك من غير مسألة فكله و تموّله»، و روى هذا الحديث أيضا عن عبد اللّه بن عمر، رضى اللّه تعالى عنهما «ما أتاك من غير مسألة فكله و تموّله»، و روى أبو سعيد الخدرى و جابر بن عبد اللّه عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم معناه، و فى حديث أحدهما «إنما هو رزق رزقكه اللّه تعالى»، و فى لفظ بعض الرواة «و لا تردّ على اللّه رزقه» و هذا كله مركب مبنى على ما أجمعوا عليه، و هو الحقّ، فمن عرف الشيء المحرّم بعينه فإنه لا يحلّ له، المسألة من كلام ابن عبد البرّ، انتهى.

و حضر ابن مجبر مع عدوّ له جاحد لمعروفه، و أمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود: إن كنت شاعرا فقل فى هذه، فقال ارتجالا:

«سأشكو إلى الندمان» إلى آخر الحكاية.

و قد تقدّمت فى رسالة الشقندى رحمه اللّه تعالى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۷

[أبو بكر يحيى بن مجبر الفهرى]

و ابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى، كان فى وقته شاعر المغرب، و يشهد له بقوّة عارضته و سلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا، و بعدت على قربها منالا، و شعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف و أربعمائة بيت، و

اتّصل بالأمير أبى عبد اللّه بن سعد بن مردنيش، و له فيه أمداح، و أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح: [الخفيف]

إنّ خير الفتوح ما جاء عفوا مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

و كان أبو العباس الجراوى حاضرا، فقطع عليه لحسادة وجدها، و قال: يا سيدنا، اهتدم بيت وضاح: [الرجز]

خير شراب ما كان عفوا كأنه خطبة ارتجالا

فبدر المنصور، و هو حينئذ وزير أبيه و سنّه قريب العشرين، و قال: إن كان اهتدمه فقد استحقّه لنقله إيّاه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسرّ أبوه بجوابه، و عجب الحاضرون.

و مرّ المنصور أيام إمرته بأونبة من أرض شلب، فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم، و قال: عجبا لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم، ثم قال: كلّ العلماء عيال على ابن حزم، ثم رفع رأسه و قال: كما أنّ الشعراء عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر.

و من شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه: [الطويل]

له حلبة الخيل العتاق كأنها نشاوى تهاوت تطلب العزف و القصفا

عرائس أغنتها الحجول عن الحلى فلم تبغ خلخالا و لا التمست وقفا

فمن يقق كالطّرس تحسب أنه و إن جرّدوه فى ملاءته التفّا

و أبلق أعطى الليل نصف إهابه و غار عليه الصبح فاحتبس النصفا

و ورد تغشّى جلده شفق الدّجى فإذ حازه دلّى له الذيل و العرفا

و أشقر مجّ الراح صرفا أديمه و أصفر لم يمسح بها جلده صرفا

و أشهب فضّىّ الأديم مدنّر عليه خطوط غير مفهمة حرفا

كما خطّر الزاهى بمهرق كاتب فجرّ عليه ذيله و هو ما جفّا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۸

تهبّ على الأعداء منها عواصف ستنسف أرض المشركين بها نسفا

ترى كلّ طرف كالغزال فتمترى أظبيا ترى تحت العجاجة أم طرفا

و قد كان فى البيداء يألف سربه فربّته مهرا و هى تحسبه خشفا

تناوله لفظ الجواد لأنه على ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

و لمّا اتّخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها، و كانت مدبرة على انتصابها إذا استقرّ المنصور و وزراؤه بمصلّاه، و اختفائها إذا انفصلوا عنها، أنشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة أولها: [الكامل]

أعلمتنى ألقى عصا التسيار فى بلدة ليست بدار قرار

إلى أن قال:

طورا تكون بمن حوته محيطة فكأنها سور من الأسوار

و تكون حينا عنهم محبوّة فكأنها سرّ من الأسرار

و كأنها علمت مقادير الورى فتصرّفت لهم على مقدار

فإذا أحسّت بالإمام يزورها فى قومه قامت إلى الزّوّار

يبدو فتبدو ثم تخفى بعده كتكوّن الهالات للأقمار

و ممّن روى عنه أبو على الشلوبين و طبقته، و توفّى بمراكش سنة ۵۸۸، و عمره ۵۳ سنة، رحمه اللّه تعالى!

و قد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية بأتمّ ممّا ذكرناه، فقال عن الكاتب ابن عياش [كاتب المنصور الموحدى]

قال: كانت لأبى بكر بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة، فصادف فى إحدى وفاداته فراغه من إحداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتّصل بقصره فى حضرة مراكش، و كانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه و تخفض لدخوله، و كان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء و الأدباء قد نظموا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۶۹

أشعارا أنشدوه إياها فى ذلك، فلم يزيدوا على شكره، و تجزيته الخير فيما جدّد من معالم الدين و آثاره، و لم يكن فيهم من تصدّى لوصف الحال، حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التى أولها: «أعلمتنى ألقى عصا التسيار» و استمرّ فيها حتى ألمّ بذكر المقصورة فقال يصفها «طورا تكون- إلخ» فطرب المنصور لسماعها، و ارتاح لاختراعها، انتهى.

و قد بطلت حركات هذه المقصورة الآن، و بقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر و ألف، و اللّه تعالى وارث الأرض و من عليها.

[من شعر الأندلسيين]

و من نظم ابن مجبر أيضا ما كتب به إلى السلطان ملك المغرب- رحمه اللّه تعالى!- و قد ولد له ولد، أعنى لابن مجبر: [الرمل]

ولد العبد الذى إنعامكم طينة أنشئ منها جسده

و هو دون اسم لعلمى أنه لا يسمّى العبد إلّا سيّده

و قوله: [الرمل]

ملك ترويك منه شيمة أنست الظمآن زرق النّطف

جمعت من كلّ مجد فحكت لفظة قد جمّعت من أحرف

يعجب السامع من وصفى لها و وراء العجز ما لم أصف

لو أعار السّهم ما فى رأيه من سداد و هدى لم يصف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۶۹

حلمه الراجح ميزان الهدى يزن الأشياء وزن المنصف

و قال ابن خفاجة: [السريع]

صحّ الهوى منك و لكننى أعجب من بين لنا يقدر

كأننا فى فلك دائر فأنت تخفى و أنا أظهر

و هما الغاية فى معناهما، كما قاله ابن ظافر- رحمه اللّه تعالى!-

و قال الأعمى التّطيلى: [البسيط]

أما اشتفت منى الأيام فى وطنى حتى تضايق فيما عزّ من وطرى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۰

فلا قضت من سواد العين حاجتها حتى تكرّ على ما طلّ فى الشّعر

و قال القاضى أبو حفص بن عمر القرطبى: [الوافر]

هم نظروا لواحظها فهاموا و تشرب لبّ شاربها المدام

يخاف الناس مقلتها سواها أ يذعر قلب حامله الحسام

سما طرفى إليها و هو باك و تحت الشمس ينسكب الغمام

و أذكر قدّها فأنوح وجدا على الأغصان تنتدب الحمام

فأعقب بينها فى الصدر غمّا إذا غربت ذكاء أتى الظلام

و قال الحاجب عبد الكريم بن مغيث: [السريع]

طارت بنا الخيل و من فوقها شهب بزاة لحمام الحمام

كأنما الأيدى قسىّ لها و الطير أهداف و هنّ السّهام

و قال أخوه أحمد: [السريع]

اشرب على البستان من كفّ من يسقيك من فيه و أحداقه

و انظر إلى الأيكة فى برده و لاحظ البدر بأطواقه

و قد بدا السّرو على نهره كحائض شمّر عن ساقه

و قال أبو العباس أحمد بن أبى عبد اللّه بن أميهٔ البلنسىّ: [الطويل]

إذا كان ودّى و هو أنفس قربهٔ يجازى ببغض فالقطيعهٔ أحزم

و من أضيع الأشياء ودّ صرفته إلى غير من تحظى لديه و تكرم

[سرعهٔ ارتجال الأندلسيين]

و من حكايات أهل الأندلس فى خلع العذار و الطرب و الظرف و غير ذلك كسرعهٔ الارتجال ما حكاه صاحب «بدائع البداءهٔ» قال: أخبرنى من أثق به بما هذا معناه، قال: خرج الوزير أبو بكر بن عمار و الوزير أبو الوليد بن زيدون و معهما الوزير ابن خلدون من إشبيليهٔ إلى منظرهٔ لبنى عباد بموضع يقال له لقنت تحفّ بها مروج مشرقهٔ الأنوار، متنسّمهٔ الأنجاد و الأغوار، متبسّمهٔ عن ثغور النّوّار، فى زمان ربيع سقت الأرض السّحب فيه بوسميّها و وليّها،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۱

و جلتها فى زاهر ملبسها و باهر حليّها و أرداف الرّبا قد تأزّرت بالأزر الخضر من نباتها، و أجياد الجداول قد نظم النّوّار قلائده حول لبّاتها، و مجامر الزهر تعطر أرديهٔ النسائم عند هبّاتها، و هناك من البهار ما يزرى على مداهن النّضار، و من النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الأجفان، و قد نووا الانفراد للهو و الطرب، و التنزّه فى روضى النبات و الأدب، و بعثوا صاحبا لهم يسمى خليفهٔ هو قوام لذّتهم، و نظام مسرّتهم، ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهمّ بذهبه فى لجين زجاجه، و يرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب و إزعاجه، و جلسوا لانتظاره، و ترقّب عوده على آثاره، فلمّا بصروا به مقبلا من أوّل الفجّ بادروا إلى لقائه، و سارعوا إلى نحوه و تلقائه، و اتّفق أنّ فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه و وطئ عليه فهشم أعظمه و أجرى دمه، و كسر قمعل النبيذ الذى كان معه، و فرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه، و مضى على غلوائه راكضا حتى خفى عن العين، خائفا من متعلّق به يحين بتعلّقه الحين، و حين وصل الوزراء إليه، تأسّفوا عليه، و أفاضوا فى ذكر الزمان و عدوائه، و الخطب و ألوانه، و دخوله بطوامّ المضرّات، على تمام المسرّات، و تكديره لأوقات المنعمات، بالآفات المؤلمات، فقال ابن زيدون: [الوافر]

أ تلهو و الحتوف بنا مطيفه و نأمن و المنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون: [الوافر]

و فى يوم و ما أدراك يوم مضى قمعالنا و مضى خليفه

فقال ابن عمار: [الوافر]

هما فخّارتا راح و روح تكسّرتا فأشقاف و جيفه

[بين ابن شهيد و ابن أبى عامر]

و ذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق، و لم تزل تسهر فى خدمتهم إلى أن همّ جند الليل بالانهزام، و أخذ فى تقويض خيام الظلام، و كانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها، فسأله المظفر وصفها، فصنع ارتجالا: [مخلع البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۲

أفدى أسيماء من نديم ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا فى السّهاد منها و هى لعمرى من العجائب

قالوا تجافى الرّقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

[ابن شهيد عند القاضى ابن ذكوان]

و حكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن ذكوان، فجيء بباكورة باقلا، فقال ابن ذكوان: لا ينفرد بها إلّا من وصفها، فقال ابن شهيد: أنا لها، و ارتجل: [المنسرح]

إنّ لآليك أحدثت صلفا فاتّخذت من زمرّد صدفا

تسكن ضرّاتها البحور و ذى تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتّخذت من سندس فى جنانها لحفا

شبّهتها بالثغور من لطف حسبك هذا من رمز من لطفا

جاز ابن ذكوان فى مكارمه حدود كعب و ما به وصفا

قدّم درّ الرياض منتخبا منه لأفراس مدحه علفا

أكل ظريف و طعم ذى أدب و الفول يهواه كلّ من ظرفا

رخّص فيه شيخ له قدر فكان حسبى من المنى و كفى

[بين ابن شهيد و جماعة من أصحابه]

و قال ابن بسام: إن جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له: يا أبا عامر، إنك لآت بالعجائب، و جاذب بذوائب الغرائب، و لكنك شديد الإعجاب بما يأتى منك، هازّ لعطفك عند النادر يتاح لك، و نحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا، و كان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت؛ لأنّ المعنى إذا كان جلفا ثقيلا على النفس، قبيح الصورة عند الحس، كلّت الفكرة عنه و إن كانت ماضية، و أساءت القريحة فى وصفه و إن كانت محسنة، و كان فى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۳

المجلس باب مخلوع معترض على الأرض، و لبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته، فقال مسرعا: [مخلع البسيط]

و فتية كالنجوم حسنا كلّهم شاعر نبيل

متّقد الجانبين ماض كأنه الصارم الصّقيل

راموا انصرافى عن المعالى و الحدّ من دونها فليل

فالشدّ فی أمرها فسیح کلّ کثیر له قلیل

فی مجلس زانه التصابی و طاردت وصفه العقول

کأنما بابه أسیر قد عرضت دونه نصول

یراد منه المقال قسرا و هو علی ذاک لا یقول

ننظر من لبده لدینا بحر دم تحتنا یسیل

کأنّ أخفافنا علیه مراکب ما لها دلیل

ضلّت فلم تدر أین تجری فهل علی شطّه تقیل

فعجب القوم من أمره، ثم خرج من عندهم، فمرّ علی بعض معارفه من الطرائفیین و بین یدیه زنبیل ملآن خرشفا، فجعل یده فی لجام بغلته، و قال: لا أترککک أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم یقل شیئا، فقال له ابن شهید: و یحک! أعلی مثل هذه الحال؟ قال: نعم، فارتجل: [الرجز].

هل أبصرت عیناک یا خلیلی قنافذا تباع فی زنبیل

من حرشف معتمد جلیل ذی إبر تنفذ جلد الفیل

کأنها أنیاب بنت الغول لو نخست فی است امرئ ثقیل

لقفّزته نحو أرض النّیل لیس یری طیّ حشا مندیل

نقل السخیف المائن الجهول و أکل قوم نازحی العقول

أقسمت لا أطعمها أکیلی و لا طعمتها علی شمول

نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب، ج۴، ص: ۷۴

[بین أبی العلاء بن زهر و ابن رزین]

و قال فی «بدائع البداءة»: دخل الوزیر أبو العلاء زهر ابن الوزیر أبی مروان عبد الملک بن زهر علی الأمیر عبد الملک بن رزین فی مجلس أنس، و بین یدیه ساق یسقی خمرین من کأسه و لحظه، و یبدی درّین من حبابه و لفظه، و قد بدا خطّ عذاره فی صحیفة خدّه، و کمل حسنه باجتماع الضدّ منه مع ضدّه، فکأنه بسحر لحظه أبدی لیلا فی شمس، و جعل یومه فی الحسن أحسن من أمس، فسأله ابن رزین أن یصنع فیه، فقال بدیها: [الطویل]

تضاعف وجدی أن تبدّی عذاره و نمّ فخان القلب منّی اصطباره

و قد کان ظنّی أن سیمحق لیله بدائع حسن هام فیها نهاره

فأظهر ضدّ ضدّه فیه إذ وشت بعنبره فی صفحة الخدّ ناره

و استزاده، فقال بدیها: [الخفیف]

محیت آیة النهار فأضحی بدر تمّ و کان شمس نهار

کان یعشی العیون نورا إلی أن شغل اللّه خدّه بالعذار

و صنع أیضا: [المتقارب]

عذار ألمّ فأبدی لنا بدائع کنّا لها فی عمی

و لو لم یجنّ النهار الظلا م لم یستبن کوکب فی السّما

و صنع أیضا: [الکامل]

تمّت محاسن وجهه و تكاملت لمّا استدار به عذار مونق

و كذلك البدر المنير جماله فى أن يكنّفه سماء أزرق

انتهى.

[عبد اللّه بن عاصم صاحب الشرطة فى قرطبة]

و حكى الحميدى و غيره أن عبد اللّه بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة، كثير النوادر، و هو من جلساء الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموى ملك الأندلس، و حكوا أنه دخل عليه فى يوم ذى غيم، و بين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزى، ليّن الأخلاق، فقال الأمير: يا ابن عاصم، ما يصلح فى يومنا هذا؟ فقال: عقار ينفد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۵

الدنان، و تؤنس الغزلان، و حديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤونة التحفّظ، و أرخى له عنان التبسّط، يديرها هذا الأغيد المليح، فاستضحك الأمير، ثم أمر بمراتب الغناء، و آلات الصهباء، فلمّا دارت الكأس، و استمطر الأمير نوادره، أشار إلى الغلام أن يلحّ فى سقيه، و يؤكّد عليه، فلمّا أكثر رفع رأسه إليه و قال على البديهة: [المنسرح]

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ما لحسان الوجوه و الصّلف

تحسن أن تحسّن القبيح و لا ترثى لصبّ متيّم دنف

فاستبدع الأمير بديهته، و أمر له ببدرة، و يقال: إنه خيّره بينها و بين الوصيف، فاختارها نفيا للظّنّة عنه، انتهى.

[بين ابن ظافر و الملك الأشرف الأيوبى]

قلت: أذكرتنى هذه الحكاية ما حكاه على بن ظافر عن نفسه إذ قال: كنت عند المولى الملك الأشرف بن العادل بن أيوب سنة ۶۰۳ بالرّها، و قد وردت إليه فى رسالة، فجعلنى بين سمعه و بصره، و أنزلنى فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى أو إرادة الحديث معى، فلم أشعر فى بعض الليالى و أنا نائم فى فراشى إلّا به، و هو قائم على رأسى، و السكر قد غلب عليه، و الشمع تزهر حواليه، و قد حفّ مماليكه به، و كأنهم الأقمار الزواهر، فى ملابس كالرياض ذات الأزاهر، فقمت مروّعا، فأمسكنى و بادر بالجلوس إلى جانبى بحيث منعنى عن القيام عن الوساد، و أبدى من الجميل ما أبدلنى بالنّفاق بعد الكساد، ثم قال: غلبنى الشوق إليك، و لم أرد إزعاجك و التثقيل عليك، ثم استدعى من كان فى مجلسه من خواصّ القوالين، فحضروا و أخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا، و يجعل القلوب من الوجد جذاذا، و كان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيّرا سماء ملكه، و واسطتا درّ سلكه، و قطبا فلك طربه و وجده، و ركنا بيت سروره و لهوه، و كانا يتناوبان فى خدمته، فحضر أحدهما فى تلك الليلة و غاب الآخر، و كان كثيرا ما يداعبنى فى أمرهما، و يستجلب منى القول فيهما و الكلام فى التفضيل بينهما، فقلت للوقت: [الكامل]

يا مالكا لم يحك سيرته ماض و لا آت من البشر

اجمع لنا تفديك أنفسنا فى الليل بين الشمس و القمر

فطرب، و أمر فى الحال بإحضار الغائب منهما، فحضر و النوم قد زاد أجفانه تفتيرا،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۶

و معاطفه تكسيرا، فقلت بين يديه بديهة فى وصف المجلس: [الوافر]

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى بأكناف الرّها صوب الغمام

و ليلا باتت الأنوار فيه تعاون فى مدافعة الظلام

فنور من شموع أو ندامى و نور من سقاة أو مدام

يطوف بأنجم الكاسات فيه سقاة مثل أقمار التمام

تريك به الكؤوس جمود ماء فتحسب راحها ذوب الضّرام

يميل به غصونا من قدود غناء مثل أصوات الحمام

فكم من موصلىّ فيه يشدو فينسى النفس عادية الحمام

و كم من زلزل للضرب فيه و كم للزّمر فيه من زنام

لدى موسى بن أيوب المرجّى إذا ما ضنّ غيث بانسجام

و من كمظفّر الدين المليك ال أجلّ الأشرف النّدب الهمام

فما شمس تقاس إلى نجوم تحاكى قدره بين الكرام

فدام مخلّدا فى الملك يبقى إذا ما ضنّ دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاصّ ملابسه كانت عليه على كتفى، و وضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى، انتهى.

[بعض بدائع ابن ظافر]

و لابن ظافر هذا بدائع: منها ما حكاه عن نفسه إذ قال: و من أعجب ما دهيت به و رميت، إلّا أنّ اللّه بفضله نصر، و أعطى الظّفر، و أعان خاطرى الكليل، حتى مضى مضاء السيف الصقيل، أننى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالإسكندرية سنة إحدى و ستمائة مع من ضمّته حاشية العسكر المنصور من الكتّاب و الحواشى و الخدام، و دخلت سنة اثنتين و ستمائة و نحن بالثغر مقيمون فى الخدمة، مرتضعون لأفاويق النعمة، فحضرت فى جملة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۷

من حضر الهناء، من الفقهاء بالثغر و العلماء، و المشايخ و الكبراء، و جماعة الديوان و الأمراء، و اتّفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لإمضاء الأحكام و العرض لطوائف الأجناد، فلم يبق أحد من أهل البلد و لا من أهل المعسكر إلّا حضر مهنّيا، و مثل شاكرا و داعيا، فحين غصّ المجلس بأهله، و شرق بجمع السلطان و حفله، و خرج مولانا السلطان إلى مجلسه، و استقرّ فى دسته، أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الأجلّ صفى الدين أبى محمد عبد اللّه بن على وزير دولته، و كبير جملته، و هو مفضوض الختام، مفكوك الفدام، ففتحه فإذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظّم كتبها إليه يتشوّقه و يستعطفه لزيارته، و يرقّقه و يستحثّه على عود ركابه إلى بلاد الشام، للمثاغرة بها، و قمع عدوّها، و يعرض بذكر مصر و شدّة حرّها، و وقد جمرها، و ذلك بعد أن كان وصل إلى خدمته بالثغر ثم رجع إليها، و الأبيات: [الكامل]

أروى رماحك من نحور عداكا و انهب بخيلك من أطاع سواكا

و اركب خيولا كالثعالى شزّبا و اضرب بسيفك من يشقّ عصاكا

و اجلب من الأبطال كلّ سميدع يفرى بعزمك كلّ من يشناكا

و استرعف السّمر الطوال و روّها و اسق المنيّة سيفك السّفّاكا

و سر الغداة إلى العداة مبادرا بالضرب فى هام العدوّ دراكا

و انكح رماحك للثغور فإنها مشتاقة أن تبتنى بعلاكا

فالعزّ فى نصب الخيام على العدا تردى الطّغاة و تدفع الملّاكا

و النصر مقرون بهمّتك التى قد أصبحت فوق السّماك سماكا

فإذا عزمت وجدت من هو طائع و إذا نهضت وجدت من يخشاكا

و النصر فى الأعداء يوم كريهة أحلى من الكأس الذى روّاكا

و العجز أن تضحى بمصر راهنا و تحلّ فى تلك العراص عراكا

فأرح حشاشتك الكريمة من لظى مصر لكى نحظى الغداة بذاكا

فلقد غدا قلبى عليك بحرقة شغفا و لا حرّ البلاد هناكا

و انهض إلى راجى لقاك مسارعا فمناه من كلّ الأمور لقاكا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۸

و ابرد فؤاد المستهام بنظرة و أعد عليه العيش من رؤياكا

و اشف الغداة غليل صبّ هائم أضحى مناه من الحياة مناكا

فسعادتى بالعادل الملك الذى ملك الملوك و قارن الأفلاكا

فبقيت لى يا مالكى فى غبطة و جعلت من كلّ الأمور فداكا

فلمّا تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها، و جلا منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها، أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها، و تناسق التئامها، و الثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها، و أطلع من مشرق فكره آياتها، فقال السلطان: نريد من يجيبه عنّا بأبيات على قافيتها، فالتفت مسرعا إلىّ و أنا عن يمينه، و قال: يا مولانا، مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان، و المعتاد للتخلّص من مضايق هذا الشان، ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه، و ألقاه إلىّ، و عمد إلى دواته فأدارها بين يدىّ، فقال له السلطان: أهكذا على مثل هذا الحال؟ و فى مثل هذا الوقت؟ فقال: نعم، أنا قد جرّبته فوجدته متّقد الخاطر، حاضر الذهن، سريع إجابة الفكر، فقال السلطان: و على كل حال قم إلى هنا لتنكفّ عنك أبصار الناظرين، و تنقطع عنك ضوضاء الحاضرين، و أشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد، فقمت و قد فقدت رجلى انخذالا، و ذهنى اختلالا، لهيبة المجلس فى صدرى، و كثرة من حضره من المترقّبين لى، المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى، فما هو إلّا أن جلست حتى ثاب إلىّ خاطرى، و انثال الكلام على سرائرى، فكنت أتوهّم أنّ فكرى كالبازى الصّيود لا يرى كلمة إلّا أنشب فيها منسره، و لا معنى إلّا شكّ فيه ظفره، فقلت فى أسرع وقت: [الكامل]

وصلت من الملك المعظّم تحفة ملأت بفاخر درّها الأسلاكا

أبيات شعر كالنجوم جلالة فلذا حكت أوراقها الأفلاكا

عجبا و قد جاءت كمثل الروض إذ لم تذوها بالحرّ نار ذكاكا

جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما تجلو بغرّة وجهك الأحلاكا

كقميص يوسف إذ شفت يعقوب رى ياه شفتنى مثله ريّاكا

قد أعجزت شعراء هذا العصر كل لهم فلم لا تعجز الأملاكا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۷۹

ما كان هذا الفضل يمكن مثله أن يحتويه من الأنام سواكا

لم لا أغيب عن الشآم و هل له من حاجة عندى و أنت هناكا

أم كيف أخشى و البلاد جميعها محميّة فى جاه طعن قناكا

يكفى الأعادى حرّ بأسك فيهم أضعاف ما يكفى الولىّ نداكا

ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها فلذا صبرت فديت عن رؤياكا

أمّ البلاد علا عليها قدرها لا سيما مذ شرّفت بخطاكا

طابت و حقّ لها و لم لا و هى قد حوت المعلّى فى القداح أخاكا

أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا حينا و أمنح غيرها سقياكا

مكثى جهاد للعدوّ لأننى أغزوه بالرأى السديد دراكا

لو لا الرباط و غيره لقصدت بال سّير الحثيث إليك نيل رضاكا

و لئن أتيت إلى الشآم فإنما يحتّثنى شوق إلى لقياكا

إنى لأمنحك المحبة جاهدا و هواى فيما تشتهيه هواكا

فافخر فقد أصبحت بى و ببأسك ال حامى و كلّ مملّك يخشاكا

لا زلت تقهر من يعادى ملكنا أبدا، و من عاداك كان فداكا

و أعيش أبصر ابنك الباقى أبا و تعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت إلى مكانى و قد بيّضتها، و حليت بزهرها ساحة القرطاس و روّضتها، فلمّا رآنى السلطان قد عدت قال لى: هل عملت شيئا؟ ظنّا منه أنّ العمل فى تلك اللمحة القريبة معجز متعذّر، و بلوغ الغرض فيها غير متصوّر، فقلت: قد أجبت، فقال: أنشدنا، فصمت الناس، و حدّقت الأبصار، و أصاخت الأسماع، و ظنّ الناس بى الظنون، و ترقّبوا منى ما يكون، فما هو إلّا أن توالى الإنشاد لأبياتها حتى صفقت الأيدى إعجابا، و تغامزت الأعين استغرابا، و حين انتهيت إلى ذكر مولانا الملك الكامل، بأنه المعلّى فى البنين إذا ضربت قداحهم، و سردت أمداحهم، اغرورقت عيناه دمعا لذكره، و أبان صمته مخفى المحبّة حتى أعلن بسرّه، و حين انتهيت إلى آخرها فاض دمعه، و لم يمكنه دفعه، فمدّ يده مستدعيا للورقة، فناولتها إلى يد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۰

الصاحب، فناولها له، و عند حصولها فى يده قام من غير إشعار لأحد بما دار من إرادة القيام فى خلده، سترا لما ظهر عليه من الرقة على الموالى الأولاد، و كتما لما عليه من الوجد بهم و المحبّة لهم، و انفضّ المجلس.

و إنما حمل الصاحب على هذا الفعل الذى غرّر بى فيه و خاطر بى بالتعريض له أشياء كان يقترحها علىّ فأنفذ فيها من بين يديه، و يخف الأمر منها علىّ لدالّتى عليه، منها أننى كنت فى خدمته سنة ۵۹۹ بدمشق، فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة، و قد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد جواب كتابه، فلمّا كتب بعضه التفت إلىّ و قال: اصنع أبياتا أكتبها إليه فى صدر الجواب، و اذكر فيها شعره، فقلت له: على مثل هذه الحال؟ فقال: نعم، فقلت بقدر ما أنجز بقية النسخة: [الطويل]

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا و أغرقهم بذلا و عمّهم عدلا

فديناك هب للناس فضلا يزينهم فقد حزت دون الناس كلّهم الفضلا

و دونك فامنحهم من العلم و الحجا كما منحتهم كفّك الجود و البذلا

إذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى تركت لمن كان القريض له شغلا

و ما ذا عسى من ظلّ بالشعر قاصدا لبابك أن يأتى به جلّ أو قلّا

فلا زلت فى عزّ يدوم و رفعة تحوز ثناء يملأ الوعر و السّهلا

و وقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط أنه دخل فى أصحاب له يعودون صاحبا لهم، و بين يديه بركة قد راق ماؤها، و صحت سماؤها،

و قد رصّ تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضّار، و ملأ بالمحاسن عيون النظّار، فكأنما رفعت صوالج فضّة على كرات من النّضار، فأشار الحاضرون إلى وصفها، فقال بديها: [الكامل]

أبدعت يا ابن هلال فى فسقيّة جاءت محاسنها بما لم يعهد

عجبا لأمواه الدساتير التى فاضت على نارنجها المتوقّد

فكأنهنّ صوالج من فضّة رفعت لضرب كرات خالص عسجد

[من ارتجال ابن قلاقش الاسكندرى]

و من بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الإسكندرى رحمه اللّه تعالى إذ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۱

قال: دخل الأعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى، فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره، و أذكى الدهر ناره و جمّد نهره، و ألبسه من سلخ الأفاعى رداء و جسّمه ردى، لا يمنع من برقه بدر مجنّ و لا ثريّا مغفر، و لا يسلم من حدّه من ثبت و لا ينجو لطوله من فرّ، فهو يبكى للنفاق و يضحك، و يرعد للغيظ و يفتك، و أمره بصفة شأنه، فقال على لسانه: [الوافر]

أروق كما أروع فإن تصفنى فإنى رائق الصفحات رائع

تدافع بى خطوب الدهر حتى نقلت إلى بلال عن مدافع

و قال أيضا فيه: [الخفيف]

ربّ يوم له من النّقع سحب مالها غير سائل الدم ودق

قد جلته يمنى بلال بحدّى فكأنّى فى راحة الشمس برق

و قال أيضا فيه: [الكامل]

أنا فى الكريهة كالشّهاب الساطع من صفحة تبدو و حدّ قاطع

فكأنما استمليت تلك و هذه من وصف كفّ بلال بن مدافع

و قال أيضا فيه: [الكامل]

انظر لمطّرد المياه بصفحتى و لنار حدّى كم بها من صالى

قد عاد شدّى فى المضايق شيمتى كبلال بن مدافع بن بلال

و سأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريّا شكلا و لونا، و شقّ ليلا من الشّعر جونا، فقال: [الكامل]

و متيّم بالآبنوس و جسمه عاج و من أدهانه شرفاته

كتمت دياجى الشّعر منه بدرها فوشت به للعين عيّوقاته

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۲

و قال فيه: [الطويل]

و أبيض ليل الآبنوس إذا سرى تمزّق عن صبح من العاج باهر

و إن غاص فى بحر الشعور رأيته تبشّرنا أطرافه بالجواهر

و قال فيه: [السريع]

و مشرق يشبه ضوء الضحى حسنا و يسرى فى الدّجى الفاحم

و كلّما قلّب فى لمّة أضحكها عن ثغره الباسم

و جلس بمصر فى دار الأنماط يوما مع جماعة، فمرّت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك، و هى شمس تحت سحاب النّقاب، و غصن فى أوراق الشباب، فحدّقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، و المريض إلى الطبيب، فجعلت تتلفّت تلفّت الظبى المذعور، أفرقه القانص فهرب، و تتثنّى تثنى الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب، فسألوه العمل فى وصفها، فقال: هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الأزدى القيروانى: [الكامل]

أعرضن لمّا أن عرضن، فإن يكن حذرا فأين تلفّت الغزلان

ثم صنع: [المتقارب]

لها ناظر فى ذرا ناضر كما ركّب السنّ فوق القناة

لوت حين ولّت لنا جيدها فأىّ حياة بدت من وفاة

كما ذعر الظبى من قانص فمرّ و كرّر فى الالتفات

ثم صنع أيضا: [الكامل]

و لطيفة الألفاظ لكن قلبها لم أشك منه لوعة إلّا عتا

كملت محاسنها فودّ البدر أن يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا

قد قلت لمّا أعرضت و تعرضت يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى

قالت أنا الظبى الغرير و إنما ولّى و أوجس نبوة فتلفّتا

قال على بن ظافر: و حضر يوما عند بنى خليف بظاهر الإسكندرية فى قصر رسا بناؤه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۳

و سما، و كاد يمزّق بمزاحمته أثواب السما، قد ارتدى جلابيب السحائب، و لاث عمائم الغمائم، و ابتسمت ثنايا شرفاته، و اتسمت بالحسن حنايا غرفاته، و أشرف على سائر نواحى الدنيا و أقطارها، و حبته الرياض بما ائتمنتها عليه السّحب من ودائع أمطارها، و الرمل بفنائه قد نثر تبره فى زبرجد كرومه، و الجوّ قد بعث بذخائر الطيب لطيمة نسيمه، و النخل قد أظهرت جواهرها، و نشرت غدائرها، و الطّلّ ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم و مساحبه، و البحر يرعد غيظا من عبث الرياح به، فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذى تمّت محاسنه، و غبط به ساكنه، فجاشت لذلك لجج بحره، و ألقت إليه جواهره لترصيع لبّة ذلك القصر و نحره، فقال: [الوافر]

قصر بمدرجة النسيم تحدّثت فيه الرياض بسرّها المستور

خفض الخورنق و السّدير سموّه و ثنى قصور الروم ذات قصور

لاث الغمام عمامة مسكيّة و أقام فى أرض من الكافور

غنّى الربيع به محاسن وصفه فافترّ عن نور يروق و نور

فالدّوح يسحب حلّة من سندس تزهى بلؤلؤ طلّها المنثور

و النخل كالغيد الحسان تقرّطت بسبائك المنظوم و المنثور

و الرمل فى حبك النسيم كأنما أبدى غصون سوالف المذعور

و البحر يرعد متنه فكأنّه درع تشنّ بمعطفى مقرور

و كأننا و القصر يجمع شملنا فى الأفق بين كواكب و بدور

و كذاك دهر بنى خليف لم يزل يثنى المعاطف فى حبير حبور

ثم قال ابن ظافر: و أخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الإسكندرى النحوى بما هذا معناه، قال: كنت

مع الأعز بن قلاقس فى جماعة، فمرّ بنا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصرى، و هو راجع من المكتب، و معه دواته، و هو فى تلك الأيام قرّة العين ظرفا و جمالا، و راحة القلب قربا و وصالا، كلّ عين إلى وجهه محدّقة، و لمشهد خدّيه بخلوق الخجل مخلّقة، فاقترحنا عليه أن يتغزّل فيه، فصنع بديها: [مجزوء الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۴

علّقته متعلّقا بالخطّ معتكفا عليه

حمل الدواة و لا دوا ء لعاشق يرجى لديه

فدماء حبات القلو ب تلوح صبغا فى يديه

لم أدر ما أشكو إلى ه أهجره أم مقلتيه

و الحبّ يخرسنى على أنّى ألكّع سيبويه

ما لى إذا أبصرته شغل سوى نظرى إليه

[عود إلى كلام أهل الأندلس]

و قد آن وقت الرجعة إلى كلام الأندلسيين، الذى حلا، و أبعدنا عنه بما مرّ النّجعة فنقول:

ذكر الفتح فى قلائد العقيان، كما قال ابن ظافر، ما معناه: أخبرنى الوزير أبو عامر بن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبى عيسى بن لبّون فى يوم سفرت فيه أوجه المسرّات، و نامت عنه أعين المضرّات، و أظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا، و تطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا، و شموس الكاسات تطلع فى أكفّها كالورد فى السوسان، و تغرب بين أقاحى نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان، و عنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقى، و هو يومئذ قد بذل الجهد، فى التحلّى بالزهد، فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه، و يحييه بزبرجد آسه، و يغازله بطرفه، و يميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا، فأنشد أبو الحسن مرتجلا: [الكامل]

و مهفهف مزج الفتور بشدّة و أقام بين تبذّل و تمنّع

يثنيه من فعل المدامة و الصّبا سكران سكر طبيعة و تطبّع

أوما إلىّ بكأسه فكففتها ورنا فشفّعها بلحظ مطمع

و اللّه لولا أن يقال هوى الهوى منه بفضل عزيمة و تورّع

لأخذت فى تلك السبيل بمأخذى فيما مضى و نزعت فيها منزعى

و حكى الحميدى أنّ عبد الملك بن إدريس الجزيرى كان ليلة بين يدى الحاجب بن أبى عامر و القمر يبدو تارة، و يخفيه السحاب تارة، فقال بديها: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۵

أرى بدر السماء يلوح حينا فيبدو ثم يلتحف السّحابا

و ذاك لأنه لمّا تبدّى و أبصر وجهك استحيا فغابا

مقال لو نمى عنّى إليه لراجعنى بتصديقى جوابا

و كان صاعد اللغوى صاحب كتاب «القصوص» - و قد تكرّر ذكره فى هذا الكتاب- كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبى عامر، و يصفها، و يقرظها، فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبى عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب، و قد تقدّم بعض كلامه قريبا، إلى المنصور فى يوم برد- و كان أخصّ وزرائه به- بهذه الأبيات:

[المنسرح]

أما ترى برد يومنا هذا صيّرنا للكمون أفذاذا

قد فطرت صحّة الكبود به حتى لكادت تعود أفلاذا

فادع بنا للشّمول مصطليا نغذّ سيرا إليك إغذاذا

و ادع المسمّى بها و صاحبه تدع نبيلا و تدع أستاذا

و لا تبالى أبا العلاء زها بخمر قطربّل و كلواذا

ما دام من أرملاط مشربنا دع دير عمّى و طيز ناباذا

و كان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم، فأمر بإحضار من جرى رسمه من الوزراء و النّدماء، و أحضر ابن شهيد فى محفّة لنقرس كان يعتاده، و أخذوا فى شأنهم، فمرّ لهم يوم لم يشهدوا مثله، و وقت لم يعهدوا نظيره، و طما الطرب و سما بهم، حتى تهايج القوم و رقصوا، و جعلوا يرقصون بالنوبة، حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد، فأقامه الوزير أبو عبد اللّه بن عباس، فجعل يرقص و هو متوكئ عليه، و يرتجل و يومئ إلى المنصور، و قد غلب عليه السكر: [الرمل]

هاك شيخا قاده عذر لكا قام فى رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثبتا فانثنى يرقصها مستمسكا

عاقه عن هزّها منفردا نقرس أخنى عليه فاتّكا

من وزير فيهم رقّاصة قام للسّكر يناغى ملكا

أنا لو كنت كما تعرفنى قمت إجلالا على رأسى لكا

قهقه الإبريق منّى ضاحكا و رأى رعشة رجلى فبكى

قال ابن ظافر: و هذه قطعة مطبوعة، و طرفها الأخير واسطتها، و كان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى يعرف بالفكيك، حسن النادرة سريعها، و كان ابن شهيد استحضره إلى المنصور فاستطبعه، فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال: للّه درّك يا وزير! ترقص بالقائمة، و تصلّى بالقاعدة، فضحك المنصور، و أمر لابن شهيد بمال جزيل، و لسائر الجماعة، و للبغدادى.

و قال ابن بسام: حدّث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال:

دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد، و قد ابتدأت علّته التى مات بها، فأنس بى، و جرى الحديث إلى أن شكوت له تجنّى بعض أصحابى علىّ، و نفاره عنّى، فقال لى: سأسعى فى إصلاح ذات البين، فخرجت عنه، و اتّفق لقائى لذلك المتجنى علىّ مع بعض أصحابى و أعزّهم علىّ، فلمّا رآنى ذلك الصديق مولّيا عنه أنكر عليه، و سأله عن السبب الموجب، فأخبره، و زادا فى مشيهما حتى لحقا بى، و عزم علىّ فى مكالمة صاحبى، و تعاتبنا عتابا أرقّ من الهواء، و أشهى من الماء على الظّماء، حتى جئنا دار أبى عامر، فلما رآنا جميعا ضحك و قال: من كان الذى تولّى إصلاح ما كنّا سررنا بفساده؟ قلنا: قد كان ما كان، فأطرق قليلا ثم أنشد: [المنسرح]

من لا أسمّى و لا أبوح به أصلح بينى و بين من أهوى

أرسلت من كابد الهوى فدرى كيف يداوى مواقع البلوى

و لى حقوق فى الحبّ ثابتة لكنّ إلفى يعدّها دعوى

و قد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرّقة الغرائب، و قدّمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة و حكيناها هناك بلفظ «المطمح» فلتراجع.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۷

و عبّر ابن ظافر عن معناها بقوله: إنّ أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع و العشرين من رمضان، فمرّت امرأة به من بنات أجلّاء قرطبة، قد كملت حسنا و ظرفا، و معها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا، و قد حفّت بها الجوارى، كالبدر حفّ بالدرارى، فحين رأت تلك الجماعة، المعروفة بالخلاعة، و قد رمقوا ذلك الظبى بعيون أسود رأت فريسة، ارتاعت و تخوّفت أن تخطف منها تلك الدّرّة النفيسة، فاستدنت إليها خشفها، و ألزمته عطفها، فارتجل ابن شهيد قائلا:

و ناظرة تحت طىّ القناع إلخ

و مرّت فى الباب الرابع هذه الأبيات.

و قال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى: لمّا نعيت أبا عامر بن شهيد إلى أبى عبد اللّه بن الخياط الشاعر، و كان قد عرف ما بينهما من المنافسة، فبكى و أنشدنى لنفسه بديهة: [السريع]

لمّا نعى الناعى أبا عامر أيقنت أنى لست بالصابر

أودى فتى الظّرف و ترب الندى و سيّد الأول و الآخر

و قال ابن بسّام: اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه، فأبرز لهم و صيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب المطرب من الدك، و حضر أيضا هناك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا، فارتجل أبو عبد اللّه بن الحداد: [المتقارب]

كذا فلتلح قمرا زاهرا و تجنى الهوى ناظرا ناظرا

و سيبك سيب ندى مغدق أقام لنا هاميا هامرا

و إنّ ليومك ذا رونقا منيرا كنور الضّحى باهرا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۸

صباح اصطباح بإسفاره لحظنا محيّا العلا سافرا

و أطلعت فيه نجوم الكؤوس فما زال كوكبها زاهرا

و أسمعتنا لاحنا فاتنا و أحضرتنا لاعبا ساحرا

يرفرف فوق رؤوس القيان فننظر ما يذهل الناظرا

و يحفظها ذيل سرباله فننظر طالعها غائرا

فظاهرها ينثنى باطنا و باطنها ينثنى ظاهرا

و ثنّاه ثان لألعابه دقائق تثنى الحجا حائرا

و فى سورة الراح من سحره خواطر دلّهت الخاطرا

إذا ورد اللحظ أثناءها فما الوهم عن وردها صادرا

و من حسن دهرك إبداعه فما انفكّ عارضها ماطرا

و سعدك يجتلب المغربات فيجعل غائبها حاضرا

قال: و حضر الأديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن درّى بجيان، هو و أبو زيد بن مقانا الأشبونى، فأحضر لهما عنبا أسود مغطّى بورق أخضر، فارتجل ابن الشقاق: [الكامل]

عنب تطلّع من حشا ورق لنا صبغت غلائل جلده بالإثمد

فكأنه من بينهنّ كواكب كسفت فلاحت فى سماء زبرجد

قال: و حضر ابن مرزقان ليلة عند ذى النون بن خلدون، و بحضرته و صيفة تحمل شمعة، فاستحسنها ابن مرزقان، فقال بديها: [السريع]

يا شمعة تحملها أخرى كأنها شمس علت بدرا

امتحنت إحداكما مهجتى بمثل ما تمتحن الأخرى

قال: دخل الأديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة، فوسّع له على ضيق كان فى المجلس، فقال بديها: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۸۹

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبّين

و لا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلّما تسع الدنيا بغيضين

و أخذه من قول الخليل «ما تضايق سمّ الخياط بمتحابّين، و لا اتّسعت الدنيا لمتباغضين».

و كان الخليل على نمرقة صغيرة، و المجلس متضايق، فدخل عليه بعض أصحابه، فرحّب به و أجلسه معه على النمرقة، فقال له الرجل: إنها لا تسعنا، فقال ما ذكر.

و قال ابن بسام أيضا: أمر الحاجب المنذر بن يحيى التّجيبى، صاحب سرقسطة، بعرض بعض الجند فى بعض الأيام، و رئيسهم مملوك له رومى يقال له خيار فى نهاية الجمال، فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم فى ذلك، فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالا: [الطويل]

أعن بابل أجفان عينيك تنفث و من قوم موسى أنت للعهد تنكث

أفى الحقّ أن تحكى سرافيل نافخا و أمكث فى رمس الصّدود و ألبث

عساك، نبيّ الحسن، تأتى بآية فتنفخ فى ميت الصّدود فيبعث

قال: و كان بقرطبة غلام وسيم، فمرّ عليه ابن فرج الجيّانى، و معه صاحب له، فقال صاحبه: إنه لصبيح لو لا صفرة فيه، فقال ابن فرج ارتجالا: [البسيط]

قالوا: به صفرة عابت محاسنه فقلت: ما ذاك من عيب به نزلا

عيناه تطلب فى أوتار من قتلت فلست تلقاه إلّا خائفا وجلا

قال: و كان يوما مع لمّة من أهل الأدب فى مجلس أنس، فاحتاج رب المنزل إلى دينار، فوجّه إلى السوق، فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال، فرمى بالدينار إليهم من فيه تماجنا، فقال ابن فرج: [الكامل]

أبصرت دينارا بكفّ مهفهف يزهى به من كثرة الإعجاب

أوما به من فيه ثم رمى به فكأنه بدر رمى بشهاب

قال: و خرج الأديب أبو الحسن بن حصن الإشبيلى إلى وادى قرطبة فى نزهة، فتذكّر إشبيلية، فقال بديها: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۰

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى أمات الحسود و تعنيته

كأنك و الشمس عند الغروب عروس من الحسن منحوته

غدا النهر عقدك و الطود تاج ك و الشمس أعلاه ياقوته

انتهى:

و عبّر بعضهم، و هو صاحب «بدائع البداءة» عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها فى المعنى، فقال: إن المستعين بن هود ملك سرقسطة و الثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقّد بعض معاقله، المنتظمة بجيد ساحله، و هو نهر رقّ ماؤه وراق، و أزرى على نيل مصر و دجلة العراق، قد اكتنفته البساتين من جانبيه، و ألقت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس أن تنظر إليه، هذا على اتّساع عرضه، و بعد سطح مائه من أرضه، و قد توسّط زورقه زوارق حاشيته توسّط البدر للهالة، و أحاطت به إحاطة الطّفاوة بالغزالة، و قد أعدّوا من

مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، و أخاف حتى حوت السماء، و أهلّة الهالات طالعة من الموج فى سحاب، و قانصة من بنات الماء كلّ طائرة كالشهاب، فلا ترى إلّا صيودا كقصد الصوارم، و قدود اللّهازم، و معاصم الأبكار النواعم، فقال الوزير أبو الفضل بن حسداى و الطرب استهواه، و بديع ذلك المرأى قد استرقّ هواه: [البسيط]

لله يوم أنيق واضح الغرر مفضّض مذهب الآصال و البكر

كأنّما الدّهر لمّا ساء أعتبنا فيه بعتبى فأبدى صفح معتذر

نسير فى زورق حفّ السرور به من جانبيه بمنظوم و منتثر

مدّ الشراع به قدّا على ملك بذ الأوائل فى أيامه الأخر

هو الإمام الهمام المستعين حوى علياء مؤتمن فى هدى مقتدر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۱

تحوى السفينة منه آية عجبا بحر تجمّع حتى صار فى نهر

تثار من قعره النّينان مصعدة صيدا كما ظفر الغوّاص بالدّرر

و للندامى به عبّ و مرتشف كالرّيق يعذب فى ورد و فى صدر

و الشّرب فى ودّ مولى خلقه زهر يذكو و بهجته أبهى من القمر

ثم قال ما معناه: و قوله «نينان» غير معروف، فإنّ نونا لم يجىء جمعها على نينان، و قد كان سيبويه لحّن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة: [الطويل]

تلاعب نينان البحور و ربّما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيّره بشار ب «تيار البحور» و قد قال أبو الطيب يصف خيلا: [طويل]

فهنّ مع السّيدان فى البرّ عسّل و هنّ مع النّينان فى البحر عوّم

انتهى.

و المستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر اللّه يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضىء بالله سليمان بن هود، الجذامى، رحم اللّه تعالى الجميع!.

و عبر المذكور عن قضيّة ابن وهبون فى هلال شوال بما نصّه: خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوال، و أبو بكر ابن القبطرنة الوزير يسايره، و هو يومئذ غلام يخجل البدر، و يذوى الغصن النّضر، و صفحته لم يسطرها العذار بأنقاسه، و وردة خدّه لم يسترها الشّعر بآسه، فارتجل عبد الجليل: [الخفيف]

يا هلال استتر بوجهك عنّى إنّ مولاك قابض بشمالى

هبك تحكى سناه خدّا بخدّ قم فجئنى لقدّه بمثال

و قد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى «القلائد» و لكنّا أعدناها هنا لتعبير صاحب «البدائع» عنها محاكيا لطريقته.

و ذكر ابن بسّام أن الوزير أبا عبد اللّه بن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة، و استأذن عليه، فحجب عنه، فكتب إليه بديها: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۲

جئناك للحاجة الممطول صاحبها و أنت تنعم و الإخوان فى بوس

و قد وقفنا طويلا عند بابكم ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به إلى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس: [مجزوء الوافر]

لنا قاض له خلق أقلّ ذميمه النّزق

إذا جئناه يحجبنا فنلعنه و نفترق

و هو تمليح مليح، سامح اللّه تعالى الجميع!.

و قال أبو جعفر الكاتب القرطبى الربضى: [الكامل]

و أبى المدامة ما أريد بشربها صلف الرقيع و لا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب و طيبه شيء كعهدى لم يحل إلّا هى

إن كنت أشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا للّه

و بعضهم ينسبها لأبى القاسم عامر بن هشام، و الصواب- كما قال ابن الأبار- الأوّل.

و قال أبو جعفر المذكور فى فوارة رخام كلّفه وصفها والى قرطبة: [المنسرح]

ما شغل الطّرف مثل فائرة تمجّ صرف الحياة من فيها

إشرب بها و الحباب فى جذل يظهره حسنها و يخفيها

كاد من رقّة تضمّنها تخطبها العين إذ توافيها

كأنها درّة منعّمة زهراء قد ذاب نصفها فيها

و من شعره أيضا: [مجزوء الكامل]

ضحك المشيب برأسه فبكى بأعين كاسه

رجل تخوّنه الزّما ن ببؤسه و بباسه

فجرى على غلوائه طلق الجموح بناسه

أخذا بأوفر حظّه لرجائه من ياسه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۳

و قال أحد بنى القبطرنة الوزراء: [المتقارب]

ذكرت سليمى و نار الوغى بقلبى كساعة فارقتها

و أبصرت قدّ القنا شبهها و قد ملن نحوى فعانقتها

و هذا معنى بديع ما أراه سبق به.

و قال أبو الحسن بن الغليظ المالقى: قلت يوما للأديب أبى عبد اللّه بن السراج المالقى، و نحن على خرير ماء: أجز: [الطويل]

شربنا على ماء كأنّ خريره

فقال مبادرا:

بكاء محبّ بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بإلفه فإنى مشغوف به و كئيب

و كتب أبو بكر البلنسى إلى الأديب أبى بحر صفوان بن إدريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الأخير منهما: [الطويل]

خليلى أبا بحر و ما قرقف اللّمى بأعذب من قولى خليلى أبا بحر

أجز غير مأمور قسيما نظمته تأمّل على مجرى المياه حلى الزّهر

فأجازه: [الطويل]

تأمّل على مجرى المياه حلى الزّهر كعهدك بالخضراء و الأنجم الزّهر

و قد ضحكت للياسمين مباسم سرورا بآداب الوزير أبى بكر

و أصغت من الآس النضير مسامع لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

و قال ابن خفاجة: [الطويل]

و ما الأنس إلّا فى مجاج زجاجة و لا العيش إلّا فى صرير سرير

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۴

و إنى و إن جئت المشيب لمولع بطرّة ظلّ فوق وجه غدير

و قال ابن خفاجة أيضا: [السريع]

و أسود يسبح فى لجّة لا تكتم الحصباء غدرانها

كأنها فى شكلها مقلة و ذلك الأسود إنسانها

و كتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون إلى الوزير أبى عبد اللّه بن عبد العزيز أثر صدوره عن بلنسية: [مجزوء الكامل]

راحت فصحّ بها السقيم ريح معطّرة النسيم

مقبولة هبّت قبو لا فهى تعبق فى الشّميم

أفضيض مسك أم بلن سية لريّاها نميم

إيه أبا عبد الإل ه نداء مغلوب العزيم

إن عيل صبرى من فرا قك فالعذاب به أليم

أو أتبعتك حنينها نفسى فأنت لها قسيم

ذكرى لعهدك كالعرا ر سرى فبرّح بالسّليم

مهما ذممت فما زما نى فى ذمامك بالذميم

زمن كمألوف الرضا ع يشوق ذكراه الفطيم

أيام أعقد ناظرى فى ذلك المرأى الوسيم

و أرى الفتوّة غضّة فى ثوب أوّاه حليم

اللّه يعلم أنّ حب بك من فؤادى فى الصميم

و لئن تحمّل عنك لى جسم فعن قلب مقيم

قل لى بأىّ خلال سر ك فيك أفتن أو أهيم

أ لمجدك العمم الذى نسق الحديث مع القديم

أم ظرفك الغضّ الجنى أم عرضك الصافى الأديم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۹۴

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۵

أم برّك العذب الجما م و بشرك الغضّ الجميم

إن أشمست تلك الطلا قة فالندى منها مغيم

أم بالبدائع كاللآ لى من نثير أو نظيم

لبلاغة إن عدّ أه لوها فأنت بها زعيم

فقر تسوغ بها المدا م إذا يكرّرها النديم

إنّ الذى قسم الحظو ظ حباك بالخلق العظيم

لا أستزيد اللّه نع مىفيك لا بل أستديم

فلقد أقرّ العين أن ك غرّة الزمن البهيم

حسبى الثناء بحسن برّ ك ما بدا برق وشيم

ثم الدعاء بأن ته نّأ طول عيشك فى نعيم

ثم السلام تبلّغن ه فغيب مهديه سليم

و لما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن مسلمة و هو يبنى مجلسا، فصنع أبياتا كتبت فيه: [السريع]

عمّر، من يعمر ذا المجلسا أطول عمر، يبهج الأنفسا

و بعد ذا عوّض من داره عدنا و من ديباجه السّندسا

و لقّى النور بها و الرضا و وقّى الأسواء و الأبؤسا

و دام عبّاد لعضد الهدى يحرس حتى يفنى الأحرسا

معتضد بالله إحسانه جمّ إذا ما الدهر يوما أسا

الملك الغمر الندى المقتنى من كلّ حمد علقه الأنفسا

إن رام يوما وصف علیائه مفوّه مقتدر أخرسا

لا زال بدرا طالعا نيّرا يكشف عن آمالنا الحندسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۶

و قال فيه أيضا: [المتقارب]

أدرها فقد حسن المجلس و قد آن أن تترع الأكؤس

و لا تنس أنّ أوان الربيع إذا لم تجد فقده الأنفس

فإنّ خلال أبى عامر بها يحقر الورد و النرجس

و كتب إلى الوزير أبى المعالى المهلب بن عامر يستدعيه: [السريع]

طابت لنا ليلتنا الخاليه فلنتبعنها هذه الثانيه

أبا المعالى، نحن فى راحة فانقل إلينا القدم العاليه

لأنها عاطلة إن تغب عنّا فزرنا كى ترى حاليه

أنت الذى لو تشترى ساعة منه بدهر لم تكن غاليه

كتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا: [الوافر]

تباعدنا على قرب الجوار كأنّا صدّنا شطّ المزار

تطلّع لى هلال الهجر بدرا و صار هلال وصلك فى سرار

و شاع شنيع قطعك لى بوصلى فهلّا كان ذلك فى استتار

أ يجمل أن ترى عنّى صبورا فأصبح مولعا دون اصطبار

و كنت أزيد سمعك من عتابى و لكن عاقنى فرط الخمار

فراع مودّتى و احفظ جوارى فإنّ اللّه أوصى بالجوار

و زرنى منعما من غير أمر و آنس موحشا من عقر دارى

فكتب إليه ابن زيدون: [الوافر]

هواى و إن تناءت عنك دارى كمثل هواى فى حال الجوار

مقيم لا تغيّره عواد تباعد بين أحيان المزار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۷

رأيتك قلت إنّ الهجر بدر متى خلت البدور من السرار

و رابك أننى جلد صبور و كم صبر يكون عن اصطبار

و لم أهجر لعتب، غير أنى أضرّت بى معاقرة العقار

و إنّ الخمر ليس لها خمار يبرّح بى فكيف مع الخمار

و هل أنسى لديك نعيم عيش كوشى الخدّ طرّز بالعذار

و ساعات يجول اللّهو فيها مجال الظل فى حدق النهار

و إن يك فرّ عنك اليوم جسمى فديت فما لقلبى من فرار

و كنت على البعاد أجلّ شىء لدىّ فكيف إذ أصبحت جارى

و كان أبو العطّاف إذ ورد إشبيلية رسولا قد سأله أن يريه شيئا من شعره، فمطله به، حتى كتب إليه شعرا يستبطئه، فأجابه ابن زيدون فى العروض و القافية: [المنسرح]

أفدتنى من نفائس الدّرر ما أبرزته غوائص الفكر

من لفظة قارنت نظائرها قران سقم الجفون للحور

و هى أكثر ممّا ذكر.

و كتب رحمه اللّه تعالى- أعنى ذا الوزارتين ابن زيدون- إلى ولّادة: [البسيط]

أضحى التّنائى بديلا من تدانينا و ناب عن طيب دنيانا تجافينا

ألّا و قد حان صبح الليل صبّحنا حين فقام بنا للحين ناعينا

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم حزنا مع الدهر لا يبلى و يبلينا

أنّ الزمان الذى ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ فقال الدهر آمينا

فانحلّ ما كان معقودا بأنفسنا و انبتّ ما كان موصولا بأيدينا

بالأمس كنّا و ما يخشى تفرّقنا و اليوم نحن و ما يرجى تلاقينا

يا ليت شعرى و لم نعتب أعاديكم هل نال حظّا من العتبى أعادينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۸

لم نعتقد بعدكم إلّا الوفاء لكم رأيا و لم نتقلّد غيره دينا

كنّا نرى اليأس تسلينا عوارضه و قد يئسنا فما لليأس يغرينا

بنتم و بنّا فما ابتلّت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفّت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لولا تأسّينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا و كانت بكم بيضا ليالينا

إذ جانب العيش طلق من تألّفنا و مورد اللهو صاف من تصافينا

و إذ هصرنا فنون الوصل دانية قطوفها فجنينا منه ماشينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلّا رياحينا

لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا إن طال ما غيّر النأى المحبّينا

و اللّه ما طلبت أهواؤنا بدلا منكم و لا انصرفت عنكم أمانينا

يا سارى البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى و الودّ يسقينا

و اسأل هنالك هل عنّى تذكّرنا إلفا تذكّره أمسى يعنّينا

و يا نسيم الصّبا بلّغ تحيّتنا من لو على البعد حيّا كان يحيينا

من لا يرى الدهر يقضينا مساعفة فيه و إن لم يكن عنّا يقاضينا

من بيت ملك كأنّ اللّه أنشأه مسكا و قد أنشأ اللّه الورى طينا

أو صاغه ورقا محضا و توّجه من ناصع التّبر إبداعا و تحسينا

إذا تأوّد آدته رفاهية توم العقود و أدمته البرى لينا

كانت له الشمس ظئرا فى تكلّله بل ما تجلّى لها إلّا أحايينا

كأنما أثبتت فى صحن وجنته زهر الكواكب تعويذا و تزيينا

ما ضرّ أن لم نكن أكفاءه شرفا و فى المودّة كاف من تكافينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۹۹

يا روضة طالما أجنت لواحظنا وردا جلاه الصّبا غضّا و نسرينا

و يا حياة تملّينا بزهرتها منى ضروبا و لذّات أفانينا

و يا نعيما خطرنا من غضارته فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا

لسنا نسقيك إجلالا و تكرمة و قدرك المعتلى عن ذاك يغنينا

إذا انفردت و ما شوركت فى صفة فحسبنا الوصف إيضاحا و تبيينا

يا جنّة الخلد أبدلنا بسلسلها و الكوثر العذب زقّوما و غسلينا

كأننا لم نبت و الوصل ثالثنا و السعد قد غضّ من أجفان و اشينا

سرّان فى خاطر الظّلماء تكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

لا غرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت عنه النّهى و تركنا الصبر ناسينا

إنّا قرأنا الأسى يوم النوى سورا مكتوبة و أخذنا الصبر تلقينا

أمّا هواك فلم نعدل بمشربه شربا و إن كان يروينا فيظمينا

لم نجف أفق جمال أنت كوكبه سالين عنه و لم نهجره قالينا

و لا اختيارا تجنّباك عن كثب لكن عدتنا على كره عوادينا

نأسى عليك إذا حثّت مشعشعة فينا الشّمول و غنّانا مغنينا

لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا سيما ارتياح و لا الأوتار تلهينا

دومى على العهد ما دمنا محافظة فالحرّ من دان إنصافا كما دينا

فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا و لا استفدنا حبيبا عنك يغنينا

و لو صبا نحونا من أفق مطلعه بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

أبلى وفاء و إن لم تبذلى صلة فالطيف يقنعنا و الذكر يكفينا

و فى الجواب متاع لو شفعت به بيض الأيادى التى ما زلت تولينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۰

عليك منى سلام اللّه ما بقيت صبابة بك نخفيها و تخفينا

و إنما ذكرت هذه القصيدة- مع طولها- لبراعتها؛ و لأن كثيرا من الناس لا يذكر جملتها، و يظنّ أنّ ما فى القلائد و غيرها منها هو جميعها، و ليس كذلك، فهى و إن اشتهرت بالمشرق و المغرب لم يذكر جملتها إلّا القليل، و قد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب، و لم يحضرنى منه الآن إلّا قوله فى المطلع: [البسيط]

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا و عن قطاف جنى الأعطاف تحمينا

تألّف كان يحيينا و يضنينا تفرّق عاث فى شمل المحبّينا

أضحى التنائى بديلا من تدانينا و ناب عن طيب دنيانا تجافينا

ما أحسن قوله فى هذا التسديس: [البسيط]

ما للأحبّة دانوا بالنوى و رأوا تعريض عهد اللقا بالبعد حين نأوا

رعاهم اللّه كانوا للعهود رعوا فغيّرتهم و شاة بالفساد سعوا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ فقال الدهر آمينا

و قد ذكرنا فى الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التى وطّأ فيها لنونية ابن زيدون هذه فلتراجع.

رجع: و قال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزّل: [مجزوء الرمل]

وضح الصبح المبين وجلا الشكّ اليقين

و رأى الأعداء ما غر رتهم منك الظنون

أمّلوا ما ليس يمنى و رجوا ما لا يكون

و تمنّوا أن يخون ال عبد مولى لا يخون

فإذا الغيب سليم و إذا العهد مصون

قل لمن دان بهجرى و هوانى إذ يدين

أرخص الحبّ فؤادى لك و العلق ثمين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۱

يا هلالا تتراءا ه نفوس لا عيون

عجبا للقلب يقسو منك و العطف يلين

ما الذى ضرّك لو سرّ بمرآك الحزين

و تلطّفت بصبّ حينه فيك يحين

فوجوه اللطف شتّى و المعاذير فنون

و قال أيضا: [الوافر]

إليك من الأنام غدا ارتياحى و أنت من الزمان مدى اقتراحى

و ما اعترضت هموم النّفس إلّا و من ذكراك ريحانى و راحى

فديتك، إنّ صبرى عنك صبرى، لدى عطشى عن الماء القراح

ولى أمل لو الواشون كفّوا لأطلع غرسه ثمر النّجاح

و أعجب كيف يغلبنى عدو رضاك عليه من أمضى سلاح

و لمّا أن جلتك لى اختلاسا أكفّ الدهر للحين المتاح

رأيت الشمس تطلع فى نقاب و غصن البان يرفل فى وشاح

فلو أسطيع طرت إليك شوقا و كيف يطير مقصوص الجناح

على حالى وصال و اجتناب و فى يومى دنوّ و انتزاح

و حسبى أن تطالعك الأمانى بأفقك فى مساء أو صباح

فؤادى من أسى بك غير خال و قلبى من هوى لك غير صاح

و أن تهدى السلام إلىّ شوقا و لو فى بعض أنفاس الرياح

و قال: [مجزوء الكامل]

كم ذا أريد و لا أراد؟ للّه ما لقى الفؤاد

أصفى الوداد إلى الذى لم يصف لى منه الوداد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۲

كيف السّلوّ عن الذى مثواه من قلبى السواد

يقضى علىّ دلاله فى كلّ حين أو يكاد

ملك القلوب بحسنه فلها إذا أمر انقياد

يا هاجرى كم أستفى د الصبر عنك فلا أفاد

أفلا رثيت لمن يبى ت و حشو مقلته السّهاد

إن أجن ذنبا فى الهوى خطأ فقد يكبو الجواد

كان الرضا و أعيذه أن يعقب الكون الفساد

و قال: [المجتث]

متى أنبّيك ما بى يا راحتى و عذابى

متى ينوب لسانى فى شرحه عن كتابى

اللّه يعلم أنى أصبحت فيك لما بى

فما يلذّ منامى و لا يسوغ شرابى

يا فتنة المتعزّى و حجّة المتصابى

الشمس أنت توارت عن ناظرى بالحجاب

ما النور شفّ سناه على رقيق السّحاب

إلّا كوجهك لمّا أضاء تحت النّقاب

و قال: [مجزوء الرمل]

هل لداعيك مجيب؟ أم لشاكيك طبيب

يا قريبا حين ينأى حاضرا حين يغيب

كيف يسلوك محبّ زانه منك حبيب

إنّما أنت نسيم تتلقّاه القلوب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۳

قد علمنا علم ظنّ هو لا شكّ مصيب

إنّ سرّ الحسن ممّا أضمرت تلك القلوب

و قال:

أنّى تضيّع عهدك؟ أم كيف تخلف وعدك

و قد رأتك الأمانى رضا فعلم تتعدّك

يا ليت شعرى و عندى ما ليس فى الحب عندك

هل طال ليلك بعدى كطول ليلى بعدك

سلنى حياتى أهبها فلست أملك ردّك

الدهر عبدى لمّا أصبحت فى الحبّ عبدك

و قال رحمه اللّه تعالى، و قد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنّى بها و استحسن ألحانها: [المتقارب]

يقصّر قربك ليلى الطويلا و يشفى وصالك قلبى العليلا

و إن عصفت منك ريح الصّدود فقدت نسيم الحياة البليلا

كما أننى إن أطلت العثار و لم يبد عذرى وجها جميلا

وجدت أبا القاسم الظّافر الم ؤيّد بالله مولى مقيلا

لأقلامه فعل أسيافه يظلّ الصّرير يبارى الصّليلا

و قال يهنّيه بالقدوم من السفر: [الرمل]

أيها الظافر أبشر بالظّفر و اجتل التأييد فى أبهى الصّور

و تفيّأ ظلّ سعد يجتنى فيه من غرس المنى أحلى الثمر

ورد النّجح فكم مستوحش شائق منك إلى أنس الصّدر

كان من قربك فى عيش ند عاطر الآصال وضّاح البكر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۴

فثوى دونك مثوى قلق يشتكى من ليله مطل السّحر

قل لساقينا يجد أكؤسه و لشادينا يطل قطع الوتر

و منها:

لى فيه المثل السائر فى جالب التّمر إلى أرض هجر

ثم قد وفّق عبد عظمت نعمة المولى عليه فشكر

لا عدا حظّك إقبال يرى قاضيا أبناءه كلّ وطر

و اصطبح كأس الرّضا من ملك سرت فى إرضائه أزكى السّير

حين صمّمت إلى أعدائه فانتحتهم منك صمّاء الغير

فاض غمر للندى من فوقهم كان يروى شربهم منه العمر

سبق الناس فصلّى سابق إذ رأى آثاره مثل الزّهر

و هى طويلة.

و قال رحمه اللّه تعالى: [الرمل]

لم يكن هجر حبيبى عن قلا لا و لا ذاك التّجنّى مللا

سرّه دعوى ادعائى ثم لم يدر ما غاية صبرى فابتلى

أنا راض بالذى يرضى به لى من لو قال مت ما قلت لا

مثل فى كلّ حسن مثل ما صار حالى فى هواه مثلا

يا فتيت المسك يا شمس الضحى يا قضيب البان يا ظبى الفلا

إن يكن لى أمل غير الرّضا منك لا بلّغت ذاك الأملا

و قال رحمه اللّه تعالى: [البسيط]

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا يا ليت غائب ذاك الوقت قد آبا

إذ نحن فى روضة للوصل أنعمها من السرور غمام فوقها صابا

إنى لأعجب من شوق يطالبنى فكلّما قيل فيه قد قضى ثابا

كم نظرة لك عندى قد علمت بها يوم الزيارة أنّ القلب قد ذابا

قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم فإن أكلّفه يوما سلوة يابى

و قال رحمه اللّه تعالى: [البسيط]

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى و استحدث القلب بعد العشق سلوانى

من حبّ جارية يبدو بها صنم من اللّجين عليها تاج عقيان

غريرة لم تفارقها تمائمها تسبى القلوب بساجى الطّرف وسنان

لأستجدّنّ فى عشقى لها زمنا يحيى سوالف أيامى و أزمانى

حتّى يكون لمن أحببت خاتمة نسخت فى حبّها كفرا بإيمان

و قال رحمه اللّه تعالى: [الخفيف]

أنت معنى الهوى و سرّ الدموع و سبيل الهوى و قصد الولوع

أنت و الشمس ضرّتان و لكن لك عند الغروب فضل الطّلوع

ليس يا مؤنسى نكلّفك العت ب دلالا من الرّضا الممنوع

إنما أنت و الحسود معنّى كوكب يستقيم بعد الرجوع

و قال رحمه اللّه تعالى: [مجزوء الكامل]

يا ليل، طل لا أشتهى إلا كعهدى قصرك

لو بات عندى قمرى ما بتّ أرعى قمرك

يا ليل، خبّر أننى ألتذّ عنه خبرك

بالله قل لى هل وفى؟ فقال: لا بل غدرك

و قال رحمه اللّه تعالى: [المتقارب]

لئن فاتنى منك حظّ النّظر لأكتفين بسماع الخبر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۶

و إن عرضت غفلة للرقيب فحسبى بتسليمة تختصر

أحاذر أن يتجنّى الوشاة و قد يستدام الهوى بالحذر

فأصبر مستيقنا أنه سيحظى بليل المنى من صبر

و قال أيضا رحمه اللّه تعالى: [مجزوء الرمل]

أيها البدر الذى يم لأ عينى من تأمّل

حمّل القلب تبارى ح التّجنّى فتحمّل

ثم لا تيأس فكم قد نيل أمر لم يؤمّل

و قال أيضا رحمه اللّه تعالى: [الطويل]

أجدّ و من أهواه فى الحبّ عابث و أوفى له بالعهد إذ هو ناكث

حبيب نأى عنّى مع القرب و الأسى مقيم له فى مضمر القلب ماكث

جفانى بألطاف العدا و أزاله عن الوصل رأى فى القطيعة حادث

تغيّرت عن عهدى و ما زلت واثقا بعهدك لكن غيّرتك الحوادث

و ما كنت إذ ملّكتك القلب عالما بأنى عن حتفى بكفّى باحث

ستبلى الليالى و الوداد بحاله مقيم و غضّ و هو للأرض وارث

فلو أننى أقسمت أنك قاتلى و أنى مقتول لما قيل حانث

و قال رحمه اللّه تعالى: [مجزوء الخفيف]

يا غزالا أصارنى موثقا فى يد المحن

إننى مذ هجرتنى لم أذق لذّة الوسن

ليت حظّى إشارة منك أو لحظة تعنّ

شافعى يا معذّبى فى الهوى وجهك الحسن

كنت خلوا من الهوى و أنا اليوم مرتهن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۷

كان سرّى مكتّما و هو الآن قد علن

ليس لى عنك مذهب فكما شئت لى فكن

و قال رحمه اللّه تعالى: [الوافر]

أ يوحش لى الزمان و أنت أنسى و يظلم لى النهار و أنت شمسى

و أغرس فى محبّتك الأمانى و أجنى الموت من ثمرات غرسى

لقد جازيت غدرا عن وفائى و بعت مودّتى ظلما ببخس

و لو أنّ الزمان أطاع حكمى فديتك من مكارهه بنفسى

و محاسن ابن زيدون كثيرة، و قد ذكرنا منها فى غير هذا المحلّ جملة.

و سألت جارية من جوارى الأندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته إيّاه، و هو: [البسيط]

يا معطشى من وصال كنت وارده هل منك لى غلّة إن صحت: و اعطشى

قال: و كانت الجارية المذكورة تتعشّق فتّى قرشيّا، و الوزير يعلم ذلك، و هى لا تعلم أنه يعلم، فقال: [البسيط]

كسوتنى من ثياب السّقم أسبغها ظلما و صيّرت من لحف الضّنى فرشى

أنّى بصرف الهوى عن مقلة كحلت بالسّحر منك و خدّ بالجمال وشى

لمّا بدا الصّدغ مسودّا بأحمره أرى التشاكل بين الروم و الحبش

أوفى إلى الخدّ ثم انصاع منعطفا كالعقربان انثنى من خوف محترش

لو شئت زرت و سلك الليل منتظم و الأفق يختال فى ثوب من الغبش

جفا إذا التذّت الأجفان طيب كرى جفنى المنام و صاح الليل: يا قرشى

هذا و إن تلفت نفسى فلا عجب قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

[البطليوسى و أولاد ابن الحاج]

و كان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة: رحمون، و عزّون، و حسون، فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب «شرح أدب الكاتب» و غيره و قال فيهم: [البسيط]

أخفيت سقمى حتى كاد يحفينى و همت فى حبّ عزّون فعزّونى

ثم ارحمونى برحمون و إن ظمئت نفسى إلى ريق حسّون فحسّونى

قال: ثم خاف على نفسه، فخرج عن قرطبة، و هو القائل: [الكامل]

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللّمى مستحسن بصدوده أفنانى

فى فيه سمطا جوهر يروى الظما لو علّنى ببروده أحيانى

و هذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى.

و قال أبو بكر محمد بن أحمد الأنصارى الإشبيلى المعروف بالأبيض، فى تهنئة بمولود، قال ابن دحية: و هذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى: [البسيط]

أصاخت الخيل آذانا لصرخته و اهتزّ كلّ هزبر عندما عطسا

تعشّق الدّرع مذ شدّت لفائفه و أبغض المهد لمّا أبصر الفرسا

تعلّم الركض أيام المخاض به فما امتطى الخيل إلّا و هو قد فرسا

و قال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرشّ الماء على خدّيه فتزداد حمرتهما:

[البسيط]

لقد نعمت بحمّام تطلّع فى أرجائه قمر و الحسن يكمله

أبصرته كلّما راقت محاسنه و نعمة الجسم و الأرداف تخجله

يرشّ بالماء خدّيه فقلت له صف لى لما أحمر الياقوت تصقله

فقال طرفى سفّاك بصارمه دماء قوم على خدّى فأغسله

و قال أيضا: [مجزوء الرمل]

أوقد النار بقلبى ثم هبّت ريح صدّه

فشرار النار طارت فانطفت فى ماء خدّه

و هو تخييل عجيب.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۰۹

و قال ابن الحنّاط المكفوف الأندلسى فى المعنى المشهور: [الكامل]

لم يخل من نوب الزمان أديب كلّا فشأن النائبات عجيب

و غضارة الأيام تأبى أن يرى فيها لأبناء الذكاء نصيب

و كذاك من صحب الليالى طالبا جدّا و فهما فاته المطلوب

[من ملح ابن الزقاق]

و كان ابن الزّقاق الأندلسى الشاعر المشهور- و قد تكرّر ذكره فى هذا الكتاب مرات كثيرة- يسهر فى الليل، و يشتغل بالأدب، و كان أبوه فقيرا جدا، فلامه، و قال له: نحن فقراء، و لا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه، فاتّفق أن برع فى الأدب و العلم و نظم الشعر، فقال فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أوّلها: [السريع]

يا شمس خدر ما لها مغرب أرامة خدرك أم يثرب

ذهبت فاستعبر طرفى دما مفضّض الدّمع به مذهب

و منها:

ناشدتك اللّه نسيم الصّبا أنّى استقرّت بعدنا زينب

لم نسر إلّا بشذا عرفها أو لا فماذا النّفس الطّيّب

إيه و إن عذّبنى حبّها فمن عذاب النّفس ما يعذب

فأطلق له ثلاثمائة دينار، فجاء بها إلى أبيه و هو جالس فى حانوته مكبّ على صنعته، فوضعها فى حجره، و قال: خذها فاشتر بها زيتا.

و قال رحمه اللّه تعالى فى غلام يرمى حجرا فشدخ وجهه: [المتقارب]

و أحوى رمى عن قسىّ الحور سهاما يفوّقهنّ النظر

يقولون وجنته قسّمت و رسم محاسنه قد دثر

و ما شقّ وجنته عابثا و لكنّها آية للبشر

جلاها لنا اللّه كيما نرى بها كيف كان انشقاق القمر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۰

و قال أيضا: [الكامل]

بأبى و غير أبى أغنّ مهفهف مهضوم ما خلف الوشاح خميصه

لبس السواد و مزّقته جفونه فأتى كيوسف حين قدّ قميصه

و قال أيضا: [الطويل]

سقتنى بيمناها و فيها فلم أزل يجاذبنى من ذا و من هذه سكر

ترشّفت فاها إذ ترشّفت كأسها فلا و الهوى لم أدر أيّهما الخمر

و قال: [البسيط]

رقّ النسيم وراق الروض بالزّهر فتبّه الكأس و الإبريق بالوتر

ما العيش إلّا اصطباح الراح أو شنب يغنى عن الراح من سلسال ذى أشر

قل للكواعب غضّى للكرى مقلا فأعين الزّهر أولى منك بالسّهر

و للصباح ألا فانشر رداء سنا هذا الدّجى قد طوته راحة السّحر

و قام بالقهوة الصهباء ذو هيف يكاد معطفه ينقدّ بالنّظر

يطفو عليها إذا ما شجّها درر تخالها اختلست من ثغره الخصر

و الكأس من كفّه بالراح محدقة كهالة أحدقت فى الأفق بالقمر

و قال: [الطويل]

تضوّعن أنفاسا و أشرقن أوجها فهنّ منيرات الصباح بواسم

لئن كنّ زهرا فالجوانح أبرج و إن كنّ زهرا فالقلوب كمائم

و هو من بديع التقسيم.

[من ملح السميسر و لابن رزين و لسلطان بلنسية]

و قال السميسر: [الوافر]

تحفّظ من ثيابك ثم صنها و إلّا سوف تلبسها حدادا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۱

و ميّز فى زمانك كلّ حبر و ناظر أهله تسد العبادا

و ظنّ بسائر الأجناس خيرا و أمّا جنس آدم فالبعادا

أرادونى بجمعهم فردّوا على الأعقاب قد نكصوا فرادى

و عادوا بعد ذا إخوان صدق كبعض عقارب رجعت جرادا

و قال ابن رزين، و هو من رجال الذخيرة: [مجزوء الكامل]

لأسرّحنّ نواظرى فى ذلك الروض النضير

و لآكلنّك بالمنى و لأشربنّك بالضمير

و قال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد اللّه بن عبد العزيز: [الطويل]

و لا غرو بعدى أن يسوّد معشر فيضحى لهم يوم و ليس لهم أمس

كذاك نجوم الجوّ تبدو زواهرا إذا ما توارت فى مغاربها الشمس

[من ملح البطليوسى المتلمس و لابن غالب و لابن فرج السميسر]

و تحاكم إلى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لأحدهما وفرة شقراء، و للآخر سوداء: أيهما أحسن؟ و المتلمس المذكور هو صاحب كتاب «الأحكام، فيما لا يستغنى عنه الحكام» فقال: [البسيط]

و شادنين ألمّا بى على مقة تنازعا الحسن فى غايات مستبق

كأنّ لمّة ذا من نرجس خلقت على بهار و ذا مسك على ورق

و حكّما الصّبّ فى التفضيل بينهما و لم يخافا عليه رشوة الحدق

فقام يدلى إليه الرّيم حجّته مبيّنا بلسان منه منطلق

فقال: وجهى بدر يستضاء به و لون شعرى مصبوغ من الغسق

و كحل عينى سحر للنّهى و كذا و السحر أحسن ما يعزى إلى الحدق

فقال صاحبه: أحسنت وصفك ل كن فاستمع لمقال فىّ متّفق

أنا على أفقى شمس النهار، و لم تغرب و شقرة شعرى حمرة الشفق

و فضل ما عيب فى عينىّ من زرق أنّ الأسنّة قد تعزى إلى الزّرق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۲

قضيت للّمّة الشقراء حيث حكت نورا كذا حبّها يقضى على رمقى

فقام ذو اللّمّة السوداء يرشقنى سهام أجفانه من شدّة الحنق

و قال جرت فقلت الجور منك على قلبى و لى شاهد من دمعى الغدق

فقلت عفوك إذ أصبحت متّهما فقال دونك هذا الحبل فاختنق

و قال أبو محمد عبد اللّه بن غالب: [الكامل]

و مهفهف خنث الجفون كأنما من أرجل النمل استفاد عذارا

فتخاله ليلا إذا استقبلته و تخال ما يجرى عليه نهارا

و قال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدّم: [المجتث]

الناس مثل حباب و الدّهر لجّة ماء

فعالم فى طفوّ و عالم فى انطفاء

[من ملح ابن برد و لابن عبدون و لأبى الفضل بن حسداى]

و قال أحمد بن برد الأندلسى فى النرجس، و هو البهار عند الأندلسيين، و يسمّى العبهر:

[الطويل]

تنبّه فقد شقّ البهار مغلّسا كمائمه عن نوره الخضل النّدى

مداهن تبر فى أنامل فضّة على أذرع مخروطة من زبرجد

و قال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزله بها المتوكل بن الأفطس و سقفها قديم، فهطل عليه المطر منه: [الطويل]

أيا ساميا من جانبيه إلى العلا (سموّ حباب الماء حالا إلى حال)

لعبدك دار حلّ فيها كأنها (ديار لسلمى عافيات بذى الخال)

يقول لها لمّا رأى من دثورها (ألا عم صباحا أيها الطلل البالى)

فقالت و لم تعبأ بردّ جوابه (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)

فمر صاحب الإنزال فيها بفاصل (فإنّ الفتى يهذى و ليس بفعّال)

قيل: و هو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس، و قد أولع الناس بعده بتضمينها.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۳

و قال أبو الفضل بن حسداى، و كان يهوديّا فأسلم، و يقال: إنه من ولد موسى على نبيّنا و عليه و على سائر الأنبياء الصلاة و السلام:

[البسيط]

توريد خدّك للأحداق لذّات عليه من عنبر الأصداغ لامات

نيران هجرك للعشّاق نار لظى لكن وصالك إن واصلت جنّات

كأنما الراح و الراحات تحملها بدور تمّ و أيدى الشّرب هالات

حشاشة ما تركنا الماء يقتلها إلّا لتحيا بها منّا حشاشات

قد كان من قبلها فى كأسها ثقل فخفّ إذ ملئت منها الزجاجات

و قد تبارى المشارقة و المغاربة من المتقدّمين و المتأخّرين فى هذا الوزن و القافية، و لو لا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية.

[بين ابن عبد ربه و يحيى القلفاط]

و من سرعة جواب أهل الأندلس أنّ ابن عبد ربه كان صديقا لأبى محمد يحيى القلفاط الشاعر، ففسد ما بينهما بسبب أنّ ابن عبد ربه صاحب العقد مرّ به يوما و كان فى مشيه اضطراب، فقال: أبا عمر ما علمت أنك آدر إلّا اليوم لمّا رأيت مشيك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد، فعزّ على القلفاط كلامه، و قال له: أ تتعرّض للحرم؟ و اللّه لأرينّك كيف الهجاء، ثم صنع فيه قصيدة أوّلها: [البسيط]

يا عرس أحمد، أنى مزمع سفرا فودّعينى سرّا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك. و كان القلفاط يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية، و يسمّى كتاب «العقد» حبل الثوم، فاتّفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلفاط: كيف حالك اليوم مع أبى عمر؟ فقال مرتجلا: [السريع]

حال طلاس لى عن رائه و كنت فى قعدد أبنائه

فبدر ابن عبد ربه و قال: [السريع]

إن كنت فى قعدد أبنائه فقد سقى أمّك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا. و عاش ابن عبد ربه ۸۲ سنة، رحمه اللّه تعالى!

[من مروءة ابن جبير الرحالة]

و من الحكايات فى مروءة أهل الأندلس ما ذكره صاحب «الملتمس» فى ترجمة الكاتب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۴

الأديب الشهير أبى الحسين بن جبير صاحب الرحلة، و قد قدّمنا ترجمته فى الباب الخامس من هذا الكتاب، و ذكرنا هنالك أنه كان من أهل المروءات عاشقا فى قضاء الحوائج و السعى فى حقوق الإخوان، و أنشدنا هنالك قوله:

يحسب الناس بأنى متعب

إلى آخره.

و قد ذكر ذلك كلّه صاحب «الملتمس» ثم قال- أعنى صاحب الملتمس-:

و من أغرب ما يحكى أنى كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضى غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس، فجعلته- يعنى ابن جبير- الواسطة حتى تيسّر ذلك، فلم يوفّق اللّه ما بينى و بين الزوجة، فجئته و شكوت له ذلك، فقال: أنا ما كان القصد لى فى اجتماعكما، و لكن سعيت جهدى فى غرضك، وها أنا أسعى أيضا فى افتراقكا، إذ هو من غرضك، و خرج فى الحين ففصل القضية، و لم أر فى وجهه أولا- و لا آخرا عنوانا لامتنان و لا تصعيب، ثم إنه طرق بابى، ففتحت له، و دخل و فى يده محفظة فيها مائة دينار

مؤمنية، ثم قال: يا ابن أخى، اعلم أنى كنت السبب فى هذه القضية، و لم أشكّ أنك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذى وجدته الآن عند عمّك، فباللّه إلّا ما سررتنى بقبوله، فقلت له: أنا ما أستحيى منك فى هذا الأمر، و اللّه إن أخذت هذا المال لأتلفنّه فيما أتلفت فيه مال والدى من أمور الشباب، و لا يحلّ لك أن تمكننى منه بعد أن شرحت لك أمرى، فتبسّم و قال: لقد احتلت فى الخروج عن المنّة بحيلة، و انصرف بماله، انتهى.

[من شعر أبى عمران المارتلى الزاهد]

ثم قال صاحب «الملتمس»: و تذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبى عمران المارتلى، فقال:

صحبته مدّة فما رأيت مثله، و أنشدنى شعرين ما نسيتهما، و لا أنساهما ما استطعت، فالأول قوله: [المتقارب]

إلى كم أقول فلا أفعل و كم ذا أحوم و لا أنزل

و أزجر عينى فلا ترعوى و أنصح نفسى فلا تقبل

و كم ذا تعلّل لى ويحها بعلّ و سوف و كم تمطل

و كم ذا أؤمّل طول البقا و أغفل و الموت لا يغفل

و فى كلّ يوم ينادى بنا منادى الرحيل ألا فارحلوا

أمن بعد سبعين أرجو البقا و سبع أتت بعدها تعجل

كأن بى وشيكا إلى مصرعى يساق بنعشى و لا أمهل

فيا ليت شعرى بعد السؤال و طول المقام لما أنقل

و الثانى قوله: [مجزوء الكامل]

اسمع أخىّ نصيحتى و النّصح من محض الديانه

لا تقربنّ إلى الشها دة و الوساطة و الأمانه

تسلم من ان تعزى لزو ر أو فضول أو خيانه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۱۱۵

ل: فقلت له: أراك لم تعمل بوصيّته فى الوساطة، فقال: ما ساعدتنى رقة وجهى على ذلك، انتهى.

[من شعر أبى الصلب أمية بن عبد العزيز]

رجع إلى نظم الأندلسيين:

و قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز: [المنسرح]

أفضل ما استصحب النبيل فلا تعدل به فى المقام و السّفر

جرم إذا ما التمست قيمته جلّ عن التّبر و هو من صفر

مختصر و هو إذ تفتّشه عن ملح العلم غير مختصر

ذو مقلة تستبين ما رمقت عن صائب اللحظ صادق الخبر

تحمله و هو حامل فلكا لو لم يدر بالبنان لم يدر

مسكنه الأرض و هو ينبئنا عن كلّ ما فى السماء من خبر

أبدعه ربّ فكرة بعدت فى اللطف عن أن تقاس بالفكر

فاستوجب الشكر و الثناء به من كلّ ذى فطنة من البشر

فهو لذى اللّبّ شاهد عجب على اختلاف العقول و الصّور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۶

قلت: و هى من أحسن ما سمعت فى الاصطرلاب.

و أمر رحمه اللّه تعالى أن يكتب على قبره: [الطويل]

سكنتك يا دار الفناء مصدّقا بأنى إلى دار البقاء أصير

و أعظم ما فى الأمر أنى صائر إلى عادل فى الحكم ليس يجور

فيا ليت شعرى كيف ألقاه عندها و زادى قليل و الذنوب كثير

فإن أكّ مجزيّا بذنبى فإننى بشرّ عقاب المذنبين جدير

و إن يكّ عفو من غنىّ و مفضل فثمّ نعيم دائم و سرور

[من شعر ابن خفاجة]

و قال ابن خفاجة، و هو مما أورده له صاحب الذخيرة: [الطويل]

لقد زار من أهوى على غير موعد فعاينت بدر التّمّ ذاك التلاقيا

و عاتبته و العتب يحلو حديثه و قد بلغت روحى لديه التراقيا

فلمّا اجتمعنا قلت من فرحى به من الشّعر بيتا و الدموع سواقيا

(و قد يجمع اللّه الشتيتين بعدما يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا)

[من مجون أهل الأندلس]

و من مجون الأندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد اللّه بن الأزرق، و هى:

[الرجز]

عم باتّصال الزمن و لا تبالى بمن

و هو يواسى بالرضا من سمج أو حسن

أو من عجوز تحتظى و الظهر منها منحنى

أو من مليح مسعد موافق فى الزمن

مهما تبدّى خدّه يبدو لكّ الورد الجنى

و الغصن فى أثوابه إذا تمشّى ينثنى

لا أمّ لى لا أمّ لى إن لم أبرّد شجنى

و أخلعنّ فى المجو ن و التصابى رسنى

و أجعل الصبر على هجر الملاح ديدنى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۷

يا عاذلى فى مذهبى أرداك شرب اللّبن

أعطيت فى البطن سنا نا إن تخالف سننى

أىّ فتى خالفنى يوما و لمّا يلقنى

فإننى لناصح و إننى و إننى

فلا تكن لى لاحيا و فى الأمور استفتنى

فلم أزل أعرب عن نصحى لمن لم يلحنى

و إن تسفّه نظرى و مذهبى و تنهنى

فالصفع تستوجبه نعم و نتف الذّقن

و الزبل فى وجهك يع لو باتّصال الزمن

و بعد هذا أشتفى منك و يبرا شجنى

و أضرب الكفّ أما م ذلك الوجه الدنى

طقطق طق طقطق طق أصخ بسمع الأذن

قحقح قح قحقح قح الضحك يغلبنّنى

قد كان أولى بك عن هذى المخازى تنثنى

النّفى تستوجبه لواسط أو عدن

عرضت بالنفس كذا إلى ارتكاب المحن

أفدى صديقا كان لى بنفسه يسعدنى

فتارة أنصحه و تارة ينصحنى

و تارة ألعنه و تارة يلعننى

و ربّما أصفعه و ربما يصفعنى

أستغفر اللّه فه ذا القول لا يعجبنى

يا ليت هذا كلّه فيما مضى لم يكن

أضحكت و اللّه بذا ال حديث من يسمعنى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۸

دهر تولّى و انقضى عنّى كطيف الوسن

يا ليتنى لم أره و ليته لم يرنى

دنّست فيه جانبى و ملبسى بالدّرن

و بعت فيه عيشتى لكن ببخس الثمن

كأننى و لست أد رى الآن ما كأننى

و اللّه ما التشبيه عن د شاعر بهيّن

لكنه أنطقنى بالقول ضيق العطن

وا حسرتى وا أسفى زلت و ضاعت فطنى

لو أنصف الدهر لما أخرجنى من وطنى

و ليس لى من جنّة و ليس لى من مسكن

أسرّح الطّرف و ما لى دمنة فى الدمن

و ليس لى من فرس و ليس لى من سكن

يا ليت شعرى و عسى يا ليت أن تنفعنى

هل أمتطى يوما إلى ال شرق ظهور السّفن

و أجتلى ما شئته فى المنزل المؤتمن

حينئذ أخلع فى هذى القوافى رسنى

و تحسن الفكرة بال عدوس و السمنسنى

و اللحم مع شحم و مع طوابق الكبش الثنى

و البيض فى المقلاة بالز يت اللذيذ الدهن

و جلدة الفروج مش ويّا كثير السمن

من منقذى أفديه من ذا الجوع و التمسكن

و علة قد استوى فيها الفقير و الغنى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۱۹

هل للثريد عودة إلىّ قد شوقنى

تغوص فيه أنملى غوص الأكول المحسن

و لى إلى الأسفنج شو ق دائم يطربنى

و للأرزّ الفضل إذ تطبخه باللبن

و للشواء و الرقا ق من هيام أنثنى

و اسكت عن الجبن فإنّ بنته يذهلنى

ظاهرها كالورد أو باطنها كالسوسن

أىّ امرئ أبصرها يوما و لم يفتتن

تهيم فيها فكر الأس تاذ و المؤذن

لو كان عندى معدن لبعت فيها معدنى

لكننى عزمت أن أبيع كمّ البدن

و الكمّ قد أكسبه بعد و لا يكسبنى

لا تنسبوا لى سفها فالجوع قد أرشدنى

و هات ذكر الكسكسو فهو شريف وسنى

لا سيما إن كان مص نوعا بفتل حسن

أرفع منه كورا بهنّ تدوى أذنى

و إن ذكرت غير ذا أطعمة فى الوطن

فابدأ من المثوّما ت بالجبنّ الممكن

من فوقها الفرّوج قد أنهى فى التسمّن

و ثنّ بالعصيدة ال تى بها تطربنى

لا سيما إن صنعت على يدى ممركن

كذلك البلياط بالز يت الذى يقنعنى

تطبخه حتى يرى يحمرّ فى التّلوّن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۰

و الزبزبنّ فى الصحا ف حسب أهل البطن

فاسمع قضايا ناصح يأتى بنصح بيّن

من اقتنى النقى منى فهو نعم المقتنى

و إنّ فى شاشية ال فقير أنسا للغنى

تبعدنى عن وصلها عن وصلها تبعدنى

تؤنسنى عن اللقا عن اللقا تؤنسنى

فأضلعى إن ذكرت تهفو كمثل الغصن

كم رمت تقريبا لها لكنه لم يهن

و صدّنى عن ذاك ق لة الوفا بالثمن

إيه خليلى هذه مطاعم لكننى

أعجب من ريقك إذ يسيل فوق الذقن

هل نلت منها شبعا؟ فذكرها أشبعنى

و إن تكن جوعان يا صاح فكل بالأذن

فليس عند شاعر غير كلام الألسن

يصوّر الأشياء و ه ى أبدا لم تكن

فقوله يريك ما ليس يرى بالممكن

فاسمح و سامح و اقتنع و اطوحشاك و اسكن

و لننصرف فقصدنا إطراف هذا الموطن

و قال ابن خفاجة رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب و مجالس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۱

و تزهّدوا حتى أصابوا فرصة فى أخذ مال مساجد و كنائس

و هذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا.

[من شعر ابن الأبار و ترجمة ابن الأبار]

و قال- فيما أظن- الفقيه الكاتب المحدّث الأديب الشهير أبو عبد اللّه محمد بن الأبار القضاعى، و قد تكرّر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع: [الطويل]

لقد غضبت حتى على السّمط نخوة فلم تتقلّد غير مبسمها سمطا

و أنكرت الشّيب الملمّ بلمّتى و من عرف الأيام لم ينكر الوخطا

و قال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقّه: كاتب مشهور، و شاعر مذكور، كتب عن ولاة بلنسية، و ورد رسولا حين أخذ النصارى بمخنّق تلك الجهات، و أنشد قصيدته السينية:

[البسيط]

أدرك بخيلك خيل اللّه أندلسا إنّ السبيل إلى منجاتها درسا

و عارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ و محروم، و أغرى الناس بحفظها إغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم، إلّا أنّ أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة، فقلصت عنه تلك النعمة، و أخر عن تلك العناية، و ارتحل إلى بجاية، و هو الآن بها عاطل من الرّتب، خال من حلى الأدب، مشتغل بالتصنيف فى فنونه، متنفّل منه بواجبه و مسنونه، و لى معه مجالسات آنق من الشباب، و أبهج من الروض عند نزول السحاب، و مما أنشدنيه من شعره:

[الكامل]

يا حبّذا بحديقة دولاب سكنت إلى حركاته الألباب

غنّى و لم يطرب و سقّى و هو لم يشرب و منه العود و الأكواب

لو يدّعى لطف الهواء أو الهوى ما كنت فى تصديقه أرتاب

و كأنه ممّا شدا مستهزئ و كأنه ممّا بكى ندّاب

و كأنه بنثاره و مداره فلك كواكبه لها أذناب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۲

[لجماعة من شعراء الأندلس]

و قال أبو المعالى القيجاطى: [السريع]

فقلت يا ربعهم أين من أحببته فيك و أين النديم

فقال عهد قد غدا شمله كمثل ما ينثر درّ نظيم

و قال أبو عمرو بن الحكم القبطلى، و قبطلة: من أعمال وادى إشبيلية: [مخلع البسيط]

كم أقطع الدهر بالمطال؟ ساءت و حقّ الإله حالى

رحلت أبغى بكم نجاحا فلم تفيدوا سوى ارتحالى

وعدتم ألف ألف وعد لكننى عدت بالمحال

و قال أبو عمران القلعى: [الوافر]

طلعت علىّ و الأحوال سود كما طلع الصباح على الظلام

فقل لى كيف لا أوليك شعرى و إخلاص التحيّة و السلام

و قال أبو إسحاق إبراهيم بن أيوب المرسى: [مجزوء الرمل]

أنا سكران و لكن من هوى ذاك الفلانى

كلّما رمت سلوّا لم يزل بين عيانى

و قال: [الوافر]

حبيبى ما لصبّك من مراد سوى أن لا تدوم على البعاد

و إن كان ابتعادك بعد هذا مقيما فالسلام على فؤادى

قال ابن سعيد: و كان المذكور إذا غنى هذه الأشعار اللطيفة على الأوتار، لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار، مع أخلاق كريمة، و آداب كانسكاب الدّيمة، انتهى.

و قال ابن سعيد: فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى، كاتب ابن هود، القائل:

لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۳

إلخ: [مجزوء الرمل]

يا ابن عمار لقد أح ييت لى ذاك السّميّا

فى حلى نظم و نثر علّقا فى مسمعيّا

و لقد حزت مكانا من ذرى الملك عليّا

مثل ما قد حاز لكن عش بنعماك هنيّا

و قال أبو بكر عبد اللّه بن عبد العزيز الإشبيلى المعروف بابن صاحب الرد: [السريع]

يا أبدع الخلق بلا مرية وجهك فيه فتنة الناظرين

لا سيما إذ نلتقى خطرة فيغلب الورد على الياسمين

طوبى لمن قد زرته خاليا فمتّع النفس و لو بعد حين

من ذلك الثغر الذى ورده ما زال فيه لذة الشاربين

و ما حوى ذاك الإزار الذى لم يعد عنه أمل الزائرين

و هذه الأبيات يقولها فى غلام كان أدباء إشبيلية قد فتنوا به، و كان مروره على داره.

و حكى عنه أنه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا، و مرّت أيام ثم صادفه عند داره، فقال له: أ تريد أن أزورك ثانية؟ فقال له: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، و هذا الجواب- على ما فيه من قلة الأدب، و هتك حجاب الشريعة- من أشدّ الأجوبة إصابة للغرض، و اللّه تعالى يسمح له، فقد قال ابن سعيد فى حقّه: إن بيته بإشبيلية من أجلّ البيوت، و لم يزل له مع تقلّب الزمان ظهور و خفوت، و كان أديبا شاعرا ذوّاقا لأطراف العلوم، انتهى.

[أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير]

و من المشهورين بالمجون و الخلاعة بالأندلس- مع البلاغة و البراعة- أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب، و هو من بيت مشهور من جزيرة شقر، من عمل بلنسية، و كتب عن ولاة من بنى عبد المؤمن، ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلّب على الأندلس، و ربما استوزره فى بعض الأحيان. و قال ابن سعيد: و هو ممّن كان والدى يكثر مجالسته، و لم أستفد منه إلّا ما كنت أحفظه فى مجالسته، و كان شديد التهوّر، كثير الطيش، ذاهبا بنفسه كلّ مذهب، سمعته مرّة و هو فى محفل يقول: تقيمون القيامة لحبيب و البحترى و المتنبى،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۴

و فى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه؟ فأهوى له شخص له قحة و إقدام، فقال: يا أبا جعفر، فأرنا برهان ذلك، ما أظنك تعنى إلّا نفسك، فقال: نعم، و لم لا؟ و أنا الذى أقول ما لم يتنبّه إليه متقدّم، و لا يهتدى لمثله متأخّر: [السريع]

يا هل ترى أظرف من يومنا قلّد جيد الأفق طوق العقيق

و أنطق الورق بعيدانها مرقصة كلّ قضيب وريق

و الشمس لا تشرب خمر الندى فى الأرض إلّا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان، و ردّوه فى الغيظ إلى أضيق مكان، فقلت له: يا سيدى، هذا هو السحر الحلال، فباللّه إلّا ما زدتنى من هذا النمط، فقال: [الوافر]

أدرها فالسماء بدت عروسا مضمّخة الملابس بالغوالى

و خدّ الروض حمّره أصيل و جفن النهر كحّل بالظّلال

و جيد الغصن يشرق فى لآل تضىء بهنّ أكناف الليالى

فقلت: زد وعد، فعاد و الارتياح قد ملك عطفه، و التّيه قد رفع أنفه، فقال: [السريع]

للّه نهر عندما زرته عاين طرفى منه سحرا حلال

إذ أصبح الطّلّ به ليلة و جال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت: زد، فأنشد: [الوافر]

و لمّا ماج بحر الليل بينى و بينكم و قد جدّدت ذكرا

أراد لقاءكم إنسان عينى فمدّ له المنام عليه جسرا

فقلت: إيه، فقال: [الوافر]

و لمّا أن رأى إنسان عينى بصحن الخدّ منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسرا كما مدّ الظلام على الضياء

فقلت: أعد، فأعاد، و قال: حسبك لئلّا تكثر عليك المعانى، فلا تقوم بحقّ قيمتها، و أنشد: [الكامل]

هات المدام إذا رأيت شبيهها فى الأفق يا فردا بغير شبيه

فالصبح قد ذبح الظلام بنصله فغدت تخاصمه الحمائم فيه

ثم قال: و كان قد تهتّك فى غلام لابن هود، و لكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج، و فيه يقول: [الوافر]

ألفت الحرب حتى علّمتنى مقارعة الحوادث و الخطوب

و لم أك عالما و أبيك حربا بغير لواحظ الرشأ الرّبيب

فها أنا بين تلك و بين هذى مصاب من عدوّ أو حبيب

و لمّا هرب العلج إلى سبتة أحسن إليه القائم بها أبو العباس الينشتى فلم يقنع بذلك الإحسان، و كان يأتى بما يوغر صدره، فقال يوما فى مجلسه: رميت مرة بقوس، فبلغ السهم إلى كذا، فقال ابن طلحة لشخص بجانبه: لو كان قوس قزح ما بلغ إلى كذا، فشعر بقوله، فأسرّها فى نفسه، ثم بلغه أنه هجاه بقوله: [الوافر]

سمعنا بالموفّق فارتحلنا و شافعنا له حسب و علم

و رمت يدا أقبّلها و أخرى أعيش بفضلها أبدا و أسمو

فأنشدنا لسان الحال فيه يد شلا و أمر لا يتمّ

فزاد فى حنقه، و بقى مترصدا له الغوائل، فحفظت عنه أبيات قالها و هو فى حالة استهتار فى شهر رمضان، و هى: [الوافر]

يقول أخو الفضول و قد رآنا على الإيمان يغلبنا المجون

أ تنتهكون شهر الصوم هلّا حماه منكم عقل و دين

فقلت اصحب سوانا، نحن قوم زنادقة مذاهبنا فنون

تدين بكل دين غير دين الرّع اع فما به أبدا ندين

بحيّ على الصّبوح الدّهر ندعو و إبليس يقول لنا أمين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۶

فيا شهر الصيام إليك عنّا إليك ففيك أكفر ما نكون

فأرسل إليه من هجم عليه و هو على هذه الحال، و أظهر أنه يرضى العامة بقتله، فقتله، و ذلك سنة ۶۳۱، انتهى. و حاكى الكفر ليس بكافر، و اللّه سبحانه و تعالى للزلات غير الكفر غافر.

[عود إلى ملح أهل الأندلس]

و قال محمد بن أحمد الإشبيلى بن البناء: [الطويل]

كأنك من جنس الكواكب كنت لم يفتك طلوعا حالها و تواريا

تجلّيت من شرق تروق تلألؤا فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

و لمّا أمر المستنصر الموحّدى بضرب ابن غالب الدانى ألف سوط و صلبه، و ضرب بإشبيلية خمسمائة، فمات، و ضرب بقية الألف حتى تناثر لحمه، ثم صلب، قال ابنه أبو الربيع يرثيه: [البسيط]

جهلا لمثلك أن يبكى لما قدرا و أن يقول أسى: يا ليته قبرا

فاضت دموعك أن قاموا بأعظمه و قد تطاير عنه اللحم و انتثرا

و منها:

ضاقت به الأرض ممّا كان حمّلها من الأيادى فملّت شلوه شلوه ضجرا

و عزّ جسمك أن يحظى به كفن فما تسربل إلّا الشمس و القمرا

و قال أبو العلاء عبد الحق المرسى رحمه اللّه تعالى: [الرمل]

يا أبا عمران دعنى و الذى لم يمل بى خاطرى إلّا إليه

ما نديمى غير من يخدمنى لا الذى يجلسنى بين يديه

يرفع الكلفة عنّى و يرى أنها واجبة منّى عليه

و قال ابن غالب الكاتب بمالقة: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۷

لا تخش قولا قد عقدت الألسنا و ابعث خيالك قد سحرت الأعينا

و اعطف علىّ فإنّ روحى زاهق و انظر إلىّ بنظرة إن أمكنا

لا يخدعنّك أن ترانى لابسا ثوبى فقد أصبحت فيه مكفّنا

ما زال سحرك يستميل خواطرى بأرقّ من ماء الصفاء و ألينا

حتى غدوت ببحر حبّ زاخر فرمت بى الأمواج فى شطّ الضّنا

و قال: [الكامل]

ما للنسيم لدى الأصيل عليلا أ تراه يشكو زفرة و غليلا

جرّ الذّيول على ديار أحبّتى فأتى يجرّ من السّقام ذيولا

و قال أبو عبد اللّه بن عسكر الغسانى قاضى مالقة: [السريع]

أهواك يا بدر و أهوى الذى يعذلنى فيك و أهوى الرقيب

و الجار و الدار و من حلّها و كلّ من مرّ بها من قريب

ما إن تنصّرت و لكنّنى أقول بالتثليث قولا غريب

يطابق الألحان و الكاس إذ تبسم عجبا و الغزال الربيب

[أبو أمية بن عفيرة قاضى إشبيلية]

و كان أبو أمية بن عفير قاضى إشبيلية- مع براعته، و تقدّمه فى العلوم الشرعية- أقوى الناس بالعلوم الأدبية المرعية، و قد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال، و عدم المناظر له فى ذلك المجال، قال ابن سعيد: رأيته كثيرا ما يصنع القصائد و المقطّعات، و هو يتحدّث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الأوقات، و من شعره: [مخلع البسيط]

ديارهم صاح نصب عينى و ليس لى وصلة إليها

إلّا سلامى لدى ابتعاد من بعد سكّانها عليها

و قوله رحمه اللّه تعالى: [الوافر]

و وجه تغرق الأبصار فيه و لكن يترك الأرواح هيما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۸

أتانى ثم حيّانى حبيب به و أباحنى الخدّ الرّقيما

فمرّ لنا مجون فى فنون سلكت به الصراط المستقيما

قلت: أما مجرّد الارتجال فأمر عن الكثير صادر، و أما كونه مع التحدّث أو فصل الخصومات فهو نادر، و قد حكينا منها فى هذا الكتاب من القسم الأول موارد و مصادر.

[على بن ظافر و يعقوب]

و يعجبنى من الواقع لأهل المشرق من ذلك قضية على بن ظافر، إذ قال: بتّ ليلة و الشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين فى منزل اعترفت له مشيّدات القصور، بالانخفاض و القصور، و شهدت له ساميات البروج، بالاعتلاء، و العروج، قد ابيضّت حيطانه، و طاب استيطانه، و ابتهج به سكانه و قطّانه، و البدر قد محا خضاب الظّلماء، محياه فى زرقة قناع السماء، و كسا الجدران ثيابا من فضّة، و نثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه و رضّه، و الروض قد ابتسم محيّاه، و وشت بأسرار محاسنه ريّاه، و النسيم قد عانق قامات الأغصان فميّلها، و غصبها مباسم نورها فقبّلها، و عندنا مغنّ قد وقع على تفضيله الإجماع، و تغايرت على محاسنه الأبصار و الأسماع، إن بدا فالشمس طالعة، و إن شدا فالورق ساجعة، تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه، و قابله فقلنا البدر قابل عيّوقه، و هو يغار عليه من النسيم كلّما خفق و هبّ، و يستجيش عليه بتلويح بارقه الموشّى بالذهب، و يديم حرقته و سهده، و يبذل فى إلطافه طاقته و جهده، فتارة يضمّخه بخلوقه، و تارة يحلّيه بعقيقه، و آونة يكسوه أثواب شقيقه، فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصباح، و استيقظ نائم الصباح، فصنعت بديها فى المجلس، و كتبت بها إلى الأعز بن المؤيد رحمه اللّه تعالى أصف تلك الليلة التى ارتفعت على أيام الأعياد، كارتفاع الرءوس على الأجياد، بل فضلت ليلات الدهر، كفضل البدر على النجوم الزّهر: [الخفيف]

غبت عنى يا ابن المؤيد فى وق ت شهىّ يلهى المحبّ المشوقا

ليلة ظلّ بدرها يلبس الجد ران ثوبا مفضّضا مرموقا

و غدا الطّلّ فيه ينثر كافو را فيعلو مسك التراب السّحيقا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۲۹

و تبدّى النسيم يعتنق الأغ صان لمّا سرى عناقا رفيقا

بتّ فيها منادما لصديق ظلّ بين الأنام خلّا صدوقا

هو مثل الهلال وجها صبيحا و مثال النسيم ذهنا رقيقا

و غزال كالبدر وجها و غصن ال بان قدّا و الخمرة الصّرف ريقا

مظهر للعيون ردفا مهيلا وحشا ناحلا و قدّا رشيقا

إن تغنّى سمعت، داود أو لا ح تأمّلت يوسف الصدّيقا

و إذا قابل السراج رأينا منه بدرا يقابل العيّوقا

و أظنّ الصباح هام بمرآ ه فأبدى قلبا حريقا خفوقا

هو نجم ما لاح فى الجدر كافو ر بياض إلّا كساه خلوقا

ما بدا نرجس الكواكب إلّا قام من نومه يرينا الشقيقا

و إذا ما بدت جواهرها فى ال جوّ أبدى فى الأرض منهم عقيقا

فغدونا تحت الدجى نتعاطى من رقيق الآداب خمرا رحيقا

و جعلنا ريحاننا طيب ذكرا ك فخلناه عنبرا مفتوقا

ذاك وقت لولا مغيبك عنه كان بالمدح و الثناء خليقا

قال: فأجاب عنها من الوزن دون الروى: [الخفيف]

قد أتتنى من الجمال قصيد يا لها من قصيدة غرّاء

جمعت رقّة الهواء و طيب ال مسك فى سبكها و صفو الماء

فأرتنا طباعه و شذاه و الذى حاز ذهنه من ذكاء

سيدى هل جمعت فيها اللآلى يا أخا المجد أم نجوم السماء

أفحمتنى حسنا و حقّ أيادى ك التى لا تعدّ بالإحصاء

فتركت الجواب و اللّه عجزا فابسط العذر فيه يا مولائى

هل يسامى الثرى الثريّا و أنّى يدّعى النجم فرط نور ذكاء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۰

رجع إلى أهل الأندلس:

و قال ابن السماك: [البسيط]

إياك أن تكثر الإخوان مغتنما فى كلّ يوم إلى أن يكثر العدد

فى واحد منهم تصفى الوداد له من التكاليف ما يفنى به الجلد

و له: [الطويل]

تحنّ ركابى نحو أرض و ما لها و ما لى من ذاك الحنين سوى الهمّ

و كم راغب فى موضع لا يناله و أمسيت منه مثل يونس فى اليمّ

بهذا قضى الرحمن فى كلّ ساخط يموت على كره و يحيا على رغم

و لمّا قام الباجى بإشبيلية و خلع طاعة ابن هود، و أبدل شعاره الأسود العباسىّ فى البنود، قال أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبى فى ذلك: [البسيط]

كأنما الراية السوداء قد نعبت لهم غرابا ببين الأهل و الولد

مات الهوى تحتها من فرط روعته فأظهر الدهر منها لبسة الكمد

و أنشدهما القائم الباجى فى جملة قصيدة.

و قال الوزير أبو الوليد إسماعيل بن حجاج الأعلم الإشبيلى: [الكامل]

أمسى الفراش يطوف حول كؤوسنا إذ خالها تحت الدّجى قنديلا

ما زال يخفق حولها بجناحه حتى رمته على الفراش قتيلا

و له: [الكامل]

لاموا على حبّ الصّبا و الكاس لمّا بدا وضح المشيب براسى

و الغصن أحوج ما يكون لسقيه أيام يبدو بالأزاهر كاسى

و له، و قد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطّاع الطريق: [المتقارب]

ثلاثون قد صفّفوا كلّهم و قد فتحوا أذرعا للوداع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۱

و ما ودّعوا غير أرواحهم فكان وداعا لغير اجتماع

و له فى فتى و سيم عضّ كلب وجنته: [الطويل]

و أغيد وضّاح المحاسن باسم إذا قامر الأرواح ناظره قمر

تعمّد كلب عضّ وجنته التى هى الورد إيناعا و أبقى بها أثر

فقلت لشهب الأفق كيف صماتكم و قد أثّر العوّاء فى صفحة القمر

و قال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى المؤرخ الأديب، المصنّف الشهير، و كان حافظا لنكت الأندلسين حديثا و قديما، ذاكرا لفكاهاتهم التى صيرته للملوك خليلا- و نديما، فى صبىّ من أعيان الجزيرة الخضراء، تهافت فى حبّه جماعة من الأدباء و الشعراء.

و كان من القوم الذين هاموا بالمذكور، و قاموا فيه المقام المشهور، أديب يقال له الفار، فتسلّط على البياسى حتى سافر من الجزيرة و كان يلقّب بالقط: [الطويل]

عذرت أبا الحجّاج من ربّ شيبة غدا لابسا فى الحب ثوبا من القار

و ألجأه الفأر المشارك للنوى و لم أر قطّا قبله فرّ من فار

و له: [الخفيف]

قد سلونا عن الذى تدريه و جفوناه إذ جفا بالتّيه

و تركناه صاغرا لأناس خدعوه بالزّور و التّمويه

لمضلّ يسوقه لمضلّ و سفيه يقوده لسفيه

و له، و قد كتب إلى بعض أصحابه يذكّره بالأيام السوالف: [الوافر]

أبا حسن لعمرك إنّ ذكرى لأيام النعيم من الصواب

أمثلى ليس يذكر عهد حمص و قد جمحت بنا خيل التصابى

و نحن نجرّ أثواب الأمانى مطرّزة هنالك بالشباب

و عهد بالجزيرة ليس ينسى و إن أغفلته عند الخطاب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۲

هو الأحلى لدىّ و إن حمانى عن العسل اجتماع للذّباب

و سار إلى المحبوب، و كان كثير الاجتماع به فى جنّة لوالده على وادى العسل، فقال: [مجزوء الرجز]

جنّة وادى العسل كم لى بها من أمل

لو لم يكن ذبابها يمنع ذوق العسل

[من محاسن أبى الحجاج البياسى]

قال ابن سعيد: و لمّا التقينا بتونس بعد إيابى من المشرق، و قد ولج ظلام الشّعر على وجهه المشرق، قلت لأبى الحجاج مشيرا إلى محبوبه، و قد غطى هواه عنده على عيوبه:

[السريع]

خلّ أبا الحجّاج هذا الذى قد كنت فيه دائم الوجد

و انظر إلى لحيته و اعتبر ممّا جنى الشّعر على الخدّ

و اللّه سبحانه يسمح للجميع، فى هذا الهزل الشنيع، و يصفح عنّا فى ذكره، إنه مجيب سميع.

[ابن صارة و إخوان له]

و قال صاحب «البدائع» ركب الأستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له فى نهر إشبيلية فى عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا، و طارت زواريقها فى سماء النهر عقبانا، و أبدى نسيمها من الأمواج و الدارات سررا و أعكانا، فى زورق يجول جولان الطّرف، و يسودّ اسوداد الطّرف، فقال بديها: [الوافر]

تأمّل حالنا و الجوّ طلق محيّاه و قد طفل المساء

و قد جالت بنا عذراء حبلى تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسّجنجل كوثرىّ تعبّس وجهها فيه السماء

و اتفق أن وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة و استظرفها و استلطفها، فقال يعارضها على وزنها و رويها و طريقتها: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۳

ألا يا حبّذا ضحك الحميّا بحانتها و قد عبس المساء

و أدهم من جياد الماء مهر تنازح جلّه ريح رخاء

إذا بدت الكواكب فيه غرقى رأيت الأرض تحسدها السماء

[بين ابن خفاجة و ابن وهبون و ابن خفاجة و أصحاب له]

و قال الأديب ابن خفاجة فى ديوانه: صاحبت فى صدرى من المغرب سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد، و كان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنّع ببعض حصون مرسية، و شرع فى النفاق، فقطع السبيل، و أخاف الطريق، و لمّا حاذينا قلعته و قد احتدمت جمرة الهجير، و ملّ الركب رسيمه و ذميله، و أخذ كلّ منّا يرتاد مقيله، اتفقنا على أن لا نطعم طعاما، و لا نذوق مناما، حتى نقول فى صورة تلك الحال، و ذلك الترحال، ما حضر، و شاء اللّه أن أجبل ابن وهبون و اعتذر، و أخذت عفو خاطرى، فقلت أتربّص به، و أعرّض بعظم لحيته: [الوافر]

ألا قل للمريض القلب مهلا فإنّ السيف قد ضمن الشفاء

و لم أر كالنّفاق شكاه حرّ و لا كدم الوريد له دواء

و قد دحى النجيع هناك أرضا و قد سمك العجاج به سماء

و ديس به انحطاطا بطن واد مذ اعشب شعر لحيته ضراء

و قال ابن خفاجة أيضا: حضرت يوما مع أصحاب لى، و معهم صبى متهم فى نفسه، و اتّفق أنهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب، فانبرى ذلك الصبى فأفرط فى تفضيل العنب، فقلت بديها أعبث به: [السريع]

صلنى لك الخير برمّانة لم تنتقل عن كرم العهد

لا عنبا أمتصّ عنقوده ثديا كأنى بعد فى المهد

و هل يرى بينهما نسبة من عدل الخصية بالنّهد

فخجل خجلا شديدا و انصرف.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۴

قال: و خرجت يوما بشاطبة إلى باب السّمّارين، ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية، و ذلك سنة ۴۸۰، و إذ بالفقيه أبى عمران بن أبى تليد رحمه اللّه تعالى قد سبقنى إلى ذلك، فألفيته جالسا على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن، فسلّمت عليه، و جلست إليه، مستأنسا به، فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق: [مجزوء الكامل]

يا من يمرّ و لا تمرّ به القلوب من الفرق

بعمامة من خدّه أو خدّه منها استرق

فكأنّه و كأنّها قمر تعمّم بالشّفق

فإذا بدا و إذا انثنى و إذا شدا و إذا نطق

شغل الخواطر و الجوا نح و المسامع و الحدق

فقلت، و قد أعجب بها جدّا، و أثنى عليها كثيرا: أحسن ما فى القطعة سياقة الأعداد، و إلّا فأنت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الأخير و البيت الذى قبله فينزل بإزاء كل واحدة منها ما يلائمها، و هل ينزل بإزاء قوله «و إذا نطق» قوله «شغل الحدق» و كأنه نازعنى القول فى هذا غاية الجهد، فقلت بديها: [مجزوء الكامل]

و مهفهف طاوى الحشا خنث المعاطف و النظر

ملأ العيون بصورة تليت محاسنها سور

فإذا رنا و إذا مشى و إذا شدا و إذا سفر

فضح الغزالة و الغما مة و الحمامة و القمر

فجنّ بها استحسانا، انتهى.

قال ابن ظافر: و القطعة القافيّة ليست لابن رشيق، بل هى لأبى الحسين على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة.

[بين السميسر و بعض رؤساء المرية]

و كان بين السميسر الشاعر و بين بعض رؤساء المريّة واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه، فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية، و احتفل فيها بما يحتفل مثله فى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۵

دعوة سلطان مثل المعتصم، فصبر السميسر إلى أن ركب السلطان متوجّها إلى الدعوة، فوقف له فى الطريق، فلمّا حاذاه رفع صوته بقوله: [البسيط]

يا أيها الملك الميمون طائره و من لذى مأتم فى وجهه عرس

لا تفرسنّ طعاما عند غيركم إنّ الأسود على المأكول تفترس

فقال المعتصم: صدق و اللّه، و رجع من الطريق، و فسد على الرجل ما كان عمله.

[عباد بن الحريش و رجال من سراة أصبهان]

و نظير هذه الحكاية أن عبّاد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع و الأملاك و التبع الكثير، فمطله بالجائزة، ثم أجازه بما لم يرضه، فردّه عليه، و بعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها ألوف دنانير كثيرة لأبى دلف القاسم بن عيسى العجلى على أن يجىء إليه من الكرج، و وصل أبو دلف، فلمّا وقعت عين عبّاد عليه و هو يساير بعض خواصّه أومأ إلى ذلك السائر و أنشد بأعلى صوته: [مجزوء الخفيف]

قل له يا فديته قول عبّاد: ذا سمج

جئت فى ألف فارس لغداء من الكرج

ما على النّفس بعد ذا فى الدناءات من حرج

فقال أبو دلف، و كان أخوف الناس من شاعر: صدق و اللّه، أجىء من الكرج إلى أصبهان حتى أتغدّى بها؟ و اللّه ما بعد هذا فى دناءة النفس من شىء. ثم رجع من طريقه، و فسد على الرجل كل ما غرمه، و عرف من أين أتى. و تخوف أن يعود عبّاد عليه بشرّ منها، فسيّر إليه جائزة سنيّة مع جماعة من أصحابه، فاجتمعوا به، و سألوه فيه، و فى قبول الجائزة، فلم يقبل الجائزة، ثم أنشد بديها: [السريع]

وهبت يا قوم لكم عرضه

فقالوا: جزاك اللّه تعالى خيرا! فقال:

كرامة للشّعر لا للفتى

لأنه أبخل من ذرّة على الذى تجمعه فى الشّتا

انتهى.

و ذكر أبو الصّلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ما معناه: أنه عزم بمصر هو و رفقة له

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۶

على الاصطباح، فقصدوا بركة الحبش، فى وقت ولاية الغبش، و حلّوا منها روضا بسم زهره، و نسم عطره، فأداروا كؤوسا، تطلع من المدام شموسا، و عاينوها نجوما، تكون لشياطين الهموم رجوما، فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه، و أبرز ابتهاجه و انبساطه، فقال: [المنسرح]

للّه يومى ببركة الحبش و الجوّ بين الضياء و الغبش
النّيل تحت الرياح مضطرب كصارم فى يمين مرتعش
و نحن فى روضة مفوّفة دبّج بالنّور عطفها و وشى
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن من نورها على فرش
فعاطنى الراح إنّ تاركها من سورة الهمّ غير منتعش
و أسقنى بالكبار مترعة فهنّ أروى لشدّة العطش
فأثقل الناس كلّهم رجل دعاه داعى الصّبا فلم يطش

[أبو الصلت و إخوان له]

و هذا أبو الصّلت أمية من كبراء أدباء الأندلس العلماء الحكماء، و قد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الأندلس إلى المشرق.
و قال رحمه اللّه تعالى: كنت مع الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان، و قد وقف يرمى بالنشاب، فصنعت فيه بديها: [السريع]
يا ملكا مذ خلقت كفّه لم تدر إلّا الجود و الباسا
إنّ النجوم الزّهر مع بعدها قد حسدت فى قربك الناسا
و ودّت الأملاك لو أنها تحوّلت تحتك أفراسا
كما تمنّى البدر لو أنه عاد لنشّابك برجاسا

[للوزير الوقشى فى غلام أسود]

و صنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى إسحاق بن همشك صهر الأمير أبى عبد اللّه محمد بن مردنيش فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها: [الوافر]
و زنجىّ أتى بقضيب نور و قد زقّت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها فقلت الليل أقبل بالنجوم
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۷

[أبو يحيى اليكى]

و لمّا أفرط أبو بكر يحيى اليكى فى هجاء أهل فاس تعسّفوا عليه، و ساعدهم و اليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف، و القائد عبد اللّه بن خيار الجيانى، و كان يتولّى أمورا سلطانية بها، فقدّموا رجلا ادّعى عليه بدين، و شهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتى، و رجل آخر يكنى بأبى الحسين من مشايخ البلد، فأثبت الحقّ عليه، و أمر به إلى السجن، فرفع إليه، و سيق سوقا عنيفا، فلمّا وصل إلى بابه طلب ورقة من كاتبه، و كتب فيها، و أنفذها إلى مظفر مع العون الذى أوصله إلى السجن، فكان ما كتب: [الكامل]
ارشوا الزناتىّ الفقيه ببيضة يشهد بأنّ مظفرا ذو بيضتين
و اهدوا إليه دجاجة يحلف لكم ما ناك عبد اللّه عرس أبى الحسين

[من شعر ابن مفيد و جماعة من أهل الأندلس]

و قال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الأنصارى: عمل والدى محملا للكتب من قضبان تشبه سلّما، فدخل عليه أبو محمد عبد اللّه بن مفيد، فرآه، فقال ارتجالا:

[الخفيف]

أيها السّيّد الذكىّ الجنان لا تقسنى بسلّم البنيان

فضل شكلى على السلالم أنى محمل للعلوم و القرآن

حزت من حلية المحبين ضعفى و اصفرارى و رقّة الأبدان

فادع للصانع المجيد بفوز ثم وال الدعاء للإخوان

ثم عمل أيضا: [الخفيف]

أيها السّيّد الكريم المساعى التفت صنعتى و حسن ابتداعى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۱۳۷

أنا للنّسخ محمل خفّ حملى أنا فى الشكل سلّم الاطلاع

و قال أحمد بن رضى المالقى: [البسيط]

ليس المدامة ممّا أستريح له و لا مجاوبة الأوتار و النّغم

و إنّما لذّتى كتب أطالعها و خادمى أبدا فى نصرتى قلمى

و قال أبو القاسم البلوى الإشبيلى: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۸

لمن أشكو مصابى فى البرايا و لا ألقى سوى رجل مصاب

أمور لو تدبّرها حكيم لعاش مدى الزمان أخا اكتئاب

أما فى الدهر من أفشى إليه بأسرارى فيؤنس بالجواب

يئست من الأنام فما جليس يعزّ على نهاى سوى كتابى

و قال أبو زكريا يحيى بن صفوان بن إدريس، صاحب كتاب «العجالة» و «زاد المسافر» و غيرهما: [مجزوء الرمل]

ليت شعرى كيف أنتم و أنا الصّبّ المعنّى

كلّ شىء لم تكونوا فيه لفظ دون معنى

و له فى نصرانى وسيم لقيه يوم عيد: [المتقارب]

توحّد فى الحسن من لم يزل يثلّث و القلب فى صدّه

يشفّ لك الماء من كفّه و يقتدح النار من خدّه

و هذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه، و أبوه صفوان سابق الميدان.

[ابن عمار و غلامان من بنى جهور]

و قال ابن بسام: ساير ابن عمار فى بعض أسفاره غلامان من بنى جهور أحدهما أشقر العذار و الآخر أخضره، فجعل يميل بحديثه لمخضرّ العذار، ثم قال ارتجالا: [المتقارب]

تعلّقته جهوريّ النّجار حليّ اللّمى جوهريّ الثنايا

من النّفر البيض أسد الزمان رقاق الحواشى كرام السجايا

و لا غرو أن تغرب الشارقات و تبقى محاسنها بالعشايا

و لا وصل إلّا جمان الحديث نساقطه من ظهور المطايا

شننت المثلّث للزعفران و ملت إلى خضرة فى التفايا

و معناه أنّ ابن عمار أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الأشقر منهما، و أحبّ خضرة التفايا، و هو لون طعام يعمل بالكزبرة، لشبهها بعذار الأخضر منهما.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۳۹

[ابن عمار و ابن معيشة الكنانى و ايضا ابن عمار و غلام لابن هود]

و قال أبو العرب بن معيشة الكنانى السبتى: أخبرنى شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، و كان عليه من أثر كبر السنّ و دلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، و ينطق بأنّ قوله الحقّ، قال: كنت فى صباى حسن الصورة، بديع الخلقة، لا تلمحنى عين أحد إلّا ملكت قلبه، و خلبت خلبه، و سلبت لبّه، و أطلت كربه، فبينا أنا واقف على باب دارنا إذا بالوزير أبى بكر بن عمار قد أقبل فى موكب زجل، على فرس كالصخرة الصّمّاء قدّت من قنّة الجبل، فحين حاذانى و رآنى اشرأبّ إلىّ ينظرنى و بهت يتأمّلنى، ثم دفع بمخصرة كانت بيده فى صدرى، و أنشد: [مجزوء الكامل]

كفّ هذا النّهد عنّى فبقلبى منه جرح

هو فى صدرك نهد و هو فى صدرى رمح

و عبر فى «البدائع» على طريقة القلائد بما صورته: ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه:

أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجوّ فيه أشقر برقه، و رمى بنبل ودقه، و حملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها، و تمايلت قامات الأغصان فى الحلل الخضر من أوراقها، و الأزهار قد تفتّحت عيونها، و الكمائم قد ظهر مكنونها، و الأشجار قد انصقلت بالقطر، و نشرت ما يفوق ألوان البز و بثّت ما يعلو العطر، و الراح قد أشرقت نجومها فى بروج الراح، و حاكت شمسها شمس الأفق فتلفّعت بغيوم الأقداح، و مديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من إهابه، و أخجل خدّها حسنا فتكلّل بعرق حبابه، إذا بفتى رومى من أصبح فتيان المؤتمن قد أقبل متدرّعا كالبدر اجتاب سحابا، و الخمر اكتست حبابا، و الطاووس انقلب حبابا، فهو ملك حسنا إلّا أنه جسد، و غزال لينا إلّا أنه فى هيئة الأسد، و قد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج إلى موضع كان عوّل فيه عليه، و أمره أن يتوجّه إليه، فحين وصل إلى حضرته لمحه ابن عمار و السكر قد استحوذ على لبّه، و انبثّت سراياه فى ضواحى قلبه، فأشار إليه و قرّبه، و استبدع ذلك اللباس و استغربه، و جدّ فى أن يستخرج تلك الدّرّة من ماء ذلك الدّلاص، و أن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۰

الخلاص، و أن يوفّر على ذلك الوفر نعمة جسمه، و يكون هو الساقى على عادته القديمة و رسمه، فأمره المؤتمن بقبول أمره و امتثاله، و احتذاء أمثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها، و رمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها، ارتجل ابن عمار: [الكامل]

و هويته يسقى المدام كأنه قمر يدور بكوكب فى مجلس

متناوح الحركات يندى عطفه كالغصن هزّته الصّبا بتنفّس

يسقى بكأس فى أنامل سوسن و يدير أخرى من محاجر نرجس

يا حامل السّيف الطويل نجاده و مصرّف الفرس القصير المحبس

إياك بادرة الوغى من فارس خشن القناع على عذار أملس

جهم و إن حسر القناع فإنما كشف الظلام عن النهار المشمس

يطغى و يلعب فى دلال عذاره كالمهر يلعب فى اللجام المجرس

سلّم فقد قصف القنا غصن النّقا وسطا بليث الغاب ظبى المكنس

عنّا بكأسك قد كفتنا مقلة حوراء قائمة بسكر المجلس

و صنع فيه أيضا: [الوافر]

و أحور من ظباء الروم عاط بسالفتيه من دمعى فريد

قسا قلبا و شنّ عليه درعا فباطنه و ظاهره حديد

بكيت و قد دنا و نأى رضاه و قد يبكى من الطرب الجليد

و إنّ فتى تملّكه برقّ و أحرز حسنه لفتى سعيد

[المعتصم بن صمادح]

و قال فى «البدائع» مؤلّفه ما نصّه: خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما إلى بعض متنزهاته، فحلّ بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج، و تنفّست عن مسكها الأريج، و ماست معاطف أغصانها، و تكلّلت بلؤلؤ الطلّ أجياد قضبانها، فتشوّف إلى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته، و سيوف صولته، فكتب إليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة: [مخلع البسيط]

أقبل أبا طالب إلينا و اسقط سقوط النّدى علينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۱

و جلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما و بين يديه ساقية قد أخمدت ببردهما حرّ الأوار، و التوى ماؤها فيها التواء فضّة السوار، فقال ارتجالا: [البسيط]

انظر إلى الماء كيف انحطّ من صببه كأنه أرقم قد جدّ فى هربه

[بعض ما قيل فى البعوض]

و قال السميسر: [المتقارب]

بعوض شربن دمى قهوة و غنّينى بضروب الأغانى

كأنّ عروقى أوتارهنّ و جسمى الرباب و هنّ القنانى

[و قيل: [الطويل]

بعوض و برغوث و بقّ لزمننى حسبن دمى خمرا فلذّ لها الخمر

فيرقص برغوث لزمر بعوضة و بقّهم سكت ليستمع الزمر

و منه: [مجزوء الكامل]

بقّ و برغوث أتوا نحوى و قد شدّوا عذابى

و أتى البعوض بزمره يا قوم أخرج من ثيابى]

و أحسن منه قول ابن شرف القيروانى: [الكامل]

لك مجلس كملت بشارة لهونا فيه، و لكن تحت ذاك حديث

غنّى الذباب فظلّ يزمر حوله فيه البعوض و يرقص البرغوث

و السابق إلى هذا المعنى أبو الحسن أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة إذ قال:

[المنسرح]

لا أعذل الليل فى تطاوله لو كان يدرى ما نحن فيه نقص

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۲

لى و البراغيث و البعوض إذا أجنّنا حندس الظلام قصص

إذا تغنّى بعوضه طربا أطرب برغوثه الغنا فرقص

و نحو هذا قول الحصرى فيما نسبه إليه ابن دحية: [المجتث]

ضاقت بلنسية بى و ذاد عنّى غموضى

رقص البراغيث فيها على غناء البعوض

[عود إلى أهل الأندلس]

رجع إلى أهل الأندلس، فنقول:

كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول، مفرط النسيان، ظاهر التغفّل، على جودة نظمه، و رطوبة طبعه، و كان كثيرا ما يسلك سكة الإسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له، فاتّخذت البغلة النفور من أطراف الأدم و فضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها، و اتّفق أن عبر فى السكة راجلا، و معه جماعة من أصحابه، فلمّا رأى الجلود الملقاة قفز و وثب راجعا على عقبيه، فقال له أصحابه: ما هذا أيها الأستاذ؟ فقال: البغلة نفرت، فعجبوا من تغفّله كيف ظنّ مع ما يقاسيه من ألم المشى و نصب التعب أنه راكب؟ و أنّ حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له، فكان تغفّله ربما أوقعه فى تهمة عند من لم يعرفه، فاقترح عليه بعض الأمراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب و آخره ذئب، و أول الآخر جوارح و آخره أنابيب، فصنع بديها: [الطويل]

كتاب نجيع لاح فى حومة الوغى و قارنه نسر هنالك أو ذيب

جوارح أهليه حروف و ربّما تولّته من نقط الطعان أنابيب

و قال الحميدى: ذكر لى أبو بكر المروانى أنه شاهد محبوبا الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة: [الطويل]

و ذات حنين ما تغيض جفونها من اللّجج الخضر الصوافى على شطّ

و تبكى فتحيى من دموع جفونها رياضا تبدّت بالأزاهر فى بسط

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۳

فمن أحمر قان و أصفر فاقع و أزهر مبيضّ و أدكن مشمطّ

كأنّ ظروف الماء من فوق متنها لآلى جمان قد نظمن على قرط

و قال أبو الخطاب بن دحية: دخلت على الوزير الفقيه الأجلّ أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى، فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه، فقال بديها: [الخفيف]

أيها العالم ادّركنى سماحا فلمثلى يحقّ منك السماح

إن تخلنى إذا نطقت عييّا فبنانى إذا كتبت وقاح

أحرز الشأو فى نظام و نثر ثم أثنى و فى العنان جماح

فبهزل كما تأوّد غصن و بجدّ كما تهزّ الصفاح

و قال: دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه و هو يجود بنفسه، فأنشد بديها: [الخفيف]

أيها الواقف اعتبارا بقبرى استمع فيه قول عظمى الرّميم

أودعونى بطن الضريح و خافوا من ذنوب كلومها بأديمى

و دعونى بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولّى كريم

و قال ابن طوفان: دعا أبا الوليد النّحلى، فلمّا قضوا و طرهم من الطعام سقيتهم، و جعلت أترع الكاسات، فلمّا مشت فى النّحلى سورة الحميّا ارتجل: [مجزوء الرمل]

لابن طوفان أياد قلّ فيها مشبهوه

ملأ الكاسات حتى قيل فى البيت أبوه

و نظيره قول المتفتل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء: [مجزوء الرمل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۴

فإذا ما قال شعرا نفقت سوق أبيه

[فى وصف الأهرام و فى وصف فرس]

و ذكر فى «بدائع البداءة» أن جماعة من الشعراء فى أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها، و يتأمّلوا ما سطّره الدهر من العبر فيها، فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى: [الطويل]

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا على ما رأت عيناك من هرمى مصر

أنافا بأعنان السماء فأشرفا على الجوّ إشراف السّماك أو النّسر

و قد وافيا نشزا من الأرض عاليا كأنهما نهدان قاما على صدر

و صنع أبو منصور ظافر الحداد: [الوافر]

تأمّل هيئة الهرمين و انظر و بينهما أبو الهول العجيب

كعمار يتّين على رحيل بمحبوبين بينهما رقيب

و فيض البحر عندهما دموع و صوت الريح بينهما نحيب

و ظاهر سجن يوسف مثل صبّ تخلّف فهو محزون كئيب

و قال ابن بسام: كان للمتوكل بن الأفطس فرس أدهم أغرّ محجّل على كفله ست نقط بيض، فندب المتوكل الشعراء لصفته، فصنع النّحلى أبو الوليد فيه بديها: [الرمل]

ركب البدر جوادا سابحا تقف الريح لأدنى مهله

لبس الليل قميصا سابغا و الثريّا نقط فى كفله

و غدير الصبح قد خيض به فبدا تحجيله من بلله

كلّ مطلوب و إن طالت به رجله من أجله فى أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه، فصنع ابن اللّبّانة: [الكامل]

للّه طرف جال يا ابن محمد فحبت به حوباؤه التأميلا

لمّا رأى أنّ الظلام أديمه أهدى لأربعه الهدى تحجيلا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۵

و كأنما فى الردف منه مباسم تبغى هناك لرجله تقبيلا

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لأنّ اسمه عمر.

و قال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى إشبيلية: [الكامل]

للّه إخوان تناءت دارهم حفظوا الوداد على النوى أو خانوا

يهدى لنا طيب الثناء و دادهم كالندّ يهدى الطيب و هو دخان

و حكى أن أيوب بن سليمان السهيلى المروانى حضر يوما عند ابن باجة، و الشاعر و أبو الحسن بن جودى هناك، فتكلّم المروانى بكلام ظهر فيه نبل و أدب، فتشوّف أبو الحسن بن جودى لمعرفته، و كان إذ ذاك فتىّ السّنّ، فقال له: من أنت أكرمك اللّه تعالى؟ فقال: هلا سألت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا و لى توقيرا، فقال ابن جودى: قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك، فقال: يا هذا، طالما مرّ علينا زمان يعرفنا من يجهل، و لا يحتاج من يرانا فيه إلى أن يسأل، و أطرق ساعة، ثم رفع رأسه و أنشد: [الطويل]

أنا ابن الألى قد عوّض الدهر عزّهم بذلّ و قلوا و استحبّوا التنكّرا

ملوك على مرّ الزمان بمشرق و غرب دهاهم دهرهم و تغيّرا

فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم فإنّ حياة الرّزء أن يتذكّرا

ففطن ابن جودى أنه من بنى مروان، فقام و قبّل رأسه، و اعتذر إليه، ثم انصرف المروانى، فقال ابن باجة لابن جودى: أساء أدبك بعدما عهدت منك؟ كيف تعمد إلى رجل فى مجلسى تجدنى قد قربته و أكرمته و خصصته بالإصغاء إلى كلامه فتقدّم عليه بالسؤال عن نفسه؟ فاحذر أن تكون لك عادة، فإنها من أسوأ الأدب، فقال ابن جودى: لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام: [المنسرح]

نأخذ من ماله و من أدبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۶

[بكار المروانى]

و حكى أن بكار المروانى لمّا ترك وطنه و خرج فى الجهاد و قتل، قال صاحب السقط:

إنه اجتمع به فى أشبونة فقال: قصدت منزله بها، و نقرت الباب، فنادى: من هذا؟ فقلت:

رجل ممّن يتوسّل لرؤياك بقرابة، فقال: لا قرابة إلّا بالتقى، فإن كنت من أهله فادخل، و إلّا فتنحّ عنّى، فقلت: أرجو فى الاجتماع بك و الاقتباس منك أن أكون من أهل التقى، فقال:

ادخل، فدخلت عليه فإذا به فى مصلّاه و سبحة أمامه، و هو يعدّ حبوبها و يسبح فيها، فقال لى:

ارفق علىّ حتى أتمّم وظيفتى من هذا التسبيح، و أقضى حقّك، فقعدت إلى أن فرغ، فلمّا قضى شغله عطف علىّ و قال: ما القرابة التى بينى و بينك؟ فانتسبت له، فعرف أبى، و ترحّم عليه، و قال لى: لقد كان نعم الرجل، و كان لديه أدب و معرفة، فهل لديك أنت ممّا كان لديه شىء؟

فقلت له: إنه كان يأخذنى بالقراءة و تعلّم الأدب، و قد تعلّقت من ذلك بما أتميّز به، فقال لى:

هل تنظم شيئا؟ قلت: نعم، و قد ألجأنى الدهر إلى أن أرتزق به، فقال: يا ولدى إنه بئسما يرتزق به، و نعم ما يتحلّى به إذا كان على غير هذا الوجه، و قد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إنّ من الشّعر لحكمة» و لكن تحلّ الميتة عند الضرورة، فأنشدنى أصلحك

اللّه تعالى ممّا على ذكرك من شعرك، قال: فطلبت بخاطرى شيئا أقابله به ممّا يوافق حاله فما وقع لى إلّا فيما لا يوافقه من مجون و وصف خمر و ما أشبه ذلك، فأطرقت قليلا، فقال: لعلّك تنظم، فقلت: لا و لكن أفكر فيما أقابلك به، فقولى أكثره فيما حملنى عليه الصّبا و السخف، و هو غير لائق بمجلسك، فقال: يا بنى، و لا هذا كلّه، إنّا لا نبلغ من تقوى اللّه إلى حدّ نخرج به عن السلف الصالح، و إذا صحّ عندنا أنّ عبد اللّه بن عباس ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و مفسّر كتاب اللّه تعالى ينشد مثل قول القائل: [الرجز]

إن يصدق الطير ننك لميسا

فمن نحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا؟ و اللّه لا نشذّ عن السلف الصالح، أنشدنى ما وقع لك غير متكلّف، فلم يمدّنى خاطرى إلى غير قولى من شعر أمجن فيه: [المجتث]

أبطأت عنّى، و إنى لفى اشتياق شديد

و فى يدى لك شىء قد قام مثل العمود

لو ذقته مرّة لم تعد لهذا الصدود

فتبسّم الشيخ و قال: أما كان فى نظمك أطهر من هذا؟ فقلت له: ما وفّقت لغيره، فقال:

لا بأس عليك، فأنشدنى غيره، ففكّرت إلى أن أنشدته قولى: [المتقارب]

و لمّا وقفت على ربعهم تجرّعت وجدى بالأجزع

و أرسل دمعى شرار الدموع لنار تأجّج فى الأضلع

فقال عذولى، لمّا رأى بكائى: رفقا على الأدمع

فقلت له: هذه سنّة لمن حفظ العهد فى الأربع

قال: فرأيت الشيخ قد اختلط، و جعل يجىء و يذهب، ثم أفاق و قال: أعد بحقّ آبائك الكرام، فأعدت، فأعاد ما كان فيه و جعل يردّده، فقلت له: لو علمت أنّ هذا يحرّككك ما أنشدتك إيّاه، فقال: و هل حرّك منّى إلّا خيرا و عظة؟ يا بنىّ، إنّ هذه القلوب المخلاة للّه كالورق التى جفت، و هى مستعدّة لهبوب الرياح، فإن هبّ عليها أقلّ ريح لعب بها كيف شاء، و صادف منها طوعه، فأعجبنى منزعه، و تأنّست به، و لم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع و الانكماش، بل ما زال يبسطنى و يحدّثنى بأخبار فيها هزل، و يذكر لى من تاريخ بنى أمية و ملوكها ما أرتاح له، و لا أعلم أكثره، فلمّا كثر تأنسى به أهويت إلى يده كى أقبلها، فضمّها بسرعة، و قال: ما شأنك؟ فقلت: راغبا لك فى أن تنشدنى شيئا من نظمك، فقال: أما نظمى فى زمان الصبا فكان له وقت ذهب، و يجب للنظم أن يذهب معه، و أمّا نظمى فى هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله، و هو يثقل عليك، فقلت له: إن أنصف سيدى الشيخ نفعنا اللّه تعالى به أنشدنى من نظم صباه، و من نظم شيخوخته، فيأخذ كلانا بحظّه، فضحك و قال: ما أعصيك و أنت ضيف و قريب و لك حرمة أدب و وسيلة قصد، ثم أنشدنى و قد بدا عليه الخشوع و خنقته العبرة: [مجزوء الكامل]

ثق بالذى سوّاك من عدم فإنك من عدم

و انظر لنفسك قبل قرع السّنّ من فرط الندم

و احذر وقيت من الورى و اصحبهم أعمى أصمّ

قد كنت فى تيه إلى أن لاح لى أهدى علم

فاقتدت نحو ضيائه حتى خرجت من الظّلم

لكن قناديل الهوى فى نور رشدى كالحمم

قال: فو اللّه لقد أدركنى فوق ما أدركه، و غلب على خاطرى بما سمعت من هذه الأبيات، و فعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلّص إلّا بعد حين، فقال لى الشيخ: إنّ هذه يقظة يرجى معها خيرك، و اللّه مرشدك و منقذك، ثم قال لى: يا بنى، هذا ما نحن بسبيله الآن، فاسمع فيما مضى و اللّه وليّ المغفرة، و إنّا لنرجو منه غفران الفعل، فكيف القول، و أنشد: [المتقارب]

أطلّ عذار على خدّه فظنّوا سلوّى عن مذهبى

و قالوا غراب لوشك النّوى فقلت اكتسى البدر بالغيهب

و ناديت قلبى أين المسير و بدر الدّجى حلّ بالعقرب

فقال و لو رمت عن حبّه رحيلا عصيت و لم أذهب

قال: فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء، و شهدت له بالتقدّم، و قلت له: لم أر أحسن من نظمك فى جدّ و لا هزل، ثم قلت له: أ أرويه عنك؟ فقال: نعم، ما أرى به بأسا بعد اطلاع من يعلم السرائر، على ما فى الضمائر، فما قدر هذه الفكاهة فى إغضاء من يغفر الكبائر؟ و يغضى عن العظائم؟ قال: فقلت له: فإن أسبغت علىّ النعمة بزيادة شىء من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبى آخر الدهر، فقال: يا بنى، لا ملك قلبك غير حبّ اللّه تعالى! ثم قال: و لا أجمع عليك ردّ قول و منعا، و أنشد: [مجزوء الخفيف]

أيها الشادن الذى حسنه فى الورى غريب

لحظ ذاك الجمال يط فىء ما بى من اللهيب

و عليه أحوم ده رى و لكنّنى أخيب

كلّما رمت زورة قيّض اللّه لى رقيب

قال: فمازج قلبى من الرقّة و اللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه، فقلت له:

زدنى زادك اللّه تعالى خيرا، فأنشدنى: [البسيط]

ما كان قلبى يدرى قدر حبّكم حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۴۹

و كنت أحسب أنى لا أضيق به ذرعا فما حان حتى فتّ فى عضدى

ثم استمرّت على كره مريرته فكاد يفرق بين الروح و الجسد

عساكم أن تلاقوا باللقا رمقى فليس لى مهجة تقوى على الكمد

ثم قال: حسبك، و إن كلفتنى زيادة فاللّه حسبك، فقلت له: قد وكلتنى إلى كريم غفور رحيم، فباللّه إلّا ما زدتنى، و أكببت لأقبّل رجليه، فضمّهما و أنشد: [المجتث]

للّه من قال لمّا شكوت فيه نحولى

أمّا السبيل لوصل فما له من وصول

فقلت حسبى التماح بحسن وجه جميل

وجه تلوح عليه علامة للقبول

فقال دعنى فهذا تعرّض للفضول

فقلت عاتب و خاطب بالأمن أهل العقول

فملأ سمعى عجائب، و بسط أنسى، و كتبت كلّ ما أنشدنى، ثم قلت له: لولا خوفى من التثقيل عليك لم أزل أستدعى منك الإنشاد حتى لا تجد ما تنشد، فقال: إن عدت إن شاء اللّه تعالى إلى هنا تذكرت، و أنشدتك، فما عندى ممّا أضيفك غير ما سمعته، و ما تراه، ثم قام و جاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق و كسور باردة، فجعل يفتّ فيها، ثم أشار إلىّ أن أشرب، فشربت،

ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها، ثم قال لى: هذا غذاء عمّك نهاره، و إنه لنعمة من اللّه تعالى أستديم بشكرها اتّصالها، قال: فقلت له: يا عمّ، و من أين عيشك؟ فقال: يا بنى، عيشتى بتلك الشبكة أصطاد بها فى سواحل البحر ما أقتات به، و لى زوجة و بنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة، و هذا مع العافية و الاستغناء عن الناس خير كثير، جعلنا اللّه تعالى ممّن يلقاه على حالة يرضاها، و ختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة! قال: فتركته و قمت و فى نيّتى أن أعود إلى زيارته، و نويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل، فعدت إليه بعد ثلاثة أيام، فنقرت الباب، فكلمتنى المرأة بلسان عليه أثر الحزن، و قالت: إنّ الشيخ خرج إلى الغزو، و ذلك بعد انفصالك عنه بيوم، ناله كالجنون، فقلت له: ما شأنك؟ فقال: إنى أريد أن أموت شهيدا فى الغزو، و هؤلاء جيران لى قد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۰

عزموا على الغزو، و أنا إن شاء اللّه تعالى ماض معهم، ثم احتال فى سيف و رمح و توجّه معهم، و قال: نفسى هى التى قتلتنى بهواها، أفلا أقتصّ منها فأقتلها؟ قال: فقلت لها: من خلّف للنظر فى شأنكم؟ فقالت: ليس ذلك لك، فالذى خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره، فأدركنى من جوابها روعة، و علمت أنها مثله زهدا و صلاحا، فقلت: إنى قريبه، و يجب علىّ أن أنظر فى حالكم بعده، فقالت: يا هذا، إنك لست بذى محرم، و لنا من العجائز من ينظر منّا و يبيع غزلنا و يتفقّد أحوالنا، فجزاك اللّه تعالى عنّا خيرا، انصرف عنّا مشكورا، فقلت لها: هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها، فقالت: ما اعتدنا أن نأخذ شيئا من غير اللّه تعالى، و ما كان لنا أن نخلّ بالعادة، فانصرفت نادما على ما فاتنى من الاستكثار من شعر الشيخ و التبرّك بزيادة دعائه، ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه، فقالت لى المرأة: إنه قد قبّله اللّه تعالى، فعلمت أنه قد قتل، فقلت لها: أقتل؟ فقرأت وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [سورة آل عمران، الآية: ۱۶۹]- الآية فانصرفت معتبرا من حاله، رحمه اللّه تعالى و رضى عنه و نفعنا به!.

و كانت للمروانيين بالأندلس يد عليا، فى الدين و الدنيا. انتهى.

[محمد بن أيوب المروانى]

و قال محمد بن أيوب المروانى، لمّا كلّف قوما حاجة له سلطانية فما نهضوا بها فكلّفها رأس بنى مروان القائد سعيد بن المنذر، فنهض بها: [الوافر]

نهضت بما سألتك غير وان و قد صعبت لسالكها الطريق

و ليس يبين فضل المرء إلّا إذا كلّفته ما لا يطيق

و عتبه يوما سعيد بن المنذر فى كونه يتعرّض لمدح خدام بنى مروان، فقال له: أعزّ اللّه تعالى القائد الوزير! إنكم جعلتمونى ذنبا و جعلونى رأسا، و النفس تتوق إلى من يكرمها و إن كان دونها أكثر منها إلى من يهينها و إن كان فوقها، و إنى من هذا و هذا فى أمر لا يعلمه إلّا اللّه الذى بلانى به، و يا ويح الشجىّ من الخلىّ، و أنا الذى أقول فيما يتخلّل هذا المنزع:

[الطويل]

نسبت لقوم ليتنى نجل غيرهم فلى نسب يعلو و حظّى يسفل

أقطّع عمرى بالتعلّل و المنى و كم يخدع المرء اللبيب التّعلّل

فما لى مكان أرتضيه لهمّة و لا مال منه أستعفّ و أفضل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۱

و لكننى أقضى الحياة تجمّلا و هل يهلك الإنسان إلّا التّجمّل

فقال له سعيد: قصدنا لومك فعطفت اللائمة علينا، و نحن أحقّ بها، و سننظر، إن شاء اللّه تعالى، فيما يرفع اللوم عن الجانبين، ثم تكلّم مع الناصر فى شأنه، فأجرى له رزقا أغناه عن التكفّف، فكانت هذه من حسنات سعيد و أياديه.

[للمطرف بن عمر المروانى]

و قال المطرف بن عمر المروانى يمدح المظفر بن المنصور بن أبى عامر: [الكامل]

إنّ المظفّر لا يزال مظفرا حكما من الرحمن غير مبدّل

و هو الأحقّ بكلّ ما قد حازه من رفعة و رياسة و تفضّل

تلقاه صدرا كلّما قلّبته مثل السنان بمحفل و بجحفل

و حضر يوما مع شاعر الأندلس فى زمانه ابن دراج القسطلّى، فقال له القسطلى: أنشدنى أبياتك التى تقول فيها: [الطويل]

على قدر ما يصفو الخليل يكدّر

فأنشده: [الطويل]

تخيّرت من بين الأنام مهذّبا و لم أدر أنى خائب حين أخبر

فمازجنى كالراح للماء، و اغتدى على كلّ ما جشّمته يتصبر

إلى أن دهانى إذ أمنت غروره سفاها، و أدّانى لما ليس يذكر

و كدّر عيشى بعد صفو، و إنما على قدر ما يصفو الخليل يكدّر

فاهتزّ القسطلّى و قال: و اللّه إنك فى هذه الأبيات لشاعر، و أنا أنشدك فيما يقابلها لبلال بن جرير: [الكامل]

لو كنت أعلم أنّ آخر عهدهم يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

و لكن جعل نفسه فاعلا و عرّضت نفسك لأن يقال: إنك مفعول، فقال: و من أين يلوح ذلك؟

فقال القسطلى: من قولك «و أدّانى لما ليس يذكر» فما يظنّ فى ذلك إلّا أنه أداك إلى موضع فعل بك فيه، فاغتاظ الأموى و قال: يا أبا عمر، و من أين جرت العادة بأن تمزح معى فى هذا الشأن؟

فقال له: حلم بنى مروان يحملنا على أن نخرق العادة فى الحمل على مكارمهم، فسكن غيظه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۲

و كتب المروانى المذكور إلى صاحب له يستعير منه دابّة يخرج عليها للفرجة و الخلاعة:

أنهض اللّه تعالى سيدى بأعباء المكارم، إنّ هذا اليوم قد تبسّم أفقه، بعد ما بكى ودقه، و صقلت أصداء أوراقه، و فتّحت حدائق أحداقه، و قام نوره خطيبا على ساقه، و فضّضت غدرانه، و توّجت أغصانه، و برزت شمسه من حجابها، بعد ما تلفّعت بسحابها، و تنبّه فى أرجاء الروض أرج النسيم، و عرف فى وجهه نضرة النعيم، و قد دعا كلّ هذا ناظر أخيك إن أن يجيله فى هذه المحاسن، و يجدّد نظره فى المنظر الذى هو غير مبتذل و الماء الذى هو غير آسن، و الفحص اليوم أحسن ما ملح، و أبدع ما حرن فيه و جمح، فجد لى بإعارة ما أنهض عليه لمشاهدته و يرفع عنى خجل الابتذال، بمناكب الأنذال، لا زلت نهّاضا بالآمال، مسعفا بمراد كلّ خليل غير مقصّر و لا آل.

[بين الأمير هشام بن عبد الرحمن و أخيه]

و كتب الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى أخيه عبد اللّه المعروف بالبلنسى حين فرّ كتابا يقول فى بعض فصوله: و العجب من فرارك دون أن ترى شيئا.

فخاطبه بجواب يقول فيه: و لا تتعجّب من فرارى دون أن أرى شيئا؛ لأننى خفت أن أرى ما لا أقدر على الفرار بعده، و لكن تعجب

منى أن حصلت فى يدك بعد ما أفلتّ منك.

و قال له وزيره أحمد بن شعيب البلنسى: أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبى أن تجعل بينك و بينه البحر، و تترك بلاد ملكك و ملك أبيك؟ فقال: ما أعرف ما تقول، و كل ما وقى به إتلاف النفس ليس بعار، بل هو محض العقل، و أوّل ما ينظر الأديب فى حفظ رأسه، فإذا نظر فى ذلك نظر فيما بعده.

و قال عبد اللّه بن عبد العزيز الأموى و يعرف بالحجر: [البسيط]

اجعل لنا منك حظّا أيها القمر فإنما حظّنا من وجهك النظر

رآك ناس فقالوا إنّ ذا قمر فقلت كفّوا فعندى منهما الخبر

البدر ليس بغير النّصف بهجته حتى الصباح و هذا كلّه قمر

و قال أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۳

و كم من حديث للنبىّ أبانه و ألبسه من حسن منطقه وشيا

و كم مصعب للنحو قد راض صعبه فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

[بين سعيد بن اضحى و بعض الشعراء]

و حكى أنه دخل بعض شعراء الأندلس على الفقيه سعيد بن أضحى، و كان من أعيان غرناطة، فمدحه بقصيدة، ثم بموشّحة، ثم بزجل، فلم يعطه شيئا، بل شكا إليه فقرا، حتى إنه بكى، فأخذ الدواة و القرطاس و كتب و وضع بين يديه: [البسيط]

شكا مثال الذى أشكوه من عدم و ساءه مثل ما قد ساءنى فبكى

إنّ المقلّ الذى أعطاك دمعته نعم الجواد فتى أعطاك ما ملكا

و قال ابن خفاجة: [الكامل]

نهر كما سال اللّمى سلسال و صبا بليل ذيلها مكسال

و مهبّ نفحة روضة مطلولة فيها لأفراس النسيم مجال

غازلته و الأقحوانة مبسم و الآس صدغ و البنفسج خال

و قال: [الطويل]

و ساق كحيل الطّرف فى شأو حسنه جماح، و بالصبر الجميل حران

ترى للصّبا نارا بخدّيه لم يثر لها من سوادى عارضيه دخان

سقاها و قد لاح الهلال عشيّة كما اعوجّ فى درع الكمىّ سنان

عقارا نماها الكرم فهى كريمة و لم تزن بابن المزن فهى حصان

و قد حان من جون الغمامة أدهم له البرق سوط و العنان عنان

و ضمّخ درع الشمس نحر حديقة عليك و فى الطّلّ السقيط جمان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۴

و نمّت بأسرار الرياض خميلة لها النّور ثغر و النسيم لسان

و قال فى وصف فرس أصفر، و لم يخرج عن طريقته: [السريع]

و أشقر تضرم منه الوغى بشعلة من شعل الباس

من جلّنار ناضر لونه و أذنه من ورق الآس

يطلع للغرّة فى شقرة حبابة تضحك فى الكاس

و قال أبو بكر يحيى بن سهل اليكى يهجو: [الكامل]

أعد الوضوء إذا نطقت به مستعجلا من قبل أن تنسى

و احفظ ثيابك إن مررت به فالظّلّ منه ينجّس الشّمسا

و قال ابن اللّبّانة: [السريع]

أبصرته قصّر فى المشيه لمّا بدت فى خدّه لحيه

قد كتب الشّعر على خدّه أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ

و قال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الإشبيلى فى الأمير الكبير أبى بكر سير من أمراء المرابطين، و كتب بها إليه فى غزاة غزاها: [الكامل]

سر حيث سرت يحلّه النوّار و أراك فيه مرادك المقدار

و إذا ارتحلت فشيّعتك سلامة و غمامة لا ديمة مدرار

تنفى الهجير بظلّها و تنيم بال رشّ القتام و كيف شئت تدار

و قضى الإله بأن تعود مظفّرا و قضت بسيفك نحبها الكفّار

هذا غير ما تمنّاه الجعفى حيث قال: حيث ارتحلت و ديمة، و ما تكاد تنفد معها عزيمة، و إذا سفحت على ذى سفر، فما أحراها بأن تعوق عن الظفر، و نعتها بمدرار، فكان ذلك أبلغ فى الإضرار، و ما أحسن قول القائل: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۵

فسر ذا راية خفقت بنصر و عد فى جحفل بهج الجمال

إلى حمص فأنت بها حلىّ تغاير فيه ربّات الحجال

[بين الحجارى و القاضى اللوشى]

و قال الحجارى فى «المسهب»: كتبت إلى القاضى أبى عبد اللّه محمد اللوشى أستدعى منه شعره لأكتبه فى كتابى، فتوقّف عن ذلك و انقبض عنى، فكتبت إليه: [البسيط]

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب نائى المحلّ بعيد الشخص مغترب

يسير عنك به فى كلّ متّجه كما يمرّ نسيم الريح بالعذب

إنّى و حقّك أهل أن أفوز به و اسأل فديتك عن ذاتى و عن أدبى

فكان جوابه: [البسيط]

يا طالبا شعر من لم يسم فى الأدب ما ذا تريد بنظم غير منتخب

إنى و حقّك لم أبخل به صلفا و من يضنّ على جيد بمخشلب

لكننى صنت قدرى عن روايته فمثله قلّ عن سام إلى الرّتب

خذه إليك كما أكرهت مضطربا محلّلا ذمّ مولاه مدى الحقب

قال: ثم كتب لى ممّا أتحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الأقمار، و أرقّ من نسيم الأسحار.

و قال صالح بن شريف فى البحر و هو من أحسن ما قيل فيه: [البسيط]

البحر أعظم ممّا أنت تحسبه من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا

طام له حبب طاف على زرق مثل السماء إذا ما ملّئت شهبا

و قال أيضا: [السريع]

ما أحسن العقل و آثاره لو لازم الإنسان إيثاره

يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسراره

لا سيّما إن كان فى غربة يحتاج أن يعرف مقداره

و قال ابن برطلة: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۶

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة لذلك يرمينى بهنّ مصيب

غريب أصابته خطوب غريبة (و كلّ غريب للغريب نسيب)

و هذا من أحسن التضمين، الذى يزرى بالدّرّ الثمين.

[بين ابن بقى و التطيلى الأعمى]

و دخل ابن بقى الحمّام و فيه الأعمى التّطيلى فقال له: أجز: [البسيط]

حمّامنا كزمان القيظ محتدم و فيه للبرد صرّ غير ذى ضرر

فقال الأعمى: [البسيط]

ضدّان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشّمس و المطر

و لا يخفى حسن ما قال الأعمى.

و قد ذكر فى «بدائع البداءة» البيتين معا منسوبين إلى ابن بقى، و لنذكر كلامه برمّته لما اشتمل عليه من الفوائد، و نصّه: ذكر ابن بسام قال: دخل الأديبان أبو جعفر بن هريرة التّطيلى المعروف بالأعمى و أبو بكر بن بقى الحمّام، فتعاطيا العمل فيه، فقال الأعمى: [المنسرح]

يا حسن حمّامنا و بهجته مرأى من السّحر كلّه حسن

ماء و نار حواهما كنف كالقلب فيه السرور و الحزن

ثم أعجبه المعنى فقال: [مخلع البسيط]

ليس على لهونا مزيد و لا لحمّامنا ضريب

ماء و فيه لهيب نار كالشمس فى ديمة تصوب

و ابيضّ من تحته رخام كالثّلج حين ابتدا يذوب

و قال ابن بقى:

حمّامنا فيه فصل القيظ

البيتين.

فقال الأعمى، و قد نظر فيه إلى فتى صبيح: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۷

هل استمالك جسم ابن الأمير و قد سالت عليه من الحمّام أنداء

كالغصن باشر حرّ النار من كثب فظلّ يقطر من أعطافه الماء

[بدر الدين الحسن بن زفير يصف حماما ببغداد]

قلت: تذكّرت هنا عند ذكر الحمّام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الإربلى المتطبب إذ قال: رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هارون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى حمّاما متقن الصنعة، حسن البناء، كثير الأضواء، قد احتفّت به الأزهار و الأشجار، فأدخلنى إليه سائسه، و ذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الإربلى و كان سائس هذا الحمّام خادما حبشيّا كبير السّنّ و القدر، فطاف بى عليه، و أبصرت مياهه و شبابيكه و أنابيبه المتّخذ بعضها من فضّة مطليّة بالذهب و غير مطليّة و بعضها على هيئة طائر إذا خرج منها الماء صوّت بأصوات طيبة، و منها أحواض رخام بديعة الصنعة و المياه تخرج من سائر الأنابيب إلى الأحواض و من الأحواض إلى بركة حسنة الإتقان، ثم منها إلى البستان، ثم أرانى نحو عشر خلوات، كلّ خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة أختها، ثم انتهى بى إلى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد، ففتحه، و دخل بى إلى دهليز طويل كلّه مرخم بالرخام الأبيض الساذج، و فى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفس إذا كانوا قعودا و تسع اثنين إذا كانوا نياما، و رأيت من العجائب فى هذه الخلوة أنّ حيطانها الأربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه و بين صقال المرآة، يرى الإنسان سائر بشرته فى أى حائط شاء منها، و رأيت أرضها مصوّرة بفصوص حمر و صفر و خضر و مذهّبة و كلّها متّخذة من بلّور مصبوغ بعضه أصفر و بعضه أحمر، فأما الأخضر فيقال إنه حجارة تأتى من الروم، و أما المذهّب فزجاج ملبّس بالذهب، و تلك الصورة فى غاية الحسن و الجمال، على هيئات مختلفة فى اللون و غيره، و هى ما بين فاعل و مفعول به، إذا نظر المرء إليها تحرّكت شهوته، و قال لى الخادم السائس: هذا صنع على هذه الصفة لمخدومى، حتى أنه إذا نظر ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة و التقبيل و وضع أيدى بعضهم على أعجاز بعض تتحرّك شهوته سريعا، فيبادر إلى مجامعة من يحبّه.

قال الحاكى: و هذه الخلوة دون سائر الخلوات التى دخلت إليها هى مخصوصة بهذا الفعل، إذا أراد الملك شرف الدين هارون الاجتماع فى الحمّام بمن يهواه من الجوارى الحسان و الصور الجميلة و النساء الفائقات الحسن لم يجتمع به إلّا فى هذه الخلوة، من أجل أنه يرى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۸

كل محاسن الصور الجميلة مصوّرة فى الحائط و مجسّمة بين يديه، و يرى كلّ منهما صاحبه على هذه الصفة، و رأيت فى صدر الخلو حوض رخام مضلّع و عليه أنبوب مركب فى صدره، و أنبوب آخر برسم الماء البارد، و الأنبوب الأول برسم الماء الفاتر، و عن يمنة الحوض و يساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مباخر النّدّ و العود، و أبصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة، و سألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة: من أى شىء صنعت؟ فقال لى: ما أعلم.

قال الحاكى: فما رأيت فى عمرى و لا سمعت بمثل تلك الخلوة، و لا بأحسن من ذلك الحمّام، مع أنى ما أحسن أن أصفهما كما رأيتهما، فإنه لم تتكرّر رؤيتى لهما، و لا اتّفق لى الظفر بصناعتهما و مباشرتهما، و فى الذى ذكرت كفاية، انتهى.

[وصف دار جمال الملك البغدادى]

و لمّا اتّصل أبو القاسم على بن أفلح البغدادى الكاتب بأمير المؤمنين المسترشد بالله العباسى، و لقبه جمال الملك، و أعطاه أربع ديار فى درب الشاكرية اشترى دورا أخرى إلى جانبها، و هدم الكلّ، و أنشأ داره الكبيرة، و أعانه الخليفة فى بنائها، و أطلق له أموالا و آلات البناء، و كان فى جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرّة و أجريت الدار بالذهب، و صنع فيها الحمّام العجيب الذى فيه بيت مستراح

فيه أنبوب إن فركه الإنسان يمينا خرج ماء حار و إن فركه شمالا خرج ماء بارد، و كان على إيوان الدار مكتوبا: [السريع]

إن عجب الراءون من ظاهرى فباطنى لو علموا أعجب

شيّدنى من كفّه مزنة يهمل منها العارض الصّيّب

و دبّجت روضة أخلاقه فىّ رياضا نورها مذهب

صدر كسا صدرى من نوره شمسا على الأيام لا تغرب

و كتب على الطرز: [مجزوء الكامل]

و من المروءة للفتى ما عاش دار فاخره

فاقنع من الدنيا بها و اعمل لدار الآخره

هاتيك وافية بما وعدت، و هذى ساخره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۵۹

و كتب على النادى: [المتقارب]

و ناد كأنّ جنان الخلود أعارته من حسنها رونقا

و أعطته من حادثات الزما ن أن لا تلمّ به موثقا

فأضحى يتيه على كلّ ما بنى مغربا كان أو مشرقا

تظلّ الوفود به عكّفا و تمسى الضّيوف به طرّقا

بقيت له يا جمال الملو ك و الفضل مهما أردت البقا

و سالمه فيك ريب الزمان و وقّيت فيه الذى يتّقى

[بعض ما قيل فى الحمام]

و على ذكر الحمّام فما أحكم قول ابن الوردى فيما أظنّ: [الطويل]

و ما أشبه الحمّام بالموت لامرىء تذكر! لكن أين من يتذكّر

يجرّد عن أهل و مال و ملبس و يصحبه من كلّ ذلك مئزر

و قال الشهاب بن فضل اللّه: [المتقارب]

و حمّامكم كعبة للوفود تحجّ إليه حفاة عراه

يكرّر صوت أنابيبه كتاب الطهارة باب المياه

و قد تمثّل بهذين البيتين البرهان القيراطى فى جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره إلى الحمّام، و افتتح الجواب بقوله: [الخفيف]

قد أجبنا و أنت أيضا فصبّح ت بصبحى سوالف و سلاف

و بساق يسبى العقول بساق و قوام وفق العناق خلافى

و وصله بنثر تمثّل فيه بالبيتين كما مرّ.

و لبعضهم: [الخفيف]

إنّ حمّامنا الذى نحن فيه أىّ ماء به و أيّة نار

قد نزلنا به على ابن معين و روينا عنه صحيح البخارى

و ألغز بعضهم فى الحمّام بقوله: [الطويل]

و منزل أقوام إذا ما تقابلوا تشابه فيه وغده و رئيسه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۰

ينفّس كربى إذ ينفّس كربه و يعظم أنسى إذ يقلّ أنيسه

إذا ما أعرت الجوّ طرفا تكاثرت على من به أقماره و شموسه

[عود إلى ملح أهل الأندلس]

رجع إلى ما كنّا فيه من كلام أهل الأندلس، فنقول:

و كان محمد بن خلف بن موسى البيرى متكلّما متحقّقا برأى الأشعرية، و ذاكرا لكتب الأصول فى الاعتقاد، مشاركا فى الأدب، مقدّما فى الطب، و من نظمه يمدح إمام الحرمين رحمه اللّه تعالى: [الخفيف]

حبّ حبر يكنى أبا للمعالى هو دينى ففيه لا تعذلونى

أنا و اللّه مغرم بهواه علّلونى بذكره علّلونى

و كتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبى يستدعى بعض إخوانه إلى مجلس أنس بما صورته:

نحن فى مجلس أغصانه النّدامى، و غمامه الصهباء، فباللّه إلّا ما كنت لروض مجلسنا نسيما، و لزهر حديثنا شميما، و للجسم روحا، و للطيب ريحا، و بيننا عذراء زجاجتها خدرها، و حبابها ثغرها، بل شقيقة حوتها كمامة، أو شمس حجبتها غمامة، إذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها، أو شربها مقهقهة فحمامة على فننها، طافت علينا طوفان القمر على منازل الحول، فأنت و حياتك إكليلنا و قد آن حلولها فى الإكليل، انتهى.

و قال أبو الوليد المذكور: [مجزوء الكامل]

فوق خدّ الورد دمع من عيون السّحب يذرف

برداء الشمس أضحى بعدما سال يجفّف

و تذكّرت هنا بذكر الورد ما حكاه الشيخ أبو البركات هبة اللّه بن محمد النصيبى المعروف بالوكيل، و كان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة، إذ قال: كنت فى زمن الربيع و الورد فى دارى بنصيبين، و قد أحضر من بستانى من الورد و الياسمين شىء كثير، و عملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين، فاتّفق أن دخل علىّ شاعران كانا بنصيبين أحدهما يعرف بالمهذب و الآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدى، فقلت لهما: اعملا فى هاتين الدائرتين، ففكّرا ساعة ثم قال المهذب: [مجزوء الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۱

يا حسنها دائرة من ياسمين مشرق

و الورد قد قابلها فى حلّة من شفق

كعاشق و حبّه تغامزا بالحدق

فاحمرّ ذا من خجل و اصفرّ ذا من فرق

قال: فقلت للحسن: هات، فقال: سبقنى المهذب إلى ما لمحته فى هذا المعنى، و هو قولى: [مجزوء الرمل]

يا حسنها دائرة من ياسمين كالحلى

و الورد قد قابلها فى حلّة من خجل

كعاشق و حبّه تغامزا بالمقل

فاحمرّ ذا من خجل و اصفرّ ذا من وجل

قال: فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد، و المبادرة إلى حكاية الحال، انتهى.

و ما ألطف قول بعضهم: [الطويل]

أرى الورد عند الصبح قد مدّ لى فما يشير إلى التقبيل فى حالة اللّمس

و بعد زوال الشمس ألقاه وجنة و قد أثّرت فى وسطها قبلة الشمس

و قال ابن ظافر فى «بدائع البداءة»: اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة و الأديب أبو العباس ابن صارة الأندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه، و أذاب ورق ودقه، و الأرض قد ضحكت لتعبيس السماء، و اهتزّت و ربت عند نزول الماء، فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع و حليها النّوّار

فقال ابن صارة: [الكامل]

و كأنّ هذا الجوّ فيها عاشق قد شفّه التعذيب و الإضرار

ثم قال ابن صارة أيضا: [الكامل]

و إذا شكا فالبرق قلب خافق و إذا بكى فدموعه الأمطار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۲

فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

من أجل ذلّة ذا و عزّة هذه يبكى الغمام و تضحك الأزهار

و تذكّرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور أنه اجتمع مع القاضى الأعز يوما فقال له ابن ظافر: أجز: [الرجز]

طار نسيم الروض من وكر الزّهر

فقال الأعز:

و جاء مبلول الجناح بالمطر

و يعجبنى قول ابن قرناص: [الطويل]

أظنّ نسيم الروض و الزهر قد روى حديثا ففاحت من شذاه المسالك

و قال دنا فصل الربيع فكلّه ثغور لما قال النسيم ضواحك

رجع إلى الأندلسيين- و ما أرقّ قول ابن الزقاق: [الخفيف]

و رياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها و الغمام يجلد منها زهرات تفوق لون الراح

قلت ما ذنبها؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

و قال أبو إسحاق بن خفاجة: [الطويل]

تعلّقته نشوان من خمر ريقه له رشفها دونى و لى دونه السّكر

ترقرق ماء مقلتاى و وجهه و يذكى على قلبى و وجنته الجمر

أرقّ نسيبى فيه رقّة حسنه فلم أدر أىّ قبلها منهما السّحر

و طبنا معا شعرا و ثغرا كأنما له منطقى ثغر و لى ثغره شعر

و قال أبو الصّلت أمية بن عبد العزيز: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۱۶۲

و قائلة: ما بال مثلك خاملا أ أنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها: ذنبى إلى القوم أننى لما لم يحوزوه من المجد حائز

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۳

و ما فاتنى شيء سوى الحظّ وحده و أمّا المعالى فهى عندى غرائز

و قال: [مجزوء الرمل]

جدّ بقلبى و عبث ثم مضى و ما اكترث

و احربا من شادن فى عقد الصّبر نفث

يقتل من شاء بعى نيه و من شاء بعث

و قال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الأندلس: [الرمل]

نام طفل النبت فى حجر النّعامى لاهتزاز الظّلّ فى مهد الخزامى

و سقى الوسميّ أغصان النّقا فهوت تلثم أفواه الندامى

كحّل الفجر لهم جفن الدّجى و غدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محيّا ثمل قد سقته راحة الصبح مداما

حوله الزهر كؤوس قد غدت مسكة الليل عليهنّ ختاما

و تذكرت هنا قول الآخر، و أظنّه مشرقيّا: [الرمل]

بكر العارض تحدوه النّعامى فسقاك الريّ يا دار أماما

و تمشّت فيك أرواح الصّبا يتأرّجن بأنفاس الخزامى

قد قضى حفظ الهوى أن تصبحى للمحبّين مناخا و مقاما

و بجرعاء الحمى قلبى، فعج بالحمى و اقرأ على قلبى السلاما

و ترحّل فتحدّث عجبا أنّ قلبا سار عن جسم أقاما

قل لجيران الغضى آها على طيب عيش بالغضى لو كان داما

حمّلوا ريح الصّبا من نشركم قبل أن تحمل شيحا و ثماما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۴

و ابعثوا أشباحكم لى فى الكرى إن أذنتم لجفونى أن تناما

و خرج بعض علماء الأندلس من قرطبة إلى طليطلة، فاجتار بحريز بن عكاشة، الشجاع المشهور الذى ذكرنا فى هذا الباب ما يدلّ على شجاعته و قوّته و أيده، بقلعة رباح، فنزل بخارجها فى بعض جنباتها، و كتب إليه: [مجزوء الرمل]

يا فريدا دون ثان و هلالا فى العيان

عدم الراح فصارت مثل دهن البيلسان

فبعث إليه بها، و كتب معها: [مجزوء الرمل]

جاء من شعرك روض جاده صوب اللسان

فبعثناها سلافا كسجاياك الحسان

[من شعر ابن شهيد]

و قال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزّل: [الرمل]

أصباح شيم أم برق بدا أم سنا المحبوب أورى أزندا

هبّ من مرقده منكسرا مسبلا للكمّ مرخ للرّدا

يمسح النّعسة من عينى رشا صائد فى كلّ يوم أسدا

أوردته لطفا آياته صفوة العيش و أرعته ددا

فهو من دلّ عراه زبدة من مريج لم تخالط زبدا

قلت هب لى يا حبيبى قبلة تشف من عمّك تبريح الصّدى

فانثنى يهتزّ من منكبه مائلا لطفا و أعطانى اليدا

كلّما كلّمنى قبّلته فهو إمّا قال قولا ردّدا

كاد أن يرجع من لثمى له و ارتشاف الثغر منه أدردا

و إذا استنجزت يوما وعده أمطل الوعد و قال اصبر غدا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۵

شربت أعطافه ماء الصّبا و سقاه الحسن حتى عربدا

فإذا بتّ به فى روضة أغيد يغذو نباتا أغيدا

قام فى الليل بجيد أتلع ينفض اللّمّة من دمع الندى

و مكان عازب عن جيرة أصدقاء و هم عين العدا

ذى نبات طيّب أعراقه كعذار الشّعر فى خدّ بدا

تحسب الهضبة منه جبلا و حدور الماء منه أبردا

و قال يرثى القاضى ابن ذكوان، نجيب ذلك الأوان، و قد افتنّ فى الآداب، و سنّ فيها سنّة ابن داب، و ما فارق ربع الشباب شرخه، و لا استمجد فى الكهولة عفاره و لا مرخه، و كان لأبى عامر هذا قسيم نفسه، و نسيم أنسه: [الطويل]

ظننّا الذى نادى محقّا بموته لعظم الذى أنحى من الرّزء كاذبا

و خلنا الصباح الطّلق ليلا و أننا هبطنا خداريّا من الحزن كاربا

ثكلنا الدّنا لمّا استقلّ و إنما فقدناك يا خير البريّة ناعبا

و ما ذهبت، إذ حلّ فى القبر، نفسه و لكنما الإسلام أدبر ذاهبا

و لمّا أبى إلّا التحمّل رائحا منحناه أعناق الكرام ركائبا

يسير به النّعش الأعزّ و حوله أباعد كانوا للمصاب أقاربا

عليه حفيف للملائك أقبلت تصافح شيخا ذاكر اللّه تائبا

تخال لفيف الناس حول ضريحه خليطا تخطّى فى الشريعة هاربا

إذا ما امتروا سحب الدموع تفرّعت فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا

فمن ذا لفصل القول يسطع نوره إذا نحن ناوينا الألدّ المناوبا

و من ذا ربيع المسلمين يقوتهم إذا الناس شاموها بروقا كواذبا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۶

فيا لهف قلبى آه ذابت حشاشتى مضى شيخنا الدّفّاع عنّا النوائبا

و مات الذى غاب السرور لموته فليس و إن طال السّرى منه آئبا

و كان عظيما يطرق الجمع عنده و يعنو له ربّ الكتيبة هائبا

و ذا مقول عضب الغرارين صارم يروح به عن حومة الدين ضاربا

أبا حاتم صبر الأديب فإننى رأيت جميل الصّبر أحلى عواقبا

و ما زلت فينا ترهب الدهر سطوة و صعبا به نعيى الخطوب المصاعبا

سأستعتب الأيام فيك لعلّها لصحّة ذاك الجسم تطلب طالبا

لئن أفلت شمس المكارم عنكم لقد أسأرت بدرا لها و كواكبا

قال فى «المطمح»: و دبّت إلى أبى عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب، برئت بها منه أباعد و أقارب، واجهه بها صرف قطوب، و انبرت إليه منها خطوب، نبا لها جنبه عن المضجع، و بقى بها ليالى يأرق و لا يهجع، إلى أن أعلقت فى الاعتقال آماله، و عقلته فى عقال أذهب ماله، فأقام مرتهنا، و لقى وهنا، و قال: [الطويل]

قريب بمحتلّ الهوان مجيد يجود و يشكو حزنه فيجيد

نعى صبره عند الإمام فيا له عدوّ لأبناء الكرام حسود

و ما ضرّه إلّا مزاح و رقّة ثنته سفيه الذّكر و هو رشيد

جنى ما جنى فى قبّة الملك غيره و طوّق منه بالعظيمة جيد

و ما فىّ إلّا الشّعر أثبته الهوى فسار به فى العالمين فريد

أفوه بما لم آته متعرّضا لحسن المعانى تارة فأزيد

فإن طال ذكرى بالمجون فإنها عظائم لم يصبر لهنّ جليد

و هل كنت فى العشّاق أول عاقل هوت بحجاه أعين و خدود

فراق و شجو و اشتياق و ذلّة و جبّار حفّاظ علىّ عتيد

فمن يبلغ الفتيان أنّى بعدهم مقيم بدار الظالمين وحيد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۷

مقيم بدار ساكنوها من الأذى قيام على جمر الحمام قعود

و يسمع للحيان فى جنباتها بسيط كترجيع الصّدى و نشيد

و لست بذى قيد يرنّ، و إنما على اللّحظ من سخط الإمام قيود

و قلت لصدّاح الحمام و قد بكى على القصر إلفا و الدموع تجود

ألا أيها الباكى على من تحبّه كلانا معنّى بالخلاء فريد

و هل أنت دان من محبّ نأى به عن الإلف سلطان عليه شديد

فصفّق من ريش الجناحين واقعا على القرب حتى ما عليه مزيد

و ما زال يبكينى و أبكيه جاهدا و للشوق من دون الضّلوع وقود

إلى أن بكى الجدران من طول شجونا و أجهش باب جانباه حديد

أطاعت أمير المؤمنين كتائب تصرّف فى الأموال كيف تريد

فللشمس عنها بالنهار تأخّر و للبدر شحنا بالظلام صدود

ألا إنها الأيام تلعب بالفتى نحوس تهادى تارة و سعود

و ما كنت ذا أيد فأذعن ذا قوى من الدهر مبد صرفه و معيد

و راضت صعابى سطوة علويّة لها بارق نحو الندى و رعود

تقول التى من بيتها كفّ مركبى أقربك دان أم مداك بعيد

فقلت لها أمرى إلى من سمت به إلى المجد آباء له وجدود

ثم قال: و لزمته آخر عمره علّة دامت به سنين، و لم تفارقه حتى تركته يد جنين، و أحسب أن اللّه أراد بها تمحيصه، و إطلاقه من ذنب كان قنيصه، فطهره تطهيرا، و جعل ذلك على العفو له ظهيرا، فإنها أقعدته حتى حمل فى المحفّة، و عاودته حتى غدت لرونقه مشتفّة، و على ذلك فلم يعطل لسانه، و لم يبطل إحسانه، و لم يزل يستريح إلى القول، و يزيح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۸

ما كان يجده من الغول، و آخر شعر قاله قوله: [الطويل]

و لمّا رأيت العيش لوّى برأسه و أيقنت أنّ الموت لا شكّ لاحقى

تمنّيت أنى ساكن فى عباءة بأعلى مهبّ الرّيح فى رأس شاهق

أردّ سقيط الطّلّ فى فضل عيشتى وحيدا و أحسو الماء ثنى المعالق

خليليّ، من ذاق المنيّة مرّة فقد ذقتها خمسين، قولة صادق

كأنى، و قد حان ارتحالى، لم أفز قديما من الدنيا بلمحة بارق

فمن مبلغ عنّى ابن حزم و كان لى يدا فى ملمّاتى و عند مضايقى:

عليك سلام اللّه إنّى مفارق و حسبك زادا من حبيب مفارق

فلا تنس تأبينى إذا ما ذكرتنى و تذكار أيّامى و فضل خلائقى

و حرّك له باللّه من أهل فنّنا إذا غيّبونى كلّ شهم غرانق

عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه بترجيع شاد أو بتطريب طارق

فلى فى ادّكارى بعد موتى راحة فلا تمنعوها لى علالة زاهق

و إنى لأرجو اللّه فيما تقدّمت ذنوبى به ممّا درى من حقائق

[بين ابن غصن و ابن ذى النون و ابن هود]

و كان أبو مروان عبد الملك بن غصن مستوليا على وزارة ابن عبيدة و لسانه ينشد:

[الطويل]

و شيّدت مجدى بين أهلى و لم أقل ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

و هجا ابن ذى النون بقوله: [الطويل]

تلقّبت بالمأمون ظلما، و إننى لآمن كلبا حيث لست مؤمّنه

حرام عليه أن يجود ببشره و أمّا النّدى فاندب هنالك مدفنه

سطور المخازى دون أبواب قصره بحجّابه للقاصدين معنونه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۶۹

فلمّا تمكّن منه المأمون سجنه، فكتب إلى ابن هود من أبيات: [الطويل]

أيا راكب الوجناء بلّغ تحيّة أمير جذام من أسير مقيّد

و لمّا دهتنى الحادثات و لم أجد لها وزرا أقبلت نحوك أعتدى

و مثلك من يعدى على كلّ حادث رمى بسهام للردى لم ترصد

فعلّك أن تخلو بفكرك ساعة لتنقذنى من طول همّ مجدّد

وها أنا فى بطن الثرى و هو حامل فيسّر على رقبى الشفاعة مولدى

حنانيك ألفا بعد ألف فإننى جعلتك بعد اللّه أعظم مقصدى

و أنت الذى يدرى إذا رام حاجة تضلّ بها الآراء من حيث يهتدى

فرقّ له ابن هود، و تحيّل حتى خلّصه بشفاعته، فلمّا قدم عليه أنشده: [المتقارب]

حياتى موهوبة من علاكا و كيف أرى عادلا عن ذراكا

و لو لم يكن لك من نعمة علىّ و أصبحت أبغى سواكا

لناديت فى الأرض هل مسعف مجيب فلم يصغ إلّا نداكا

فطرب ابن هود، و خلع عليه ثوب وزارته، و جعله من أعلام سلطنته و إمارته.

[بين أبى عامر و الرمادى]

و قال المنصور بن أبى عامر للشاعر المشهور أبى عمر يوسف الرمادى: كيف ترى حالك معى؟ فقال: فوق قدرى و دون قدرك! فأطرق المنصور كالغضبان، فانسلّ الرمادى و خرج و قد ندم على ما بدر منه، و جعل يقول: أخطأت، لا و اللّه ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحقّ، ما كان ضرّنى لو قلت له: إنى بلغت السماء، و تمنطقت بالجوزاء، و أنشد: [الطويل]

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة لنفسى إلّا قد قضيت قضاءها

لا حول و لا قوة إلّا باللّه. و لمّا خرج كان فى المجلس من يحسده على مكانه من المنصور، فوجد فرصة فقال: وصل اللّه لمولانا الظفر و السعد! إنّ هذا الصنف صنف زور و هذيان لا يشكرون نعمة، و لا يرعون إلّا و لا ذمّة، كلاب من غلب، و أصحاب من أخصب، و أعداء من أجدب، و حسبك منهم أنّ اللّه جلّ جلاله يقول فيهم وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ (۲۲۴)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۰

[سورة الشعراء، الآية: ۲۲۴]- إلى ما لا يَفْعَلُونَ [سورة الشعراء، الآية: ۲۲۶] و الابتعاد منهم أولى من الاقتراب، و قد قيل فيهم: ما ظنّك بقوم الصدق يستحسن إلّا منهم؟ فرفع المنصور رأسه، و كان محبّا فى أهل الأدب و الشعر، و قد اسودّ وجهه، و ظهر فيه الغضب المفرط، ثم قال: ما بال أقوام يشيرون فى شىء لم يستشاروا فيه، و يسيئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون، أ يرضى أم يسخط؟

و أنت أيّها المنبعث للشّرّ دون أن يبعث، قد علمنا غرضك فى أهل الأدب و الشعر عامة، و حسدك لهم؛ لأنّ الناس كما قال القائل: [مجزوء الرمل]

من رأى الناس له فض لا عليهم حسدوه

و عرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصّة، و لسنا إن شاء اللّه تعالى نبلّغ أحدا غرضه فى أحد، و لو بلّغناكم بلغنا فى جانبكم، و إنك ضربت فى حديد بارد، و أخطأت وجه الصواب، فزدت بذلك احتقارا و صغارا، و أنى ما أطرقت من كلام الرمادى إنكارا عليه، بل رأيت كلاما يجلّ عن الأقدار الجليلة، و تعجّبت من تهدّيه له بسرعة، و استنباطه له على قلة من الإحسان الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير، و اللّه لو حكّمته فى بيوت الأموال لرأيت أنها لا ترجح ما تكلّم به قلبه ذرة، و إياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام فى شخص قبل أن يؤخذ معه فيه، و لا تحكموا علينا فى أوليائنا و لو أبصرتم منا التغيّر عليهم، فإنّنا لا نتغيّر عليهم بغضا لهم و انحرافا عنهم، بل تأديبا و إنكارا، فإنّا من نريد إبعاده لم نظهر له التغيّر، بل ننبذه مرّة واحدة، فإن التغيّر إنما يكون لمن يراد استبقاؤه، و لو كنت مائل

السمع لكلّ أحد منكم فى صاحبه لتفرّقتم أيدى سبا، و جونبت أنا مجانبة الأجرب، و إنى قد أطلعتكم على ما فى ضميرى فلا تعدلوا عن مرضاتى، فتجنّبوا سخطى بما جنيتموه على أنفسكم، ثم أمر أن يردّ الرمادى و قال له: أعد علىّ كلامك، فارتاع، فقال: الأمر على خلاف ما قدرت، الثواب أولى بكلامك من العقاب، فسكن لتأنيسه، و أعاد ما تكلّم به، فقال المنصور: بلغنا أنّ النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدّرّ لكلام استملحه منه، و قد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنوه و أحسن عائدة، و كتب له بمال و خلع و موضع يتعيّش منه، ثم ردّ رأسه إلى المتكلّم فى شأن الرمادى، و قد كاد يغوص فى الأرض لو وجد لشدّة ما حلّ به ممّا رأى و سمع و قال: و العجب من قوم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۱

يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب، نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها، و لا أياد يرغب فى نشرها، فأين الذين قيل فيهم: [الطويل]

على مكثريهم رزق من يعتريهم و عند المقلّين السماحة و البذل

و أين الذى قيل فيه: [المديد]

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه و محتضره

فإذا ولّى أبو دلف ولّت الدنيا على أثره

أما كان فى الجاهلية و الإسلام أكرم ممّن قيل فيه هذا القول؟ بلى، و لكن صحبة الشعراء و الإحسان إليهم أحيت غابر ذكرهم، و خصّتهم بمفاخر عصرهم، و غيرهم لم تخلّد الأمداح مآثرهم فدثر ذكرهم، و درس فخرهم، انتهى.

[من عدل المعتصم بن صمادح]

و من حكاياتهم فى العدل أنه لمّا بنى المعتصم بن صمادح ملك ألمرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا أحد الصالحين فى جنّة و ألحقوها بالصمادحية، و زعم ذلك الصالح أنها لأيتام من أقاربه، فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة إلى الصمادحية إذ وقعت عينه على أنبوب قصبة مشمع، فأمر من يأتيه به، فلمّا أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها «إذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قول اللّه تعالى إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ (۲۳) [سورة ص، الآية: ۲۳] لا إله إلّا اللّه، أنت ملك قد وسّع اللّه تعالى عليك، و مكّن لك فى الأرض، و يحملك الحرص على ما يفنى أن تضمّ إلى جنّتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرّمت بها حلالها، و خبثت طيبها، و لئن تحجّبت عنى بسلطانك، و اقتدرت علىّ بعظم شأنك، فنجتمع غدا بين يدى من لا يحجب عن حقّ، و لا تضيع عنده شكوى. فلمّا استوعب قراءتها دمعت عيناه، و أخذته خشية خيف عليه منها، و كانت عادته رحمه اللّه تعالى، و قال: علىّ بالمشتغلين ببناء الصمادحية، فأحضروا، فاستفسرهم عمّا زعم الرجل، فلم يسعهم إلّا صدقه، و اعتذروا بأنّ نقصها من الصمادحية يعيبها فى عين الناظر، فاستشاط غضبا و قال: و اللّه إنّ عيبها فى عين الخالق أقبح من عيبها فى عين المخلوق، ثم أمر بأن تصرف إليه، و احتمل تعويرها لصمادحيته. و لقد مرّ بعض أعيان ألمرية و أخيارها مع جماعة على هذا المكان الذى أخرجت منه جنّة الأيتام فقال أحدهم: و اللّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۲

لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب، فقال له: اسكت، فو اللّه إنّ هذه القطعة طراز هذا المنظر و فخره، و كان المعتصم إذا نظر إليها قال: أشعرتم أن هذا المكان المعوجّ فى عينى أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية؟ ثم إنّ وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ و الأيتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن، و ذلك بعد مدة طويلة، فاستقام بها بناء الصمادحية، و حصل للمعتصم حسن السمعة فى الناس، و الجزاء عند اللّه تعالى:

[عز الدولة بن المعتصم بن صمادح]

و لمّا مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه وليّ عهده الواثق عزّ الدولة أبو محمد عبد اللّه، و فارق الملك كما أوصاه المعتصم والده و فى ذلك يقول: [الطويل]

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا بأرض اغتراب لا أمرّ و لا أحلى

و قد أصدأت فيها الجذاذة أنملى كما نسيت ركض الجياد بها رجلى

فلا مسمعى يصغى لنغمة شاعر و كفّى لا تمتدّ يوما إلى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عزّ الدولة بن المعتصم بن صمادح فإنى رأيت منه خير من يجتمع به، كأنه لم يخلقه اللّه تعالى إلّا للملك و الرياسة و إحياء الفضائل، و نظرت إلى همّته تنمّ من تحت خموله كما ينمّ فرند السيف و كرمه من تحت الصدأ، مع حفظه لفنون الأدب و التواريخ و حسن استماعه و إسماعه، و رقّة طباعه و لطافة ذهنه، و لقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء فى ذلك المكان و وصفته بهذه الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، و رغب إلىّ فى أن أستأذنه فى ذلك، فلما أعلمت عزّ الدولة قال: يا أبا بكر، لتعلم أنّا اليوم فى خمول و ضيق لا يتّسع لنا معهما، و لا يحمل بنا الاجتماع مع أحد، لا سيما مع ذى أدب و نباهة يلقانا بعين الرحمة، و يزورنا بمنّة التفضّل فى زيارتنا، و نكابد من ألفاظ توجّعه و ألحاظ تفجّعه ما يجدّد لنا همّا قد بلى، و يحيى كمدا قد فنى، و ما لنا قدرة على أن نجود عليه بما يرضى به عن همّتنا، فدعنا كأننا فى قبر، نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر، و أما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، و امتزجت امتزاج الماء بالخمر، فكأنّا لم نكشف حالنا لسوانا، و لا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا تحمل غيرك محملك، قال ابن اللبانة: فملأ و اللّه سمعى بلاغة لا تصدر إلّا عن سداد و نفس أبيّة متمكّنة من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۳

أعنّة البيان، و انصرفت متمثّلا: [الطويل]

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده و لم يبق إلّا صورة اللحم و الدم

و كائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلّم

[بين ابن اللبانة و عز الدولة بن المعتصم]

و كتب إليه ابن اللبانة: [البسيط]

يا ذا الذى هزّ أمداحى بحليته و عزّه أن يهزّ المجد و الكرما

و اديك لا زرع فيه اليوم تبذله فخذ عليه لأيام المنى سلما

فتحيّل فى قليل برّ و وجّهه إليه و كتب معه: [البسيط]

المجد يخجل من يفديك من زمن ثناك عن واجب البرّ الذى علما

فدونك النّزر من مصف مودّته حتّى يوفّيك أيام المنى السّلما

[من شعر عز الدولة بن المعتصم و رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح]

و من شعر عز الدولة المذكور: [الطويل]

أفدّى أبا عمرو و إن كان عاتبا فلا خير فى ودّ يكون بلا عتب

و ما كان ذاك الودّ إلّا كبارق أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

و قال الشقندى فى الطرف: إنّ عزّ الدولة أشعر من أبيه. و أمّا أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق، و منه ما كتب به إلى يحيى بن مطروح يستدعيه لأنس: [الرمل]

يا أخى بل سيّدى بل سندى فى مهمّات الزمان الأنكد

لح بأفق غاب عنه بدره فى اختفاء من عيون الحسّد

و تعجّل فحبيبى حاضر و فمى يشتاق كأسى فى يدى

فأجابه ابن مطروح، و هو من أهل باغة، بقوله: [الرمل]

أنا عبد من أقلّ الأعبد قبلتى وجه بأفق الأسعد

كلما أظمأنى ورد فما منهلى إلّا بذاك المورد

ها أنا بالباب أبغى إذنكم و الظّما قد مدّ للكأس يدى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۴

و كان قد سلّط عليه إنسان مختلّ إذا رآه يقول: هذا ألف لا شىء عليه، يعنى أنّ ملكه ذهب عنه و بقى فارغا منه، فشكا رفيع الدولة ذلك إلى بعض أصحابه، فقال: أنا أكفيك مؤونته، و اجتمع مع الأحمق، و اشترى له حلواء، و قال له: إذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلّم عليه و قبّل يده و لا تقل هذا ألف لا شىء عليه، فقال: نعم، و اشترط الوفاء بذلك، إلى أن لقيه فجرى نحوه و قبّل يده و قال: هذا هو باء بنقطة من أسفل، فقامت قيامة رفيع الدولة، و كان ذلك أشدّ عليه، و كان به علّة الحصا فظنّ أنّ الأحمق علم ذلك و قصده، و صار كلّما أحسّ به فى موضع تجنّبه.

و استأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ [سورة البقرة، الآية: ۱۳۴] استحقارا له و استثقالا للإذن له، فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب إليه: [الطويل]

خلت أمّتى لكنّ ذاتى لم تخل و فى الفرع ما يغنى إذا ذهب الأصل

و ما ضرّكم لو قلتم قول ماجد يكون له فيما يجىء به الفضل

و كلّ إناء بالذى فيه راشح و هل يمنح الزنبور ما مجّه النّحل

سأصرف وجهى عن جناب تحلّه و لو لم تكن إلّا إلى وجهك السّبل

فما موضع تحتلّه بمرفّع و لا يرتضى فيه مقال و لا فعل

و قد كنت ذا عذل لعلّك ترعوى و لكن بأرباب العلا يجمل العذل

[من شعر أبى جعفر بن المعتصم و لابن زهر و لابن شرف و لابن خفاجة]

و أما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب و المطرب و المغرب، و من شعره: [الطويل]

كتبت و قلبى ذو اشتياق و وحشة و لو أنه يسطيع مرّ يسلّم

جعلت سواد العين فيه سواده و أبيضه طرسا و أقبلت ألثم

فخيّل لى أنى أقبّل موضعا يصافحه ذاك البنان المسلّم

و أما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع.

و قال أبو العلاء بن زهر: [الكامل]

تمّت محاسن وجهه و تكاملت لمّا بدا و عليه صدغ مونق

و كذلك البدر المنير جماله فى أن تكنّفه سماء أزرق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۵

و قال أبو الفضل بن شرف: [السريع]

يا من حكى البيدق فى شكله أصبح يحكيك و تحكيه

أسفله أوسع أجزائه و رأسه أصغر ما فيه

و قال ابن خفاجة: [السريع]

يا أيها الصّبّ المعنّى بهها هو لا خلّ و لا خمر

سوّد ما ورّد من خدّه فصار فحما ذلك الجمر

[من شعر البياسى و لابن حريق و لأبى الحسن بن الفضل]

و قال أبو عبد اللّه البياسى: [الرمل]

صغر الرأس و طول العنق شاهدا عدل بفرط الحمق

و لمّا سمعه أبو الحسن بن حريق قال: [الرمل]

صغر الرأس و طول العنق خلقة منكرة فى الخلق

فإذا أبصرتها من رجل فاقض فى الحين له بالحمق

و قال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك و ابن عيّاش: [الطويل]

لعمرى لقد سرّ الخلافة قائما بخطبته الغرّاء سهل بن مالك

و أما ابن عياش و قد كان مثله فضلّوا جميعا بين تلك المسالك

و مات و ماتوا حسرة و حسادة و غيظا فقلنا هالك فى الهوالك

و سهل بن مالك له ترجمة مطوّلة، رحمه اللّه تعالى!

[قصة فى الوفاء و القيام بحق الإخاء]

و من حكاياتهم فى الوفاء و حسن الاعتذار و القيام بحقّ الإخاء أنّ الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز، ثابتا على مودّته، و لمّا قضى اللّه تعالى على هاشم بالأسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الأموى ذكره فى جماعة من خدّامه، و الوليد حاضر، فاستقصره، و نسبه للطيش و العجلة و الاستبداد برأيه، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد، فقال: أصلح اللّه تعالى الأمير! إنه لم يكن على هاشم التخير فى الأمور، و لا الخروج عن المقدور، بل قد استعمل جهده، و استفرغ نصحه، و قضى حقّ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۶

الإقدام، و لم يكن ملاك النصر بيده، فخذله من وثق به، و نكل عنه من كان معه، فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه، حتى ملك مقبلا غير مدبر، مبليا غير فشل، فجوزى خيرا عن نفسه و سلطانه، فإنه لا طريق للملام عليه، و ليس عليه ما جنته الحرب الغشوم، و أيضا فإنه ما قصد أن يجود بنفسه إلّا رضا للأمير، و اجتنابا لسخطه، فإذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ، فأعجب الأمير كلامه، و شكر له وفاءه، و أقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم، و سعى فى تخليصه، و اتّصل الخبر بهاشم، فكتب إليه:

الصديق من صدقك فى الشدّة لا فى الرخاء، و الأخ من ذبّ عنك فى الغيب لا فى المشهد، و الوفىّ من وفى لك إذا خانك زمان، و قد أتانى من كلامك بين يدى سيدنا- جعل اللّه تعالى نعمته سرمدا!- ما زادنى بمودّتك اغتباطا، و بصداقتك ارتباطا، و لذلك ما كنت أشدّ يدى على وصلك، و أخصّك بإخائى، و أنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء، و أنت أقدر منى على أن تزيد ما بدأت به بأن تتمّ ما شرعت فيه، حتى تتكمّل لك المنّة، و يستوثق عقد الصداقة، إن شاء اللّه تعالى، و كتب إليه بشعر منه: [الطويل]

أيا ذاكرى بالغيب فى محفل به تصامت جمع عن جواب به نصرى

أتتنى و البيداء بينى و بينها رقى كلمات خلّصتنى من الأسر

لئن قرّب اللّه اللقاء فإننى سأجزيك ما لا ينقضى غابر الدّهر

فأجابه الوليد: خلصك اللّه أيها البدر من سرارك! و عجّل بطلوعك فى أكمل تمامك و إبدارك! وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت، و لم أخرج عن النصح للسلطان بما زكنته من ذلك، و اللّه تعالى شاهد، على أنّ ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى إن خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق، ما أردت بها إلّا أداء بعض ما أعتقده لك، و كم سهرت و أنا نائم، و قمت فى حقى و أنا قاعد، و اللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا، ثم ذكر أبياتا لم تحضرنى الآن.

[قصة فى علو الهمة]

و من حكاياتهم فى علوّ الهمّة فى العلم و الدنيا أنه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة، و به نحوىّ حوله شباب يقرءون، فنظروا إليه، و قالوا له مستهزئين به: ما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۷

يحمل الفقيه؟ و ما يحسن من العلوم؟ و ما يقول؟ فقال لهم: أحمل اثنى عشر ألف دينار، وها هى تحت إبطى، و أخرج لهم اثنتى عشرة ياقوتة، كلّ واحدة منها بألف دينار، و أمّا الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه، و أما الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه، و أما الذى أقول فأنتم كذا، و جعل يسبهم، هكذا نقلت هذه الحكاية من خطّ الشيخ أبى حيان النحوى، رحمه اللّه تعالى!

[عباس بن فرناس حكيم الأندلس]

و من حكاياتهم فى الذكاء و استخراج العلوم و استنباطها أنّ أبا القاسم عباس بن فرناس، حكيم الأندلس، أوّل من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة و أوّل من فكّ بها كتاب العروض للخليل، و أوّل من فكّ الموسيقى، و صنع الآلة المعروفة بالمنقالة، ليعرف الأوقات على غير رسم و مثال، و احتال فى تطيير جثمانه، و كسا نفسه الريش، و مدّ له جناحين، و طار فى الجوّ مسافة بعيدة، و لكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه، فتأذّى فى مؤخره، و لم يدر أنّ الطائر إنما يقع على زمكّه، و لم يعمل له ذنبا، و فيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر من أبيات: [الطويل]

يطمّ على العنقاء فى طيرانها إذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

و صنع فى بيته هيئة السماء، و خيّل للناظر فيها النجوم و الغيوم و البروق و الرعود، و فيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا: [المنسرح]

سماء عباس الأديب أبى ال قاسم ناهيك حسن رائقها

أمّا ضراط استه فراعدها فليت شعرى ما لمع بارقها

لقد تمنّيت حين دوّنها فكرى فى البصق فى است خالقها

و أنشد ابن فرناس الأمير محمدا من أبيات: [الطويل]

رأيت أمير المؤمنين محمدا و فى وجهه بذر المحبّة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد: قبحا لما ارتكبته! جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر، فخجل و سبّه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۸

[أول من اشتهر فى الأندلس بالحساب و النجوم]

و أول من اشتهر فى الأندلس بعلم الأوائل و الحساب و النجوم أبو عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة؛ لأنه كان يشرّق فى صلاته، و كان عالما بحركات الكواكب و أحكامها، و كان صاحب فقه و حديث، دخل المشرق، و سمع بمكّة من على بن عبد العزيز، و بمصر من المزنى و غيره.

و منهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة، من أهل قرطبة، و كان بصيرا بالحساب و النجوم و النحو و اللغة و العروض و معانى الشعر و الفقه و الحديث و الأخبار و الجدل، و دخل إلى المشرق، و قيل: إنه كان معتزلى المذهب.

و أبو القاسم أصبغ بن السمح، و كان بارعا فى علم النجوم و الهندسة، و له تآليف منها كتاب «المدخل إلى الهندسة فى تفسير أقليدس»، و كتاب كبير فى الهندسة، و كتابان فى الأسطرلاب، و زيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند.

و أبو القاسم بن الصفار، و كان عالما بالهندسة و العدد و النجوم، و له زيج مختصر على مذاهب السند هند، و له كتاب فى عمل الأسطرلاب.

و منهم أبو الحسن الزهراوى، و كان عالما بالعدد و بالطب و الهندسة، و له كتاب شريف فى المعاملات على طريق البرهان.

و منهم أبو الحكم عمر الكرمانى، من أهل قرطبة، من الراسخين فى علم العدد و الهندسة، و دخل المشرق، و اشتغل بحرّان، و هو أوّل من دخل برسائل إخوان الصفا إلى الأندلس.

و منهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف إشبيلية، و كان متصرّفا فى علوم الفلسفة و الهندسة و النجوم و الطب، و تلميذه ابن برغوث، و كان عالما بالعلوم الرياضية، و تلميذه أبو الحسن مختار الرعينى، و كان بصيرا بالهندسة و النجوم، و عبد اللّه بن أحمد السرقسطى، كان ناقدا فى علم الهندسة و العدد و النجوم، و محمد بن الليث، كان بارعا فى العدد و الهندسة و حركات الكواكب، و ابن حىّ، قرطبى بصير بالهندسة و النجوم، و خرج عن الأندلس سنة اثنتين و أربعين و أربعمائة، و لحق بمصر، و دخل اليمن، و اتّصل بأميرها الصّليحى القائم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۷۹

بدعوة المستنصر العبيدى، فحظى عنده، و بعثه رسولا إلى بغداد إلى القائم بأمر اللّه، و توفى باليمن بعد انصرافه من بغداد، و ابن الوقشى الطليطلى، عارف بالهندسة و المنطق و الزيوج، و غيرهم ممّن يطول تعدادهم.

و كان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشى من أعلم الناس بالهندسة و آراء الحكماء و النحو و اللغة و معانى الأشعار و العروض و صناعة الكتابة و الفقه و الشروط و الفرائض و غيرها، و هو كما قال الشاعر: [الوافر]

و كان من العلوم بحيث يقضى له فى كلّ فنّ بالجميع

و من شعره قوله: [الكامل]

قد بيّنت فيه الطبيعة أنها بدقيق أعمال المهندس ماهره

عنيت بمبسمه فخطّت فوقه بالمسك خطّا من محيط الدائره

و عزم على ركوب البحر إلى الحجاز فهاله ذلك، فقال: [السريع]

لا أركب البحر و لو أننى ضربت فيه بالعصا فانفلق

ما إن رأت عينى أمواجه فى فرق إلّا تناهى الفرق

و كان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن مهند مصنّف الأدوية المفردة آية اللّه تعالى فى الطب و غيره، حتى أنه عانى جميع ما فى كتابه من الأدوية المفردة، و عرف ترتيب قواها و درجاتها، و كان لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها، و إذا اضطرّ إلى الأدوية فلا يرى التداوى بالمركّبة ما وجد سبيلا إلى المفردة، و إذا اضطرّ إلى المركّب لم يكثر التركيب، بل يقتصر على أقل ما يمكنه، و له غرائب مشهورة فى الإبراء من الأمراض الصعبة و العلل المخوفة بأيسر علاج و أقربه.

و منهم ابن البيطار، و هو عبد اللّه بن أحمد المالقى الملقّب بضياء الدين، و له عدّة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۰

مصنّفات فى الحشائش لم يسبق إليها، و توفى بدمشق سنة ست و أربعين و ستمائة، أكل عقارا قاتلا فمات من ساعته، رحمه اللّه تعالى!.

[مثل من حفظ أهل الأندلس]

و من حكاياتهم فى الحفظ أن الأديب الأوحد حافظ إشبيلية، بل الأندلس فى عصره، أبا المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبى غالب، كان أعجوبة دهره فى الرواية للأشعار و الأخبار، قال ابن سعيد: أخبرنى من أثق به أنه حضر معه ليلة عند أحد رؤساء إشبيلية فجرى ذكر حفظه، و كان ذلك فى أول الليل، فقال لهم: إن شئتم تختبرونى أجبتكم، فقالوا له: بسم اللّه، إنّا نريد أن نحدّث عن تحقيق، فقال: اختاروا أىّ قافية شئتم لا أخرج عنها، حتى تعجبوا، فاختاروا القاف، فابتدأ من أوّل الليل إلى أن طلع الفجر، و هو ينشد وزن: [الكامل]

أرق على أرق و مثلى يأرق

و سمّاره قد نام بعض و ضجّ بعض، و هو ما فارق قافية القاف.

و قال أبو عمران بن سعيد: دخلت عليه يوما بدار الأشراف بإشبيلية، و حوله أدباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرّمّة، فمدّ الهيثم يده إلى الديوان المذكور، فمنعه منه أحد الأدباء، فقال: يا أبا عمران، أواجب أن يمنعه منى و ما يحفظ منه بيتا، و أنا أحفظه؟ فأكذبته الجماعة، فقال: اسمعونى و أمسكوه، فابتدأ من أوّله حتى قارب نصفه، فأقسمنا عليه أن يكفّ، و شهدنا له بالحفظ.

و كان آية فى سرعة البديهة، مشهورا بذلك، قال أبو الحسن بن سعيد: عهدى به فى إشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا، و على ثان موشحة، و على ثالث زجلا، كلّ ذلك ارتجالا.

و لمّا أخذ الحصار بمخنّق إشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين، و لا يدرى حيث و لا أين.

و من شعره و قد نزل بداره عبيد السلطان، و كتب به إلى صاحب الأنزال: [الكامل]

كم من يد لك لا أقوم بشكرها و بها أشير إليك إن خرست فمى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۱

و قد استشرتك فى الحديث فهل ترى أن يدخل الغربان وكر الهيثم

و له: [البسيط]

يجفى الفقير و يغشى الناس قاطبة باب الغنىّ، كذا حكم المقادير

و إنما الناس أمثال الفراش فهم بحيث تبدو مصابيح الدنانير

و له: [البسيط]

عندى لفقدك أوجال أبيت بها كأننى واضع كفّى على قبس

و لا ملامة إن لم أهد نيّره حتى تمدّ إليها كفّ مقتبس

قد كنت أودع سرّ الشوق فى طرس لكننى خفت أن يعدو على الطّرس

و أنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة فى إملائه: [الكامل]

قف بالكثيب لغيرك التأنيب إنّ الكثيب هوى لنا محبوب

يا راحلين لنا عليكم وقفة و لكم علينا دمعنا المسكوب

تخلى الديار من المحبّة و الهوى أبدا و تعمر أضلع و قلوب

و قال ارتجالا فى وصف فرس أصفر: [الوافر]

أطرف فات طرفى أم شهاب هفا كالبرق ضرّمه التهاب

أعار الصبح صفحته نقابا ففرّ به و صحّ له النقاب

فمهما حثّ خال الصبح وافى ليطلب ما استعار فما يصاب

إذا ما انقضّ كلّ النجم عنه و ضلّت عن مسالكه السحاب

فيا عجبا له فضل الدرارى فكيف أذال أربعه التراب

سل الأرواح عن أقصى مداه فعند الريح قد يلفى الجواب

[ابن سيده و شيء من شعره]

و قال أبو عمر الطلمنكى: دخلت مرسية، فتشبّث بى أهلها يسمعون علىّ الغريب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۲

المصنّف، فقلت: انظروا من يقرأ لكم، و أمسكت أنا كتابى، فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه علىّ من أوّله إلى آخره، فعجبت من حفظه، و كان أعمى ابن أعمى.

و ابن سيده المذكور هو أبو الحسن على بن أحمد بن سيده، و هو صاحب كتاب «المحكم».

و من نظمه ممّا كتب به إلى ابن الموفّق: [الطويل]

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فإنّ الأمن فى ذاك و اليمنا

و منها:

ضحيت فهل فى برد ظلّك نومة لذى كبد حرّى و ذى مقلة وسنى

و توفى ابن سيده المذكور سنة ثمان و خمسين و أربعمائة، و عمره نحو الستين، رحمه اللّه تعالى!

[المظفر بن الأفطس و حبه للعلم]

و من حكاياتهم فى حبّ العلم أنّ المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الأبّار كثير الأدب، جمّ المعرفة، محبّا لأهل العلم، جمّاعة للكتب، ذا خزانة عظيمة، لم يكن فى ملوك الأندلس من يفوقه فى أدب و معرفة، قاله ابن حيان.

و قال ابن بسام: كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع و لا منازع، و له التصنيف الرائق، و التأليف الفائق، المترجم ب «التذكرة» و المشتهر أيضا اسمه بالكتاب المظفّرى، فى خمسين مجلّدا، يشتمل على فنون و علوم من مغاز و سير و مثل و خبر و جميع ما يختصّ به علم الأدب، أبقاه للناس خالدا، و توفى المظفر سنة ستين و أربعمائة.

و كان يحضر العلماء للمذاكرة، فيفيد و يستفيد، رحمه اللّه تعالى!

[من كبار مؤلفات أهل الأندلس و من دعابات أهل الأندلس]

و من التآليف الكبار لأهل الأندلس كتاب «السماء و العالم» الذى ألّفه أحمد بن أبان صاحب شرطة قرطبة، و هو مائة مجلّد، رأيت بعضه بفاس، و توفى ابن أبان سنة اثنتين و ثمانين و ثلاثمائة، رحمه اللّه تعالى!.

و لأهل الأندلس دعابة و حلاوة فى محاوراتهم، و أجوبة بديهية مسكتة، و الظّرف فيهم و الأدب كالغريزة، حتى فى صبيانهم و يهودهم، فضلا عن علمائهم و أكابرهم.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۳

و لنذكر جملة من ذكر الجلّة فنقول:

حكى عن عالم ألمريّة القاضى أبى الحسن مختار الرعينى، و كان فيه حلاوة و لوذعية و وقار و سكون، أنه استدعاه يوما زهير ملك المريّة من مجلس حكمه، فجاءه يمشى مشية قاض قليلا قليلا، فاستعجله رسول زهير، فلم يعجل، فلمّا دخل عليه قال له: يا فقيه، ما هذا البطء؟ فتأخّر إلى باب المجلس، و طلب عصا، و شمّر ثيابه، فقال له زهير: ما هذا؟ قال: هذا يليق باستعجال الحاجب لى، فوقع فى خاطرى أنه عزلنى عن القضاء و ولّانى الشرطة، فضحك زهير و استحلاه و لم يعد إلى استعجاله.

و هذا القاضى هو القائل- و قد دخل حمّاما فجلس بإزائه عامىّ أساء الأدب عليه-:

[الطويل]

ألا لعن الحمّام دارا فإنه سواء به ذو العلم و الجهل فى القدر

تضيع به الآداب حتى كأنها مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

و روى أنّ المقرئ أبا عبد اللّه محمد بن الفراء إمام النحو و اللغة فى زمانه- و كانت فيه فطنة و لوذعيّة- أبطأ خروجه يوما إلى تلامذته، فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال أحدهم نصف بيت، و كان فيهم وسيم من أبناء الأعيان، و كان ابن الفراء كثير الميل إليه، فلمّا خرج قال له: يا أستاذ، عملت نصف بيت، و أريد أن تتمّه، فقال: ما هو؟ فقال: [المتقارب]

ألا بأبى شادن أوطف

فقال الأستاذ ابن الفراء بديها: [المتقارب]

إذا كان وردك لا يقطف و ثغر ثناياك لا يرشف

فأىّ اضطرار بنا أن نقول: ألا بأبى شادن أوطف

و هذا ابن الفراء هو القائل: [مجزوء الخفيف]

قيل لى: قد تبدّلا فاسل عنه كما سلا

لك سمع و ناظر و فؤاد فقلت: لا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۴

قيل: غال وصاله قلت: لمّا غلا حلا

أيّها العاذل الذى بعذابى توكّلا

عد صحيحا مسلّما لا تعيّر فتبتلى

و تذكّرت بهذا ما أنشده لسان الدين فى كتابه، «روضة التعريف، بالحب الشريف»:

[مجزوء الخفيف]

قلت للساخر الذى رفع الأنف فاعتلى

أنت لم تأمن الهوى لا تعيّر فتبتلى

و من بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله: [المتقارب]

شكوت إليه بفرط الدّنف فأنكر من قصّتى ما عرف

و قال الشهود على المدّعى و أمّا أنا فعلىّ الحلف

فجئنا إلى الحاكم الألمعىّ قاضى المجون و شيخ الطّرف

و كان بصيرا بشرع الهوى و يعلم من أين أكل الكتف

فقلت: له إقض ما بيننا فقال الشهود على ما تصف

فقلت له شهدت أدمعى فقال إذا شهدت تنتصف

ففاضت دموعى من حينها كفيض السحاب إذا ما يكف

فحرّك رأسا إلينا و قال دعوا يا مهاتيك هذا الصلف

كذا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف

و أوما إلى الورد أن يجتنى و أوما إلى الرّيق أن يرتشف

فلمّا رآه حبيبى معى و لم يختلف بيننا مختلف

أزال العناد فعانقته كأنى لام و حبّى ألف

فظلت أعاتبه فى الجفا فقال عفا اللّه عمّا سلف

[من ملح الزهرى خطيب إشبيلية]

و حكى عن الزهرى خطيب إشبيليـة- و كـان أعرج- أنه خرج مع ولـده إلى وادى إشبيليـة، فصادف جماعـة فى مركب، و كان ذلك بقرب الأضحى، فقال بعضهم له: بكم هذا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۵

الخروف؟ و أشار إلى ولده، فقال له الزهرى: ما هو للبيع، فقال: بكم هذا التيس؟ و أشار إلى الشيخ الزهرى، فرفع رجله العرجاء و قال: هو معيب لا يجزئ فى الضحيّة، فضحك كل من حضر، و عجبوا من لطف خلقه.

و ركب مرّة هذا النهر مع الباجى يوم خميس، فلمّا أصبحا و صعد الزهرى يخطب يوم الجمعة، و الباجى حاضر قدّامه، فنظر إليه الباجى و أومأ إلى محلّ الحدث، و أخرج لسانه، فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة، يشير بالعصا إلى جوابه على ما قصد، رحمه اللّه تعالى!

[ابن ورد و أحد الأعيان]

و مرّ العـالم أبو القـاسم بن ورد صـاحب التـآليف فى علم القرآن و الحـديث بجنّـة لأحـد الأعيان فيها ورد، فوقف بالباب و كتب إليه: [الخفيف]

شاعر قد أتاك يبغى أباه عند ما اشتاق حسنه و شذاه

و هو بالباب مصغيا لجواب يرتضيه النّدى فماذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم أنه ابن ورد، فبادر من جنّته إليه، و أقسم فى النزول عليه، و نثر من الورد ما استطاع بين يديه.

[من ملح ابن الطراوة نحوى المرية]

و حكى أن أبا الحسين سليمان بن الطراوة نحوىّ المرية حضر مع ندماء، و إلى جانبه من أخذ بمجامع قلبه، فلمّا بلغت النوبة إليه استعفى من الشرب، و أبدى القطوب، فأخذ ابن الطراوة الجام من يده و شربها عنه، و يا بردها على كل كبده، ثم قال بديها: [السريع]

يشربها الشيخ و أمثاله و كلّ من تحمد أفعاله

و البكر إن لم يستطع صولة تلقى على البازل أثقاله

و دخل عليه و هو مع ندمائه غلام و الكأس فى يده فقال: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۶

ألا بأبى و غير أبى غزال أتى و براحه للشرب راح

فقال منادمى فى الحسن صفه فقلت الشمس جاء بها الصباح

و قال فيمن جاء بالراح: [الطويل]

و لمّا رأيت الصبح لاح بخدّه دعوتهم رفقا تلح لكم الشمس

و أطلعها مثل الغزالة و هو كال غزال فتمّ الطيب و اكتمل الأنس

و قال، و قد شرب ليلة فى القمر: [الطويل]

شربنا بمصباح السماء مدامة بشاطى غدير و الأزاهر تنفح

و ظلّ جهول يرقب الصبح ضلّة و من أكؤس لم يبرح الليل يصبح

[مدغليس صاحب الموشحات و الأزجال]

و كان عبد الله بن الحاج المعروف بمدغلّيس صاحب الموشّحات يشرب مع ندماء ظراف فى جنّة بهجة، فجاءتهم ورقة من ثقيل يرغب فى الإذن، و كان له ابن مليح فكتب إليه مدغليس: [مجزوء الرمل]

سيّدى هذا مكان لا يرى فيه بلحيه

غير تيس مصفعانىّ له بالصّفع كديه

أوله ابن شافع فى ه فيلقى بالتّحيّه

أيها القابل أقبل سائقا تلك المطيّه

و كان مدغلّيس هذا مشهورا بالانطباع و الصنعة فى الأزجال، خليفة ابن قزمان فى زمانه، و كان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان فى الزجالين بمنزلة المتنبى فى الشعراء، و مدغلّيس بمنزلة أبى تمام، بالنظر إلى الانطباع و الصناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، و مدغلّيس ملتفت للفظ، و كان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان، و لكنه لمّا رأى نفسه فى الزجل أنجب اقتصر عليه.

و من شعره قوله: [المجتث]

ما ضرّكم لو كتبتم حرفا و لو باليسار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۷

إذ أنتم نور عينى و مطلبى و اختيارى

[لابن الفراء و ترجمته و جده]

و قال الخطيب الأديب النحوى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفراء- المذكور قبل هذا بقريب- الضرير، فى صبىّ كان يقرأ عليه النحو، اسمه حسن، و هو غاية الجمال- بعد أن سأله: كيف تقول إذا تعجّبت من حسنك؟ فقال أقول: ما أحسنى- [السريع]

يا حسنا ما لك لم تحسن إلى نفوس بالهوى متعبه

رقمت بالورد و بالسوسن صفحة خدّ بالسنا مذهبه

و قد أبى صدغك أن أجتنى منه و قد ألدغنى عقربه

يا حسنه إذ قال ما أحسنى و يا لذاك اللفظ ما أعذبه

ففوّق السهم و لم يخطنى و إذ رآنى ميّتا أعجبه

و قال كم عاش و كم حبّنى و حبّه إياى قد عذّبه

يرحمه اللّه على أننى قتلى له لم أدر ما أوجبه

و قد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة، ذكره ابن غالب فى «فرحة الأنفس، فى فضلاء العصر من الأندلس» و كان شاعرا مجيدا، يعلّم بألمرية القرآن و النحو و اللغة، و كانت فيه فطنة و لوذعية، و ذكاء و ألمعيّة، خرق بها العوائد.

و حكى أنّ قاضى المرية قبل شهادته فى سطل ميزه فى حمام باللمس، و اختبره فى ذلك بحكاية طويلة.

و ذكره صفوان فى «زاد المسافر» و وصفه بالخطيب.

و جدّه القاضى أبو عبد الله ابن الفراء مشهور بالصلاح و الفضل و الزهد، و من العجائب أنه ليس له ترجمة فى «المغرب»، و لمّا كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أهل ألمرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذى يقول فيه [ما صورته:] فما ذكره أمير المسلمين من افتضاء المعونة و تأخّرى عن ذلك، و أنّ الباجى، و جميع القضاة و الفقهاء بالعدوة و الأندلس أفتوا بأنّ عمر بن الخطاب، رضى اللّه تعالى عنه، اقتضاها، و كان صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ضجيعه فى قبره، و لا يشكّ فى عدله، فليس أمير المسلمين بصاحب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۸

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و لا- بضجيعه فى قبره، و لا- من لا- يشكّ فى عدله، فإن كان الفقهاء و القضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل، فاللّه تعالى سائلهم عن تقلّدهم فيك، و ما اقتضاها عمر، رضى اللّه تعالى عنه، حتى دخل مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و حلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم و تحلف أن ليس عندك درهم واحد و لا فى بيت مال المسلمين، و حينئذ تستوجب ذلك، و السلام، انتهى.

[ابن الفراء الأخفش بن ميمون]

و أمّا ابن الفراء الأخفش بن ميمون الذى ذكره الحجارى فى «المسهب» فليس هو من هؤلاء، بل هو من حصن القبداق من أعمال قلعة بنى سعيد، و تأدّب فى قرطبة، ثم عاد إلى حضرة غرناطة، و اعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى، و هو القائل: [البسيط]

صابح محيّاه تلق النّجح فى الأمل و انظر بناديه حسن الشمس فى الحمل

ما إن يلاقى خليل فيه من خلل و كلّما حال صرف الدهر لم يحل

و كان يهاجى المنفتل شاعر إلبيرة، و من هجاء المنفتل له قوله: [مجزوء الرمل]

لابن ميمون قريض زمهرير البرد فيه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۱۸۸

فإذا ما قال شعرا نفقت سوق أبيه

و لمّا وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح بشعر، فقال له بعض من أراد ضرّه: يا سيدى، لا تقرب هذا اللعين، فإنه قال فى اليهودى: [الطويل]

و لكنّ عندى للوفاء شريعة تركت بها الإسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة: هذا و اللّه هو الحرّ الذى ينبغى أن يصطنع، فلو لا و فاؤه ما بكى كافرا بعد موته، و قد وجدنا فى أصحابنا من لا يرعى مسلما فى حياته. فقال فيه المنفتل:

[المجتث]

إن كنت أخفش عين فإنّ قلبك أعمى

فكيف تنثر نثرا و كيف تنظم نظما

و من شعر الأخفش المذكور قوله: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۸۹

إذا زرتكم غبّا فلم ألق بالبرّ و إن غبت لم أطلب و لم أجر فى الذّكر

فإنى إذن أولى الورى بفراقكم و لا سيّما بعد التجلّد و الصّبر

[ابن مسعود و الطليق القرشى]

و لمّا وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد اللّه محمد بن مسعود الغسّانى البجالى اتّهم برهق فى دينه، فسجنه فى المطبق مع الطليق القرشى، و الطليق غلام و سيم، و كان ابن مسعود كلفا به يومئذ و فيه يقول: [البسيط]

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب و كنت أحسب هذا فى التكاذيب

رامت عداتى تعذيبى و ما شعرت أنّ الذى فعلوه ضدّ تعذيبى

راموا بعادى عن الدنيا و زخرفها فكان ذلك إدنائى و تقريبى

لم يعلموا أنّ سجنى لا أبا لهم قد كان غاية مأمولى و مرغوبى

و سجن ابن مسعود و الطليق قبله، و وقع بينه و بين الطليق، و عاد المدح هجاء، فقال فيه: [السريع]

ولى جليس قربه منّى بعد الأمانى كذبا عنّى

قد قذيت من لحظه مقلتى و قرّحت من لفظه أذنى

هوّن لى فى السجن من قربه أشدّ فى السجن من السجن

لو أنّ خلقا كان ضدّا له زاد على يوسف فى الحسن

إذا ارتمى فكرى فى وجهه سلّط إبطيه على ذهنى

كأنما يجلس من ذا و ذا بين كنيفين من النّتن

و قال يخاطب المنصور من السجن: [السريع]

دعوت لمّا عيل صبرى فهل يسمع دعواى المليك الحليم

مولاى مولاى، ألا عطفة تذهب عنى بالعذاب الأليم

إن كنت أضمرت الذى زخرفوا عنّى فدعنى للقدير الرحيم

فعنده نزّاعة للشّوى و عنده الفردوس ذات النعيم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۰

[بين جارية و شاعر من المرية و بين البياسى و شيخ ثقيل]

و ركب بعض أهل المريّة فى وادى إشبيلية، فمرّ على طاقة من طاقات شنتبوس، و هو يغنّى:

خلين من واد و من قوارب و من نزاها فى شنتبوس

غرس الحبق الذى فى دارى أحبّ عندى من العروس

فأخرجت رأسها جارية و قالت له: من أى بلد أنت يا من غنّى؟ فقال: من ألمرية، فقالت: و ما أعجبك فى بلدك حتى تفضّله على وادى إشبيلية و هو بوجه مالح وقفا أحرش؟

و هذا من أحسن تعييب، و ذلك أنها أتته بالنقيض من إشبيلية، فإنّ وجهها النهر العذب، و قفاها بجبال الرحمة أشجار التين و العنب، لا تقع العين إلّا على خضرة فى أيام الفرج، و أين إشبيلية من المرية. و فى ألمرية يقول السميسر شاعرها: [الخفيف]

بئس دار المرية اليوم دارا ليس فيها لساكن ما يحبّ

بلدة لا تمار إلّا بريح ربّما قد تهبّ أو لا تهبّ

يشير إلى أنّ مرافقها مجلوبة، و أن الميرة تأتيها فى البحر من برّ العدوة، و فيها يقول أيضا: [المجتث]

قالوا المرية فيها نظافة قلت إيه

كأنها طست تبر و يبصق الدم فيه

و حكى مؤرخ الأندلس أبو الحجاج البياسى، أنه دخل عليه فى مجلس أنس شيخ ضخم الجثّة مستثقل، فقال البياسى: [مجزوء الخفيف]

اسقنى الكأس صاحيه ودع الشيخ- ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى: [مجزوء الخفيف]

إن تكن ساقيا له ليس ترويه ساقيه

[أبو على بن حسون قاضى مالقة]

و حكى أنّ العالى إدريس الحمودى لمّا عاد إلى ملكه بمالقة و بّخ قاضيها الفقيه أبا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۱

على بن حسّون، و قال له: كيف بايعت عدوىّ من بعدى و صحبته؟ فقال: و كيف تركت أنت ملكك لعدوّك؟ فقال: ضرورة القدرة حملتنى على ذلك، فقال: و أنا أيضا حصلت فى يد من لا يسعنى إلّا طاعته.

و من نظم القاضى المذكور: [السريع]

رفعت من دهرى إلى جائر و يبتغى العدل بأحكامى

أضحت به أملاكه مثل أش كال خيال طوع أيامى

هذا لما أبرم ذا ناقض كأنّهم فى حكم أحلام

و كان الفقيه العالم أبو محمد عبد اللّه الوحيدى قاضى مالقة جرى- كما قال الحجارى- فى صباه طلق الجموح و لم يزل يعاقب بين غبوق و صبوح، إلى أن دعاه النذير، فاهتدى منه بسراج منير، و أحلّته تلك الرجعة، فيما شاء من الرفعة.

و قال بعض معاشريه: كنت أماشيه زمن الشباب، فكلّما مررنا على امرأة يدعو حسنها و شكلها إلى أن تحير فيه الألباب، أمال إليها

طرفه، و لم ينح عنها صرفه، ثم سايرته بعد لمّا رجع عن ذلك و اقتصر، فرأيته يغضّ البصر، و يخلى الطريق معرضا إلى ناحية، متى زاحمته امرأة و لو حكت الشمس ضاحية، فقلت له فى ذلك، فقال: [الخفيف]

ذاك وقت قضيت فيه غرامى من شبابى فى سترة الإظلام

ثم لمّا بدا الصباح لعينى من مشيبى ودّعته بسلام

و من شعره فى صباه: [البسيط]

لا ترتجوا رجعتى باللوم عن غرض و لتتركونى و صيدى فرصة الخلس

طلبتم ردّ قلبى عن صبابته و من يردّ عنان الجامح الشرس

و لمّا أقصر باطله، و عرّيت أفراس الصبا و رواحله، قال: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۲

و لمّا بدا شيبى عففت عن الهوى كما يهتدى حلف السّرى بنجوم

و فارقت أشياع الصبابة و الطّلا و ملت إلى أهلى علا و علوم

[موقف لابن الفخار]

و لمّا تألّب بنو حسّون على القاضى الوحيدى المذكور صادر عنه العالم الأصولى أبو عبد اللّه بن الفخار، و طلع فى حقّه إلى حضرة الإمامة مراكش، و قام فى مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين، و هو قد غصّ بأربابه، و قال: إنه لمقام كريم، نبدأ فيه بحمد اللّه على الدنوّ منه، و نصلّى على خيرة أنبيائه محمد الهادى إلى الصراط المستقيم، و على آله و صحابته نجوم الليل البهيم، أمّا بعد، فإنا نحمد اللّه الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا، و جعلك للدين الحنيفى نصيرا و ظهيرا، و نفزع إليك ممّا دهمنا فى حماك، و نبثّ إليك ما لحقنا من الضيم و نحن تحت ظلّ علاك، و يأبى اللّه أن يدهم من احتمى بأمير المسلمين، و يصاب بضيم من ادّرع بحصنه الحصين، شكوى قمت بها بين يديك فى حقّ أمرك الذى عضده مؤيّده، لتسمع منها ما تختبره برأيك و تنقده، و إنّ قاضيك ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام، و رضيت بعدله فيمن بها من الخاصة و العوام، لم يزل يدلّ على حسن اختيارك بحسن سيرته، و يرضى اللّه تعالى و يرضى الناس بظاهره و سريرته، ما علمنا عليه من سوء، و لا درينا له موقف خزى، و لم يزل جاريا على ما يرضى اللّه تعالى و يرضيك و يرضينا إلى أن تعرّضت بنو حسّون إلى الطعم فى أحكامه، و الهدّ من أعلامه، و لم يعلموا أنّ اهتضام المقدّم، راجع على المقدّم، بل جمحوا فى لجاجهم فعموا و صمّوا، و فعلوا و أمضوا ما به همّوا: [الخفيف]

و إلى السّحب يرفع الكفّ من قد جفّ عنه مسيل عين و نهر

فملأ سمعه بلاغة أعقبت نصره و نصر صاحبه.

و من شعر ابن الفخار المذكور، و يعرف بابن نصف الربض، قوله: [الطويل]

أ مستنكر شيب المفارق فى الصّبا و هل ينكر النّور المفتّح فى الغصن

أظنّ طلاب المجد شيّب مفرقى و إن كنت فى إحدى و عشرين من سنّى

و قوله: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۳

أقلّ عتابك إنّ الكريم يجازى على حبّه بالقلى

و خلّ اجتنابك إنّ الزمان يمرّ بتكديره ما حلا

و واصل أخاك بعلّاته فقد يلبس الثوب بعد البلى

و قلّ كالذى قاله شاعر نبيل و حقّك أن تنبلا

إذا ما خليل أسا مرّة و قد كان فيما مضى مجملا

ذكرت المقدّم من فعله فلم يفسد الآخر الأوّلا

[لابن شرف]

و لمّا وفد أبو الفضل بن شرف من برجة فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة إلى أهل حضرة المملكة العظمى أنشده قصيدته القافية: [الرمل]

مطل الليل بوعد الفلق و تشكّى النجم طول الأرق

ضربت ريح الصّبا مسك الدّجى فاستفاد الروض طيب العبق

و ألاح الفجر خدّا خجلا جال من رشح النّدى فى عرق

جاوز الليل إلى أنجمه فتساقطن سقوط الورق

و استفاض الصبح فيه فيضة أيقن النجم لها بالغرق

فانجلى ذاك السنا عن حلك و انمحى ذاك الدجى عن شفق

بأبى بعد الكرى طيف سرى طارقا عن سكن لم يطرق

زارنى و الليل ناع سدفه و هو مطلوب بباقى الرّمق

و دموع الطّلّ تمريها الصّبا و جفون الروض غرقى الحدق

فتأتّى فى إزار ثابت و تثنّى فى وشاح قلق

و تجلّى وجهه عن شعره فتجلّى فلق عن غسق

نهب الصبح دجى ليلته فحبا الخدّ ببعض الشفق

سلبت عيناه حدّى سيفه و تحلّى خدّه بالرونق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۴

و امتطى من طرفه ذا خبب يلثم الغبراء إن لم يعنق

أشوس الطرف علته نخوة يتهادى كالغزال الخرق

لو تمطّى بين أسراب المها نازعته فى الحشا و العنق

حسرت دهمته عن غرّة كشفت ظلماؤها عن يقق

لبست أعطافه ثوب الدجى و تحلّى خدّه باليقق

و انبرى تحسبه أجفل عن لسعة أو جنّة أو أولق

مدركا بالمهل ما لا ينتهى لاحقا بالرفق ما لم يلحق

ذو رضا مستتر فى غضب ذو وقار منطو فى خرق

و على خدّ كعضب أبيض أذن مثل سنان أزرق

كلّما نصّبها مستمعا بدت الشّهب إلى مسترق

حاذرت منه شبا خطّيّة لا يجيد الخطّ ما لم يمشق

كلّما شامت عذارى خدّه خفقت خفق فؤاد فرق

فى ذرا ظمآن فيه هيف لم يدعه للقضيب المورق

يتلقّانى بكفّ مصقع يقتفى شأو عذار مفلق

إن يدر دورة طرف يلتمح أو يجل جول لسان ينطق

عصفت ريح على أنبوبه و جرت أكعبه فى زئبق

كلّما قلّبه باعد عن متن ملساء كمثل البرق

جمع السّرد قوى أزرارها فتآخذن بعهد موثق

أوجبت فى الحرب من وخز القنا فتوارت حلقا فى حلق

كلّما دارت بها أبصارها صوّرت منها مثال الحدق

زلّ عنه متن مصقول القوى يرتمى فى مائها بالحرق

لو نضا و هو عليه ثوبه لتعرّى عن شواظ محرق

أكهب من هبوات أخضر من فرند أحمر من علق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۵

و ارتوت صفحاه حتى خلته بحيا منّ لكفّيك سقى

يا بنى معن لقد ظلّت بكم شجر لولاكم لم تورق

لو سقى حسّان إحسانكم ما بكى ندمانه فى جلّق

أو دنا الطائىّ من حيّكم ما حدا البرق لربع الأبرق

أبدعوا فى الفضل حتى كلّفوا كاهل الأيام ما لم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه، و حسده بعض من حضر، و كان من جملة من حسده ابن أخت غانم، فقال له: من أى أنت؟ قال: أنا من الشرف فى الدرجة العالية، و إن كانت البادية علىّ بادية، و لا أنكر حالى، و لا أعرف بخالى، فمات ابن أخت غانم خجلا، و شمت به كلّ من حضر.

[من شعر الحكيم الفيلسوف أبى الفضل الجذامى]

و ابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب إفريقية أبى عبد اللّه محمد بن شرف الجذامى؛ ولد ببرجة، و قيل: إنه دخل الأندلس مع أبيه و هو ابن سبع سنين، و من نظمه قوله: [الطويل]

رأى الحسن ما فى خدّه من بدائع فأعجبه ما ضمّ منه و حرّفا

و قال لقد ألفيت فيه نوادرا فقلت له لا بل غريبا مصنّفا

و قوله: [مخلع البسيط]

قد وقف الشكر بى لديكم فلست أقوى على الوفاده

و نلت أقصى المراد منكم فصرت أخشى من الزياده

و قوله: [المتقارب]

إذا ما عدوّك يوما سما إلى رتبة لم تطق نقضها

فقبّل و لا تأنفن كفّه إذا أنت لم تستطع عضّها

و قوله، و قد تقدّم به على كل شاعر: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۶

لم يبق للجور فى أيامهم أثر غير الذى فى عيون الغيد من حور

و أوّل هذه القصيدة قوله:

قامت تجرّ ذيول العصب و الحبر ضعيفة الخصر و الميثاق و النظر

و كان قد قصر أمداحه على المعتصم، و كان يفد عليه فى الأعياد و أوقات الفرج و الفتوحات، فوفد عليه مرّة يشكو عاملا ناقشه فى قرية يحرث فيها، و أنشده الرائية التى مرّ مطلعها إلى أن بلغ قوله:

لم يبق للجور

البيت.

فقال له: كم فى القرية التى تحرث فيها؟ فقال: فيها نحو خمسين بيتا، فقال له: أنا أسوّغك جميعها لهذا البيت الواحد، ثم وقّع له بها، و عزل عنها نظر كلّ وال.

و له ابن فيلسوف شاعر مثله، و هو أبو عبد اللّه محمد بن أبى الفضل المذكور، و هو القائل: [الخفيف]

و كريم أجارنى من زمان لم يكن من خطوبه لى بدّ

منشد كلّما أقول تناهى ما لمن يبتغى المكارم حدّ

[أبو عبد اللّه محمد بن معمر ابن أخت غانم]

و ابن أخت غانم هو العالم اللغوى أبو عبد اللّه محمد بن معمر؛ من أعيان مالقة، متفنّن فى علوم شتّى، إلّا أنّ الغالب عليه علم اللغة، و كان قد رحل من مالقة إلى المرية، فحلّ عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية، و هو القائل فى ابن شرف الطمذكور:

[الكامل]

قولوا لشاعر برجة هل جاء من أرض العراق فحاز طبع البحترى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۷

وافى بأشعار تضجّ بكفّه و تقول: هل أعزى لمن لم يشعر

يا جعفرا، ردّ القريض لأهله و اترك مباراة لتلك الأبحر

لا تزعمن ما لم تكن أهلا له هذا الرّضاب لغير فيك الأبخر

و ذكره ابن اليسع فى معربه و قال: إنه حدثه بداره فى مالقة و هو ابن مائة سنة، و أخذ عنه عام أربعة و عشرين و خمسمائة، و له تآليف منها «شرح كتاب النبات» لأبى حنيفة الدّينورى، فى ستين مجلّدا، و غير ذلك.

و غانم خاله الذى يعرف به هو الإمام العالم غانم المخزومى، نسب إليه لشهرة ذكره، و علوّ قدره.

[بين أبن عبدون و ابن ضابط]

و لمّا قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون فى أول شبابه على أبى الوليد بن ضابط النحوى المالقى، جرى بين يديه ذكر الشعر، و كان قد ضجر منه، فقال: [المجتث]

الشعر خطّة خسف

فقال ابن عبدون معرّضا به حين كان مستجديا بالشعر، و كان إذ ذاك شيخا: [المجتث]

لكلّ طالب عرف

للشيخ عيبة عيب و للفتى ظرف ظرف

و ابن ضابط هو القائل فى المظفر بن الأفطس: [الطويل]

نظمنا لك الشعر البديع لأننا علمنا بأنّ الشعر عندك ينفق

فإن كنت منّى بامتداح مظفّرا فإنى فى قصدى إليك موفّق

و دخل غانم المخزومى السابق ذكره، و هو من رجال الذخيرة، على الملك بن حبّوس صاحب غرناطة، فوسّع له على ضيق كان فى المجلس، فقال: [البسيط]

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبّين

و لا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلّما تسع الدنيا بغيضين

و هو القائل: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۸

و قد كنت أغدو نحو قطرك فارحا فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا

و قد كنت فى مدحيك سحبان وائل فها أنا من فرط التأسّف باقلا

و له أيضا: [السريع]

الصبر أولى بوقار الفتى من ملك يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حالة كان على أيّامه بالخيار

[بين ابن الغليظ و ابن السراج]

و كتب أبو على الحسن بن الغليظ إلى صاحبه أبى عبد اللّه بن السراج، و قد قدم من سفر: [البسيط]

يا من أقلّب طرفى فى محاسنه فلا أرى مثله فى الناس إنسانا

لو كنت تعلم ما لقيت بعدك ما شربت كأسا و لا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه و قال: أردت مجاوبتك، فخفت أن أبطئ، و صنعت الجواب فى الطريق: [البسيط]

يا من إذا ما سقتنى الراح راحته أهدت إلىّ بها روحا و ريحانا

من لم يكن فى صباح السبت يأخذها فليس عندى بحكم الظرف إنسانا

فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا مذاكرا حسنا فيه و إحسانا

و فى البساتين إن ضاق المحلّ بنا مندوحة لا عدمنا الدهر بستانا

و وفد أبو على الحسن بن كسرين المالقى الشاعر المشهور على ملك إشبيلية السيد أبى إسحاق إبراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على، فأنشده قصيدة طار مطلعها فى الأقطار، كلّ مطار، و هو: [الكامل]

قسما بحمص إنه لعظيم فهى المقام و أنت إبراهيم

[العطاء المالقى فى وصف غادة]

و وصف الشاعر عطاء المالقى غادة جعلت على رأسها تاجا فقال: [السريع]

و ذات تاج رصّعوا دوره فزاد فی لألائها باللآل

كأنها شمس و قد توّجت بأنجم الجوزاء فوق الهلال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۱۹۹

قد اشتكى الخلخال منها إلى سوارها فاشتبها فی المقال

و أجريا ذكر الوشاح الذی لمّا يزل من خصرها فی مجال

فقال: لم أرض بما نلته و ليتنی مثلكما لا أزال

أغصّ بالخصر و أعيا به كغصّ ظمآن بماء زلال

و إنما الدهر بغير الرّضا يقضی فكلّ غير راض بحال

و هو القائل: [مجزوء الخفيف]

سل بحمّامنا الذی كلّ عن شكره فمی

كم أرانی بقربه جنّة فی جهنّم

[أبو القاسم السهيلی]

و كان يحضر حلقة الإمام السّهيلی وضيء الوجه من تلامذته، فانقطع لعارض، فخرج السهيلی مارّا فی الطريق الذی جرت عادته بالمشی فيه، فوجد قناة تصلح، فمنعته من المرور، فرجع و سلك طريقا آخر، فمرّ على دار تلميذه الوضيء، فقال له بعض أصحابه ممازحا بعبوره على منزله، فقال: نعم، و أنشد ارتجالا: [المتقارب]

جعلت طريقی على بابه و مالی على بابه من طريق

و عاديت من أجله جيرتی و آخيت من لم يكن لی صديق

فإن كان قتلی حلالا لكم فسيروا بروحی سيرا رفيق

و أبو القاسم السّهيلی مشهور، عرّف به ابن خلكان و غيره، و يكنى أيضا بأبی زيد، و هو صاحب كتاب «الروض الأنف» و غيره.

و اجتاز على سهيل و قد خربه العدوّ لمّا أغار عليه و قتلوا أهله و أقاربه، و كان غائبا عنهم، فاستأجر من أركبه دابّة، و أتى به إليه، فوقف بإزائه، و أنشد: [الكامل]

يا دار، أين البيض و الآرام؟ أم أين جيران علیّ كرام

راب المحبّ من المنازل أنه حيّا فلم يرجع إليه سلام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۰

لمّا أجابنی الصّدى عنهم و لم يلج المسامع للحبيب كلام

طارحت ورق حمامها مترنّما بمقال صبّ و الدموع سجام

(يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك و الأيام ليس تضام)

[بين السهيلی و الرصافی]

و جرى بين السهيلی و الرصافی الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافی: [المتقارب]

عفا اللّه عنّی فإنّی امرؤ أتيت السلامة من بابها

على أنّ عندى لمن هاجنى كنائن غصّت بنشّابها

و لو كنت أرمى بها مسلما لكان السهيلىّ أولى بها

و توفى السهيلى بمراكش سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة، و زرت قبره بها مرارا سنة عشر و ألف، و سكن رحمه اللّه تعالى إشبيلية مدّة، و لازم القاضى أبا بكر بن العربى و ابن الطراوة، و عنه أخذ لسان العرب، و كان ضريرا.

و من شعره أيضا لما قال: «كيف أمسيت» مكان «كيف أصبحت»: [الطويل]

لئن قلت صبحا كيف أمسيت مخطئا فما أنا فى ذاك الخطا بملوم

طلعت و أفقى مظلم لفراقكم فخلتك بدرا و المساء همومى

[أبو الفضل بن حسداى الوزير الكاتب]

و حكى أنّ الوزير الكاتب أبا الفضل بن حسداى الإسلامى السرقسطى، و هو من رجال الذخيرة، عشق جارية ذهبت بلبّه، و غلبت على قلبه، فجنّ بها جنونه، و خلع عليها دينه، و علم بذلك صاحبها فزفّها إليه، و جعل زمامها فى يديه، فتحامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظنّ الناس أنّ إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره، و خفى على كثير من الناس أمره، و من شعره قوله: [الطويل]

و أطربنا غيم يمازج شمسه فيستر طورا بالسحاب و يكشف

ترى قزحا فى الجوّ يفتح قوسه مكبّا على قطن من الثّلج يندف

و كان فى مجلس المقتدر بن هود ينظر فى مجلّد، فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۱

و أراد أن يندّر به، فقال له، و كان ذلك بعد إسلامه: يا أبا الفضل، ما الذى تنظر فيه من الكتب، لعلّه التوراة؟ فقال: نعم، و جلدها من جلد دبغه من تعلم، فمات خجلا، و ضحك المقتدر.

[أبو الربيع السرقسطى و بين على بن خير و ابن عبد الصمد السرقسطى]

و أراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطى حضور نديم له، فكتب إليه: [السريع]

بالراح و الريحان و الياسمين و بكرة الندمان قبل الأذين

و بهجة الروض بأندائه مقلّدا منه بعقد ثمين

ألا أجب سبقا ندائى إلى ال كأس تبدّت لذّة الشاربين

هامت بها الأعين من قبل أن يخبرها الذوق بحقّ اليقين

لاحت لدينا شفقا معلنا فكن لها باللّه صبحا مبين

و كتب على بن خير التطيلى إلى ابن عبد الصمد السرقسطى يستدعيه إلى مجلس أنس: أنا- أطال اللّه تعالى بقاء الكاتب سراج العلم و شهاب الفهم!- فى مجلس قد عبقت تفاحه، و ضحكت راحه، و خفقت حولنا للطرب ألوية، و سالت بيننا للهو أودية، و حضرتنا مقلة تسأل منك إنسانها، و صحيفة فكن عنوانها، فإن رأيت أن تجعل إلينا القصد، لنحصل بك فى جنّة الخلد، صقلت نفوسا أصدأها بعدك، و أبرزت شمسا أدجاها فقدك.

فأجابه ابن عبد الصمد: فضضت- أيها الكاتب العليم، و المصقع الحبر الصميم- طابع كتابك، فمنحنى منه جوهر منتخب، لا يشوبه مخشلب، هو السحر إلّا أنه حلال، دلّ على ودّ حنيت ضلوعك عليه، و وثيق عهد انتدب كريم سجيّتك إليه، فسألت فالق الحبّ، و

عامر القلب بالحبّ، أن يصون لى حظى منك، و يدرأ لى النوائب عنك، و لم يمنعنى أن أصرف وجه الإجابة إلى مرغوبك، و أمتطى جواد الانحدار إلى محبوبك، إلّا عارض ألم ألمّ بى فقيّد بقيده نشاطى، و روّى براحته بساطى، و تركنى أتململ على فراشى كالسليم، و أستمطر الإصباح من الليل البهيم، و أنا منتظر لإدباره.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۲

[قصة من رقة طباع الأندلسيين]

و من لطف أهل الأندلس و رقّة طباعهم ما حكاه أبو عمرو بن سالم المالقى قال: كنت جالسا بمنزلى بمالقة، فهاجت نفسى أن أخرج إلى الجبّانة، و كان يوما شديد الحرّ، فراودتها على القعود، فلم تمكنى من القعود، فمشيت حتى انتهيب إلى مسجد يعرف برابطة الغبار، و عنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على المالقى، فقال لى: إنى كنت أدعو اللّه تعالى أن يأتينى بك، و قد فعل، فالحمد للّه، فأخبرته بما كان منى، ثم جلست عنده، فقال:

أنشدنى، فأنشدته لبعض الأندلسيين: [الكامل]

غصبوا الصباح فقسّموه خدودا و استوعبوا قضب الأراك قدودا

و رأوا حصا الياقوت دون نحورهم فتقلّدوا شهب النجوم عقودا

لم يكفهم حدّ الأسنّة و الظّبا حتى استعاروا أعينا و خدودا

فصاح الشيخ، و أغمى عليه، و تصبّب عرقا، ثم أفاق بعد ساعة، و قال: يا بنى، اعذرنى فشيئان يقهرانى، و لا أملك نفسى عندهما: النظر إلى الوجه الحسن، و سماع الشعر المطبوع، و انتهى.

و ستأتى هذه الأبيات فى هذا الباب بأتمّ من هذا.

و على كل حال فهى لأهل الأندلس، لا لابن دريد كما ذكره بعضهم، و سيأتى تسمية صاحبها الأندلسى، كما فى كتاب «المغرب» لابن سعيد العنسى المشهور، رحمه اللّه تعالى:

و قال بعض الأدباء ليحيى الجزار، و هو يبيع لحم ضأن: [المنسرح]

لحم إناث الكباش مهزول

فقال يحيى:

يقول للمشترين مه زولوا

و قال التطيلى الأعمى فى وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة: [مجزوء الكامل]

أسد و لو أنّى أنا قشه الحساب لقلت صخره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۳

و كأنّه أسد السما ء يمجّ من فيه المجرّه

و حضر جماعة من أعيان الأدباء مثل الأبيض و ابن بقى و غيرهما من الوشّاحين، و اتّفقوا على أن يصنع كلّ واحد منهم موشّحة، فلمّا أنشد الأعمى موشّحته التى مطلعها:

ضاحك عن جمان سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان و حواه صدرى

خرّق كلّ منهم موشّحته.

و تحاكمت امرأة إلى القاضى أبى محمد عبد اللّه اللّاردىّ الأصبحى، و كانت ذات جمال و نادرة، فحكم لزوجها عليها، فقالت له: من

يضيع قلبه كلّ طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا، تشير إلى قوله: [الخفيف]

أين قلبى؟ أضاعه كلّ طرف فاتر يصرع الحليم لديه

كلّما ازداد ضعفه ازداد فتكا أىّ صبر ترى يكون عليه

[بين ابن خفاجة و ابن عنق الفضة]

و حضر أبو إسحاق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع أبى محمد جعفر بن عنق الفضّة الفقيه السالمى، و تذاكرا، فاستطال ابن عنق الفضّة، و لعب بأطراف الكلام، و لم يكن ابن خفاجة يعرفه، فقال له: يا هذا، لم تترك لأحد حظّا فى هذا المجلس! فليت شعرى من تكون؟ فقال:

أنا القائل: [الرمل]

الهوى علّمنى سهد الليال و نظام الشعر فى هذى اللآل

كلّما هبّت شمال منهم لعبت بى عن يمين و شمال

و أرقّت فكرتى أرواحها فأتت منهنّ بالسحر الحلال

كان كالملح أجاجا خاطرى و سحاب الحبّ أبدته زلال

فاهتزّ ابن خفاجة، و قال: من يكون هذا قوله لا ينبغى أن يجهل، و لك المعذرة فى جهلك، فإنك لم تعرّفنا بنفسك، فباللّه من تكون؟ فقال: أنا فلان، فعرفه و قضى حقّه.

و حكى ابن غالب فى «فرحة الأنفس» أنّ الوزير أبا عثمان بن شنتفير و أبو عامر بن عبد شلب و فدا رسولين على المعتمد بن عباد، عن إقبال الدولة بن مجاهد و المعتصم بن صمادح و المقتدر بن هود، لإصلاح ما كان بين المعتمد و بين ابن ذى النون، فسرّ المعتمد بهم

و أكرمهم، و دعاهم إلى طعام صنعه لهم، و كان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك، فلمّا رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب، فلمّا أمر بكتب أجوبتهم كتب له أبو عامر: [الخفيف]

بقيت حاجة لعبد رغيب لم يدع غيرها له من نصيب

هى خيرية المساء حديثا و أنا فى الصباح أخشى رقيبى

فإذا أمس كان عندى نهارا لم تحفنى عليه بعد الغروب

و إذا الليل جنّ حدّثت جلّا سى بما كان من حديث غريب

قيل إنّ الدّجى لديك نهار و كذاك الدّجى نهار الأريب

فتمنّيت ليلة ليس فيها لذكا ذلك السّنا من مغيب

حيث أعطيك فى الخلاء و تعطى نى مداما كمثل ريق الحبيب

تم أغدو كأننى كنت فى النو م، و أخفى المنام خوف هزيب

و الهزيب: الرقيب العتيد فى كلام أهل الأندلس، فسرّ المعتمد و انبسط بانبساطه، و ضحك من مجونه، و كتب إليه: [الخفيف]

يا مجابا دعا إلى مستجيب فسمعنا دعاءه من قريب

إن فعلت الذى دعوت إليه كنت فيما رغبت عين رغيب

و استحضره فنادمه خاليا، و كساه و وصله، و انقلب مسرورا، و ظنّ المعتمد أنّ ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير، فأعلم بالأمر القائد ابن مرتين، فكاد يتفطّر حسدا و كتب إلى المعتمد: [الخفيف]

أنا عبد أوليته كلّ برّ لم تدع من فنون برّك فنّا

غير رفع الحجاب فى شربك الرا ح فماذا جناه أن يتجنّى

و تمنّى شراب سؤرك فى الكأ س فباللّه أعطه ما تمنّى

فسرته أبياته، و أجابه: [الخفيف]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۵

يا كريم المحلّ فى كلّ معنى و الكريم المحلّ ليس يعنّى

هذه الخمر تبتغيك فخذها أو فدعها أو كيفيما شئت كنّا

و كان يقرأ فى مجلس ملك السهلة أبى مروان بن رزين ذى الرياستين ديوان شعر محمد بن هانىء، و كان القارئ فيه بله، فلمّا وصل إلى قوله: [المتقارب]

حرام حرام زمان الفقير

اتّفق أن عرض للملك ما اشتغل به، فقال للقارىء: أين وقفت؟ فقال: فى حرام، فقام الملك و قال: هذا موضع لا أقف معك فيه، ادخل أنت وحدك، ثم دخل إلى قصره، و انقلب المجلس ضحكا.

[من شعر أبى بكر بن سدراى الوزير]

و كان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر، و هو الكاتب أبو بكر بن سدراى، و ذكره الحجارى فى «المسهب» و قال: إنّ له شعرا أرقّ من نسيم السّحر، و أندى من الطّلّ على الزهر، و منه قوله: [المجتث]

ما ضرّكم لو بعثتم و لو بأدنى تحيّه

تهزّنى من شذاها إليكم الأريحيّه

خذوا سلامى إليكم مع الرياح النّديّه

فى كلّ سحرة يوم تترى و كلّ عشيّه

يا ربّ طال اصطبارى ما الوجد إلّا بليّه

غيلان بالشرق أضحى و حلّت الغرب ميّه

و قوله: [الوافر]

سأبغى المجد فى شرق و غرب فما ساد الفتى دون اغتراب

فإن بلّغت مأمولا فإنى جهدت و لم أقصّر فى الطلاب

و إن أنا لم أفز بمراد سعيى فكم من حسرة تحت التراب

[من شعر مروان بن عبد العزيز ملك بلنسية]

و قال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لمّا ولى مكانه من لا يساويه: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۶

و لا غرو بعدى أن يسوّد معشر فيضحى لهم يوم و ليس لهم أمس

كذاك نجوم الجوّ تبدو زواهرا إذا ما توارت فى مغاربها الشمس

و قال ابن دحیة: دخلت علیه و هو یتوضّأ، فنظر إلی لحیته و قد اشتعلت بالشیب اشتعالا، فأنشد لنفسه ارتجالا: [الطویل]

و لمّا رأیت الشّیب أیقنت أنه نذیر لجسمی بانهدام بنائه

إذا ابیضّ مخضرّ النبات فإنه دلیل علی استحصاده و فنائه

[من شعر أبی عامر بن الفرج الوزیر]

و اعتلّ ابن ذی الوزارتین أبی عامر بن الفرج، وزیر المأمون بن ذی النون، و هو من رجال الذخیرة و القلائد، فوصف له أن یتداوی بالخمر العتیق، و بلغه أنّ عند بعض الغلمان منها شیئا، فکتب إلیه یستهدیه: [المجتث]

ابعث بها مثل ودّک أرقّ من ماء خدّک

شقیقة النّفس، فانضح بها جوی ابنی و عبدک

و هو القائل معتذرا عن تخلّفه عمّن جاءه منذرا: [الخفیف]

ما تخلّفت عنک إلّا لعذر و دلیلی فی ذاک خوفی علیکا

هبک أنّ الفرار من غیر عذر أ تراه یکون إلّا إلیکا

و له من رسالة هناء: [المتقارب]

أهنیء بالعید من وجهه هو العید لو لاح لی طالعا

و أدعو لی اللّه سبحانه بشمل یکون لنا جامعا

و کتب إلی الوزیر المصری یستدعیه أن یکون من ندمائه، فکتب إلیه الوزیر المصری یستعمله الیوم، فلمّا أراده کتب إلیه: [الکامل]

ها قد أهبت بکم و کلّکم هوی و أحقّکم بالشکر منّی السابق

کالشمس أنت و قد أظلّ طلوعها فاطلع و بین یدیک فجر صادق

و له فی رئیس مرسیة أبی عبد الرحمن بن طاهر، و کان ممتع المجالسة کثیر النادرة:

[الخفیف]

قد رأینا منک الذی قد سمعنا فغدا الخبر عاضد الأخبار

قد وردنا لدیک بحرا نمیرا و ارتقینا حیث النجوم الدراری

و لکم مجلس لدیک انصرفنا عنه مثل الصّبا عن الأزهار

[من شعر أبی الحسن علی بن حریق]

و شرب الأدیب الفاضل أبو الحسن علی بن حریق عشیة مع من یهواه، و رام الانفصال عنه لداره، فمنعه سیل حال بینه و بین داره، فبات عنده علی غیر اختیاره، فقال ابن حریق:

[مخلع البسیط]

یا لیلة جادت اللیالی بها علی رغم أنف دهری

للسّیل فیها علیّ نعمی یقصر عنها لسان شکری

أبات فی منزلی حبیبی و قام فی أهله بعذر

فبتّ لا حالة كحالى ضجيع بدر صريع سكر

يا ليلة القدر فى الليالى لأنت خير من ألف شهر

و من حسنات ابن حريق المذكور قوله: [الكامل]

يا ويح من بالمغرب الأقصى ثوى حلف النّوى و حبيبه بالمشرق

لو لا الحذار على الورى لملأت ما بينى و بينك من زفير محرق

و سكبت دمعى ثم قلت لسكبه من لم يذب من زفرة فليغرق

لكن خشيت عقاب ربّى إن أنا أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

و له: [السريع]

لم يبق عندى للصّبا لذّة إلّا الأحاديث على الخمر

و له: [المتقارب]

فقبّلت إثرك فوق الثّرى و عانقت ذكرك فى مضجعى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۸

و له: [الرمل]

إنّ ماء كان فى وجنتها وردته السّنّ حتى نشفا

و ذوى العنّاب من أنملها فأعادته الليالى حشفا

و أورد له أبو بحر فى «زاد المسافر» قوله: [الكامل]

كلّمته فاحمرّ من خجل حتى اكتسى بالعسجد الورق

و سألته تقبيل راحته فأبى و قال أخاف أحترق

حتى زفيرى عاق عن أملى إنّ الشّقىّ بريقه شرق

و قوله فى السواقى: [الكامل]

و كأنما سكن الأراقم جوفها من عهد نوح مدّة الطوفان

فإذا رأينا الماء يطفح نضنضت من كلّ خرق حيّة بلسان

[لأبى جعفر بن الذهبى]

و قال الفيلسوف أبو جعفر ابن الذهبى فيمن جمع بينه و بين أحد الفضلاء: [الخفيف]

أيها الفاضل الذى قد هدانى نحو من قد حمدته باختبار

شكر اللّه ما أتيت و جازا ك و لا زلت نجم هدى لسارى

أىّ برق أفاد أىّ غمام و صباح أدّى لضوء نهار

و إذا ما النسيم كان دليلى لم يحلنى إلّا على الأزهار

[بين المعتصم بن صمادح و خلف السميسر]

و أنشد أبو عبد اللّه محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه: [الطويل]

و لو لم أكن عبدا لآل صمادح و فى أرضهم أصلى و عيشى و مولدى

لما كان لى إلّا إليهم ترحّل و فى ظلّهم أمسى و أضحى و أغتدى

فارتاح، و قال: يا ابن عبادة، ما أنصفناك بل أنت الحرّ لا العبد، فاشرح لنا فى أملك، فقال: أنا عبدكم كما قال ابن نباتة: [البسيط]

لم يبق جودك لى شيئا أؤمّله تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۰۹

فالتفت إلى ابنه الواثق يحيى وليّ عهده و قال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمّه إليك و افعل معه ما تقتضيه وصيّتى به، و نبّهنى إليه كل وقت، فأقام نديما لوليّ العهد المذكور.

و له فيهما الموشحات المشهورة، كقوله:

كم فى قدود البان تحت اللمم

من أقمر عواطى

بأنمل و بنان مثل العنم

لم تنبرى للعاطى

و لمّا بلغ المعتصم أنّ خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته، ثم قال له: أنشدنى ما قلت فىّ، فقال له: و حقّ من حصّلنى فى يدك ما قلت شرّا فيك، و إنما قلت: [البسيط]

رأيت آدم فى نومى فقلت له: أبا البريّة، إنّ الناس قد حكموا

أنّ البرابر نسل منك، قال: إذن حوّاء طالقة إن كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى، فخرجت إلى بلادك هاربا فوضع علىّ من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثأره بك، و يكون الإثم عليك، فقال: و ما قلت فيه خاصّة مضافا إلى ما قلته فى عامة قومه؟ فقال: لمّا رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التى يتحصّن فيها بغرناطة قلت: [مخلع البسيط]

يبنى على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم: لقد أحسنت فى الإساءة إليه، فاختر: هل أحسن إليك و أخلى سبيلك أم أجيرك منه؟ فارتجل: [مجزوء الرجز]

خيّرنى المعتصم و هو بقصدى أعلم

و هو إذا يجمع لى أمنا و منّا أكرم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۰

فقال: خاطرك خاطر شيطان، و لك المنّ و الأمان، فأقام فى إحسانه بأوطانه، حتى خلع عن ملكه و سلطانه:

و لمّا أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها: [الكامل]

سبط البنان كأنّ كلّ غمامة قد ركّبت فى راحتيه أناملا

لا عيش إلّا حيث كنت، و إنما تمضى ليالى العمر بعدك باطلا

التفت إلى من حضر من الشعراء و قال: هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا؟ فقال أبو جعفر بن الخراز البطرانى: نعم، و لكن للسعادة هبّات، و قد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها: [الطويل]

و ما زلت أجنى منك و الدهر ممحل و لا ثمر يجنى و لا الزرع يحصد

ثمار أياد دانيات قطوفها لأغصانها ظلّ علىّ ممدّد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها و أطيار شكرى فوقهنّ تغرّد

فارتاح المعتصم، و قال: أ أنت أنشدتنى هذا؟ قال: نعم، قال: و اللّه كأنها ما مرّت بسمعى إلى الآن، صدقت للسعد هبّات، و نحن نجيزك عليها بجائزتين: الأولى لها، و الثانية لمطل راجيها و غمط إحسانها، انتهى.

و قال بعض ذرّيّة ملوك إشبيلية: [الخفيف]

نثر الورد بالخليج و قد درج أمواهه هبوب الرياح

مثل درع الكمىّ مزّقها الطع ن فسالت بها دماء الجراح

[من شعر صارة و من شعر ابن الزقاق]

و قال ابن صارة فى النارنج: [الطويل]

كرات عقيق فى غصون زبرجد بكفّ نسيم الريح منها صوالج

نقبّلها طورا و طورا نشمّها فهنّ خدود بيننا و نوافج

و قال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۱

و ما شقّ وجنته عابثا و لكنّها آية للبشر

جلاها لنا اللّه كيما نرى بها كيف كان انشقاق القمر

و قال: [الكامل]

ضربوا ببطن الواديين قبابهم بين الصوارم و القنا المیّاد

و الورق تهتف حولهم طربا بهم فبكلّ محنية ترنّم شادى

يا بانة الوادى كفى حزنا بنا أن لا نطارح غير بانة وادى

و قال: [الخفيف]

نحن فى مجلس به كمل الأن س و لو زرتنا لزاد كمالا

طلعت فيه من كؤوس الحميّا و من الزهر أنجم تتلالا

غيرنّ النجوم دون هلال فلتكن منعما لهنّ الهلالا

و قال: [الكامل]

و هويتها سمراء غنّت و انثنت فنظرت من ورقاء فى أملودها

تشدو و وسواس الحلىّ يجيبها مهما انثنت فى وشيها و عقودها

أو ليس من بدع الزمان حمامة غنّت فغنّى طوقها فى جيدها

و قال: [البسيط]

لئن بكيت دما و العزم من شيمى على الخليط فقد يبكى الحسام دما

[من شعر أبى تمام غالب بن رباح الحجام]

و قال أبو تمام غالب بن رباح الحجام فى دولاب طار منه لوح فوقف: [المنسرح]

و ذات شدو و ما لها حلم كلّ فتى بالضمير حيّاها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۲۱۱

و طار لوح بها فأوقفها كلمحة العين حين جراها

و كان المذكور ربّى فى قلعة رباح غربى طليطلة، و لا يعلم له أب، و تعلّم الحجامة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۲

فأتقنها، ثم تعلّق بالأدب حتى صار آية، و هو القائل فى ثريّا الجامع: [البسيط]

تحكى الثريّا الثريّا فى تألّقها و قد عراها نسيم فهى تتّقد

كأنها لذوى الإيمان أفئدة من التخشّع جوف الليل ترتعد

و قال: [البسيط]

زرت الحبيب و لا شىء أحاذره فى ليلة قد لوت بالغمض أشفارا

فى ليلة خلت من حسن كواكبها دراهما و حسبت البدر دينارا

و قال فى الثريا أيضا: [البسيط]

انظر إلى سرج فى الليل مشرقة من الزجاج تراها و هى تلتهب

كأنها ألسن الحيّات قد برزت عند الهجير فما تنفكّ تضطرب

و قال: [الطويل]

ترى النّسر و القتلى على عدد الحصا و قد مزّقت أحشاءها و الترائبا

مضرّجة ممّا أكلن كأنها عجائز بالحنّا خضبن ذوائبا

و قال، و قد أبدع غاية الإبداع، و أتى بما يحيّر الألباب، و إن كان أبو نواس فاتح هذا الباب: [الطويل]

و كأس ترى كسرى بها فى قرارة غريقا و لكن فى خليج من الخمر

و ما صوّرته فارس عبثا به و لكنّهم جاؤوا بأخفى من السّحر

أشاروا بما كانوا له فى حياته فنومى إليه بالسجود و ما ندرى

و ما أحلى قوله: [الكامل]

الأقحوان رمى عليك ظلامة لمّا عنفت عليه بالمسواك

لا يحمل النّور الأنيق تمسّه كفّ بعود بشامة و أراك

و جلاؤه المخلوق فيه قد كفى من أن يراع عراره بسواك

و قوله: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۳

صغار الناس أكثرهم فسادا و ليس لهم لصالحة نهوض

أ لم تر فى سباع الطير سرّا تسالمنا، و يأكلنا البعوض

و قد بلغ غاية الإحسان فى قوله: [الوافر]

فما للملك ليس يرى مكانى و قد كحلت لواحظه بنورى

كذا المسواك مطّرحا مهانا و قد أبقى جلاء فى الثغور

و من حسناته قوله: [السريع]

لى صاحب لا كان من صاحب فإنه فى كبدى جرحه

يحكى إذا أبصر لى زلّة ذبابة تضرب فى قرحه

و لقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غايـة الضـعف و الرذالـة قـد أهلكها الوجى، و كانا فى جماعتين، فقال له: يا أبا تمام، أنشدنى قولك: [الطويل]

و تحتى ريح تسبق الريح إن جرت و ما خلت أنّ الريح ذات قوائم

لها فى المدى سبق إلى كلّ غاية كأنّ لها سبقا يفوق عزائمى

و همّة نفسى نزّهتها عن الوجى فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

فلمّا أنشـده إيّاها ردّ رأسه أبو حاتم إلى الجماعتين و قال: ناشدتكم اللّه أ يجوز لحجّام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجاء، أن يقول مثل هذا؟ فضحك جميع من حضر، و أقبل أبو تمام من غيظه يسبّه.

و من شعر الحجام المذكور قوله: [البسيط]

لا يفخر السيف و الأقلام فى يده قد صار قطع سيوف الهند للقصب

فإن يكن أصلها لم يقو قوّتها (فإنّ فى الخمر معنى ليس فى العنب)

و قال: [الكامل]

ثقلت على الأعداء إلّا أنها خفّت على السّبّاب و الإبهام

أخذت من الليل البهيم سواده و بدت تنمّق أوجه الأيام

و قال: [الكامل]

نظر الحسود فازدرى لى هيئة و الفضل منّى لا يزال مبينا

قبحت صفاتى من تغيّر ودّه صدأ المراة يقبّح التحسينا

و قال: [الطويل]

تصبّر و إن أبدى العدوّ مذمّة فمهما رمى ترجع إليه سهامه

كما يفعل النحل الملمّ بلسعه يريد به ضرّا و فيه حمامه

و قال: [البسيط]

و بارد الشّعر لم يؤلم به و لقد أضرّ منه جميع الناس و اعتزلا

كأنه الصّلّ لا تؤذيه ريقته حتى إذا مجّها فى غيره قتلا

[من شعر ابن زقاق و ابن مسعدة]

و قال ابن الزقاق: [الطويل]

دعاك خليل و الأصيل كأنه عليل يقضّى مدة الرّمق الباقى

إلى شطّ منساب كأنك ماؤه صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق

و مهوى جناح للصّبا يمسح الرّبا خفىّ الخوافى و القوادم خفّاق

على حين راح البرق فى الجوّ مغمدا ظباه و دمع المزن من جفنه راق

و قد حان منّى للرياض التفاتة حبست بها كأسى قليلا عن الساقى

على سطح خيرىّ ذكرتك فانثنى يميل بأعناق و يرنو بأحداق

فصل زهرات منه هذا كأنها و قد خضلت قطرا محاجر عشّاق

و لمّا مدح الحسيب أبو القاسم بن مسعدة الأوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله:

[الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۵

حنانيك مدعوّا و لبّيك داعيا فكلّ بما ترضاه أصبح راضيا

طلعت على أرجائنا بعد فترة و قد بلغت منّا النفوس التّراقيا

و قد كثرت منّا سيوف لدى العلا و من سيفك المنصور نبغى التقاضيا

و غيرك نادينا زمانا فلم يجب و عزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء، فلمّا وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه و قال: إنما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب، لا تدنّسوه بهذه النسبة، فلسنا ممّن يتغاضى على غمط حسبه، ثم أجزل صلته، و أمر له بضيعة يحرث له بها، يعنى بذلك أنه من ذريّة ملوك؛ لأنّ جدّه كان ملك وادى الحجارة.

[من شعر أبى بكر محمد بن أرزق و أبى جعفر بن أرزق و أبى القاسم بن أرزق و راشد بن عريف]

و قال أبو بكر محمد بن أرزق: [السريع]

هل علم الطائر فى أيكه بأنّ قلبى للحمى طائر

ذكّرنى عهد الصّبا شجوه و كلّ صبّ للصّبا ذاكر

سقى الحيا عهدا لهم بالحمى دمع له ذكرهم ناثر

و قال أبو جعفر بن أرزق: [الطويل]

أراك ملكت الخافقين مهابة بها ما تلحّ الشّهب بالخفقان

و تغضى العيون عن سناك كأنها تقابل منك الشمس فى اللّمعان

و تصفرّ ألوان العداة كأنما رموا منك طول الدهر باليرقان

و قال أبو القاسم بن أزرق: [مخلع البسيط]

ذاك الزمان الذى تقضّى يا ليته عاد منه حين

بكلّ عمرى الذى تبقّى و ما أنا فى الشّرا غبين

و قال راشد بن عريف الكاتب: [مخلع البسيط]

جمّع فى مجلس ندامى تحسدنى فيهم النجوم

فقال لى منهم نديم مالك إذ قمت لا تقوم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۶

فقلت إن قمت كلّ حين فإنّ حظّى بكم عظيم

و ليس عندى إذن ندامى بل عندى المقعد المقيم

[من شعر ابن عائش]

و قال الحسيب أبو جعفر بن عائش: [السريع]

و لى أخ أورده سلسلا لكنه يوردنى مالحا

ألقاه كى أبسطه ضاحكا و يلتقينى أبدا كالحا

و ليس ينفكّ عنائى به ما رمت من فاسده صالحا

قال الحجارى: و كتب إلى جدى إبراهيم فى يوم صحو بعد مطر: [السريع]

إذا رأيت الجوّ يصحو فلا تصح، سقاك اللّه من سكر

تعال فانظر لدموع الندى ما فعلت فى مبسم الزهر

و لا تقل إنك فى شاغل فليس هذا آخر الدهر

تخلف ما فات سوى ساعة تقتضى فيها لذة الخمر

فأجابه: [السريع]

لبّيك لبّيك و لو أننى أسعى على الرأس إلى مصر

فكيف و الدار جوارى و ما عندى من شغل و لا عذر

و لو غدا لى ألف شغل بلا عذر تركت الكلّ للحشر

و كلّما أبصرنى ناظر ببابكم عظّم من قدرى

أنا الذى يشربها دائما ما حضرت فى الصّحو و القطر

و ليس نقلى أبدا بعدها إلّا الذى تعهد من شكرى

[قال الحجارى: و لم يقصّر جدى فى جوابه، و لكن ابن عائش أشعر منه فى ابتدائه، و لو لم يكن له إلّا قوله «تعال فانظر- إلخ» لكفاه]،

قال: و فيه يقول جدى [إبراهيم] يمدحه:

[الطويل]

و لو كان ثان فى الندى لابن عائش لما كان فى شرق و غرب أخو فقر

يهشّ إلى الأمداح كالغصن للصّبا و بشر محيّاه ينوب عن الزهر

فيا ربّ زد فى عمره إنّ عمره حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

و قتله ابن مسعدة ملك وادى الحجارة الثائر بها، و لمّا قدّمه ليقتله قال: ارفق علىّ حتى أخاصم عن نفسى، فقال: على لسانك قتلناك، فقال له: لا رفق اللّه عليك يوم تحتاج إلى رفقه! فقال بجبروتيته: ما رهبنا السيوف الحداد، و نرهب دعاء الحسّاد.

[من شعر أبى الحسن بن شعيب و أبى حامد بن شعيب و أبى الحسن بن رجاء و أبى محمد بن الفتح]

و قال أبو الحسن على بن شعيب: [الخفيف]

انزعى الوشى فهو يستر حسنا لم تحزه برقمهنّ الثياب

ودّعينى عسى أقبّل ثغرا لذّ فيه اللّمى و طاب الرّضاب

و عجيب أن تهجرينى ظلما و شفيعى إلى صباك الشباب

و قال أخوه أبو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل فى أسر العدوّ: [الوافر]

و كنت أعدّ طرفى للرزايا يخلّصنى إذا جعلت تحوم

فأصبح للعدا عونا لأنى أطلت عناءه فأنا الظّلوم

و كم دامت مسرّاتى عليه و هل شىء على الدنيا يدوم

و قال أبو الحسن على بن رجاء، صاحب دار السكة و الأحباس بقرطبة: [السريع]

يا سائلى عن حالتى إنّنى لا أشتكى حالى لمن يضعف

مع أننى أحذر من نقده لا سيما إن كان لا ينصف

و أنشد له الحميدى فى «الجذوة»: [الخفيف]

قل لمن نال عرض من لم ينله حسبنا ذو الجلال و الإكرام

لم يزدنى شيئا سوى حسنات لا و لا نفسه سوى آثام

كان ذا منعة فثقّل ميزا نى بهذا فصار من خدّامى

و قال أبو محمد القاسم بن الفتح: [مجزوء الكامل]

أيام عمرك تذهب و جميع سعيك يكتب

ثم الشهيد عليك من ك فأين أين المهرب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۸

[من شعر أبى مروان عبد الملك بن غصن]

و قال أبو مروان عبد الملك بن غصن: [الوافر]

فديتك لا تخف منى سلوّا إذا ما غيّر الشّعر الصّغارا

أهيم بدنّ خمر صار خلّا و أهوى لحية كانت عذارا

و قال: [مخلع البسيط]

قد ألحف الغيم بانسكابه و التحف الجوّ فى سحابه

قام داعى السرور يدعو حىّ على الدّنّ و انتهابه

و تاه فيه النديم ممّا يزدحم الناس عند بابه

و كان أحد الأعلام فى الآداب و التاريخ و التأليف.

و نقم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة، و بلغه أنه يقع فيه، فنكبه أشرّ نكبة، و حبسه، فكتب إليه من السجن: [الطويل]

فديتك هل لى منك رحمى لعلّنى أفارق قبرا فى الحياة فأنشر

و ليس عقاب المذنبين بمنكر و لكن دوام السخط و العتب منكر

و من عجب قول العداة مثقّل و مثلى فى إلحاحه الدّهر يعذر

و ألّف للمأمون رسالة «السجن و المسجون، و الحزن و المحزون» و رسالة أخرى سمّاها «بالعشر كلمات»، و قال: [مخلع البسيط]

يا فتية خيرة فدتهم من حادثات الزمان نفسى

شربهم الخمر فى بكور و نطقهم عندها بهمس

أما ترون الشتاء يلقى فى الأرض بسطا من الدّمقس

مقطّب عابس ينادى يوم سرور و يوم أنس

و أخبر عنه الحميدى فى الجذوة أنه شاعر أديب، دخل المشرق، و تأدّب، و حجّ، و رجع، و شعره كثير. و له أبيات كتبها فى طريق الحجّ إلى أحد القضاة: [الكامل]

يا قاضيا عدلا كأنّ أمامه ملك يريه واضح المنهاج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۱۹

طافت بعبدك فى بلادك علّة قعدت به عن مقصد الحجاج

و اعتلّ فى البحر الأجاج فكن له بحرا من المعروف غير أجاج

و قال الزاهد الورع المحدّث أبو محمد إسماعيل ابن الديوانى: [المتقارب]

ألا أيها العائب المعتدى و من لم يزل مؤذيا ازدد

مساعيك يكتبها الكاتبون فبيّض كتابك أو سوّد

و قال ابنه أبو بكر: [مجزوء الكامل]

خاصم عدوّك باللسا ن و إن قدرت فبالسّنان

إنّ العداوة ليس يص لحها الخضوع مدى الزمان

[من شعر إبراهيم الحجارى]

و قال إبراهيم الحجارى جدّ صاحب «المسهب»: [الطويل]

لئن كرهوا يوم الوداع فإننى أهيم به وجدا من اجل عناقه

أصافح من أهواه غير مساتر و سرّ التلاقى مودع فى فراقه

و قال: [الخفيف]

كن كما شئت إننى لا أحول غير مصغ لما يقول العذول

لك و اللّه فى الفؤاد محلّ ما إليه مدى الزمان وصول

و مرادى بأن تزور خفيّا ليت شعرى متى يكون السبيل

و قال: [الخفيف]

قد توالت فى حالتينا الظنون فلنصدّق ما كذّبته العيون

و مرادى بأن تلوح بأفقى بدر تمّ و ذاك ما لا يكون

أنا قد قلت ما دعانى إليه كثرة اليأس، و الحديث شجون

و إذا شئت أن تسفّه رأيى فمحلّى من الرقيب مصون

و به ما تشاء من كلّ معنى كلّ من لم يجب له مجنون

و إلى كم تضلّ ليل الأمانى و من اليأس لاح صبح مبين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۰

و قال: [المجتث]

سألته عن أبيه فقال خالى فلان

فانظر عجائب ما قد أتت به الأزمان

دهر عجيب لديه عن المعالى حران

فما له غير ذمّ كما تدين تدان

[من شعر ابن خيرة الاشبيلى و أبى جعفر الإشبيلى و الوزير أبى الوليد إسماعيل]

و قال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الإشبيلى صاحب كتاب «الريحان و الريعان» يمدح السيد أبا حفص ملك إشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة: [البسيط]

كأنما الأفق صرح و النجوم به كواعب و ظلام الليل حاجبه

و للهلال اعتراض فى مطالعه كأنه أسود قد شاب حاجبه

و أقبل الصبح فاستحيت مشارقه و أدبر الليل فاستخفت كواكبه

كالسيد الماجد الأعلى الهمام أبى حفص لرحلته ضمّت مضاربه

و أنشد له ابن الإمام فى «سمط الجمان»: [الكامل]

رعيا لمنزله الخصيب و ظلّه و سقى الثرى النجدىّ سحّ ربابه

واها على ساداته لا أدّعى كلفا بزينبه و لا بربابه

و يعرف رحمه اللّه تعالى بابن المواعينى.

و قال ابنه أبو جعفر أحمد: [الخفيف]

يا أخى، هاتها و حجّب سناها عن مثير بها جنونا و سخفا

هذه الشمس إن بدت لضعيف ال عين زادت فى ذلك الضعف ضعفا

إنّما يشرب المدامة من إن خشنت كفّه جفاها و كفّا

و كتب الوزير أبو الوليد إسماعيل بن حبيب الملقب بحبيب إلى أبيه: لمّا خلق الربيع من أخلاقك الغرّ، و سرق زهره من شيمك الزّهر، حسن فى كلّ عين منظره، و طاب فى كل سمع خبره، و تاقت النفوس إلى الراحة فيه، و مالت إلى الإشراف على بعض ما يحتويه، من النور الذى بسط على الأرض حللا، لا ترى فى أثنائها خللا، سلوك نثرت على الثرى، و قد

ملئت مسكا و عنبرا، إن تنسّمتها فأرجة، أو توسّمتها فبهجة: [البسيط]

فالأرض فى بزّة من يانع الزّهر تزرى إذا قستها بالوشى و الحبر

قد أحكمتها أكفّ المزن و اكفة و طرّزتها بما تهمى من الدّرر

تبرّجت فسبت منّا العيون هوى و فتنة بعد طول السّتر و الخفر

فأوجد لى سبيلا- إلى إعمال بصرى فيها، لأجلو بصيرتى بمحاسن نواحيها، و الفصل على أن يكمل أوانه، و يتصرّم وقته و زمانه فلا تخلنى من بعض التشفى منه، لأصدر نفسى متيقّظة عنه، فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد، و من سعى فى جلائها فهو الرشيد السديد.

و من شعره يصف وردا بعث به إلى أبيه: [الكامل]

يا من تأزّر بالمكارم و ارتدى بالمجد و الفضل الرفيع الفائق

انظر إلى خدّ الربيع مركّبا فى وجه هذا المهرجان الرائق

ورد تقدّم إذ تأخّر و اغتدى فى الحسن و الإحسان أول سابق

و افاك مشتملا بثوب حيائه خجلا لأن حيّاك آخر لاحق

و له: [الطويل]

أتى الباقلاء الباقل اللون لابسا برود سماء من سحائبها غذى

ترى نوره يلتاح فى ورقاته كبلق جياد فى جلال زمرّذ

و قال: [المتقارب]

إذا ما أدرت كؤوس الهوى ففى شربها لست بالمرقل

مدام تعتّق بالناظرين و تلك تعتّق بالأرجل

و كان و هو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق، و ينثر النثر الرائق، و أبو جعفر بن الأبّار هو الذى صقل مرآته، و أقام قناته، و أطلعه شهابا ثاقبا، و سلك به إلى فنون الآداب طريقا لاحبا، و له كتاب سماه ب «البديع، فى فصل الربيع» جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصّة،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۲

أعرب فيه عن أدب غزير، و حظّ من الحفظ موفور، و توفى و هو ابن اثنتين و عشرين سنة، و استوزره داهية الفتنة، و رحى المحنة، قاضى إشبيلية عبّاد جدّ المعتمد، و لم يزل يصغى إلى مقاله، و يرضى بفعاله، و هو ما جاوز العشرين إذ ذاك، و أكثر نظمه و نثره فى الأزاهر، و ذلك يدلّ على رقّة نفسه، رحمه اللّه تعالى!

[للوزير أبى الحسن بن حصن]

و قال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن، وزير المعتضد بن عباد: [المجتث]

علىّ أن أتذلّل له و أن يتدلّل

خدّ كأنّ الثّريّا عليه قرط مسلسل

و قال: [مخلع البسيط]

طلّ على خدّه العذار فافتضح الآس و البهار

و ابيضّ ذا و اسودّ هذا فاجتمع الليل و النهار

[للوزير ابن طريف]

و قال الوزير أبو الوليد بن طريف فى المعتمد بعد خلعه: [السريع]

يا آل عباد ألا عطفة فالدهر من بعدكم مظلم

من الذى يرجى لنيل العلا و من إليه يفد المعدم

ما أنكر الدهر سوى أنه بجودكم فى فعله يزعم

و له: [السريع]

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

و قد أجرينا فى هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد و نظمه فى أماكن متعدّدة فلتراجع.

و من نظمه: [البسيط]

ثلاثة منعتها عن زيارتها خوف الرقيب و خوف الحاسد الحنق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۳

ضوء الجبين، و وسواس الحليّ، و ما تحوى معاطفها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الكمّ تستره و الحلى تنزعه، ما حيلة العرق

و قال: [المنسرح]

يوم يقول الرسول قد أذنت فأت على غير رقبة و لج

أقبلت أهوى إلى رحالهم أهدى إليها بريحها الأرج

و قال: و يستدلّ على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام و معارك الحرب و مواسم الحجّ.

رجع إلى ما كنّا فيه:

[من شعر أبى العباس الخزرجى و أبى سليمان بن أبى أمية و أبى على عمر بن أبى خالد]

و قال أبو العباس أحمد الخزرجى القرطبى: [الوافر]

و فى الوجنات ما فى الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب

و أعجب ما التعجّب منه أنّى أرى البستان يحمله قضيب

و قال الوزير أبو سليمان بن أبى أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غضّ منه: [مجزوء الكامل]

هوّن عليك كلامه و اسمح له فيمن سمح

ما ذا يسوؤك إن هجا ما ذا يسرّك إن مدح

أو ما علمت بلى جهل ت بأنه غلّ طفح

و خفىّ حقد كامن دأبوا له حتى اتّضح

هذا بمستنّ الوقا ر فكيف لو دار القدح

فاشكر عوارف ذى الجلا ل بما وقى و بما منح

و قال أبو على عمر بن أبى خالد يخاطب أبا الحسن على بن الفضل: [الوافر]

أبا حسن و ما قدمت عهود لنا بين المنارة و الجزيره

أتذكر أنسنا و الليل داج بخمر فى زجاجتها منيره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۴

إذا الملّاح ضلّ رنا إليها فأبصر فى مناحيه مسيره

[من شعر عبد اللّه المهيريس]

و قال الكاتب عبد اللّه المهيريس، و كان حلو النادرة، لما شرب عند الوزير أبى العلاء ابن جامع و قد نظر إلى فاختة فأعجبه حسنها و لحنها: [الوافر]

ألا خذها إليك أبا العلاء حلى الأمداح ترفل فى الثناء

و هبها قينة تجلى عروسا خضيب الكفّ قانية الرّداء

لأجعلها محلّ جليس أنسى و أغنى بالهديل عن الغناء

و حكى أنه ناوله ليمونة و أمره بالقول فيها فقال: [الكامل]

أهدى إليّ بروضة ليمونة و أشار بالتشبيه فعل السيد
فصمتّ حينا ثم قلت: كجلجل من فضّة تعلوه صفرة عسجد

[من شعر أبى بكر بن البناء]

و قال الكاتب أبو بكر بن البناء يرثى أحد بنى عبد المؤمن، و قد عزل من بلنسية و ولى إشبيلية فمات بها: [الطويل]
كأنك من جنس الكواكب كنت لم تفارق طلوعا حالها و تواريا
تجلّيت من شرق تروق تلألؤا فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

[حديث عن بنى زهر]

و كان محمد بن مروان بن زهر- كما فى المغرب و المسهب و المطرب، و قد قدّمنا بعض أخباره- منشأ الدولة العبّادية و أوّل من تثنى عليه الخناصر، و تستحسنه البواصر، فضاقت الدولة العبادية عن مكانه، و أخرج عن بلده، فاستصفيت أمواله، فلحق بشرق الأندلس، و أقام فيه بقيّة عمره، و نشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد، فما بلغ أشدّه، حتى سدّ مسدّه، و مال إلى التفنّن فى أنواع التعليم من الطبّ و غيره، و رحل إلى المشرق لأداء الفرض، فملأ البلاد جلالة، و نشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك، فاخترع فضلا لم يكن فى الحساب، و شرع نبلا قصرت عنه نتائج أولى الألباب، و نشأ بشرق الأندلس و الآفاق تتهادى عجائبه، و الشام و العراق تتدارس بدائعه و غرائبه، و مال إلى علم الأبدان فلو لا جلالة قدره، لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره، و لو لا أنّ الغلوّ آفة المديح، لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح، و لم يزل مقيما بشرق الأندلس إلى أن كان من غزاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين و من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۵

انضمّ إليه من ملوك الطوائف ما علم، و شخص أبو العلاء معهم، فلقيه المعتمد بن عباد، و استماله و استهواه، و كاد يغلب على هواه، و صرف عليه أملاكه فحنّ إلى وطنه، حنين النّيب إلى عطنه، و الكريم إلى سكنه، و نزع إلى مقرّ سلفه، نزوع الكوكب إلى بيت شرفه، إلّا أنه لم يستقرّ بإشبيلية إلّا بعد خلع المعتمد، و حلّ عند يوسف بن تاشفين محلّا لم يحلّه الماء من العطشان، و لا الروح من جسد الجبان، و لما كتب إليه حسام الدولة بن رزين مالك السهلة بقوله: [الكامل]
عاد اللئيم فأنت من أعدائه و دع الحسود بغلّه و بذائه
لا كان إلّا من غدت أعداؤه مشغولة أفواههم بجفائه
أ أبا العلاء لئن حسدت لطالما حسد الكريم بجوده و وفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه و زها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا لا كان قلب لست فى سودائه
أجابه بقوله: [الكامل]
يا صارما حسم العدا بمضائه و تعبّد الأحرار حسن وفائه
ما أثّر العضب الحسام بذاته إلّا بأن سمّيت من أسمائه
و كلّفه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه، و قد عذّر، فقال: [الخفيف]
محيت آية النهار فأضحى بدر تمّ و كان شمس نهار

كان يعشى العيون نارا إلى أن أشغل اللّه خدّه بالعذار

و قال: [المتقارب]

عذار ألمّ فأبدى لنا بدائع كنّا لها فى عمى

و لو لم يجنّ النهار الظلا م لم يستبن كوكب فى السّما

و قال: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۶

يا راشقى بسهام ما لها غرض إلّا الفؤاد و ما منه له عوض

و ممرضى بجفون لحظها غنج صحّت و فى طبعها التمريض و المرض

امنن و لو بخيال منك يؤنسنى فقد يسدّ مسدّ الجوهر العرض

و هذا معنى فى غاية الحسن.

و كان بينه و بين الإمام أبى بكر بن باجة- بسبب المشاركة- ما يكون بين النار و الماء، و الأرض و السماء، و لما قال فيه ابن باجة: [مخلع البسيط]

يا ملك الموت و ابن زهر جاوزتما الحدّ و النهايه

ترفّقا بالورى قليلا فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء: [السريع]

لا بد للزنديق أن يصلبا شاء الذى يعضده أو أبى

قد مهّد الجذع له نفسه و سدّد الرمح إليه الشّبا

و الذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين و عالمه.

و أمّا حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير إشبيلية و عظيمها و طبيبها و كريمها، و من شعره: [الطويل]

رمت كبدى أخت السماء فأقصدت ألا بأبى رام يصيب و لا يخطى

قريبة ما بين الخلاخيل إن مشت بعيدة ما بين القلادة و القرط

نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطى

و توفى سنة خمس و تسعين و خمسمائة، و أمر أن يكتب على قبره: [المتقارب]

تأمّل بفضلك يا واقفا و لا حظ مكانا دفعنا إليه

تراب الضريح على صفحتى كأنى لم أمش يوما عليه

أداوى الأنام حذار المنون فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه اللّه تعالى، و عفا عنه!

و فى هذه الأبيات إشارة إلى طبّه و معالجته للناس، رحمه اللّه تعالى! و قد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۲۷

[من شعر أبى الوليد بن حزم]

و قال أبو الوليد بن حزم: [البسيط]

مرآك مرآك لا شمس و لا قمر و ورد خدّيك لا ورد و لا زهر

فى ذمة اللّه قلب أنت ساكنه إن بنت بان فلا عين و لا أثر

و قال: [الكامل]

للّه أيام على وادى القرى سلفت لنا و الدهر ذو ألوان

إذ نجتنى فى ظلّه ثمر المنى و الطير ساجعة على الأغصان

و الشمس تنظر من محاجر أرمد و الظّلّ يركض فى النسيم الوانى

فلثمت فاه و التزمت عناقه و يد الوصال على قفا الهجران

[من شعر ابن عبد ربه و أبى عبد اللّه الرندى]

و قال ابن عبد ربه: [البسيط]

يا قابض الكفّ لا زالت مقبّضة فما أناملها للناس أرزاق

و غب إذا شئت حتى لا ترى أبدا فما لفقدك فى الأحشاء إقلاق

و قال فى المدح: [الطويل]

و ما خلقت كفّاك إلّا لأربع عقائل لم تخلق لهنّ يدان

لتقبيل أفواه، و إعطاء نائل و تقليب هندىّ، و حبس عنان

و قال الكاتب أبو عبد اللّه بن مصادق الرّندى الأصل: [الرمل]

صارمته إذ رأت عارضه عاد من بعد الشباب أشيبا

قلت ما ضرّك شيب فلقد بقيت فيه فكاهات الصّبا

هو كالعنبر غال نفحه و شذاه أخضرا أو أشهبا

و قال: [البسيط]

و وردة وردت فى غير موقتها و السّحب قد هملت أجفانها هطلا

و إنما الروض لمّا لم يفد ثمرا يقريكه انفتحت فى خدّه خجلا

و له: [البسيط]

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن قد كان يبهجنى إذ كنت فى وطنى

لم ألق أهلى و لا إلفى و لا ولدى فليت شعرى سرورى واقع بمن

و قال: [السريع]

يقول لى العاذل تب عن هوى من ليس يدنيك إلى مطلب

و كيف لى والدين دين الهوى فلا أرى أرجح من مذهبى

أليس باب التّوب قد سدّه طلوعه شمسا من المغرب

و له: [الكامل]

امنع كرائمك الخروج و لا تظهر لذلك وجه منبسط

لا تعتبر منهنّ مسخطة نيل الرضا فى ذلك السخط

أو لسن مثل الدّرّ فى شبه و الدّرّ من صدف إلى سفط

[من شعر المعتمد بن عباد و ابن الفرج الجيانى]

و قال المعتمد بن عباد: [مخلع البسيط]

تمّ له الحسن بالعذار و اختلط الليل بالنهار

أخضر فى أبيض تبدّى فذاك آسى و ذا بهارى

فقد حوى مجلسى تماما إن يك من ريقه عقارى

و قال ابن فرج الجيّانى رحمه اللّه تعالى: [الوافر]

و طائعة الوصال صدرت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع

بدت فى الليل سافرة فباتت دياجى الليل سافرة القناع

و ما من لحظة إلّا و فيها إلى فتن القلوب لها دواعى

فملّكت الهوى جمحات قلبى لأجرى فى العفاف على طباعى

كذاك الروض ما فيه لمثلى سوى نظر و شمّ من متاع

و لست من السوائم مهملات فأتّخذ الرياض من المراعى

و قال: [الوافر]

بأيّهما أنا فى الشّكر بادى بشكر الطّيف أم شكر الرقاد

سرى فازداد لى أملى و لكن عففت فلم أنل منه مرادى

و ما فى النوم من حرج و لكن جريت مع العفاف على اعتيادى

[من شعر الرصافى و ابن عبد ربه و ابن صارة و الغزال و أبى حيان]

و قال الرصافى: [الكامل]

و عشىّ أنس للسرور و قد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقّع

سقطت فلم يملك نديمك ردّها فوددت يا موسى لو أنّك يوشع

و قال ابن عبد ربه: [البسيط]

يراعة غرّنى منها و ميض سنا حتّى مددت إليها الكفّ مقتبسا

فصادفت حجرا لو كنت تضربه من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا

كأنما صيغ من لؤم و من كذب فكان ذاك له روحا و ذا نفسا

و قال ابن صارة فى فروة: [الكامل]

أودت بذات يدى فريّة أرنب كفؤاد عروة فى الضّنى و الرّقّة

يتجشّم الفرّاء من ترقيعها بعد المشقّة فى قريب الشّقّة

لو أنّ ما أنفقت فى ترقيعها يحصى لزاد على رمال الرّقّة

إن قلت بسم اللّه عند لباسها قرأت علىّ (إذا السماء انشقّت)

و قال الغزال: [الكامل]

و المرء يعجب من صغيرة غيره أىّ امرئ إلّا و فيه مقال

لسنا نرى من ليس فيه غميزة أىّ الرجال القائل الفعّال

و قال أبو حيّان: [البسيط]

لا ترجونّ دوام الخير من أحد فالشرّ طبع و فيه الخير بالعرض

و لا تظنّ امرأ أسدى إليك ندى من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۰

[من شعر ابن شهيد]

و قال ابن شهيد: [الطويل]

و لمّا فشا بالدمع ما بين وجدنا إلى كاشحينا ما القلوب كواتم

أمرنا بإمساك الدموع جفوننا ليشجى بما نطوى عذول و لائم

أبى دمعنا يجرى مخافة شامت فنظّمه بين المحاجر ناظم

وراق الهوى منّا عيون كريمة تبسّمن حتى ما تروق المباسم

و قال فى الانتحال: [الطويل]

و بلّغت أقواما تجيش صدورهم علىّ و إنى فيهم فارغ الصدر

أصاخوا إلى قولى فأسمعت معجزا و غاصوا على سرّى فأعجزهم أمرى

فقال فريق ليس ذا الشّعر شعره و قال فريق أيمن اللّه ما ندرى

فمن شاء فليخبر فإنى حاضر و لا شىء أجلى للشكوك من الخبر

[من شعر أبى بكر بن بقى]

و ينظر إلى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض إخوانه أقلاما فبعث إليه بثلاث من القصب، و كتب معها: [البسيط]

خذها إليك أبا بكر العلا قصبا كأنما صاغها الصّوّاغ من ورقه

يزهى بها الطّرس حسنا ما نثرت بها مسك المداد على الكافور من ورقه

فأجابه أبو بكر: [البسيط]

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا سلب ميّادة تطعن القرطاس فى درقه

فالخطّ ينكرها و الحظّ يعرفها و الرّقّ يخدمها بالرّق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه، و نسبه إلى الانتحال، فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول: [البسيط]

و جاهل نسب الدعوى إلى كلمى لمّا رماه بمثل النّبل فى حدقه

فقلت من حنق لما تعرّض لى من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۱

ما ذمّ شعرى و أيم اللّه لى قسم إلّا امرؤ ليست الأشعار من طرقه

و الشعر يشهد أنى من كواكبه بل الصباح الذى يستنّ من أفقه

و قال ابن شهيد أيضا فى ضيف: [الطويل]

و ما انفكّ معشوق الثناء يمدّه ببشر و ترحيب و بسط بنان

إلى أن تشهّى البين من ذات نفسه و حنّ إلى الأهلين حنّة حانى

فأتبعته ما سدّ خلّة حاله و أتبعنى ذكرا بكلّ مكان

و قال: [الطويل]

و بتنا نراعى الليل لم يطو برده و لم يجل شيب الصّبح فى فوده و خطا

تراه كملك الزنج من فرط كبره إذا رام مشيا فى تبختره أبطا

مطلّا على الآفاق و البدر تاجه و قد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

[فى لبس الأندلسيين البياض فى الحزن]

و قال بعضهم فى لباس أهل الأندلس البياض فى الحزن، مع أنّ أهل المشرق يلبسون فيه السواد: [الوافر]

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب

لبستم فى مآتمكم بياضا فجئتم منه فى زىّ غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن و لا حزن أشدّ من المشيب

[من شعر أبى جعفر بن خاتمة]

و قال أبو جعفر بن خاتمة: [الخفيف]

هل جسوم يوم النوى ودّعوها باقيات لسوء ما أودعوها

يا حداة القلوب ما العدل هذا أتبعوها أجسامها أو دعوها

[من شعر القسطلّى يصف هول البحر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص ۲۳۱

قال القسطلّى يصف هول البحر: [الطويل]

إليك ركبنا الفلك تهوى كأنها و قد ذعرت عن مغرب الشمس غربان

على لجج خضر إذا هبّت الصّبا ترامى بها فينا ثبير و ثهلان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۲

مواثل ترعى فى ذراها مواثلا كما عبدت فى الجاهلية أوثان

مقاتل موج البحر و الهمّ و الدّجا يموج بها فيها عيون و آذان

ألا هل إلى الدنيا معاد و هل لنا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

[من شعر الرمادى و ابن صارة يصف النار]

و قال الرمادى يهنئ ابن العطار الفقيه بمولود: [البسيط]

يهنيك ما زادت الأيام فى عددك من فلذة برزت للسعد من كبدك

كأنما الدهر دهر كان مكتئبا من انفرادك حتى زاد فى عددك

لا خلّفتك الليالى تحت ظلّ ردى حتى ترى ولدا قد شبّ من ولدك

و قال ابن صارة فى النار: [الكامل]

هات التى للأيك أصل ولادها و لها جبين الشمس فى الأشماس

يتقشّع الياقوت فى لبّاتها بوساوس تشفى من الوسواس

أنس الوحيد و صبح عين المجتلى و لباس من أمسى بغير لباس

حمراء ترفل فى السواد كأنما ضربت بعرق فى بنى العباس

و قال فيها أيضا: [الخفيف]

لابنة الزّند فى الكوانين جمر كالدرارى فى الليلة الظلماء

خبرونى عنها و لا تكذبونى أ لديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها سبائك تبر رصّعته بالفضّة البيضاء

كلّما ولول النسيم عليها رقصت فى غلالة حمراء

سفرت عن جبينها فأرتنا حاجب الليل طالعا بالعشاء

لو ترانا من حولها قلت قوم يتعاطون أكؤس الصّهباء

[من شعر ابن لبال و ابن شهيد و محمد بن هانى]

و قال فيها الفقيه الأديب ابن لبال: [مخلع البسيط]

فحم ذكا فى حشاه جمر فقلت مسك و جلّنار

أو خدّ من قد هويت لمّا أطلّ من فوقه العذار

و كان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له، فخرجت عليهما من زقاق ثان جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منها نفرت خجلة، فرأى الزائر ما أبهته فكلّفه وصفها، فقال مرتجلا: [البسيط]

يا ظبية نفرت و القلب مسكنها خوفا لختلى بل عمدا لتعذيبى

لا تختشى فابن عبد الحقّ أنحلنا عدلا يؤلف بين الظبى و الذيب

و قال ابن شهيد: [الرمل]

أصباح لاح أم بدر بدا أم سنا المحبوب أورى زندا

هبّ من نعسته منكسرا مسبل للكمّ مرخ للرّدا

يمسح النعسة من عينى رشا صائد فى كلّ يوم أسدا

قلت هب لى يا حبيبى قبلة تشف من حبّك تبريح الصّدى

فانثنى يهتزّ من منكبه قائلا لا ثم أعطائى اليدا

كلّما كلّمنى قبّلته فهو ما قال كلاما ردّدا

قال لى يلعب صد لى طائرا فترانى الدهر أجرى بالكدى

و إذا استنجزت يوما وعده قال لى يمطل ذكّرنى غدا

شربت أعضاؤه خمر الصّبا و سقاه الحسن حتى عربدا

رشأ بل غادة ممكورة عمّمت صبحا بليل أسودا

أخجلت من عضّه فى نهدها ثم عضت حرّ وجهى عمدا

فأنا المجروح من عضّتها لا شفانى اللّه منها أبدا

و قال محمد بن هانىء فى الشيب: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۴

بنتم فلو لا أن أغبّر لمّتى عبثا و ألقاكم علىّ غضابا

لخضبت شيبا فى مفارق لمّتى و محوت محو النّقس عنه شبابا

و خضبت مبيضّ الحداد عليكم لو أننى أجد البياض خضابا

و إذا أردت على المشيب وفادة فاجعل مطيّك دونه الأحقابا

فلتأخذنّ من الزمان حمامة و لتدفعنّ إلى الزمان غرابا

[من ابن عمار إلى ابن رزين]

و كتب ابن عمار إلى ابن رزين و قد عتب عليه أن اجتاز ببلده و لم يلقه: [البسيط]

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت و لا فؤادى و لا سمعى و لا بصرى

لكن عدتنى عنكم خجلة خطرت كفانى العذر منها بيت معتذر

(لو اختصرتم من الإحسان زرتكم و العذب يهجر للأفراط فى الخصر)

[من شعر ابن الجد و ابن عبد ربه و النحلى و ابن شهيد]

و قال ابن الجدّ: [الطويل]

و إنى لصبّ للتلاقى و إنما يصدّ ركابى عن معاهدك العسر

أذوب حياء من زيارة صاحب إذا لم يساعدنى على برّه الوفر

و قال ابن عبد ربه: [البسيط]

يا من عليه حجاب من جلالته و إن بدا لك يوما غير محجوب

ما أنت وحدك مكسوّا ثياب ضنى بل كلّنا بك من مضنى و مشحوب

ألقى عليك يدا للضّرّ كاشفة كشّاف ضرّ نبىّ اللّه أيوب

و قال النّحلى فى مغنّية: [الوافر]

و لاعبة الوشاح كغصن بان لها أثر بتقطيع القلوب

إذا سوّت طريق العود نقرا و غنّت فى محبّ أو حبيب

فيمناها تقدّ بها فؤادى و يسراها تعدّ بها ذنوبى

و قال ابن شهيد: [البسيط]

كلفت بالحبّ حتى لو دنا أجلى لما وجدت لطعم الموت من ألم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۵

و عاقنى كرمى عمّن ولهت به ويلى من الحبّ أو ويلى من الكرم

[أبى عمر بن أبى محمد الوزير]

و كان صوفيّ بشريش حافظ للشعر، فلا يعرض فى مجلسه معنى إلّا و هو ينشد عليه، فاتّفق أن عطس رجل بمجلسه، فشمّته الحاضرون، فدعا لهم، فرأى الصوفى أنه إن شمّته قطع إنشاده بما لا يشاكله من النظم، و إن لم يشمته كان تقصيرا فى البرّ، فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى، فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد: [السريع]

يا عاطسا يرحمك اللّه إذ أعلنت بالحمد على عطستك

ادع لنا ربّك يغفر لنا و أخلص النّيّة فى دعوتك

و قل له يا سيّدى رغبتى حضور هذا الجمع فى حضرتك

و أنت يا ربّ الندى و النوى بارك ربّ الناس فى ليلتك

فإن يكن منكم لنا عودة فأنت محمود على عودتك

و هذا الوزير المذكور كان يصرّف شعره فى أوصاف الغزلان، و مخاطبات الإخوان، و كتب إلى الشريشى شارح المقامات يستدعى منه كتاب العقد: [الطويل]

أيا من غدا سلكا لجيد معارفه و من لفظه زهر أنيق لقاطفه

محبّك أضحى عاطل الجيد فلتجد بعقد على لبّاته و سوالفه

و وعك فى بعض الأعياد، فعاده من أعيان الطلبة جملة، فلمّا هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا: [الكامل]

للّه درّ أفاضل أمجاد شرف النّديّ بقصدهم و النادى

لمّا أشاروا بالسلام و أزمعوا أنشدتهم و صدقت فى الإنشاد

فى العيد عدتم و هو يوم عروبة يا فرحتى بثلاثة الأعياد

قال الشريشى فى شرح المقامات: و لقد زرته فى مرضه الذى توفى فيه رحمه اللّه تعالى أنا و ثلاثة فتيان من الطلبة، فسألنى عنهم و عن آبائهم، فلمّا أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة، و قال له: اكتب، و أملى عليه ارتجالا: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۶

ثلاثة فتيان يؤلّف بينهم ندىّ كريم لا أرى اللّه بينهم

تشابه خلق منهم و خليقة فإن قلت أين الحسن فانظره أين هم

و زيّنهم أستاذهم إذ غدا لهم معلّم آيات فتمم زينهم

فإن خفت من عين ففى الكلّ فلتقل وقى اللّه ربّ الناس للكلّ عينهم

[بين ابن عياش و ابن زرقون]

و قال الشريشى: حدّثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون، عن أبيه أبى عبد اللّه، أنه قعد مع صهره أبى الحسن عبد الملك بن عيّاش

الكاتب على بحر المجاز، و هو مضطرب الأمواج، فقال له أبو الحسن: أجز: [الوافر]

و ملتطم الغوارب موّجته بوارح فى مناكبها غيوم

فقال أبو عبد اللّه: [الوافر]

تمنّع لا يعوم به سفين و لو جذبت به الزّهر النجوم

[بين ابن عبد ربه و فتى يهواه]

و كان لابن عبد ربه فتى يهواه، فأعلمه أنه يسافر غدا، فلمّا أصبح عاقه المطر عن السفر، فانجلى عن ابن عبد ربه همّه، و كتب إليه: [البسيط]

هلّا ابتكرت لبين أنت مبتكر هيهات يأبى عليك اللّه و القدر

ما زلت أبكى حذار البين ملتهبا حتى رثى لى فيك الريح و المطر

يا برده من حيا مزن على كبد نيرانها بغليل الشوق تستعر

آليت أن لا أرى شمسا و لا قمرا حتى أراك فأنت الشمس و القمر

و قال ابن عبد ربه: [البسيط]

صل من هويت و إن أبدى معاتبة فأطيب العيش وصل بين إلفين

و اقطع حبائل خدن لا تلائمه فقلّما تسع الدنيا بغيضين

[من شعر غانم المالقى و ابن بقى و الأبيض و ابن صارة و ابن عبدون البلنسى]

و قال أبو محمد غانم بن الوليد المالقى: [البسيط]

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبّين

و لا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلّما تسع الدنيا بغيضين

و كان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة، فأتاه يوم السبت، فلمّا لقيه عانقه و أنشده: [الوافر]

تخيّرت اليهود السبت عيدا و قلنا فى العروبة يوم عيد

فلمّا أن طلعت السبت فينا أطلت لسان محتجّ اليهود

و قال أبو بكر بن بقى: [البسيط]

أقمت فيكم على الإقتار و العدم لو كنت حرّا أبىّ النّفس لم أقم

فلا حديقتكم يجنى لها ثمر و لا سماؤكم تنهل بالدّيم

أنا امرؤ إن نبت بى أرض أندلس جئت العراق فقامت بى على قدم

ما العيش بالعلم إلّا حيلة ضعفت و حرفة وكلت بالقعدد البرم

و قال الأبيض فى الفقهاء المرائين: [الكامل]

أهل الرّياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج فى الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك و قسمتم الأموال بابن القاسم

و ركبتم شهب البغال بأشهب و بأصبغ صبغت لكم فى العالم

و قال: [الكامل]

قل للإمام سنا الأئمة مالك نور العيون و نزهة الأسماع

للّه درّك من همام ماجد قد كنت راعينا فنعم الراعى

فمضيت محمود النقيبة طاهرا و تركتنا قنصا لشرّ سباع

أكلوا بك الدنيا و أنت بمعزل طاوى الحشا متكفّت الأضلاع

تشكوك دنيا لم تزل بك برّة ما ذا رفعت بها من الأوضاع

و قال ابن صارة: [البسيط]

يا من يعذّبنى لمّا تملّكنى ما ذا تريد بتعذيبى و إضرارى

تروق حسنا و فيك الموت أجمعه كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

و قال عبدون البلنسى: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۸

يا من محيّاه جنّات مفتّحة و هجره لى ذنب غير مغفور

لقد تناقضت فى خلق و فى خلق تناقض النار بالتدخين و النّور

[من شعر الوزير ابن الحكيم و أبى جعفر بن برطال و ابن خفاجة و أبى الوليد بن الحضرمى]

و قال الوزير ابن الحكيم: [الكامل]

رسخت أصول علاكم تحت الثرى و لكم على خطّ المجرّة دار

إنّ المكارم صورة معلومة أنتم لها الأسماع و الأبصار

تبدو شموس الدّجن من أطواقكم و تفيض من بين البنان بحار

ذلّت لكم نسم الخلائق مثل ما ذلّت لشعرى فيكم الأشعار

فمتى مدحت و لا مدحت سواكم فمديحكم فى مدحه إضمار

و قال القاضى أبو جعفر بن برطال: [الكامل]

أستودع الرحمن من لوداعهم قلبى و روحى آذنا بوداع

بانوا و طرفى و الفؤاد و مقولى باك و مسلوب العزاء وداع

فتولّ يا مولاى حفظهم و لا تجعل تفرّقنا فراق وداع

و قال ابن خفاجة: [الطويل]

و ما هاجنى إلّا تألّق بارق لبست به برد الدّجنّة معلما

و هى طويلة:

و قال من أخرى: [الكامل]

جمعت ذوائبه و نور جبينه بين الدّجنّة و الصباح المشرق

و قال ذو الوزارتين أبو الوليد ابن الحضرمى البطليوسى فى غلام للمتوكل ابن الأفطس يرثيه: [المجتث]

غالته أيدى المنايا و كنّ فى مقلتيه

و كان يسقى الندامى بطرفه و يديه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۳۹

غصن ذوى و هلال جار الكسوف عليه

[من شعر أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى]

و قال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالمها فى المذهب المالكى، و قد تحاكم إليه و سيمان أشقر و أكحل فيمن يفضل بينهما: [البسيط]

و شادنين ألمّا بى على مقة تنازعا الحسن فى غايات مستبق

كأنّ لمّة ذا من نرجس خلقت على بهار و ذا مسك على ورق

و حكّما الصّبّ فى التفضيل بينهما و لم يخافا عليه رشوة الحدق

فقام يبدى هلال الدّجن حجّته مبيّنا بلسان منه منطلق

فقال وجهى بدر يستضاء به و لون شعرى مقطوع من الغسق

و كحل عينىّ سحر للنّهى و كذا ك الحسن أحسن ما يعزى إلى الحدق

و قال صاحبه أحسنت وصفك ل كن فاستمع لمقال فىّ متّفق

أنا على أفقى شمس النهار و لم تغرب و شقرة شعرى شقرة الشّفق

و فضل ما عيب فى العينين من زرق أنّ الأسنّة قد تعزى إلى الزّرق

قضيت للّمّة الشقراء حيث حكت نورا كذا حبّها يقضى على رمقى

فقام ذو اللّمّة السوداء يرشقنى سهام أجفانه من شدّة الحنق

و قال جرت فقلت الجور منك على قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق

و قلت عفوك إذ أصبحت بينهما فقال دونك هذا الحبل فاختنق

و كان فيه ظرف و أدب، و عنوان طبقته هذه الأبيات.

و قال: [الطويل]

و غاب من الأكواس فيها ضراغم من الراح ألباب الرجال فريسها

قرعت بها سنّ الحلوم فأقطعت و قد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

و له رحمه اللّه تعالى «شرح البخارى» و أكثر ابن حجر من النقل عنه فى «فتح البارى» و له كتاب «الأحكام» و غير ذلك، و ترجمته شهيرة.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۰

[من شعر إبراهيم البطليوسى و شعر القلندر البطليوسى]

و قال الأديب النحوى المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن الأعلم البطليوسى صاحب التآليف التى بلغت نحو خمسين: [المجتث]

يا حمص، لا زلت دارا لكلّ بؤس و ساحه

ما فيك موضع راحه إلّا و ما فيه راحه

و هو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب «المغرب» و أنشده هذين البيتين لما ضجر من الإقامة بإشبيلية أيام فتنة الباجى.

و قال الأديب الطبيب أبو الأصبغ عبد العزيز البطليوسى الملقب بالقلندر: [المتقارب]

جرت منّى الخمر مجرى دمى فجلّ حياتى من سكرها

و مهما دجت ظلم للهموم فتمزيقها بسنا بدرها

و خرج يوما و هو سكران، فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة، فقال: سكران خذوه، فلما أخذه الشرطة قال للقاضى: بحقّ من ولّاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك إلّا ما أفضلت علىّ و تركتنى، فقال القاضى: و اللّه لقد ذكرتنى بفضل عظيم، و درأ عنه الحدّ.

[من شعر ابن جاخ الصباغ و الكميت البطليوسى]

و قال ابن جاخ الصباغ البطليوسى، و هو من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ و لا يكتب:

[المتقارب]

و لمّا وقفنا غداة النّوى و قد أسقط البين ما فى يدى

رأيت الهوادج فيها البدور عليها البراقع من عسجد

و تحت البراقع مقلوبها تدبّ على ورد خدّ ندى

تسالم من وطئت خدّه و تلدغ قلب الشّجى المكمد

و قال فى المتوكل، و قد سقط عن فرس: [البسيط]

لا عتب للطّرف إن زلت قوائمه و لا يدنّسه من عائب دنس

حمّلت جودا و بأسا فوقه و نهى و كيف يحمل هذا كلّه الفرس

و قال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسى: [الرمل]

لا تلومونى فإنى عالم بالذى تأتيه نفسى و تدع

بالحميّا و المحيّا صبوتى و سوى حبّهما عندى بدع

فضّل الجمعة يوما و أنا كلّ أيامى بأفراحى جمع

[من شعر محمد بن البين البطليوسى]

و قال أبو عبد اللّه محمد بن البين البطليوسى، و هو ممن يميل إلى طريقة ابن هانىء:

[الكامل]

غصبوا الصباح فقسّموه خدودا و استنهبوا قضب الأراك قدودا

و رأوا حصا الياقوت دون محلّهم فاستبدلوا منه النجوم عقودا

و استودعوا حدق المها أجفانهم فسبوا بهنّ ضراغما و أسودا

لم يكفهم حمل الأسنّة و الظّبا حتى استعاروا أعينا و قدودا

و تضافروا بضفائر أبدوا لنا ضوء النهار بليلها معقودا

صاغوا الثغور من الأقاحى بينها ماء الحياة لو اغتدى مورودا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۲

[بين المتوكل و مضحک يدعى «الخطارة»]

و كان عند المتوكل مضحک يقال له الخطّارة، فشرب ليلة مع المتوكل، و كان فى السقاة و سيم، فوضع عينه عليه، فلمّا كان وقت السحر دبّ إليه، و كان بالقرب من المتوكل، فأحسّ به، فقال له: ما هذا يا خطارة؟ فقال له: يا مولاى، هذا وقت تفريغ الخطارة الماء فى الرياض، فقال له: لا تعد لئلّا يكون ماء أحمر، فرجع إلى نومه، و لم يعد فى ذلک كلمة بقيّة عمره معه، و لا أنكر منه شيئا، و لم يحدّث بها الخطارة حتى قتل المتوكل، رحمه اللّه تعالى!

و الخطارة: صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الأندلس من الأودية، و هو كثير على وادى إشبيلية، و أكثر ما يباكرون العمل فى السحر.

[من شعر أبى زيد بن مولود الوزير و عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى]

و قال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود: [مجزوء الرمل]

أرنى يوما من الده ر على وفق الأمانى

ثم دعنى بعد هذا كيفما شئت ترانى

و قال أديب الأندلس و حافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى، و هو من رجال الذخيرة و القلائد، و شهرته مغنية عن الزيادة، يخاطب المتوكل و قد أنزله فى دار و كفت عليه: [الطويل]

أيا ساميا من جانبيه كليهما (سموّ حباب الماء حالا على حال)

لعبدک دار حلّ فيها كأنها (ديار لسلمى عافيات بذى خال)

يقول لها لمّا رأى من دثورها (ألا عم صباحا أيها الطّلل البالى)

فقالت و ما عيّت جوابا بردّها (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)

فمر صاحب الإنزال فيها بعاجل (فإنّ الفتى يهذى و ليس بفعّال)

و قال فى جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه فى «المغرب»: [الطويل]

سألت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت و لم تكذب: أمان و تسهيل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۳

[ضوابط لحروف الزيادة]

قلت: و على ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس فى انتقاء الكلمات الضابطة لها، و قد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط، و لنذكر الآن بعضها، فنقول: منها «أهوى تلمسانا» و نظمتها فقلت: [البسيط]

قالت حروف زيادات لسائلها هل هويت بلدة: أهوى تلمسانا

و جمعها ابن مالک فى بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو، و هو: [الطويل]

هناء و تسليم، تلا يوم أنسه، نهاية مسئول، أمان و تسهيل

و منها «هويت السمان» و حكى أن أبا عثمان المازنى سئل عنه فأنشد: [المتقارب]

هويت السّمان فشيّبنني و قد كنت قدما هويت السّمانا

فقيل له: أجبنا، فقال: أجبتكم مرتين، و يروى أنه قال: سألتمونيها، فأعطيتكم ثلاثة أجوبة، هكذا حكاه بعض المحققين، و هو أرقّ ممّا حكاه غير واحد على غير هذا الوجه، و منها: «سألتمونيها»، و منها: اليوم تنساه، الموت ينساه، أسلمني وتاه، هم يتساءلون، التناهى سموّ، تنمى و سائله، أسلمى تهاون، تهاونى أسلم، التمس هوانى، ما سألت يهون، مؤنس التياه، لم يأتنا سهو، يا أويس هل نمت، نويت سؤالهم، نويت مسائله، سألتم هوانى، تأمّلها يونس، أتانى و سهيل، هونى مسألتها، سألت ما يهون، و سليمان أتاه، تسأل من يهوى، استملانى هو، أسلمت و هناى، هو استمالنى، سايل و أنت هم، يا هول استنم، أتاه و سليمان.

قلت: و ليس هذا تكرارا مع السابق الذى هو «و سليمان أتاه»؛ لأنّ التقديم و التأخير يصيرهما شيئين.

و منها: الوسمى هتّان، أوليتم سناه، و اليتم أنسه، أمسيت و ناله، أنله توسيما، أملتنى سهوا، أتوسّل يمنها، سألتهنّ يوما، سألت يومنها، سألت ما يوهن، نهوى ما سألت، يهون ما سألت، و قد سبق «سألت ما يهون» و عدّهما شيئين من أجل التقديم و التأخير كما مرّ نظيره، ألا تنس يومه، ليتأس ماؤه، سله موتى أنا، أنسته اليوم، سألتم هوينا، آوى من تسأله، و هين ما سألت، و هنى ما سألت، مسألتى نواه.

و منها: مسألتى هاون، سهوان يتألّم، أيلتم سهوان، أو يلتم ناسه، مسألتى أهون، أو ميت تنساه، سموتن إليها، أمليت سهوان، و سألتم هينا، يهون ما تسأل، أ تلومن سهيا، أسلم و انتهى، يتأمّل سهوان، يتأمّل ناسوه، يتأملن سواه، أ يتأمل نسوه، الهوى أتنسّم، و ليت ماه آسن، تولين أسهما، أتلوا سهمين، أول ساهمتنى، أسماؤه تنيل، يتأمّلنه سوا، أو لم يتسنّاه،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۴

آمن و يتساهل، أمسيتن لهوا، توسميه لناء، هو ما تسألين، لأيها نتوسم، أيهما نتوسّل، أتانى لسموه، سميتهن أولا، أولاهن سميت، سلمتنى أهوا، أسلمتنى هوا، أو نستميلها، أ يستمهلونا، هنأت الموسى، سليم انتهوا، و أنت سائلهم، ساءلته ينمو، تهنأ لا يسمو، اسألى مؤنته، سألتنى موهنا، التمسى هونا، استملى أهون، التناه موسى، الهواء يتسنّم، نهوى ما تسأل، ماؤه ليتأسن، تنسمى الهواء، تلومى إن سها، ألمتنى سهوا، ستولينا أمه، يتمهّلون أسا، أمهلتنى سوا، التناسى و هم، أهويت سلمان، هويت المأنس، المأنس تهوى، هويت أم ناسل، أو ليس تم هنا، استوهن أملى، استهون ألمى، استملن و هيّأ، أ تسلمونيها، أ يتسلمونها، ألا يتسمونه، أليس توهمنا، ألا يتسنموه.

فهذه مائة و أربعة و ثلاثون تركيبا، منها ما هو متين، و منها ما هو غير متين، و قد جمع ابن خروف فيها اثنين و عشرين تركيبا محكيا و غير محكيّ، و أحسنها بيت ابن عبدون السابق، و يليه بيت ابن مالك، و قال الطغنى جامعا لها أربع مرات: [الكامل]:

آلمتنى سهوا، تلومى إن سها أو ليس تمّ هنا، الهوا يتسنّم

هكذا بخطّه يتسنّم، و لو قال يتنسّم لكان أنسب، و قال أيضا: [الكامل]

و ليت ما سناه و التمسى هنا ما تسألين هو الهنا يتوسّم

قلت: و قد جمعت فى المغرب زيادة على ما تقدّم، و كنت قدرت رسالة فيها أسميها «إتحاف أهل السيادة، بضوابط حروف الزيادة».

[من شعر عبد اللّه بن الليث و أبى القاسم بن الأبرشى]

و قال أبو محمد عبد اللّه بن الليث يستدعى الوزير أبا الحسن اليابرى فى يوم غيم:

[الكامل]

رقم الربيع بروضنا أزهاره فجرى على صفحاته أنهاره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۵

فعسى تشرفنا ببهجة سيّد ألقى على ليل الخطوب نهاره

تتمتّع الآداب من نفحاته فيشمّ منها ورده و بهاره

يا سيّدا بهر البرية سؤددا أبدى إلينا سرّه و جهاره

يوم أظلّ الغيم وجه ضيائه فعليك يا شمس العلا إظهاره

و قال أبو القاسم بن الأبرش: [الوافر]

أدر كاس المدام فقد تغنّى بفرع الأيك طائره الصّدوح

و هبّ على الرياض نسيم صبح يمرّ كما دنا سار طليح

و مال النهر يشكو من حصاه جراحات كما أنّ الجريح

و قال: [المتقارب]

حلفت و يشهد دمعى بما أقاسيه من هجرك الزّائد

فإن كنت تجحد ما أدّعى و حاشاك تعرف بالجاحد

فإنّ النبيّ عليه السّلام قضى باليمين مع الشاهد

[من شعر أبى الحسين على بن بسام الشنترينى و أبى عمر بن كوثر]

و قال أبو الحسن على بن بسّام الشنترينى صاحب الذخيرة، و شهرته تغنى عن ذكره، و نظمه دون نثره، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز: [المتقارب]

أبا بكر المجتبى للأدب رفيع العماد قريع الحسب

أ يلحن فيك الزمان الخؤون و يعرب عنك لسان العرب

و إن لم يكن أفقنا واحدا فينظمنا شمل هذا الأدب

و قد ذكرنا له فى غير هذا المحلّ قوله: [الوافر]

ألا بادر فلا ثان سوى ما عهدت الكأس و البدر التمام

الأبيات.

و تأخّرت وفاته إلى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، و هو منسوب إلى «شنترين» من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۶

[من شعر أبى محمد بن سارة و منذر الأشبونى و خلف القطينى و أبى محمد بن السيد النحوى]

و قال أبو عمر يوسف بن كوثر: [الطويل]

مررت به يوما يغازل مثله و هذا على ذا بالملاحة يمتنّ

فقلت اجمعا فى الوصل رأيكما فما لمثلكما كان التغزّل و المجن

عسى الصّبّ يقضى اللّه بينكما له بخير فقالا لى اشتهى العسل السّمن

و قال أبو محمد بن سارة: [الطويل]

أعندك أنّ البدر بات ضجيعى فقضّيت أوطارى بغير شفيع

جعلت ابنة العنقود بينى و بينه فكانت لنا أمّا و كان رضيعى

و قال: [الوافر]

أيا من حارت الأفكار فيه فلم تعلم له الأقدار كنها

بجيد النيل منّا عقد أنس أقام بغير واسطة فكنها

و قال أبو الحسن بن منذر الأشبونى: [الطويل]

فديتك إنى عن جنابك راحل فهل لى يوما من لقائك زاد

و حسبك و الأيام خون غوادر فراق كما شاء العدا و بعاد

و قال خلف بن هارون القطينى: [البسيط]

من أنبت الورد فى خدّيك يا قمر و من حمى قطفه إذ ليس مصطبر

الزهر فى الروض مقرون بأزمنة و روض خدّك موصول به الزّهر

و كان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس؛ حسّون و عزّون و رحمون، فأولع بهنّ الإمام أبو محمد بن السّيد النحوى، و قال فيهم: [البسيط]

أخفيت سقمى حتّى كاد يخفينى و همت فى حبّ عزّون فعزّونى

ثم ارحمونى برحمون فإن ظمئت نفسى إلى ريق حسّون فحسّونى

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة، هكذا رأيته بخطّ بعض المؤرخين انتهى، و اللّه أعلم.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۷

[من شعر ابن خفاجة و الرصافى و أبى بكر بن حبيش]

و قال ابن خفاجة يداعب من بقل عذاره: [مجزوء الرمل]

أيها التائه مهلا ساءنى أن تهت جهلا

هل ترى فيما ترى إلّا شبابا قد تولّى

و غراما قد تسرّى و فؤادا قد تسلّى

أين دمع فيك يجرى أين جنب يتقلّى

أين نفس بك تهذى و ضلوع فيك تصلى

أىّ باك كان لو لا عارض وافى فولّى

و تخلّى عنك إلّا أسفا لا يتخلّى

و انطوى الحسن فهلّا أجمل الحسن و هلّا

أمّا بعد، أيها النبيل النبيه، فإنه لا يجتمع العذار و التيه، قد كان ذلك و غصن تلك الشبيبة رطب، و منهل ذلك المقبّل عذب، و أما و العذار قد بقل، و الزمان قد انتقل، و الصّبّ قد صحا فعقل، فقد ركدت رياح الأشواق، و رقدت عيون العشّاق، فدع عنك من نظرة التجنّى، و مشية التثنّى، و غضّ من عنانك، و خذ فى تراضى إخوانك، و هشّ عند اللقاء هشّة أريحيّة، و اقنع بالإيماء رجع تحيّة، فكأنى بفنائك مهجورا، و بزائرك مأجورا، و السلام.

و قال الرصافى لمّا بعث إليه من يهواه سكينا: [الطويل]

تفاءلت بالسكين لمّا بعثته لقد صدقت منى العيافة و الزّجر

فكان من السكين سكناك فى الحشا و كان من القطع القطيعة و الهجر

و حضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلّة و طفىء السراج، فقال ارتجالا:

[البسيط]

أذكى السراج يرينا غرّة سفرت فباتت الشمس تستحيى و تستتر

أو خلّه فكفانا وجه سيدنا لا يطلب النجم من فى بيته قمر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۸

[من شعر أبى الحسن بن جابر و أبى بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلى]

و قصد أحد الأدباء بمرسية أحد السادة من بنى عبد المؤمن، فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير، فقال المذكور ارتجالا: [الطويل]

تبرّك بنجل جاء باليمن و السّعد يبشّر بالتأييد طائفة المهدى

تكلّم روح اللّه فى المهد قبله و هذا براء بدّل اللام فى المهد

و خرج الأستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج إشبيلية، و أحضرت مجبّنات ما خبا نارها، و لا هدأ أوارها، فما حاد عنها و لا كفّ، و لا صرف حرّها عن اقتضابها البنان و لا الكفّ، فقال: [الكامل]

أحلى مواقعها إذا قرّبتها و بخارها فوق الموائد سام

إن أحرقت لمسا فإنّ أوارها فى داخل الأحشاء برد سلام

و قال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلى يتهكّم برجل زعم أنه ينال الخلافة:

[الوافر]

أمير المؤمنين، نداء شيخ أفادك من نصائحه اللطيفه

تحفّظ أن يكون الجذع يوما سريرا من أسرّتك المنيفه

أفكّر فيك مصلوبا فأبكى و تضحكنى أمانيك السّخيفه

[من شعر صفوان و من شعر أبى بكر بن يوسف و أبى القاسم القبتورى]

و قال صفوان: [الكامل]

و نهار أنس لو سألنا دهرنا فى أن يعود بمثله لم يقدر

خرق الزمان لنا به عاداته فلو اقترحنا النجم لم يتعذر

فى فتية علمت ذكاء بحسنهم فتلفّعت من غيمها فى مئزر

و السرحة الغنّاء قد قبضت بها كفّ النسيم على لواء أخضر

و كأنّ شكل الغيم منخل فضّة يلقى على الآفاق رطب الجوهر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۴۹

و اجتاز بعض الغلمان على أبى بكر بن يوسف، فسلّم عليه بأصبعه، فقال أبو بكر فى ذلك و أشار فى البيت الثالث إلى أنّ والد الغلام كان خطيب البلد: [الكامل]

مرّ الغزال بنا مروعا نافرا كشبيهه فى القفر ريع بصائده

لثم السّلامى فى السلام تسترا ثم انثنى حذر الرقيب لراصده

هلّا تكلّف وقفة لمحبّه و لو انها قصرا كجلسة والده

و قال أبو القاسم القبتورى: [البسيط]

وا حسرتا لأمور ليس يبلغها مالى و هنّ منى نفسى و آمالى

أصبحت كالآل لا جدوى لدىّ و ما آليت جدّا و لكن جدّى الآلى

[من شعر أبى الحسن بن الحاج و أحمد بن أميهٔ البلنسى و ابن برطلهٔ و ابن خروف]

و قال أبو الحسن بن الحاج: [الطويل]

كفى حزنا أنّ المشارع جمّهٔ و عندى إليها غلّهٔ و أوام

و من نكد الأيام أن يعدم الغنى كريم و أنّ المكثرين لئام

و قال أحمد بن أميهٔ البلنسى: [السريع]

قال رئيسى حين فاوضته و ما درى أنّ مقامى عسير

أقم فقلت الحال لا تقتضى فقال سر قلت جناحى كسير

و قال ابن برطلهٔ: [السريع]

للّه ما ألقاه من همّهٔ لا ترتضى إلّا السّها منزلا

و من خمول كلّما رمت أن أسمو به بين الورى قال لا

و كتب ابن خروف لبعض الرؤساء: [المجتث]

يا من حوى كلّ مجد بجدّه و بجدّه

أتاك نجل خروف فامنن عليه بجدّه

و كتب أيضا لبعضهم يستدعى فروهٔ: [مجزوء الوافر]

بهاء الدين و الدنيا و نور المجد و الحسب

طلبت مخافهٔ الأنوا ء من جدواك جلد أبى

و فضلك عالم أنى خروف بارع الأدب

حلبت الدهر أشطره و فى حلب صفا حلبى

و بعد كتبى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقى لا الأندلسى، و اللّه تعالى أعلم.

[من شعر أبى بكر بن مالك و أبى الحسن بن حريق و أبى الحسن بن زقاق]

و ركب محبوب أبى بكر ابن مالك كاتب ابن سعد بغلهٔ رديف رجل يعرف بالدب، فقال أبو بكر فى ذلك: [مخلع البسيط]

و بغلهٔ ما لها مثال يركبها الدّبّ و الغزال

كأنّ هذا و ذا عليها سحابهٔ خلفها هلال

و خرج محبوب لأبى الحسن بن حريق يوما لنزههٔ و عرض سيل عاقه عن دخول البلد، فبات ليلهٔ عند أبى الحسن، فقال فى ذلك: [مخلع البسيط]

يا ليلة جادت الأمانى بها على رغم أنف دهرى

تسيل فيها علىّ نعمى يقصر عنها لسان شكرى

أبات فى منزلى حبيبى و قام فى أهله بعذر

و بتّ لا حالة كحالى صريع سكر ضجيع بدر

يا ليلة القدر فى الليالى لأنت خير من الف شهر

و قال أبو الحسن بن الزقاق: [الوافر]

عذيرى من هضيم الكشح أحوى رخيم الدّلّ قد لبس الشّبابا

أعدّ الهجر هاجرة لقلبى و صيّر وعده فيها سرابا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۱

[من شعر أبى بكر بن الجزار السرقسطى و أبى عبد الله الجذامى]

و قال أبو بكر بن الجزار السرقسطى: [الطويل]

ثناء الفتى يبقى و يفنى ثراؤه فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر

فقد أبلت الأيام كعبا و حاتما و ذكرهما غضّ جديد إلى الحشر

و قال الأديب أبو عبد اللّه الجذامى: كان لشخص من أصحابنا قينة، فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مرّ فوّال ينادى على فول يبيعه، قال: فكلّفنى أن أقول فى ذلك شيئا، فقلت: [الطويل]

و لم أنس يوم الأنس حين سمحت لى و أهديت لى من فيك فول سواك

و مرّ بنا الفوّال للفول مادحا و ما قصده فى المدح فول سواك

و شرب يوما أبو عبد اللّه المذكور عند بعض الأجلّة و ذرعه القىء، فارتجل فى العذر:

[الطويل]

لا تؤاخذ من أخلّ به قهوة فى الكاس كالقبس

كيف يلحى فى المدام فتى أخذته أخذ مفترس

دخلت فى الحلق مكرهة ضاق عنها موضع النّفس

خرجت من موضع دخلت أنفت من مخرج النجس

[من شعر سلمة بن أحمد و أبى الحسن بن حزمون]

و جلس سلمة بن أحمد إلى جنب و سيم يكتب من محبرة فانصبّ الحبر منها على ثوب سلمة، فخجل الغلام، فقال سلمة: [الكامل]

صبّ المداد و ما تعمّد صبّه فتورّد الخدّ المليح الأزهر

يا من يؤثّر حبره فى ثوبنا تأثير لحظك فى فؤادى أكبر

و كان لأبى الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى أبا عامر، و سافر أبو الحسن، فبينما هو بخارج ألمرية إذ لقى فتى يشبه محبوبه، و سأله عن اسمه، فأخبره بأنه يدعى أبا عامر، فقال أبو الحسن فى ذلك: [المتقارب]

إلى كم أفرّ أمام الهوى و ليس لذا الحبّ من آخر

و كيف أفرّ أمام الهوى و فى كلّ واد أبو عامر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۲

[من شعر أبى بكر بن مالك و أبى بكر بن مالك و القاضى ابن السليم]

و حضر أبو بكر ابن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوّال، فأغمى على الناس و رآه محبوبه، فقال أبو بكر فى ذلك: [الطويل]

توارى هلال الأفق عن أعين الورى و لاح لمن أهواه منه و حيّاه

فقلت لهم لم تفهموا كنه سرّه و لكن خذوا عنى حقيقة معناه

بدا الأفق كالمرآة راق صفاؤه فأبصر دون الناس فيه محيّاه

و كتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله: [الطويل]

متى ما ترم شرحا لحالى و تبيينا فصحّف على قلبى «علومك تحيينا»

أرادنى «إنّى بحبّك مولع».

و كتب القاضى ابن السليم إلى الحكم المستنصر بالله: [البسيط]

لو أنّ أعضاء جسمى ألسن نطقت بشكر نعماك عندى قلّ شكرى لك

أو كان ملّكنى الرحمن من أجلى شيئا وصلت به يا سيدى أجلك

و من تكن فى الورى آماله كثرت فإنما أملى فى أن ترى أملك

[من شعر الوزير ابن أبى الخصال و الرصافى]

و قال الوزير ابن أبى الخصال: [الطويل]

و كيف أؤدّى شكر من إن شكرته على برّ يوم زادنى مثله غدا

فإن رمت أقضى اليوم بعض الذى مضى رأيت له فضلا علىّ مجدّدا

و قال الرصافى: [الكامل]

قلّدت جيد الفكر من تلك الحلى ما شاءه المنثور و المنظوم

و أشرت قدّامى كأنّى لاثم و كأنّ كفّى ذلك الملثوم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۳

و قال: [الوافر]

و يا لك نعمة رمنا مداها فما وصل اللسان و لا الضمير

عجزنا أن نقوم لها بشكر على أنّ الشّكور لها كثير

[من شعر ابن باجة و ابن الابار و أبى العباس أحمد الإشبيلى]

و قال ابن باجة: [الكامل]

قوم إذا انتقبوا رأيت أهلّة و إذا هم سفروا رأيت بدورا

لا يسألون عن النّوال عفاتهم شكرا و لا يحمون منه نقيرا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۲۵۳

لو أنهم مسحوا على جدب الرّبا بأكفّهم نبت الأقاح نضيرا

و قال ابن الأبار يمدح أبا زكريا سلطان إفريقية: [الطويل]

تحلّت بعلياك الليالى العواطل و دانت لسقياك السحاب الهواطل

و ما زينة الأيام إلّا مناقب يفرّعها أصلان: بأس و نائل

إذ الطّول و الصّول استقلّا براحة ترقّت لها نحو النجوم أنامل

و قال أيضا فى سعيد بن حكم رئيس منرقة: [الخفيف]

سيّد أيّد رئيس بئيس فى أساريره صفات الصباح

قمر فى أفق المعالى تجلّى و تحلّى بالسؤدد الوضّاح

سلم البحر فى السماحة منه لجواد سمّوه بحر السماح

و قال أبو العباس أحمد الإشبيلى: [البسيط]

يا أفضل الناس إجماعا و معرفتى تغنى و ما الحسن فى ريب و لا ريب

ورثت عن سلف ما شئت من شرف فقد بهرت بموروث و مكتسب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۴

[من شعر ابن زهر الحفيد و أبى بكر بن زهر الأصغر]

و قال ابن زهر الحفيد: [الكامل]

يا من يذكّرنى بعهد أحبّتى طاب الحديث بذكرهم و يطيب

أعد الحديث علىّ من جنباته إنّ الحديث عن الحبيب حبيب

ملأ الضلوع و فاض عن أحنائها قلب إذا ذكر الحبيب يذوب

ما زال يخفق ضاربا بجناحه يا ليت شعرى هل تطير قلوب

و قال فى زهر الكتاب: [الكامل]

أهلا بزهر اللّازورد و مرحبا فى روضة الكتّان تعطفه الصّبا

لو كنت ذا جهل لخلتك لجّة و كشفت عن ساق كما فعلت سبا

و لما قال الموشحة المشهورة التى أولها:

صادنى و لم يدر ما صادا قال أبو بكر بن الجدّ: لو سئل عمّا صاد لقال: تيس بلحية حمراء!.

و لمّا قال الموشحة التى أوّلها:

هات بنت العنب و اشرب إلى قوله:

و فدّه بأبى ثم بى سمعها أبوه فقال: يفديه بالعجوز السّواء، و أما أنا فلا.

و هنالك أبو بكر بن زهر الأصغر، و هو ابن عمّ هذا الأكبر.

و من نظم الأصغر: [الكامل]

و اللّه ما أدرى بما أتوسّل إذ ليس لى ذات بها أتوصّل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۵

لكن جعلت مودّتى مع خدمتى لعلاك أحظى شافع يتقبّل

إن كنت من أدوات زهر عاطلا فالزّهر منهنّ السّماك الأعزل

و هذه الأبيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب.

[من شعر أبى جعفر عمر ابن صاحب الصلاة و أبى بكر محمد ابن صاحب الصلاة فى عمرو بن مذحج]

و قال الأديب أبو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة: [الطويل]

و ما زالت الدنيا طريقا لهالك تباين فى أحوالها و تخالف

ففى جانب منها تقوم مآتم و فى جانب منها تقوم معازف

فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن و من كان فيها آمنا فهو خائف

و قال أبو بكر محمد ابن صاحب الصلاة يخاطب أخيل لمّا انتقل إلى العدوة: [المجتث]

لا تنكرنّ زمانا رماك منه بسهم

و أنت غاية مجد فى كلّ علم و فهم

هذى دموعى حتى يراك طرفى تهمى

يا ليت ما كنت أخشى عليك عدوان همّ

و إنما الدهر يبدى ما لا يجوز بوهم

ما زال شيهم مسّ لكلّ يقظان شهم

و لمّا وفد أهل الأندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا و ناظما، فأتى بالعجب، و باهى به أهل الأندلس فى ذلك الوقت.

و له فى عبد المؤمن: [البسيط]

هم الألى و هبوا للحرب أنفسهم و أنهبوا ما حوت أيديهم الصّفدا

ما إن يغبّون كحل الشمس من رهج كأنما عينها تشكو لهم رمدا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۶

[من شعر ابن السيد البطليوسى فى عمرو بن مذحج و ابن عبدون و جواب عمرو بن مذحج]

و قال ابن السيّد البطليوسى فى أبى الحكم عمرو بن مذحج بن حزم، و قد غلب على لبّه، و أخذ بمجامع قلبه: [الطويل]

رأى صاحبى عمرا فكلّف وصفه و حمّلنى من ذاك ما ليس فى الطّوق

فقلت له: عمرو كعمرو فقال لى: صدقت، و لكن ذاك شبّ عن الطّوق

و فيه يقول ابن عبدون: [الكامل]

يا عمرو، ردّ على الصّدور قلوبها من غير تقطيع و لا تحريق

و أدر علينا من خلالك أكؤسا لم تأل تسكرنا بغير رحيق

و فيه يقول أحدهم: [مجزوء الخفيف]

قل لعمرو بن مذحج جاء ما كنت أرتجى

شارب من زبرجد و لمى من بنفسج

و كتب إليه ابن عبدون: [الطويل]

سلام كما هبّت من المزن نفحة تنفّس عند الفجر من وجهها الزّهر

و منها:

أبا حسن أبلغ سلام فمى يدى أبى حسن و ارفق فكلتاهما بحر

و لا تنس يمناك التى هى و الندى رضيعا لبان لا اللّجين و لا التّبر

فأجابه من أبيات: [الطويل]

تحيّر ذهنى فى مجارى صفاته فلم أدر شعر ما به فهت أم سحر

أرى الدهر أعطاك التقدّم فى العلى و إن كان قد وافى أخيرا بك الدّهر

لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا ففى أخريات الليل ينبلج الفجر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۷

[لعمرو بن مذحج فى أبى العلاء بن زهر و محمد بن مذحج]

و لعمرو فى أبى العلاء بن زهر: [الطويل]

قدمت علينا و الزمان جديد و ما زلت تبدى فى الندى و تعيد

و حقّ العلا لو لا مراتبك العلا لما اخضرّ فى أفق المكارم عود

فلوحوا بنى زهر فإنّ وجوهكم نجوم بأفلاك العلاء سعود

و قوله لأبى الوليد ابن عمّه: [البسيط]

إنّى لأعجب أن يدنو بنا وطن و لا يقضّى من اللّقيا لنا وطر

لا غرو إن بعدت دار مصاقبة بنا و جدّ بنا للحضرة السّفر

فمحجر العين لا يلقاه ناظرها و قد توسّع فى الدنيا به النظر

و قال ابن عمّه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمّه أبا الوليد: [الطويل]

و لمّا رأى حمص استخفّت بقدره على أنها كانت به ليلة القدر

تحمّل عنها و البلاد عريضة كما سلّ من غمد الدّجى صارم الفجر

[من شعر أبى الوليد بن مذحج]

و قال أبو الوليد المذكور: [الطويل]

أتجزع من دمعى و أنت أسلته و من نار أحشائى و أنت لهيبها

و تزعم أنّ النّفس غيرك علّقت و أنت و لا منّ عليك حبيبها

إذا طلعت شمس علىّ بسلوة أثار الهوى بين الضلوع غروبها

و له أيضا: [الكامل]

لمّا استمالك معشر لم أرضهم و القول فيك، كما علمت، كثير

داريت دونك مهجتى فتماسكت من بعد ما كادت إليك تطير

فاذهب فغير جوانحى لك منزل و اسمع فغير وفائك المشكور

و قال: [المتقارب]

يقول و قد لمته فى هوى فلان و عرّضت شيئا قليلا

أ تحسدنى؟ قلت: لا و الذى أحلّك فى الحبّ مرعى و بيلا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۸

و كيف و قد حلّ ذاك الجناب و قد سلك الناس ذاك السبيلا

و له مما يكتب على قوس: [الكامل]

إنّا إذا رفعت سماء عجاجة و الحرب تقعد بالرّدى و تقوم

و تمرّد الأبطال فى جنباتها و الموت من فوق النفوس يحوم

مرقت لهم منّا الحتوف كأنما نحن الأهلّة و السّهام نجوم

[من شعر أبى الحسين بن فندلة و أبى العباس بن سيد فى ابن فندلة و أبى القاسم بن حسان]

و قال أبو الحسين بن فندلة فى كلب صيد: [الطويل]

فجعت بمن لو رمت تعبير وصفه لقلّ و لو أنى غرفت من البحر

بأخطل وثّاب طموح مؤدّب ثبوت يصيد النّسر لو حلّ فى النسر

كلون الشباب الغضّ فى وجهه سنى كأنّ ظلاما ليس فيه سوى البدر

إذا سار و البازى أقول تعجّبا ألا ليت شعرى يسبق الطير من يجرى

و لا يلتفت إلى قول أبى العباس بن سيد فيه: [السريع]

الموت لا يبقى على مهجة لا أسدا يبقى و لا نعثله

و لا شريفا لبنى هاشم و لا وضيعا لبنى فندله

و كان ابن سيد مسلّطا على هذا البيت، قال ابن سعيد: و إنما ينبح الكلب القمر.

قال أبو العباس النجار: كان أبو الحسين يلقّب بالوزغة، فوصلت إلى بابه يوما، فتحجّب عنى، فكتبت على الباب: [مخلع البسيط]

تحجّب الفندلىّ عنى فساء من فعله ضميرى

ينفر من رؤيتى كأنى مضمّخ الجيب بالعبير

قال: و من عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران و تهرب منه.

و قال أبو القاسم بن حسان: [الطويل]

ألا ليتنى ما كنت يوما معظّما و لا عرفوا شخصى و لا علموا قصرى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۵۹

أكلّف فى حال المشيب بمثل ما تحمّلته و الغصن فى ورق نضر

فما عاش فى الأيام فى حرّ عيشة سوى رجل ناء عن النّهى و الأمر

[من شعر أبى بكر بن مرتين و القاضى ابن زرقون]

و قال أبو بكر بن مرتين: [البسيط]

صحبت منك العلا و الفضل و الكرما و شيمة فى الندى لا ترتضى السأما

مودّة فى ثرى الإنصاف راسخة و سمكها فوق أعناق السماء سما

و قال: [الكامل]

أنصفتنى فمحضتك الودّ الذى يجزى بصفوته الخليل المنصف

لا تشكرنّ سوى خلالك إنها جلبت إليك من الثنا ما يعرف

و قال: [مجزوء الرمل]

يا هلالا يتجلّى و قضيبا يتثنّى

كلّ أنس لم تكنه فهو لفظ دون معنى

و قال القاضى أبو عبد اللّه محمد بن زرقون: [الخفيف]

ذكر العهد و الديار غريب فجرى دمعه و لجّ النّحيب

ذكر العهد و النوى من حبيب حبّذا العهد و النوى و الحبيب

إذ صفاء الوداد غير مشوب بتجنّ و ودّنا مشبوب

و إذا الدهر دهرنا و إذا الدا ر قريب و إذ يقول الرقيب

و منها:

أسأل اللّه عفوه فلئن سا ء مقالى لقد تعفّ القلوب

قد ينال الفتى الصغائر ظرفا لا سواها و للذّنوب ذنوب

و أخو الشّعر لا جناح عليه و سواء صدوقه و الكذوب

و قال: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۰

يا معدن الفضل و طوى الحجا لا زلت من بحر العلا تغترف

عبدك بالباب فقل منعما يدخل أو يصبر أو ينصرف

و قال الخطيب أبو عبد اللّه محمد بن عمر الإشبيلى: [المتقارب]

و كلّ إلى طبعه عائد و إن صدّه المنع عن قصده

كذا الماء من بعد إسخانه يعود سريعا إلى برده

[من شعر أبى عبد اللّه محمد بن عمر الإشبيلى و أبى بكر الزبيدى و أبى بكر بن طلحة الإشبيلى]

و قال إمام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الإشبيلى: [الخفيف]

ما طلبت العلوم إلّا لأنى لم أزل من فنونها فى رياض

ما سواها له بقلبى حظّ غير ما كان للعيون المراض

و قال: [مجزوء الرمل]

أشعرن قلبك ياسا ليس هذا الناس ناسا

ذهب الإبريز منهم فبقوا بعد نحاسا

سامريّين يقولو ن جميعا لا مساسا

و كان كتاب «العين» للخليل مختلّ القواعـد، فامتعض له هذا الإمام، و صـقل صدأه كما يصـقل الحسام، و أبرزه فى أجمل منزع، حتى قيل: هذا ممّا أبدع و اخترع، و له كتاب فى النحو يسـمّى «الواضح» و صيّره الحكم المستنصر مؤدّبا لولده هشام المؤيد، و بالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق.

و قال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الإشبيلى، و شعره رقيق خارج عن شعر النحاة، و منه: [الطويل]

إلى أىّ يوم بعده يرفع الخمر و للورق تغريد و قد خفق النّهر

و قد صقلت كفّ الغزالة أفقها و فوق متون الروض أردية خضر

و كم قد بكت عين السماء بدمعها عليها و لو لا ذاك ما بسم الزهر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۱

و قال: [المجتث]

بدا الهلال فلمّا بدا نقصت و تمّا

كأنّ جسمى فعل و سحر عينيه «لمّا»

و كان لا يملك نفسه فى النظر إلى الصّور الحسان، و أتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتّان الصورة، فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه، و لم يلتفت إلى والـده، و جعل والـده يوصـيه عليه و هو لا يعلم ما يقوله [و لم يلتفت إلى والـده] و قـد افتضح فى طاعة هواه، فقال له الرجل: يا أبا بكر، حقّق النظر فيه لعلّه مملوك ضاع لك، و قـد جبره اللّه تعالى عليك، و لكن على من يتركه عندك لعنة اللّه، هذا ما عملت بمحضـرى، و اللّه إن غـاب معـك عن بصـرى لمحـة لتفعلنّ به مـا اشـتهر عنـك، و أخـذ ولـده و انصـرف به، فانقلب المجلس ضحكا.

[من شعر أبى جعفر بن الأبار الإشبيلى و أبى القاسم العطار الإشبيلى]

و قال أبو جعفر أحمد بن الأبّار الإشبيلى، و هو من رجال «الذخيرة»: [الخفيف]

زارنى خيفة الرقيب مريبا يتشكّى منه القضيب الكثيبا

رشأ راش لى سهام المنايا من جفون يسبى بهنّ القلوبا

قال لى ما ترى الرقيب مطلّا قلت دعه أتى الجناب الرحيبا

عاطه أكؤس المدام دراكا و أدرها عليه كوبا فكوبا

و اسقنيها من خمر عينيك صرفا و اجعل الكأس منك ثغرا شنيبا

ثم لمّا أن نام من نتّقيه و تلقّى الكرى سميعا مجيبا

قال لا بدّ أن تدبّ عليه قلت أبغى رشا و آخذ ذيبا

قال فابدأ بنا و ثنّ عليه قلت عمرى لقد أتيت قريبا

فوثبنا على الغزال ركوبا و سعينا على الرقيب دبيبا

فهل ابصرت أو سمعت بصبّ ناك محبوبه و ناك الرّقيبا

و أنشد له ابن حزم: [الكامل]

أو ما رأيت الدهر أقبل معتبا متنصّلا بالعذر ممّا أذنبا

بالأمس أذبل فى رياضك أيكة و اليوم أطلع فى سمائك كوكبا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۲

و قيل: إنه خاطب بهما ابن عبّاد ملك إشبيلية و قد ماتت له بنت و ولد له ابن، و بعضهم ينسبهما لغيره.

و دخل الأديب أبو القاسم بن العطار الإشبيلى حمّاما بإشبيلية، فجلس إلى جانبه و سيم خمرىّ العينين، فافتتن بالنظر إليه و المحادثة إلى أن قام و قعد فى مكانه أسود، فقال: [الطويل]

مضت جنّة المأوى و جاءت جهنّم فها أنا أشقى بعد ما كنت أنعم

و ما كان إلّا الشمس حان غروبها فأعقبها جنح من الليل مظلم

[من شعر أبى عمرو الإشبيلى و أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبيلى]

و قال الأديب المصنّف أبو عمرو عثمان بن على بن عثمان بن الإمام الإشبيلى، صاحب «سمط الجمان»: [الطويل]

عذيرى من الأيام لا درّ درّها لقد حمّلتنى فوق ما كنت أرهب

و قد كنت جلدا ما ينهنهنى النوى و لا يستبينى الحادث المتغلّب

يقاسى صروف الدهر منى مع الصّبا جذيل حكاك أو عذيق مرجّب

و كنت إذا ما الخطب مدّ جناحه علىّ ترانى تحته أتقلّب

فقد صرت خفّاق الجناح يروعنى غراب إذا أبصرته و هو ينعب

و أحسب من ألقى حبيبا مودعا و أنّ بلاد اللّه طرّا محصّب

و قد امتعض للآداب فى صدر دولة بنى عبد المؤمن، فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة إلى مبلغ سنّه منها فى ذلك الأوان، و استولى بذلك على خصل الرهان، و انفرد بهذه الفضيلة التى لم ينفرد بها إلّا فلان و فلان.

و كان الأديب العالم الصالح أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبيلى إماما فى فنون العربية، و لكن شهر بإقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد و نوادر القالى و ما أشبه ذلك، و كان- مع زهده- فيه لوذعيّة، و من ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة: بالله أعطنى قبلة تمسك رمقى، فشكاه إلى الشيخ و قال له: يا سيدى، قال لى هذا كذا، فقال له الشيخ:

و أعطيته ما طلب؟ فقال: لا، فقال له: ما هذه الثقالة؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكى به أيضا؟ و حسبك من جلالة قدره أنّ أهل إشبيلية رضوا به إماما فى جامع العديس.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۳

و له: [البسيط]

لمّا تبدّت و شمس الأفق بادية أبصرت شمسين من قرب و من بعد

من عادة الشمس تعشى عين ناظرها و هذه نورها يشفى من الرّمد

[من شعر مالك بن وهيب الإشبيلى]

و قال مالك بن وهيب: [الطويل]

أراميتى بالسحر من لحظاتها نعيذك كيف الرمى من دون أسهم

ألا فاعلمى أن قد أصبت، فواصلى سهامك أو كفّى فلست بمسلم

فإنسان عين الدهر أصميت فاحذرى مطالبة بالقلب و اليد و الفم

أما هو فى غيل غدا غابه القنا تحفّ به آساد كلّ ملثّم

و لو أنّ لى ركنا شديدا بنجدة أويت له من بأس لحظك فارحمى

و هو إشبيلى، كان من أهل الفلسفة كما فى «المسهب»؛ قال: و هو فيلسوف المغرب، ظاهر الزهد و الورع، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مرّاكش، و صيّره جليسه و أنيسه، و فيه يقول بعض أعدائه: [الخفيف]

دولة لابن تاشفين علىّ طهّرت بالكمال من كلّ عيب

غير أنّ الشيطان دسّ إليها من خباياه مالك بن وهيب

و أمره على بمناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى أنشأ دولة بنى عبد المؤمن.

[من شعر أبى الصلت أمية بن عبد العزيز]

و قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعى بعض إخوانه: [مجزوء الرمل]

بمعاليك و جدّك جد بلقياك لعبدك

حضر الكلّ و لكن لم يطب شىء لفقدك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۴

و قال: [المنسرح]

و راغب فى العلوم مجتهد لكنّه فى القبول جلمود

فهو كذى عنّة به شبق و مشتهى الأكل و هو ممعود

و قال: [الوافر]

لئن عرضت نوى وعدت عواد أدالت من دنوّك بالبعاد

فما بعدت عن اللّقيا جسوم تدانت بالمحبّة و الوداد

و لكن قرب دارك كان أندى على كبدى و أحلى فى فؤادى

و له فى مجمرة: [الطويل]

و محرورة الأحشاء لم تدر ما الهوى و لم تدر ما يلقى المحبّ من الوجد

إذا ما بدا برق المدام رأيتها تثير غماما فى النّدىّ من النّدّ

و لم أر نارا كلّما شبّ جمرها رأيت الندامى منه فى جنّة الخلد

و قوله من قصيدة: [البسيط]

و إن هم نكصوا يوما فلا عجب قد يكهم السيف و هو الصارم الذكر

العود أحمد و الأيام ضامنة عقبى النجاح و وعد اللّه منتظر

و قال: [السريع]

تقريب ذى الأمر لأهل النّهى أفضل ما ساس به أمره

هذا به أولى و ما ضرّه تقريب أهل اللهو فى النّدره

عطارد فى جلّ أوقاته أدنى إلى الشمس من الزّهره

و قوله: [الطويل]

تفكّر فى نقصان مالك دائما و تغفل عن نقصان جسمك و العمر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۵

و يثنيك خوف الفقر عن كلّ بغية و خيفة حال الفقر شرّ من الفقر

و قوله: [المنسرح]

يا ليلة لم تبن من القصر كأنها قبلة على حذر

لم تك إلّا «كلا» و لا و مضت تدفع فى صدرها يد السّحر

و قال فيمن نظر إليه فأعرض عنه: [البسيط]

قالوا ثنى عنك بعد البشر صفحته فهل أصاخ إلى الواشى فغيّره

فقلت لا بل درى و جدى بعارضه فردّ صفحته عمدا لأبصره

و قال: [مجزوء الكامل]

حكت الزمان تلوّنا لمحبّها العانى الأسير

فوصالها برد الأص يل و هجرها حرّ الهجير

و قال يستدعى: [الخفيف]

هو يوم كما تراه مطير كلب القرّ فيه و الزّمهرير

و أرانا الغمام و البرد ثوبى ن علينا كلاهما مجرور

و لدينا شمسان شمس من الرا ح و شمس تسعى بها و تدور

فمن الرأى أن تشبّ الكوانى ن بأجذالها و ترخى الستور

فاترك الاعتذار فيه فترك ال شّرب فى مثل يومنا تغرير

و قال: [الطويل]

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا على الدّرّ و احذره إذا كان مزبدا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۶

و قال: [الخفيف]

غبت عنّا فغاب كلّ جمال و نأى إذ نأيت كلّ سرور

ثم لمّا قدمت عاودنا الأن س و قرّت قلوبنا فى الصدور

فلو أنّا نجزى البشير بنعمى لوهبنا حياتنا للبشير

و قال: [السريع]

كم ضيّعت منك المنى حاصلا كان من الأحزم أن يحفظا

فالفظ بها عنك فمن حقّ ما يخفى صواب الرأى أن يلفظا

فإن تعلّلت بأطماعها فإنما تحلم مستيقظا

و قال: [الطويل]

يقولون لى صبرا و إنى لصابر على نائبات الدهر و هى فواجع

سأصبر حتى يقضى اللّه ما قضى و إن أنا لم أصبر فما أنا صانع

و قال: [مجزوء الرمل]

بأبى خود شموع أقبلت تحمل شمعه

فالتقى نوراهما و اخ تلفا قدرا و رفعه

و مسير الشمس تسته دى بضوء النجم بدعه

و قال فى فرس أشهب: [مخلع البسيط]

و أشهب كالشّهاب أضحى يلوح فى مذهب الجلال

قال حسودى و قد رآه يخبّ تحتى إلى القتال

من ألجم الصبح بالثريّا و أسرج البرق بالهلال

و قال: [الطويل]

رمتنى صروف الدهر بين معاشر أصحّهم ودّا عدوّ مقاتل

و ما غربة الإنسان فى غير داره و لكنها فى قرب من لا يشاكل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۷

و قال: [السريع]

أصبحت صبّا دنفا مغرما أشكو جوى الحبّ و أبكى دما

هذا و قد سلّم إذ مرّ بى فكيف لو مرّ و ما سلّما

و قال: [الوافر]

وقفنا للنّوى فهفت قلوب أضرّ بها الجوى و همت شؤون

يناجى بعضنا باللّحظ بعضا فتعرب عن ضمائرنا العيون

فلا و اللّه ما حفظت عهود كما ضمنوا و لا قضيت ديون

و لو حكم الهوى يوما بعدل لأنصف من يفى ممّن يخون

أمرّ بداركم و أغضّ طرفى مخافة أن تظنّ بى الظنون

[من شعر عبد الرحمن بن سبلاق و أبى بكر محمد بن نصر الإشبيلى و أحمد بن محمد الإشبيلى]

و لمّا رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمى الإشبيلى فى النوم أنه مرّ على قبر و قوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثى صاحب القبر، و هو أبو نواس الحسن بن هانىء، قال: [السريع]

جادك يا قبر انسكاب الغمام و عاد بالروح عليك السلام

ففيك أضحى الظّرف مستودعا و استترت عنّا عيون الظلام

و قال أبو بكر محمد بن نصر الإشبيلى: [الكامل]

و كأنما تلك الرياض عرائس ملبوسهنّ معصفر و مزعفر

أو كالقيان لبسن موشّى الحلى فلهنّ فى و شى اللباس تبختر

و قال أحمد بن محمد الإشبيلى: [البسيط]

أما ترى النرجس الغضّ الذكىّ بدا كأنه عاشق شابت ذوائبه

أو المحبّ شكا لمّا أضرّ به فرط السّقام فعادته حبائبه

و قال: [الخفيف]

ربّ نيلوفر غدا مخجل الرا ئى إليه نفاسة و غرابه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۸

كمليك للزنج فى قبّة بى ضاء يدنو الدّجا فيغلق بابه

[من شعر ابن الأصبغ بن سيد و إبراهيم بن خيرة الصباغ و أبى بكر بن حجاج]

و قال أبو الأصبغ بن سيد: [السريع]

كأنما النرجس فى منظر ال حسن الذى أمثاله تبتغى

أنامل من فضّة فوقه كأس من التبر به أفرغا

و قال أبو إسحاق إبراهيم بن خيرة الصباغ ممّا أنشده له أبو عامر بن سلمة فى كتاب «حديقة الارتياح»: [مجزوء الكامل]

يوم كأنّ سحابه لبست عمامىّ المصامت

حجبت به شمس الضّحى بمثال أجنحة الفواخت

فالغيث يبكى فقدها و البرق يضحك مثل شامت

و الرعد يخطب مفصحا و الجوّ كالمحزون ساكت

و الروض يسقيه الحيا و النّور ينظر مثل باهت

فاشرب و لذّ بجنّة و اطرب فإنّ العمر فائت

و له: [الرمل]

ربّ ليل طال لا صبح له ذى نجوم أقسمت أن لا تغور

قد هتكنا جنحه من فلق من خمور و وجوه كالبدور

إن بدت تشبهها فى كأسها نار إبراهيم فى برد و نور

صرعتنا أن علونا ظهرها فى ميادين التصابى و السرور

و كأنّا، حين قمنا، معشر نشروا بعد ممات من قبور

و قال أبو بكر بن حجاج: [السريع]

لمّا كتمت الحبّ لا عن قلى و لم أجد إلّا البكا و العويل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۶۹

ناديت و القلب به مغرم يا حسبى اللّه و نعم الوكيل

و قال: [الطويل]

يقولون إنّ السّحر فى أرض بابل و ما السّحر إلّا ما أرتك محاجره

و ما الغصن إلّا ما انثنى تحت برده و ما الدّعص إلّا ما طوته مآزره

و ما الدّرّ إلّا ثغره و كلامه و ما الليل إلّا صدغه و غدائره

و هذه الأبيات من قصيدة فى محمد بن القاسم بن حمّود، ملك الجزيرة الخضراء، أعادها اللّه تعالى!

[ن شعر أبى عبد اللّه الرصافى و أبى جعفر بن الجزار و أبى جعفر بن البنى]

و قال الرصافى أبو عبد اللّه الشاعر المشهور، و هو ابن رومىّ الأندلس، فى حريرى:

[الخفيف]

و بنفسى من لا أسمّيه إلّا بعض إلمامة و بعض إشاره

هو و الظبى فى المجال سواء ما استعار الغزال منه استعاره

أغيد يمسك الحرير بفيه مثل ما يمسك الغزال العراره

و هو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على: [البسيط]

لو جئت نار الهدى من جانب الطّور قبست ما شئت من علم و من نور

و لأبى جعفر أحمد بن الجزار: [الطويل]

و ما زلت أجنى منك و الدهر ممحل و لا ثمر يجنى و لا زرع يحصد

ثمار أياد دانيات قطوفها لأوراقها ظلّ علىّ ممدّد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها و أطيار شكرى فوقهنّ تغرّد

و لمّا نفى أبو جعفر ابن البنى من ميورقة، و أقلع فى البحر ثلاثة أميال، و نشأت ريح ردّته، لم يتجاسر أحد من إخوانه على إتيانه، فكتب إليهم: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۰

أحبّتنا الألى عنتوا علينا و أقصونا و قد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا و أنسا فما بالعيش بعدكم انتفاع

أقول و قد صدرنا بعد يوم أشوق بالسفينة أم نزاع

إذا طارت بنا حامت عليكم كأنّ قلوبنا فيها شراع

و له: [الطويل]

غصبت الثّريّا فى البعاد مكانها و أودعت فى عينىّ صادق نوئها

و فى كلّ حال لم تزالى بخيلة فكيف أعرت الشمس حلّة ضوئها

و له فى غلام يرمى الطيور: [البسيط]

قالوا تصيب طيور الجوّ أسهمه إذا رماها فقلنا عندها الخبر

تعلّمت قوسها من قوس حاجبه و أيّد السهم من أجفانه الحور

يلوح فى بردة كالنّقس حالكة كما أضاء بجنح الليلة القمر

و ربما راق فى خضراء مونقة كما تفتّح فى أوراقه الزّهر

[من شعر أبى المطرف أحمد بن عميرة و أبى جعفر أحمد بن طلحة]

و قال الأديب الكاتب القاضى أبو المطرف ابن عميرة المخزومى، لمّا قصّ شعر ملك شرق الأندلس زيان بن مردنيش مزين، فى يوم رفع فيه أبو المطرف شعرا، فخرجت صلة المزين، و لم تخرج صلة أبى المطرف: [الوافر]

أرى من جاء بالموسى مواسى و راحة من أذاع المدح صفرا

فأنجح سعى ذا إذ قصّ شعرا و أخفق سعى ذا إذ قصّ شعرا

و اسم أبى المطرف أحمد، و هو من جزيرة شقر، من كورة بلنسية.

و كان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود و يماشيه فى غزواته، و فيه يقول: [مخلع البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۱

ما أحضر الغزو من صلاح كلّا و لا رغبة الجهاد

لكن لكيما يكون داع لقربنا خيرة الجياد

و قد تقدمت حكايته فلتراجع.

[من شعر أبى إسحاق بن خفاجة و أبى بكر محمد بن أحمد الأنصارى المعروف بالأبيض]

و كان صنوبرى الأندلس أبو إسحاق بن خفاجة، و هو من رجال الذخيرة و القلائد و المسهب و المطرب و المغرب، و شهرته تغنى عن الإطناب فيه، مغرى بوصف الأنهار و الأزهار و ما يتعلّق بها، و أهل الأندلس يسمّونه الجنّان، و من أكثر من شىء عرف به، و توفى سنة ثلاث أو خمس و ثلاثين و خمسمائة، و ولد سنة خمسين و أربعمائة، و من نظمه قوله:

[الخفيف]

ربما استضحك الحباب حبيب نفضت لونها عليه المدام

كلّما مرّ قاصرا من خطاه يتهادى كما تهادى الغمام

سلّم الغصن و الكثيب علينا فعلى الغصن و الكثيب السلام

و بات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره، فقال: [الكامل]

و أغرّ ضاحك وجهه مصباحه فأنار ذا قمرا و ذلك فرقدا

ما إن خبا تلقاء نور جبينه حتى ذكا بذكائه فتوقّدا

و له: [الطويل]

كتبت و قلبى فى يديك أسير يقيم كما شاء الهوى و يسير

و فى كلّ حين من هواك و أدمعى بكلّ مكان روضة و غدير

و له: [البسيط]

كتابنا و لدينا البدر ندمان و عندنا أكؤس للراح شهبان

و القضب مائسة و الطير ساجعة و الأرض كاسية و الجوّ عريان

و لمّا سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصارى المعروف بالأبيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه أقسم أن يقيّد رجليه بقيد حديد، و لا ينزعه حتى يحفظ «الغريب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۲

المصنّف»، فاتّفق أن دخلت عليه أمّه فى تلك الحال، فارتاعت، فقال: [الكامل]

ريعت عجوزى أن رأتنى لابسا حلق الحديد و مثل ذاك يروع

قالت جننت؟ فقلت: بل هى همّة هى عنصر العلياء و الينبوع

سنّ الفرزدق سنّة فتبعتها إنى لما سنّ الكرام تبوع

و كان شاعرا و شّاحا و طاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لمّا هجاه بمثل قوله: [الكامل]

عكف الزبير على الضلالة جاهدا و وزيره المشهور كلب النار

ما زال يأخذ سجدة فى سجدة بين الكؤوس و نغمة الأوتار

فإذا اعتراه السّهو سبّح خلفه صوت القيان و رنّة المزمار

و لمّا بلغ الزبير عنه ذلك و غيره أمر بإحضاره، فقرعه، و قال: ما دعاك إلى هذا؟ فقال:

إنى لم أر أحقّ بالهجو منك، و لو علمت ما أنت عليه من المخازى لهجوت نفسك إنصافا، و لم تكلها إلى أحد، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته، و أمر بقتله.

و أنشد له ابن غالب فى «فرحة الأنفس» قوله فى حلقة حائط: [البسيط]

و حلقة كشعاع الشمس صافية لو قابلت كوكبا فى الجوّ لالتهبا

تأنّق القين فى إحكام صنعتها حتى أفاض على أطرافها الذهبا

كأنها بيضة قد قدّ قونسها و كلّ جنب لها بالطعن قد ثقبا

و قال فيمن يحدّث نفسه بالخلافة: [الوافر]

أمير المؤمنين، نداء شيخ أفادك من أماليه اللطيفه

تحفّظ أن يكون الجذع يوما سريرا من أسرّتك المنيفه

و أذكر منك مصلوبا فأبكى و تضحكنى أمانيك السخيفه

و هاجى ابن سارة، فقال فيه ابن سارة: [الكامل]

و من العجائب أن يكون الأبيض بحماره بين السوابق يركض

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۳

[من شعر أبى على عمر الشلوبين النحوى و أبى إسحاق إبراهيم الإلبيرى و أبى بكر بن عبادة القزاز]

و قال إمام النحاة بالأندلس أبو على عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم: [الطويل]

و ممّا شجا قلبى و فيّض مدمعى هوى قدّ قلبى إذ كلفت بقاسم

و كنت أظنّ الميم أصلا فلم تكن و كانت كميم ألحقت بالزراقم

و الزراقم: الحيّات، مشتقّة من الزرقة، و الميم زائدة، يريد أن ميم قاسم كميمها، فهو قاس، و هو منسوب إلى حصن سلوبينية على ساحل غرناطة، و له من الشهرة و التآليف ما يغنى عن الإطناب فى وصفه، و له «التوطئة» و «شرح الجزولية» و غيرهما، و كان مغفلا، و مع ذلك فهو آية اللّه تعالى فى العربية، و كان فى لسانه لكنة، و لمّا أراد مأمون بنى عبد المؤمن التوجّه إلى مرسية، و قد ثار بها ابن هود، و أنشده الشعراء، و تكلّم فى مجلسه الخطباء، قام الشلوبين و قال دعاء منه: ثلّمك اللّه و نثرك، يريد سلّمك اللّه و نصرك؛ لأنه بلكنته يبدل السين و الصاد ثاء، فكان كما قال: عاد المأمون و قد ثلم عسكره و نثر.

و لمّا مرض الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم الإلبيرى دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء، فرأى ضيق مسكنه، فقال: لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك، فقال و هو آخر شعر قاله: [مخلع البسيط]

قالوا ألا تستجيد بيتا تعجب من حسنه البيوت

فقلت ما ذلكم صوابا عشّ كثير لمن يموت

لو لا شتاء و لفح قيظ و خوف لصّ و حفظ قوت

و نسوة يبتغين سترا بنيت بنيان عنكبوت

و قال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشّح فى ابن بسّام صاحب «الذخيرة»: [الخفيف]

يا منيفا على السّماكين سام حزت خصل السباق عن بسّام

إن تحك مدحة فأنت زهير أو تشبّب فعروة بن حزام

أو تباكر صيد المها فابن حجر أو تبكى الديار فابن جذام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۲۷۳

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۴

أو تذمّ الزمان و هو حقيق فأبو الطيب البعيد المرامى

[من شعر أبى الحسن بن نزار و خبره]

و لمّا انتشر سلك نظام ملك لمتونة تفرّق ملك الأندلس رؤساء البلاد، و كان من جملتهم الأمير أبو الحسن بن نزار لما له من الأصالة فى وادى آش، فحسده أهل بلده، و قصدوا تأخيره عن تلك المرتبة، فخطبوا فى بلدهم لملك شرق الأندلس محمد بن مردنيش، و وجّه لهم عمّاله و أوصالهم أن يخرج هذا الأسد من غيله، و يفرّق بينه و بين تأميله، و رفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه، و يبثّها بمحضر من يركن إليه من جلّاسه، و منها قوله، و قد استشعر من نفسه أنها أهل للتقديم، مستحقّة لطلب سلفه القديم: [البسيط]

الآن أعرف قدر النّفع و الضّرر فكيف أصدر ما للملك من صدر

و كيف أطلع فى أفق العلا قمرا و يستهلّ بكفّى و اكف الدرر

و كيف أملأ صدر الدهر من رعب و أستقلّ بحمل الحادث النّكر

و أستعدّ لما ترمى الخطوب به و أستطيل على الأيام بالفكر

لكننى ربما بادرت منتهزا لفرصة مرقت كاللمح بالبصر

فى أمّ رأسى ما يعيا الزمان به شرحا فسل بعدها الأيام عن خبرى

فعندما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجّه إلى وادى آش من حمله إليه، و قيّده، و قدم به إلى مرسية أسيرا، بعدما كان مرتقبا أن يقدم أميرا، فلمّا وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له: أمكن اللّه منك يا فاجر، فقال: أنت- أعزّك اللّه!- أولى بقول الخير من قول الشّرّ، و من أمكنه اللّه من القدرة على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول، فاستحيا منه، و أمر به للسجن، فمكث فيه مدّة، و صدرت عنه أشعار فى تشوّقه إلى بلاده، منها قوله: [المتقارب]

لقد بلغ الشوق فوق الذى حسبت فهل للتلاقى سبيل

فلو أننى متّ من شوقكم غراما لما كان إلّا قليل

تعلّلنى بالتدانى المنى و ينشدنى الدهر: صبر جميل

فقل لبثينة إن أصبحت بعيدا فلم يسل عنها جميل

أغضّ جفونى عن غيرها و سمعى عن اللوم فيها يميل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۵

و لم يزل على حاله من السجن إلى أن تحيّل فى جارية محسنة للغناء حسنة الصوت و صنع موشحته التى أولها:

نازعك البدر اللياح بنت الدنان

فلم يدع لك اقتراح على الزمان

و فيها يقول:

يا هل أقول للحسود و العيس تحدى

يا لائمى على السراح كانت أمانى

أخرجها ذاك السماح إلى العيان

و جعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها، و أحكمت الغناء بها، و أهداها إلى ابن مردنيش بعد ما أوصاها أنها متى استدعاها إلى الغناء و ظفرت به فى أطرب ساعة و أسرّها غنّته بهذه الموشحة، و تلطّفت فى شأن رغبتها فى سراح قائلها، فلعلّ اللّه تعالى يجعل فى ذلك سببا، و اتّفق أن ظفرت بما أوصاها به، و أحسنت غناء الموشحة، فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه، و أعجبه مقاصد قائلها، فسألها: لمن هى؟ فقالت: لمولاى عبدك ابن نزار، فقال:

أعيدى علىّ قوله «يا لائمى على السراح» فأعادته، فداخلته عليه الرأفة و الأريحية بما أصابه، فأمر فى الحين بحلّ قيده، و استدعى به إلى موضعه فى ذلك الوقت، فلمّا دخل خلع عليه و أدناه و قال له: يا أبا الحسن، قد أمرنا لك بالسّراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك مباحا لك أن تطلب الملك بها و بغيرها إن قدرت، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس، لا وادى آش، فقال له: و اللّه يا سيدى بل ألتزم طاعتك و الإقرار بأنك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحسّاد و الوشاة، ثم شربا حتى تمكّنت بينهما المطايبة، فقال له: يا ابن نزار، الآن أريد أن أسألك عن شىء، قال: و ما هو يا سيدى؟ قال: عمّا فى أمّ رأسك حين قلت: [البسيط]

فى أمّ رأسى ما يعيا الزمان به شرحا فسل بعدها الأيام عن خبرى

فقال له: يا سيدى، لا تسمع إلى غرور نفس ألقته على لسان نشوان لعبت بأفكاره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۶

الأمانى و غطّت على عقله الآمال، و اللّه لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك، و منعتنى منها زوجتى، فكيف أطلب ما دونه قطع الرءوس و نهب النفوس؟ فضحك ابن مردنيش، و جدّد له الإحسان، و جهّزه إلى بلده، و أمر عمّاله أن يشاركوه فى التدبير، و يستأذنوه فى الصغير و الكبير، فتأثّل به مجده، و عظم سعده.

و من شعره قوله: [السريع]

انظر إلى الروض سحيرا و قد بثّ به الطّلّ علينا العيون

يرقب منّا يقظة للمنى فقل لها أهلا بداعى المجون

و حثّها شمسا إلى أن ترى شمس الضحى تطرق تلك الجفون

و قوله: [الطويل]

تنبّه لمعشوق و كأس و قينة و روض و نهر ليس يبرح خفّاقا

فقد نبّهت هذى الحدائق ورقها و فتّح فيها الصبح بالطّلّ أحداقا

و مهما تكن فى ضيقة فأدر لها كؤوس الطّلا فالسّكر يوسع ما ضاقا

و قوله: [الكامل]

عطف القضيب مع النسيم تميّلا و النهر موشىّ الخمائل و الحلى

تركته أعطاف الغصون مظلّلا و لنا عن النهج القويم مضلّلا

أمسى يغازلنا بمقلة أشهل و الطرف أسحر ما تراه أشهلا

[بين ابن نزار و أبى جعفر بن سعيد]

و قال بعضهم: استدعانى أبو الحسن بن نزار لمجلس أنس بوادى آش، فلمّا احتفل مجلسنا، و طابت لذّتنا قال: و اللّه ما تمام هذه المسرّة إلّا حضور أبى جعفر بن سعيد و هو الآن بوادى آش، فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما، و أنهما لا يأتيان إلّا بما يأتى به اجتماع النسيم و الروض، فخلا فى موضع و كتب له: [الكامل]

يا خير من يدعى لكاس دائر و وجوه أقمار و روض ناضر

إنّا حضرنا فى الندىّ عصابة معشوقة من ناظم أو ناثر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۷

كلّ مخلّى للذى يختاره فى الأمن من ناه له أو زاجر

ما إن لهم شغل بفنّ واحد بل كلّ ما يجرى بوفق الخاطر

شدو و رقص و اقتطاف فكاهة و تعانق و تغامز بنواظر

و هم كما تدرى بأفقى أنجم لكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدى، لا زلت متقدّما لكل مكرمة! هل يجمل التخلّف عن ناد قام فيه السرور على ساق، و ضحك فيه الأنس بملء فيه، و انسدل به ستر الصون، و فاء عليه ظلّ النعيم، و سفرت فيه وجوه الطرب، و ركضت خيل اللهو، و ثار قتام الند، و هطلت سحاب ماء الورد، و جليت الكؤوس، كالعرائس على كراسى العروس، المثقلة بالعاج و الآبنوس، و كأنّ قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام، أو بنى حام قد خالطت بنى سام و على رؤوس الأقداح، تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح، فطورا تستحيى فيبدو خجلها، و طورا تمتزج فيظهر وجلها، و العود ترجمان المسرّة قد جعلته أمّه فى حجرها، كولد ترضعه بدرّها، و ساقى الشّرب كالغصن الرطيب، أوراقه أردية الشرب، و أزهاره الكؤوس، التى لا- تزال تطلع و تغرب كالشموس، ساق يفهم بالإشارة، حلو الشمائل عذب العبارة، ذو طرف سقيم، و خدّ كأنه من خفره لطيم، و لدينا من أصناف الفواكه و الأزاهر، ما يحار فيه الناظر، و هل تكمل لذة دون إحضار خدود الورد، و عيون النرجس، و أصداغ الآس، و نهود السفرجل، و قدود قصب السكر، و مباسم قلوب الجوز، و سرر التفاح، و رضاب ابنة العنب؟ فقد اكتمل بهذه الأوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب: [الطويل]

فطر بجناح الشوق عند وصولها إليك و لا تجعل سواك جوابها

فلا عين إلّا و هى ترنو بطرفها إليك فيسّر فى المطال حسابها

فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر: فجعلت وصولى جواب ما نظم و نثر، و ألفيت الحالة يقصر عن خبرها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۸

الخبر، فانغمسنا فى النعيم، انغماس عرف الزهر فى النسيم، و مرّ لنا يوم غضّ الدهر عنه جفنه، حتى حسبناه عنوانا لما وعد اللّه تعالى به فى الجنّة.

[بين ابن نزار و ابن سعيد و الكتندى]

و شرب يوما مع أبى جعفر بن سعيد و الكتندى الشاعر فى جنة بزاوية غرناطة، و فيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج و ليمون و غير ذلك من الأشجار، و عليه أنبوب ماء تتحرّك به صورة جارية راقصة بسيوف و طيفور رخام يصنع فى أنبوبة الماء صورة خباء، فقالوا:

نقتسم هذه الأوصاف الثلاثة، فقال أبو جعفر يصف الراقصة: [الطويل]

و راقصة ليست تحرّك دون أن يحرّكها سيف من الماء مصلت

يدور بها كرها فتنضى صوارما عليه فلا تعيا و لا هو يبهت

إذا هى دارت سرعة خلت أنها إلى كلّ وجه فى الرياض تلفّت

و قال ابن نزار فى خباء الماء: [الطويل]

رأيت خباء الماء ترسل ماءها فنازعها هبّ الرياح رداءها

تطاوعه طورا و تعصيه تارة كراقصة حلّت و ضمّت قباءها

و قد قابلت خير الأنام فلم تزل لديه من العلياء تبدى حياءها

إذا أرسلت جودا أمام يمينه أبى العدل إلّا أن يردّ إباءها

و قد قيل: إنّ هذه الأبيات صنعها بمحضر الأمير أبى عبد اللّه بن مردنيش ملك شرق الأندلس، و إنه لمّا ألجأته الضرورة أن يرتجل فى مثل ذلك شيئا، و كانت هذه عنده معدّة، فزعم أنه ارتجلها، قال أبو عمر بن سعيد: و هذا هو الصحيح، فإنه ما كانت عادته أن يخاطب عمى أبا جعفر بخير الأنام؛ فإنّ كلّ واحد منهما كفؤ الآخر.

و قال الكتندى: [الوافر]

و صهريج تخال به لجينا يذاب و قد يذهّبه الأصيل

كأنّ الروض يعشقه فمنه على أرجائه ظلّ ظليل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۷۹

و تمنحه أكفّ الشمس عشقا دنانيرا فمنه لها قبول

إذا رفع النسيم القضب عنها فحينئذ يكون لها سبيل

و للنارنج تحت الماء لمّا تبدّى عكسها جمر بليل

و للّيمون فيه دون سبك جلاجل زخرف بصبا تجول

فيا روضا به صقلت جفونى و أرهف متنه الزهر الكليل

تناثر فيك أسلاك الغوادى و قبّل صفح جدولك القبول

و لا برحت تجمّع فيك شملا من الأكياس و الكاس الشّمول

بدور تستنير بها نجوم مع الإصباح ليس لها أفول

يهيم بهم نسيم الروض إلفا فمن وجد له جسم عليل

[من شعر أبى الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم و أبى عامر بن أبى الأصبغ]

و روى أنّ الوزير أبا الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها صنيفة بيضاء فى يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه، فقال: [الكامل]

نشرت عليك من النعيم جناحا خضراء صيّرت الصباح و شاحا

تحكى بخفق قلب من عاديته مهما يصافح صفحها الأرواحا

ضمنت لك النعمى برأى ظافر فترقّب الفأل المشير نجاحا

و كان هذا الوزير آية اللّه تعالى فى الوفاء، و أرسله المعتصم إلى المعتمد بن عبّاد، فأعجبت المعتمد محاولته، و وقع فى قلبه، فأراد إفساده على صاحبه، و أخذ معه فى أن يقيم عنده، فقال له: ما رأيت من صاحبى ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب، و لو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له فى حين فوّض إلىّ أمره، و وثق بى، و حمّلنى أعباء دولته، فاستحسن ذلك ابن عباد، و قال له: فاكتم علىّ، فلما عاد إلى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له، فقال له فى أثناء ذلك: و جرى لى معه ما إن أعلمتك به خفت أن تحسب فيه كالامتنان و الاستظهار، و تظنّ أنّ خاطرى فسد به، و إن كتمتك لم أوف النصيحة حقّها، و خفت أن تطّلع عليه من غيرى، فيحطّنى ذلك من عينك، و تحسب فيه كيدا، فحمل عليه فى أن يعلمه، فأعلمه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۰

بعد أن تلطّف هذا التلطّف، و هو من رجال الذخيرة و المسهب، و ابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد.

و من نظم أبى عامر: [المتقارب]

فتى الخيل يقتادها ذبّلا خفافا تبارى القنا الذّابلا

ترى كلّ أجرد سامى التّليل و تحسبه غصنا مائلا

[من شعر أبى محمد عبد البر بن فرسان و حاتم بن حاتم العنسى]

و للوزير الكاتب أبى محمد بن فرسان و اسمه عبد البرّ، و هو حسنة وادى آش، يخاطب يحيى الميورقى: [الكامل]

أنعم بتسريح علىّ فعلّه سبب الزيارة للحطيم و يثرب

و لئن تقوّل كاشح أنّ الهوى درست معالمه و أنكر مذهبى

فمقالتى ما إن مللت و إنما عمرى أبى حمل النّجاد بمنكبى

و عجزت عن أن أستثير كمينها و أشقّ بالصّمصام صدر الموكب

و هذه الأبيات كتب بها إليه و قد أسنّ و ملّ من الجهد معه، يرغب فى سراحه إلى الحجاز، رحمه اللّه تعالى، و تقبّل نيّته بمنّه و يمنه!

و قال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسى و كان صاحب سيف و قلم، و علم و علم:

[الكامل]

يا دانيا منى و ما أنا زائر لا أنت معذور و لا أنا عاذر

ما ذا يضرّك إذ ظللت بظلمة أن لا يطالع منك بدر زاهر

و توفى المذكور بغرناطة سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة.

[من شعر التطيلى الأعمى]

و قال التطيلى الأعمى فى أسد نحاس يقذف الماء: [مجزوء الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۱

أسد و لو أنى أنا قشه الحساب لقلت صخره

فكأنه أسد السما ء يمجّ من فيه المجرّه

[ابن ظافر و القاضى المؤيد]

قال ابن ظافر: صرنا فى بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل، فرأينا فيه بئرا عليها دولابان متحاذيان، قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس، و لعبت بقلوب ناظريهما لعب الأمانى بالمفاليس، و هما يئنّان أنين الأشواق، و يفيضان ماء أغزر من دموع العشّاق، و الروض قد جلا للأعين زبرجده، و الأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده، و الزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون، و السواقى قد أذابت من سلاسل فضّتها كلّ مصون، و النبت قد اخضرّ شاربه و عارضه، و طرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه، و رضاب الغيث قد استقرّ من الطين فى لمى، و حيّات المجارى حائرة تخاف من زمرّد النبات أن يدركها العمى، و البحر قد صقل النسيم درعه، و زعفران العشى قد ألقى فى ذيل الجوّ ردعه، فأوسعنا ذلك المكان حسنا و قلوبنا استحواذا، و ملأ أبصارنا و أسماعنا مسرّة و التذاذا،

و ملنا إلى الدولابين شاكّين أزمرا حين سجعت قيان الطير بألحانها، و شدت على عيدانها، أم ذكرا أيام نعما و طابا، و كانا أغصانا رطابا، فنفيا عنهما لذيذ الهجوع، و رجّعا النوح و أفاضا الدموع طلبا للرجوع، و جلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب، من الأعاجيب، و نتناشد ما وصفت به من الأشعار، الغالية الأسعار، فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون، إلى ذكر قول الأعمى التّطيلى فى أسد نحاس يقذف الماء:

أسد و لو أنى- إلخ

فقال لى القاضى أبو الحسن على بن المؤيد رحمه اللّه تعالى: يتولّد من هذا فى الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع، و يطرب الرائى و السامع، فتأمّلت ما قاله بعين بصيرتى البصيرة، و استمددت مادة غريزتى الغزيرة، فظهر لى معنّى ملأنى أطرابا، و أوسعنى إعجابا،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۲

و أطرق كلّ منّا ما جاش به مدّ بحره، و أنبأه به شيطان فكره، فلم يكن إلّا كنقرة العصفور، الخائف من الناطور، حتى كمل ما أردنا من غير أن يقف واحد منّا على ما صنعه الآخر، فكان الذى قال: [الخفيف]

حبّذا ساعة العشيّة و الدو لاب يهدى إلى النفوس المسرّه

أدهم لا يزال يعدو و لكن ليس يعدو مكانه قدر ذرّه

ذو عيون من القواديس تبكى كل عين من فائض الدمع ثرّه

فلك دائر يرينا نجوما كل نجم يبدى لدينا المجرّه

و كان الذى قلت: [الوافر]

و دولاب يئنّ أنين ثكلى و لا فقدا شكاه و لا مضرّه

ترى الأزهار فى ضحك إذا ما بكى بدموع عين منه ثرّه

حكى فلكا تدور به نجوم تؤثّر فى سرائرنا المسرّه

يظلّ النجم يشرق بعد نجم و يغرب بعدما تجرى المجرّه

فعجبنا من اتفاقنا، و قضى العجب منه سائر رفاقنا، انتهى.

[من شعر ابن شعبة الوادى آشى و ابن الحداد الوادى آشى]

رجع: و كان لأبى محمد عبد اللّه بن شعبة الوادى آشى ابن شاعر، فعرض عليه شعرا، نظمه، فأعجبه، فقال: [السريع]

شعرك كالبستان فى شكله يجمع بين الآس و الورد

فاصنع به إن كنت لى طائعا ما يصنع الفارس بالبند

و لشاعر الأندلس أبى عبد اللّه بن الحداد الوادى آشى، و هو من رجال الذخيرة:

[الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۳

لزمت قناعتى و قعدت عنهم فلست أرى الوزير و لا الأميرا

و كنت سمير أشعارى سفاها فعدت بها لفلسفتى سميرا

و له فى العروض تأليف مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية، و الآراء الخليلية، و ردّ فيه على السرقسطى المنبوز بالحمار.

و له فى المعتصم بن صمادح: [الطويل]

لعلّك بالوادى المقدّس شاطىء فكالعنبر الهندىّ ما أنا واطئ

و إنّى فى ريّاك واجد ريحهم فجمر الأسى بين الجوانح ناشئ

و لى فى السّرى من نارهم و منارهم هداة حداة و النجوم طوافىء

لذلك ما حنّت ركابى و حمحمت عرابى و أوحى سيرها المتباطىء

فهل هاجها ما هاجنى؟ و لعلّها إلى الوخد من نيران قلبى لواجىء

رويدا فذا وادى لبينى و إنه لورد لباناتى و إنى لظامىء

موارد تهيامى و مسرح ناظرى فللشّوق غايات بها و مبادئ

و اعترض عليه بعضهم بأنه همز فى هذه القصيدة ما لا يهمز، فقال: [الطويل]

عجبت لغمّازين علمى بجهلهم و إنّ قناتى لا تلين على الغمز

تجلّت لهم آيات فهمى و منطقى مبيّنة الإعجاز ملزمة العجز

و لاحت لهم همزيّة أو حديّة و ويل بها ويل لذى الهمز و اللّمز

رموها بنقص بيّنت فيه نقصهم و من لمس الأفعى شكا ألم النّكز

فإن أنكرت أفهامهم بعض همزها فقد عرفت أكبادهم صحّة الهمز

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۴

و له و هو مما يتغنّى به بالأندلس: [الكامل]

فذر العقيق مجانبا لعقوقه ودع العذيب عذيب ذات الخال

أفق محلّى بالقواضب و القنا للأغيد المعطار لا المعطال

حجبوك إلّا من توهّم خاطرى و حموك إلّا من تصوّر بالى

و القارظان جميل صبرى و الكرى فمتى أرجّى منك طيف خيال

و من بدائعه قوله: [الكامل]

سامح أخاك إذا أتاك بزلّة فخلوص شىء قلّما يتمكّن

فى كلّ شىء آفة موجودة إنّ السّراج على سناه يدخّن

و أنشد أحد الأدباء هذين البيتين متمثّلا، فأعجبا المعتصم، و سأل عن قائلهما، فأخبر، فتبسّم و قال: أتعرف إلى من أشار بهذا المعنى؟ قال: ما أعرف إلّا أنه مليح، فقال المعتصم:

كنت فى الصّبا و هو معى، ألقّب بسراج الدولة، فقاتله اللّه ما أشعره، فسلوه، فلمّا باحثوه فى ذلك أقرّ بحسن حدس المعتصم. و اكتنفته سعايات، و كان ممّن يغلب لسانه على عقله، ففرّ من المريّة، و حبس أخوه بها، فقال: [الكامل]

الدهر لا ينفكّ من حدثانه و المرء منقاد لحكم زمانه

و علمت أنّ السّعد ليس بمنجح ما لا يكون السّعد من أعوانه

و الجدّ دون الجدّ ليس بنافع و الرّمح لا يمضى بغير سنانه

و بلغت الأبيات المعتصم فقال: شعره أعقل منه، صدق فإنه لا يتهيّأ له صلاح عيش إلّا بأخيه، و هو منه بمنزلة السّنان من الرمح، ثم أمر بإطلاقه و لحاقه به.

و لمّا قال فى المعتصم: [الكامل]

يا طالب المعروف دونك فاتركن دار المريّة و ارفض ابن صمادح

رجل إذا أعطاك حبّة خردل ألقاك فى قيد الأسير الطائح

لو قد مضى لك عمر نوح عنده لا فرق بينك و البعيد النازح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۵

اغتاظ عليه، و أبعده، ففرّ من بلده.

و من المنسوب إليه فى النساء: [البسيط]

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا و امنح هواها بنسيان و سلوان

فالغيد كالروض فى خلق و فى خلق إن مرّ جان أتى من بعده جان

و له: [الخفيف]

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما دم رفيعا و عش منيعا سليما

[الوزير الفقيه أبو بلال و من شعر ابن البراق]

و قال ابن دحيـة فى «المطرب»: إنّ من المجيـدين فى الجدّ و الهزل، و رقيق النظم و الجزل، صاحبنا الوزير أبا بلال، و قال لى: إنه كان و برد شـبابه قشـيب، و غصن اعتداله رطيب، بقميص النّسك متقمّص، و بعلم الحديث متخصّص، فاجتاز يوما و بيده مجلّد من صحيح مسـلم بقصـر بعض الملوك الأكـابر، و من بعض منـاظره نـاظر، و مجلسه بخواصّ نـدمائه حال، و صوت المثانى و المثالث عال، فقال: أطلعوا لنـا هـذا الفقيه، فلعلّنا نضـحك منه. فلما مثل بين يـديه و حيّا، أمر الساقى بمناولته كأس الحميّا، فتقبّض متأففا، و أبـدى تمعرا و تقشـفا، و السـلطان يسـتغرب ضـحكا بما هجم عليه، و يد الساقى ممدودة إليه، و اتّفق أن انشقّت من ذاتها الزجاجة، فظهر من السلطان التطيّر من ذلك، فأنشد الفقيه مرتجلا: [المنسرح]

و مجلس بالسرور مشتمل لم يخل فيه الزجاج من أدب

سرى بأعطافه يرنّحه فشقّ أثوابه من الطرب

فسرّ السلطان و سرّى عنه، و استحسن من الفقيه ما بدا منه، و أمر له بجائزة سنيّة، و خلعة رائقة بهيّة.

و ما أحسن قول ابن البراق: [مخلع البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۶

يا سرحة الحىّ يا مطول شرح الذى بيننا يطول

و لى ديون عليك حلّت لو أنه ينفع الحلول

و قوله: [الكامل]

انظر إلى الوادى إذا ما غرّدت أطياره شقّ النسيم ثيابه

أ تراه أطربه الهديل و زاده طربا و حقّك أن حللت جنابه

و له فى غلام على فمه أثر المداد: [مخلع البسيط]

يا عجبا للمداد أضحى على فم ضمّن الزّلالا

كالقار أضحى على المحيّا و الليل قد لامس الهلالا

[من شعر أبى محمد عبد اللّه و على بن مهلهل الجليانى و يحيى بن مطروح]

و كتب أبو محمد عبد اللّه فى معذرة إلى بعض أصحابه من الأسر فى طليطلة: [مجزوء الكامل]

لو كنت حيث تجيبنى لأذاب قلبك ما أقول

يكفيك منّى أننى لا أستقلّ من الكبول

و إذا أردت رسالة لكم فما ألفى رسول

هذا و كم بتنا و فى أيماننا كأس الشّمول

و العود يخفق و الدخا ن العنبرىّ به يجول

حال الزمان و لم يزل مذ كنت أعهده يحول

و لأبى الحسن على بن مهلهل الجليانى فى أبى بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى دولة الملثّمين: [الكامل]

لو لا النّهود لما عراك تنهّد و على الخدود القلب منك يخدّد

يا نافذا قلبى بسهم جفونه مالى على سهم رميت به يد

و قال أبو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب أطلّ عذاره: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۷

يا حسنه كاتبا قد خطّ عارضه فى خدّه حاكيا ما خطّ بالقلم

لام العذول عليه حين أبصره فقلت دعنى فزين البرد بالعلم

و انظر إلى عجب ممّا تلوم به بدر له هالة قدّت من الظّلم

قولوا عن البحر ما شئتم و لا عجب من عنبر الشّحر أو من درّ مبتسم

و له، و قد عزل عن مالقة وال غير مرضىّ، و نزل المطر على إثره، و كان الناس فى جدب: [السريع]

و ربّ وال سرّنا عزله فبعضنا هنّأه البعض

قد واصلتنا السّحب من بعده و لذّ فى أجفاننا الغمض

لو لم يكن من نجس شخصه ما طهّرت من بعده الأرض

[من شعر أبى بكر محمد بن نصر الأوسى و أبى عبد اللّه محمد بن على اللوشى]

و كان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الأوسى مختصّا بوزير عبد المؤمن أبى جعفر بن عطية، فقال فيه: [الطويل]

أبا جعفر نلت الذى نال جعفر و لا زلت بالعليا تسرّ و تحبر

عليك لنا فضل و برّ و أنعم و نحن علينا كلّ مدح يحبّر

و حدّث من حضر مجلس الوزير ابن عطية و قد أحسّ من عبد المؤمن التغير الذى أفضى إلى قتله، و قد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة، فتغيّر وجه أبى جعفر؛ لأنّ جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب، فكأنّ هذا عمّم الدعاء، و العجب أنه قتل مثل جعفر بعد ذلك.

و هذا الشاعر هو القائل: [الطويل]

و ما أنا عن ذاك الهوى متبدّل و ذا الغدر بالإخوان غير كريم

بغيرك أجرى ذكر فضلك فى الندى كما قد جرى بالروض هبّ نسيم

و إن كان عندى للجديد لذاذة فلست بناس حرمة لقديم

و لأبى عبد اللّه محمد بن على اللوشى يخاطب صاحب «المسهب»: [الخفيف]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۸

بى إليكم شوق شديد و لكن ليس يبقى مع الجفاء اشتياق

إن يغيّركم الفراق فودّى لو خبرتم يزيد فيه الفراق

و له: [مجزوء الكامل]

لو أنّ لى قلبا كقل بك كنت أهجر هجركا

يكفيك أنك قد نسى ت و لست أنسى ذكركا

و من العجائب أننى أفنى و أكتم سرّكا

كن كيفما تختاره فالحبّ يبسط عذركا

و له: [الكامل]

هل عندكم علم بما فعلت بنا تلك الجفون الفاتكات بضعفها

نصحا لكم أن تأمنوها أنها سحر النّهى ما تبصرون بطرفها

[من شعر أبى محمد عبد المولى اللوشى و أخباره]

و لابنه أبى محمد عبد المولى، و كان ماجنا، لمّا نعى إليه و هو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا: [مجزوء الرمل]

إنّما دنياك أكل و شراب و قحاب

ثم من بعد صراخ و وداع و تراب

و له: [مجزوء الرمل]

يا نديم اشرب على أف ق صقيل و حديقه

و اسقنى ثم اسقنى ثمّ اسقنى خمرا و ريقه

من غزال تطلع الشم س بخدّيه أنيقه

لا تفوّت ساعة من كأس خمر و عشيقه

و اجتنب ما سخرت جه لا له هذى الخليقه

رغبوا فى باطل زو ر بزهد فى الحقيقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۸۹

ليس إلّا ما تراه أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد: قلنا له: ما هذا الاعتقاد الفاسد الذى لا ينبغى لأحد أن يصحبك به؟ فقال: هذا قول لا فعل، و قد قال اللّه تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ (۲۲۵) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ (۲۲۶) [سورة الشعراء، الآية: ۲۲۵- ۲۲۶].

ثم قال ابن سعيد: و لو لا أنّ حاكى الكفر ليس بكافر ما ذكرتها، و هذا منزع من قال من المجوس: [مجزوء الرمل]

خذ من الدنيا بحظّ قبل أن ترحل عنها

فهى دار لا ترى من بعدها أحسن منها

و هذا كفر صراح، و قائله قد تقمّص كفرا، اللهم غفرا!

و طلب منه بعض الأرذال، أن يكتب له شفاعة عند أحد العمّال، فكتب له رسالة فيها هذه الأبيات: [السريع]

كتبته مولاى فى طالع ما طار فيه طائر اليمن

و فكرة حائلة و الحشا ينهب بالهمّ و بالحزن

كلّفنيه ساقط أخرق مشتهر بالطحن و القرن

أكذب خلق اللّه أرداهم أخوفهم فى الخوف و الأمن

يكفر ما يسدى إليه و لا يعذر خلقا سيء الظنّ

فإن صنعت الخير ألفيته شرا و أضحى المجد ذا غبن

و انتقد الناس عليك الذى تسدى له فى أىّ ما فنّ

فافعل به ما هو أهل له و اسمعه تفسيرا و لا أكنى

أهنه و اصفعه و لا تترك ال بوّاب يكرمه لدى الإذن

و اقطع بفيه القول و احرمه من ردّ جواب أنسه يدنى

و كلّما استنبط رأيا فس فّهه و دعه مسخن الجفن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۰

فهو إذا أكرمته فاسد و صالح بالهون و اللّعن

شفاعتى فى مثله هذه فلا سقاه هاطل المزن

و دفع إليه الكتاب مختوما، فسرّ به، و حمله إلى العامل، و سافر إليه أياما، فلمّا دفعه إليه قرأه و ضحك، و دفعه إلى من يشاركه فى ذلك من أصحابه، فوعده بخير و أخرجه إلى شغل لم يرضه، فلمّا عاد منه قال له: أخرجتنى لأرذل شغل و أخسّه فما فائدة الشفاعة إذن؟ فقال له:

أو تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك؟ قال: لا أقلّ من ذلك، فأمر من يأتيه بالأبيات، فقرئت عليه، فانصرف فى أسوإ حال، فلما دخل عليه غرناطة- و كان عبد المولى تزوّج فيها امرأة اغتبط بها- فتزيّا هذا الرجل بزى أهل البادية، و زوّر كتابا على لسان زوجة لعبد المولى فى بلدة أخرى، و قال فى الكتاب: و قد بلغنى أنك تزوّجت غيرى، و أردت أن أكتب إليك فى أن تطلقنى، فوصلنى كتابك تعرفنى فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك، و أنك ناظر فى طلاقها، فردّنى ذلك عمّا عزمت عليه، فانظر فى تعجيل ما وعدت به من طلاقها، فإنك إن لم تفعل لم أبق معك أبدا، فلمّا مرّ بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها: أنا رجل بدوى أتيت من عند فلانة زوجة أبى محمد عبد المولى، فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها، و أخذت الكتاب، فوقفت على ما فيه غير شاكّه فى صحّته، فلمّا دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه، فسألها عن حالها، فقالت: أريد الطلاق، فقال: ما سبب هذا و أنا أرغب الناس فيك؟ فألقت إليه الكتاب، فلمّا وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح، و أنّ عدوّا له اختلقه عليه، فلم يفد ذلك عندها شيئا، و لم يطب له بعد ذلك معها عيش، فطلّقها، و علم أن ذلك الرجل هو الذى فعل ذلك، فقال له: لا جزاك اللّه خيرا، و لا أصلح لك حالا! فقال: و أنت كذلك، فهذه بتلك، و البادى أظلم، فما كان ذنبى عندك حين كتبت فى حقّى ما كتبت؟ فقال له: مثلك لا يقول «ما ذنبى» أنت كلّك ذنوب: [الوافر]

أ لست بألأم الثّقلين طرا و أثقلهم و أفحشهم لسانا؟

فمهما تبغ برا عند شخص تزد منه بما تبغى هوانا

فانصرف عنه عالى اللسان بلعنته.

و كان أحد بنى عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد، فخطر له يوما جلد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۱

عميرة، و اتّفق أن مرّ السيد يوما بذلك الموضع، فنظر إليه فى تلك الحال، فقال له السيد: ما تصنع؟ فقال: الدواة جفّت، و لم أجد ما أسقيها به إلّا ماء ظهرى، فضحك السيد، و أمر له بجارية، فقال: [المجتث]

قل للعميرة طلّق ت بعد طول زواج
قد كان مائى ضياعا يمرّ فى غير حاج
حتى حبانى بحسنا ء قابل للنتاج
فكان ناقل خمر من حنتم لزجاج
كانت تمرّ ضياعا فأصبحت كالسراج

[من شعر حاتم بن سعيد و مالك بن محمد بن سعيد]

و قال حاتم بن سعيد: [الخفيف]
جنّبونى عن المدامة إلّا عند وقت الصباح أو فى الأصيل
و اشفعوها بكلّ وجه مليح و دعونى من كلّ قال و قيل
و إذا ما أردتم طيب عيشى فاحجبونى عن كلّ وجه ثقيل
و قال مالك بن محمد بن سعيد: [الوافر]
أتانى زائرا فبسطت خدّى له و يقلّ بسط الخدّ عندى
فقلت له أيا مولاى ألفا فقال و أنت ألفا عبد عبدى
و عانقنى و قبّلنى و نادى بلطف منه كيف رأيت و عدى
و قال فى استهداء مقص: [الطويل]
ألا قل نعم فى مطلب قد حكاه لا يفصّل إذ نبغى الوصال موصّلا
نشقّ به صدر النهار و قد بدا ظلاما بأمثال النجوم مكلّلا

و قال: [البسيط]
سارت كبدر و ليل الخدر يسترها و لو بدا وجهها جاءتك بالفلق
و دونها من صليل اللامعات حمّى فالبرق و الرعد دون الشمس فى الأفق

[بين محمد بن غالب و الكتندى و أبى جعفر بن سعيد]

و اجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور و محمد بن عبد الرحمن الكتندى الشاعر و غيرهما من الفضلاء و الرؤساء، فأخذوا يوما فى أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل، و هما منتزهان من أشرف و أظرف منتزهات غرناطة، ليتفرجوا و يصقلوا الخواطر بالتطلّع فى ظاهر البلد، و كان الرصافى قد أظهر الزهد و ترك الخلاعة، فقالوا: ما لنا غنى عن أبى جعفر ابن سعيد، اكتبوا له، فصنعوا هذا الشعر و كتبوه له، و جعلوا تحته أسماءهم: [الطويل]
بعثنا إلى ربّ السماحة و المجد و من ما له فى ملّة الظرف من ندّ
ليسعدنا عند الصبيحة فى غد لنسعى إلى الحور المؤمّل أو نجد
نسرّح منّا أنفسا من شجونها ثوت فى شجون هنّ شرّ من اللحد
و نظفر من بخل الزمان بساعة ألذّ من العليا و أشهى من الحمد

على جدول ما بين ألفاف دوحة تهزّ الصّبا فيها لواء من الرّند

و من كان ذا شرب يخلّى بشأنه و من كان ذا زهد تركناه للزهد

و ما ظرفه يأبى الحديث على الطّلى و لا أن يديل الهزل حينا من الجدّ

تهزّ معانى الشعر أغضان ظرفه و يمرح فى ثوب الصبابة و الوجد

و ما نغّص العيش المهنّأ غير أن يمازجه تكليف ما ليس بالود

نظمنا من الخلّان عقد فرائد و لمّا نجد إلّاك واسطة العقد

فماذا تراه لا عدمناك ساعة فنحن بما تبديه فى جنّة الخلد

و رشدك مطلوب و أمرك نحوه ار تقاب و كلّ منك يهدى إلى الرشد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۳

فكان جوابه لهم: [الطويل]

هو القول منظوما أو الدرّ فى العقد هو الزّهر نفّاح الصبا أم شذا الودّ

أتانى و فكرى فى عقال من الأسى فحلّ بنفث السّحر ما حلّ من عقد

و من قبل علمى أين مبعث وجهه علمت جناب الورد من نفس الورد

و أيقنت أنّ الدهر ليس براجع لتقديم عصر أو وقوف على حدّ

فكلّ أوان فيه أعلام فضله ترادف موج البحر ردا إلى ردّ

فكم طيّها من فائت متردّم يهزّ بما قد ضمرت معطف الصّلد

فيا من بهم تزهى المعالى و من لهم قياد المعالى ما سوى قصدكم قصدى

فسمعا و طوعا للذى قد أشرتم به لا أرى عنه مدى الدهر من بدّ

فقوموا على اسم اللّه نحو حديقة مقلّدة الأجياد موشيّة البرد

بها قبّة تدعى الكمامة فاطلعوا بها زهرا أذكى نسيما من النّدّ

و عندى ما يحتاج كلّ مؤمّل من الراح و المعشوق و الكتب و النرد

فكلّ إلى ما شاءه لست ثانيا عنانا له إنّ المساعد ذو الودّ

و لست خليّا من تأنّس قينة إذا ما شدت ضلّ الخلىّ عن الرشد

لها ولد فى حجرها لا تزيله أوان غناء ثم ترميه بالبعد

فيا ليتنى قد كنت منها مكانه تقلّبنى ما بين خضر إلى نهد

ضمنت لمن قد قال إنى زاهد إذا حلّ عندى أن يحول عن الزهد

فإن كان يرجو جنّة الخلد آجلا فعندى له فى عاجل جنّة الخلد

فركبوا إلى جنّته، فمرّ لهم أحسن يوم على ما اشتهوا، و ما زالوا بالرصافى إلى أن شرب لمّا غلب عليه الطرب، فقال الكتندى: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۴

غلبناك عمّا رمته يا ابن غالب براح و ريحان و شدو و كاعب

[من شعر أبى جعفر بن سعيد]

فقال أبو جعفر: [الطويل]

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلمّا غربت الشمس قالوا: ما رأينا أقصر من هذا اليوم، و ما ينبغى أن يترك بغير وصف، فقال أبو جعفر: أنا له، ثم قال بعد فكرة، و هو من عجائبه التى تقدم بها المتقدّمين و أعجز المتأخّرين: [مجزوء الكامل]

اللّه يوم مسرّة أضوا و أقصر من ذباله

لمّا نصبنا للمنى فيه بأوتار حباله

طار النهار به كمر تاع فأجفلت الغزاله

فكأننا من بعده بعنا الهداية بالضلاله

و النهار: ذكر الحبارى، و إليه أشار بقوله «طار النهار» و الغزالة: الشمس، و لا يخفى حسن التوريتين، فسلّم له الجميع، تسليم السامع المطيع.

و على ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلأبى جعفر أيضا فيها، و هو من بدائعه، قوله:

[الطويل]

بدا ذنب السّرحان ينبئ أنه تقدّم سبت و الغزالة خلفه

و لم تر عينى مثله من متابع لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

و قوله: [الخفيف]

اسقنى مثل ما أنار لعينى شفق ألبس الصباح جماله

قبل أن تبصر الغزالة تستد رج منه على السماء غلاله

و تأمّل لعسجد سال نهرا كرعت فيه، أو تقضّى، غزاله

و من نظم أبى جعفر قوله: [الكامل]

لو لم يكن شدو الحمائم فاضلا شدو القيان لما استخفّ الأغصنا

طرب ثنى حتى الجماد ترنّحا و أفاض من دمع السحائب أعينا

و قوله: [الكامل]

فى الروض منك مشابه من أجلها يهفو له طرفى و قلبى المغرم

الغصن قدّ، و الأزاهر حلية، و الورد خدّ، و الأقاحى مبسم

و قوله: [الطويل]

ألا حبّذا نهر إذا ما لحظته أبى أن يردّ اللحظ عن حسنه الأنس

ترى القمرين الدهر قد عنيا به يفضّضه بدر و تذهبه شمس

و قوله، و قد مرّ بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن و قد رحل عنه: [البسيط]

قصر الخليفة لا أخليت من كرم و إن خلوت من الأعداد و العدد

جزنا عليك فلم تنقص مهابته و الغيل يخلو و تبقى هيبة الأسد

و قوله من أبيات: [الكامل]

سرّح لحاظك حيث شئت فإنه فى كلّ موقع لحظة متأمّل

و قوله أيضا: [الخفيف]

و لقد قلت للذى قال حلّوا ههنا: سر فإننا ما سئمنا

لا تعيّن لنا مكانا و لكن حيثما مالت اللواحظ ملنا

و قال: [الطويل]

ألا هاتها إنّ المسرّة قربها و ما الحزن إلّا فى توالى جفائها

مدام بكى الإبريق عند فراقها فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۶

و قال: [السريع]

عرّج على الحور و خيّم به حيث الأمانى ضافيات الجناح

و اسبق له قبل ارتحال الندى و لا تزره دون شاد وراح

و كن مقيما منه حيث الصّبا تمتار مسكا من أريج البطاح

و القضب مال البعض منها على بعض كما يثنى القدود ارتياح

و شقّ جيب الصبر قصف إذا شقّت جيوب الظّلّ منها الرياح

لم أحص كم غاديته ثابتا و استرقصتنى الراح عند الرواح

و قوله: [الطويل]

ألا حبّذا روض بكرنا له ضحى و فى جنبات الروض للطلّ أدمع

و قد جعلت بين الغصون نسيمة تمزّق ثوب الظّلّ منها و ترقع

و نحن إذا ما ظلّت القضب ركّعا نظلّ لها من هزّة السكر نركع

[بين ابن الصابونى و أحد الأدباء و من شعر ابن الصابونى و بعض أخباره]

و كان ابن الصابونى فى مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية، فقدّم فيما قدّم خيار، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين، فخطف ابن الصابونى السكين من يده، فألحّ عليه فى استرجاعها، فقال له ابن الصابونى: كفّ عنّى و إلّا جرحتك بها، فقال له صاحب المنزل: اكفف عنه لئلّا يجرحك و يكون جرحك جبارا، تعريضا بقول النبىّ صلى اللّه عليه و سلم «جرح العجماء جبار» فاغتاظ ابن الصابونى، و خرج من الاعتدال، و أخطأ بلسانه، و ما كفّ إلّا بعد الرغبة و التضرّع.

و من نظم ابن الصابونى: [الطويل]

بعثت بمرآة إليك بديعة فأطلع بسامى أفقها قمر السّعد

لتنظر فيها حسن وجهك منصفا و تعذرنى فيما أكنّ من الوجد

فأرسل بذاك الخدّ لحظك برهة لتجنى منه ما جناه من الورد

مثالك فيها منك أقرب ملمسا و أكثر إحسانا و أبقى على العهد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۲۹۶

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۷

و قوله فى لابس أحمر: [المنسرح]

أقبل فى حلّة مورّدة كالبدر فى حلّة من الشّفق

تحسبه كلّما أراق دمى يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

و رحل إلى القاهرة و الإسكندرية فلم يلتفت إليه، و لا عوّل عليه، و كان شديد الانحراف، فانقلب على عقبه يعضّ يديه، على ما جرى عليه، فمات عند إيابه إلى الإسكندرية كمدا، و لم يعرف له بالديار المصرية مقدار.

و حضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك إشبيلية و قد نثرت أمامه جملة من دنانير سكّت باسمه، فأنشد: [السريع]

قد فخر الدينار و الدّرهم لمّا علا ذين لكم ميسم

كلاهما يفصح عن مجدكم و كل جزء منه فرد فم

و مرّ فيها إلى أن قال فى وصف الدنانير: [السريع]

كأنها الأنجم و البعد قد حقق عندى أنها الأرجم

فأشار السلطان إلى وزيره، فأعطاه منها جملة، و قال له: بدّل هذا البيت لئلا يبقى ذما.

و كان يلقّب بالحمار، و لذا قال فيه ابن عتبة الطبيب: [السريع]

يا عير حمص عيّرتك الحمير بأكلك البرّ مكان الشعير

و هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبى العباس أحمد بن الصابونى شاعر إشبيلية الشهير الذكر، و الذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن، و له فيه قصائد عدّة، منها قوله فى مطلع:

[الكامل]

استول سبّاقا على غاياتها نجح الأمور يبين فى بدآتها

و له الموشحات المشهورة، رحمه اللّه تعالى!

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۸

[بين ابن الخصال و القاضى ابن مالك]

و من حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال، و هو من شقورة، اجتاز بأبدة و هو صبىّ صغير يطلب الأدب، فأضافه بها القاضى ابن مالك، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة، فقطف لهما منها عنقودا أسود، فقال القاضى: [مجزوء الرجز]

انظر إليه فى العصا فقال ابن أبى الخصال:

كرأس زنجىّ عصى فعلم أنه سيكون له شأن فى البيان.

[بين أبى بكر بن المنخل و ابنه]

و حدّث أبو عبد اللّه بن زرقون أن أبا بكر ابن المنخل و أبا بكر الملاح الشّلبيين كانا متواخيين متصافيين، و كان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب، و حازا قصب السبق فى حلبة الأدب، فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء، فركب ابن المنخل فى سحر من الأسحار مع ابنه عبد اللّه، فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح و يقول له: قد قطعت ما بينى و بين صديقى و صفيى أبى بكر فى إقذاعك فى ابنه، فقال له ابنه: إنه بدأنى و البادى أظلم، و إنما يجب أن يلحى من بالشرّ تقدم، فعذره أبوه، فبينما هما على ذلك إذ أقبلا على واد تنقّ فيه الضفادع، فقال أبو جعفر لابنه: أجز: [الهزج]

تنقّ ضفادع الوادى

فقال ابنه:

بصوت غير معتاد

فقال الشيخ:

كأنّ نقيق مقولها

فقال ابنه:

بنو الملاح فى النادى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۲۹۹

فلما أحسّت الضفادع بهما صمتت، فقال أبو بكر:

و تصمت مثل صمتهم

فقال ابنه:

إذا اجتمعوا على زاد

فقال الشيخ:

فلا غوث لملهوف

فقال الابن:

و لا غيث لمرتاد

و لا خفاء أنّ هذه الإجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة، فكيف ممّن هو فى سنّ الصّبا؟

[من شعر ابن المرغوى]

و من حكايات النصارى و اليهود من أهل الأندلس- أعادها اللّه تعالى إلى الإسلام عن قريب، إنه سميع مجيب- ما حكى أنّ ابن المرعزى النصرانى الإشبيلى أهدى كلبة صيد للمعتمد بن عبّاد و فيها يقول: [مخلع البسيط]

لم أر ملهى لذى اقتناص و مكسبا مقنع الحريص

كمثل خطلاء ذات جيد أتلع فى صفرة القميص

كالقوس فى شكلها و لكن تنفذ كالسّهم للقنيص

إن تخذت أنفها دليلا دلّ على الكامن العويص

لو أنها تستثير برقا لم يجد البرق من محيص

و منها فى المديح:

يشفع تنويله بودّ شفع القياسات بالنصوص

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۰

و قال: [الكامل]

اللّه أكبر أنت بدر طالع و النّقع دجن و الكماة نجوم

و الجود أفلاك و أنت مديرها و عدوّك الغاوى و هنّ رجوم

و قال: [البسيط]

نزلت فى آل مكحول و ضيفهم كنازل بين سمع الأرض و البصر

لا تستضىء بضوء فى بيوتهم ما لم يكن لك تطفيل على القمر

و سببهما أنه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا.

[من شعر نسيم الإسرائيلى و إبراهيم بن سهل الإسرائيلى و ترجمته]

و قال نسيم الإسرائيلى: [المجتث]

يا ليتنى كنت طيرا أطير حتى أراكا

بمن تبدّلت غيرا و لم نحل عن هواكا

و هو شاعر وشّاح من أهل إشبيلية، و ذكره الحجارى فى المسهب.

و قال إبراهيم بن سهل الإسرائيلى فى أصفر ارتجالا: [السريع]

كان محيّاك له بهجة حتى إذا جاءك ماحى الجمال

أصبحت كالشمعة لمّا خبا منها الضياء اسودّ فيها الذّبال

و هو شاعر إشبيلية و وشّاحها، و قرأ على أبى على الشلوبين و ابن الدباج و غيرهما.

و قال العز فى حقّه، و كان أظهر الإسلام ما صورته: كان يتظاهر بالإسلام، و لا يخلو مع ذلك من قدح و اتّهام، انتهى.

و سئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل، فقال: لأنه اجتمع فيه ذلّان:

ذلّ العشق، و ذل اليهودية.

و لما غرق قال فيه بعض الأكابر: عاد الدّرّ إلى وطنه.

و من نظم ابن سهل المذكور قوله: [الطويل]

و ألمى بقلبى منه جمر مؤجّج تراه على خدّيه يندى و يبرد

يسائلنى: من أى دين؟ مداعبا و شمل اعتقادى فى هواه مبدّد

فؤادى حنيفىّ، و لكنّ مقلتى مجوسيّة من خدّه النار تعبد

و منه قوله: [الكامل]

هذا أبو بكر يقود بوجهه جيش الفتور مطرّز الرايات

أهدى ربيع عذاره لقلوبنا حرّ المصيف فشبّها لفحات

خدّ جرى ماء النعيم بجمره فاسودّ مجرى الماء فى الجمرات

و ذكر الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر و الجرم المسماة ب «ملء العيبة، فيما جمع بطول الغيبة، فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة» خلافا فى إسلام ابن سهل باطنا، و كتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى أبو عبد اللّه بن مرزوق ما نصّه: صحّح لنا من أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام، انتهى.

و رأيت فى بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل فى مجلس أنس، فسألوه لمّا أخذت منه الراح عن إسلامه: هل هو فى الظاهر و الباطن أم لا؟ فأجابهم بقوله:

للناس ما ظهر، و للّه ما استتر، انتهى.

و استدلّ بعضهم على صحّة إسلامه بقوله: [الطويل]

تسلّيت عن موسى بحبّ محمد هديت و لو لا اللّه ما كنت أهتدى

و ما عن قلى قد كان ذاك، و إنما شريعة موسى عطّلت بمحمد

و له ديوان كبير مشهور بالمغرب، حاز به قصب السّبق فى النظم و التوشيح.

و ما أحسن قوله من قصيدة: [الطويل]

تأمّل لظى شوقى و موسى يشبّها (تجد خير نار عندها خير موقد)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۲

و أنشد بعضهم له قوله: [الطويل]

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلى فأسقيتنى بالبعد فاتحة الرعد

فباللّه برّد ما بقلبى من الجوى بفاتحة الأعراف من ريقك الشهد

و قال الراعى رحمه اللّه تعالى: سمعت شيخنا أبا الحسن على بن سمعة الأندلسى، رحمه اللّه تعالى، يقول: شيئان لا يصحّان: إسلام إبراهيم بن سهل، و توبة الزمخشرى من الاعتزال، ثم قال الراعى: قلت: و هما من مروياتى، أما إسلام إبراهيم بن سهل فيغلب على ظنّى صحّته لعلمى بروايته، و أما الثانى- و هو توبة الزمخشرى- فقد ذكر بعضهم أنه رأى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمّن توبة الزمخشرى من الاعتزال فقوى جانب الرواية، انتهى باختصار.

و قال الراعى أيضا ما نصّه: و قد نكت الأديب البارع إبراهيم بن سهل الإسرائيلى الأندلسى على الشيخ أبى القاسم فى تغزّله حيث قال: [الطويل]

موسى، أيا بعضى و كلّى حقيقة و ليس مجازا قولى الكلّ و البعضا

خفضت مكانى إذ جزمت وسائلى فكيف جمعت الجزم عندى و الخفضا

و فى هذا دليل على أن يهود الأندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية، فإنّ إبراهيم قال هذين البيتين قبل إسلامه، و اللّه تعالى أعلم.

و قد روينا أنه مات مسلما غريقا فى البحر، فإن كان حقا فاللّه تعالى رزقه الإسلام فى آخر عمره و الشهادة، انتهى.

[من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاة]

و من نظم ابن سهل فى التوجيه باصطلاح النحاة قوله:

رقّت عوامله و أحسب رتبتى بنيت على خفض فلن تتغيّرا

و منه:

تنأى و تدنو و التفاتك واحد كالفعل يعمل ظاهرا و مقدّرا

و قوله: [الطويل]

إذا كان نصر اللّه وقفا عليكم فإنّ العدا التنوين يحذفه الوقف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۳

و قوله: [الخفيف]

و قرأنا باب المضاف عناقا و حذفنا الرقيب كالتنوين

و قوله: [الطويل]

بنيت بناء الحرف خامر طبعه فصرت لتأثير العوامل جازما

و قوله: [البسيط]

لك الثناء فإن يذكر سواك به يوما فكالرابع المعهود فى البدل

يعنى الغلط، و قوله: [الطويل]

إذ اليأس ناجى النفس منك بلن و لا أجابت ظنونى ربما و عسانى

و قوله: [الطويل]

و قلت عساه إن أقمت يرقّ لى و قد نسخت «لا» عنده ما اقتضت «عسى»

و قوله: [السريع]

ينفى لى الحال و لكنه يدخل لا فى كلّ مستقبل

و قوله: [الطويل]

خفضت مقامى إذ جزمت وسائلى فكيف جمعت الجزم عندى و الخفضا

و قوله فى غلام شاعر: [السريع]

كيف خلاص القلب من شاعر رقّت معانيه عن النّقد

يصغر نثر الدّرّ عن نثره و نظمه جلّ عن العقد

و شعره الطائل فى حسنه طال على النابغة الجعدى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۴

و حدّث أبو حيّان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الأنصارى الإشبيلى بغرناطة أنّ إبراهيم بن سهل الشاعر الإشبيلى كان يهوديّا ثم أسلم، و مدح رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، بقصيدة طويلة بارعة؛ قال أبو حيان: وقفت عليها، و هى من أبدع ما نظم فى معناها، و كان سنّ ابن سهل حين غرق نحو الأربعين سنة، و ذلك سنة تسع و أربعين و ستمائة، و قيل: إنه جاوز الأربعين، و كان يقرأ مع المسلمين و يخالطهم، و ما أحسن قوله: [الطويل]

مضى الوصل إلّا منية تبعث الأسى أدارى بها همّى إذا الليل عسعسا

أتانى حديث الوصل زورا على النوى أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا

و يا أيها الشوق الذى جاء زائرا أصبت الأمانى خذ قلوبا و أنفسا

كسانى موسى من سقام جفونه رداء و سقّانى من الحبّ أكؤسا

و من أشهر موشّحاته قوله:

ليل الهوى يقظان و الحبّ ترب السّهر

و الصبر لى خوّان و النوم عن عينى برى

و قد عارضه غير واحد فما شقّوا له غبارا.

[إبراهيم بن الفخار اليهودى]

و أما إبراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكّن عند الأذفونش ملك طليطلة النصرانى، و صيّره سفيرا بينه و بين ملوك المغرب، و كان عارفا بالمنطق و الشعر؛ قال ابن سعيد: أنشدنى لنفسه أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته و يسفر بين الملوك، و لم يزده على ما كان يعامله به من الإذلال، فضاق ذرع ابن الفخار و كتب إليه: [الطويل]

أيا جاعلا أمرين شبهين ما له من العقل إحساس به يتفقّد

جعلت الغنى و الفقر و الذلّ و العلا سواء فما تنفكّ تشقى و تجهد

و هل يستوى فى الأرض نجد و تلعة فتطلب تسهيلا و سيرك مصعد

و ما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا بما كنت فى حال الفراغ تعوّد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۵

و قد حال ما بينى و بينك شاغل فلا تطلبّنى بالذى كنت تعهد

فإن كنت تأبى غير إقدام جاهل فإنك لا تنفكّ تلحى و تطرد

ألا فأت فى أبوابه كلّ مسلك و لا تك محلا حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد: و أنشدنى لنفسه: [الطويل]

و لمّا دجا ليل العذار بخدّه تيقّنت أنّ الليل أخفى و أستر

و أصبح عذّالى يقولون صاحب فأخلو به جهرا و لا أتستّر

و قال يمدح الأذفونش لعنهما اللّه تعالى: [المديد]

حضرة الأذفنش لا برحت غادة أيامها عرس

فاخلع النّعلين تكرمة فى ثراها إنها قدس

قال: و أدخلونى إلى بستان الخليفة المستنصر، فوجدته فى غاية الحسن كأنه الجنّة، و رأيت على بابه بوّابا فى غاية القبح، فلمّا سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت: رأيت الجنّة إلّا أنى سمعت أنّ الجنّة يكون على بابها رضوان، و هذه على بابها مالك، فضحك و أخبر الخليفة بما جرى، فقال له: قل له إنّا قصدنا ذلك، فلو كان رضوان عليها بوّابا لخشينا أن يردّه عنها، و يقول له: ليس هذا موضعك، و لمّا كان هناك مالك أدخله فيها، و هو لا يدرى ما وراءه، و يخيّل أنها جهنّم، قال: فلمّا أعلمنى الوزير بذلك قلت له: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [سورة الأنعام، الآية: ۱۲۴].

[بين الياس بن المدور اليهودى و طبيب آخر]

و كان فى زمان إلياس بن المدور اليهودى الطبيب الرّندى طبيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة، فأصلح الناس بينهما مرارا، و ظهر لإلياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفّر الناس منه فكتب إليه: [الكامل]

لا تخدعنّ فما تكون مودّة ما بين مشتركين أمرا واحدا

انظر إلى القمرين حين تشاركا بسناهما كان التلاقى واحدا

يعنى أنهما معا لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما و التفرقة: هذا يطلع ليلا و هذه تطلع نهارا، و اعتراضهما يوجب الكسوف.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۶

و كتب أيوب بن سليمان المروانى إلى بسام بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير: لمّا كنت- وصل اللّه تعالى إخاءك و حفظك!- مطمح نفسى، و منتزع اختيارى من أبناء جنسى، على جوانبك أميل، و أرتع فى رياض خلقك الجميل، هزّتنى خواطر الطرب و الارتياح، فى هذا اليوم المطير، الداعى بكاؤه إلى ابتسام الأقداح، و استنطاق البمّ و الزير، فلم أر معينا على ذلك، و مبلغا إلى ما هنالك، إلّا حسن نظرك، و تجشّمك من المكارم ما جرت به عادتك، و هذا يوم حرم الطرف فيه الحركة، و جعل فى تركها الخير و البركة، فهل توصل مكرمتك أخاك إلى التخلّى معك فى زاوية؟ متّكئا على دنّ مستندا إلى خابية، و نحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات إلّا هى، و نجيل الألحاظ فيما تعوّدت عندك من المحاسن و الأسماع فى أصناف الملاهى، و أنت على ذلك قدير، و كرمك بتكلّفه جدير: [السريع]

و لا يعين المرء يوما على راحته إلّا كريم الطباع

وها أنا و السمع منى إلى ال باب و ذو الشوق حليف استماع

فإن أتى داع بنيل المنى ودّع أشجانى و نعم الوداع

و هذا المروانى من ذرّيّة عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان، و هو من أهل المائة السادسة.

[قسمونة بنت إسماعيل الشاعرة]

و كانت الأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودى، و كان أبوها شاعرا، و اعتنى بتأديبها، و ربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر، و قال لها أبوها يوما: أجيزى: [الكامل]

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت نعمى بظلم و استحلّت جرمها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۷

ففكرت غير كثير و قالت: [الكامل]

كالشمس منها البدر يقبس نوره أبدا و يكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل، و ضمّها إليه، و جعل يقبّل رأسها، و يقول: أنت و العشر كلمات أشعر منى.

و نظرت فى المرآة فرأت جمالها و قد بلغت أوان التزوّج و لم تتزوّج فقالت: [الطويل]

أرى روضة قد حان منها قطافها و لست أرى جان يمدّ لها يدا

فوا أسفا يمضى الشباب مضيّعا و يبقى الذى ما إن أسمّيه مفردا

فسمعها أبوها، فنظر فى تزويجها.

و قالت فى ظبية عندها: [الكامل]

يا ظبية ترعى بروض دائما إنى حكيتك فى التوحّش و الحور

أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر

[من شعر أبى عبد اللّه بن رشيق القلعى و حديث عن ابن رشيق القلعى]

و استدعى أبو عبد اللّه محمد بن رشيق القلعى ثم الغرناطى بعض أصحابه إلى أنس، بقوله: [مجزوء الرمل]

سيدى عندى أترج ج و نارنج وراح

و جنى آس و زهر و حمانا لا يباح

ليس إلّا مطرب يس لى النّدامى، و الملاح

و مكان لانهتاك قد نأى عنه الفلاح

لا يرى يطلع فيه دون أكواس صباح

فيه فتيان لهم فى لذّة العيش جماح

طرحوا الدنيا يسارا فاستراحت و استراحوا

لا كقوم أوجعتهم لهم فيها نباح

و له: [المجتث]

قال العذول: إلى كم تدعو لمن لا يجيب

فقلت: ليس عجيبا أن لا يجيب حبيب

هوّن عليك فإنى من حبّه لا أتوب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۰۸

قال أبو عمران بن سعيد: دخلت عليه و هو مسجون بدار الأشراف بإشبيلية، و قد بقى عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها فى لذّات نفسه، فلمّا لمحنى أقبل يضحك و يشتغل بالنادر و الحكايات الظريفة، فقلت له: قالوا: إنك أفسدت للسلطان اثنى عشر ألف دينار، و ما أحسبك إلّا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرّة و الاستبشار، فزاد ضحكا، و قال: يا أبا عمران، أ ترانى إذا لزمت الهمّ و الفكر يرجع علىّ ذلك العدد الذى أفسدت؟ ثم فكر ساعة و أنشدنى: [الخفيف]

ليس عندى من الهموم حديث كلما ساءنى الزمان سررت

أ ترانى أكون للدهر عونا فإذا مسّنى بضرّ ضجرت

غمرة ثم تنجلى فكأنى عند إقلاع همّها ما ضررت

[من شعر أبى عيسى لبّ بن عبد الوارث القلعى]

و قال النحوى اللغوى أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعى: [الطويل]

بدا ألف التعريف فى طرس خدّه فيا هل تراه بعد ذاك ينكّر

و قد كان كافورا فهل أنا تاركه عند ما حيّاه مسك و عنبر

و ما خير روض لا يرفّ نباته و هل أفتن الأثواب إلّا المشهّر

و قال: [الوافر]

أبى لى أن أقول الشعر أنى أحاول أن يفوق السحر شعرى

و أن يصغى إليه كلّ سمع و يعلق ذكره فى كلّ صدر

قال الحجارى: أخبرنى أنه أحبّ أحد أولاد الأعيان ممّن كان يقرأ عليه، فلمّا خلا به شكا إليه ما يجده، فقال له: الصبيان يفطنون بنا، فإذا أردت أن تقول شيئا فاكتبه لى فى ورقة، قال: فلمّا سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منّى فيه، و كتبت له: [الكامل]

يا من له حسن يفوق به الورى صل هائما قد ظلّ فيك محيّرا

و امنن علىّ بقبلة أو غيرها إن كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

و كتبت بعدها من الكلام ما رأيته، فلمّا حصلت الورقة عنده كتب إلىّ فى غيرها: أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول، و إنما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلّا أشكوك إلى أبى فيقول لى: حاش للّه أن يقع الفقيه فى هذا، و إنما أنت خبيث، رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليك لأخرجك من عنده، فأبقى معذّبا معك و معه، و إن أنا أوقفته على خطّك صدّقنى و استرحت، و لكن لا أفعل هذا إن كففت عنى، و إن انتهيت فلا أخبر به أحدا، قال ابن عبد الوارث: فلمّا وقفت على خطّه علمت قدر ما وقعت فيه، و جعلت أرغب إليه فى أن يردّ الرقعة إلىّ، فأبى و قال: هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلّم فى ذلك الشأن، قال: فكان و اللّه يبطل القراءة فلا أجسر أكلّمه: لأنى رأيت صيانتى و ناموسى قد حصل فى يده، و تبت من ذلك الحين عن هذا و أمثاله.

[من شعر جابر بن خلف الفحصى]

و قال جابر بن خلف الفحصى- و كان فى خدمة عبد الملك بن سعيد، و قرأ مع أبى جعفر بن سعيد و تهذّب معه- يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه: [المتقارب]

أيا قائدا قد سما فى العلا و ساد علينا بذات وجد

غدا الذئب فى غنمى عائثا و قد جئت مستعديا بالأسد

و كثر عليه الدين، فكتب إليه أيضا: [مجزوء الوافر]

أفى أيامك الغرّ أموت كذا من الضّرّ

و أخبط فى دجى همّى و وجهك طلعة الفجر

فضحك و أدّى دينه.

[من شعر أبى يحيى بن الرميمى]

و لمّا خلع أهل المرية طاعة عبد المؤمن، و قتلوا نائبه ابن مخلوف، قدّموا عليهم أبا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۰

يحيى بن الرميمى، ثم كان عليه من النصارى ما علم، ففرّ إلى مدينة فاس، و بقى بها ضائعا خاملا، يسكن فى غرفة، و يعيش من النسخ، فقال: [السريع]

أمسيت بعد الملك فى غرفة ضيّقة الساحة و المدخل

تستوحش الأرزاق من وجهها فما تزال الدّهر فى معزل

النسخ بالقوت لديها و لا تقرعها كفّ أخ مفضل

و أنشدها لبعض الأدباء، فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج و إذا بالباب يقرع، ففتحه، فإذا شخص متنكّر لا يعرفه، و قد مدّ يده إليه بصرّة فيها جملة دنانير، و قال: خذها من كف أخ لا يعرفك و لا تعرفه، و أنت المفضل بقبولها، فأخذها، و حسن بها حاله.

و قال له بعض: هذا شعرك أيام خلعك، فهل قلت أيام أمرك؟ قال: نعم، لمّا قتل أهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن و أكرهونى أن أتولّى أمرهم قلت: [الوافر]

أرى فتنا تكشّف عن لظاها رماد بالنّفاق له انصداع

و آل بها النظام إلى انتثار و ساد بها الأسافل و الرعاع

سأحمل كل ما جشّمت منها بصدر فيه للهول اتّساع

و أصل بنى الرميمى من بنى أمية ملوك الأندلس، و نسبوا إلى رميمة قرية من أعمال قرطبة.

[من شعر أبى بحر يوسف بن عبد الصمد و أبى جعفر أحمد بن عباس الوزير]

و قال أبو بحر يوسف بن عبد الصمد: [الكامل]

فوصلت أقطارا لغير أحبّة و مدحت أقواما بغير صلات

أموال أشعارى نمت فتكاثرت فجعلت مدحى للبخيل زكاتى

و هذا من غريب المعانى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۱

و فى بنى عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم، لمّا رأى من كثرة عددهم، و التئامهم بالسلطان: [الرمل]

ملأت قلبى هموما مثل ما ملأ الدنيا بنو عبد الصّمد

كاثر الشيخ أبوهم آدما فغدا أكثر نسلا و ولد

كلّهم ذئب إذا آمنته و الرعايا بينهم مثل النّقد

و كان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلى ملك ألمرية بذّ الناس فى وقته بأربعة أشياء: المال، و البخل، و العجب، و الكتابة؛ قال أبو حيان: و كان قبل محنته صيّر هجّيراه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت: [المتقارب]

عيون الحوادث عنّى نيام و هضمى على الدهر شىء حرام

و ذاع هذا البيت فى الناس حتى قلب له مصراعه الأخير بعض الأدباء فقال:

سيوقظها قدر لا ينام

و كان حسن الكتابة، جميل الخطّ، مليح الخطاب، غزير الأدب، قوى المعرفة، مشاركا فى الفقه، حاضر الجواب، جمّاعا للدفاتر، حتى بلغت أربعمائة ألف مجلّد، و أمّا الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها، و بلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك، و كان مقتله بيد باديس بن حبّوس ملك غرناطة، و كفى دليلا على إعجابه قوله:

[الخفيف]

لى نفس لا ترتضى الدّهر عمرا و جميع الأنام طرا عبيدا

لو ترقّت فوق السّماك محلّا لم تزل تبتغى هناك صعودا

أنا من تعلمون شيّدت مجدى فى مكانى ما بين قومى وليدا

و كان يتهّم بداء أبى جهل فيما ينقل، حتى كتب بعض الأدباء على برجه بالمرية:

[السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۲

خلوت بالبرج فما الذى تصنع فيه يا سخيف الزمان

فلما نظر إليه أمر أن يكتب:

أصنع فيه كلّ ما أشتهى و حاسدى خارجه فى هوان

[من شعر أبى بكر التطيلى الأعمى و أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى]

و كان الأعمى التطيلى شاعرا مشهورا، و كان الصبيان يقولون له «تحتاج كحلا يا أستاذ» فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية، و قيل له: يا أبا بكر، كم تقع فى الناس؟ فقال: أنا أعمى، و هم لا يبرحون حفرا فما عذرى فى وقوعى فيهم؟ فقال له السائل: و اللّه لا كنت قطّ حفرة لك، و جعل يواليه برّه و رفده.

و من شعره: [المتقارب]

وجوه تعزّ على معشر و لكن تهون على الشاعر

قرونهم مثل ليل المحبّ و ليل المحبّ بلا آخر

و له: [مخلع البسيط]

زنجيّكم بالفسوق دارى يدلى من الحرص كالحمار

يخلو بنجل الوزير سرا فيولج الليل فى النهار

و من شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى كاتب ابن الأحمر فيمن اسمه «فضل اللّه»: [الطويل]

من الناس من يؤتى بنقد، و منهم بكره، و منهم من يناك إذا انتشى

و منهم فتى يؤتى على كل حالة و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشا

[من شعر عبد الملك بن سعيد الخازن و محمد بن الأستجى (زحكون)]

و لعبد الملك بن سعيد الخازن: [الخفيف]

ما حمدناك إذ وقفنا ببابك للذى كان من طويل حجابك

قد ذممنا الزمان فيك فقلنا أبعد اللّه كلّ دهر أتى بك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۳

و قال فى «المسهب»: كنت بمجلس القاضى ابن حمدين، و قد أنشده شعراء قرطبة و غيرها، و فى الجملة هلال شاعر غرناطة، و محمد بن الإستجى شاعر إستجة الملقب بزحكون، فقام الإستجى و أنشده قصيدة، منها: [الطويل]

إليك ابن حمدين انتخلت قصائدا بها رقصت فى القضب ورق الحمائم

أنا العبد لكن بالمودّة أشترى إذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين، و نبّه على مكان الإحسان، فحسده هلال البيانى على ذلك، فلمّا فرغ من القصيدة قال له هلال: أعد علىّ البيت الذى فيه «رقص الحمام» فأعاده، فقال له: لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق، فقال له فى الحين: و لو أزلت النقطة عن العين كنت تحسن.

و كانت على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب و الجواب الغريب، و عمل فيه.

[من شعر المقدم بن المعافى و عبد الملك بن نظيف]

و لما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى: [السريع]

من ذا الذى يطعم أو يكسو و قد حوى حلف الندى رمس

لا اخضرّت الأرض و لا أورق ال عود و لا أشرقت الشمس

بعد ابن جودىّ الذى لن ترى أكرم منه الجنّ و الإنس

فقيل له: أ ترثيه و قد ضربك؟ فقال: إنه نفعنى حتى بذنوبه، و لقد نهانى ذلك الأدب عن مضار جمّة كنت أقع فيها على رأسى، أفلا أرعى له ذلك؟ و اللّه ما ضربنى إلّا و أنا ظالم له، أفأبقى على ظلمى له بعد موته؟

و قيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد؟ فقال: لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها.

و قال أبو مروان عبد الملك بن نظيف: [المجتث]

لا أشرب الراح إلّا مع كلّ خرق كريم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۴

و لست أعشق إلّا ساجى الجفون رخيم

[من شعر هلال البيانى بن حمدين]

و مدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة أولها: [الكامل]

عرّج على ذاك الجناب العالى و احكم على الأموال بالآمال

فيه ابن حمدين الذى لنواله من كلّ أرض شدّ كلّ رحال

فقال له القاضى: ما هذا الوثوب على المدح من أوّل وهلة، ألا تدرى أنهم عابوا ذلك، كما عابوا الطول أيضا؟ و أن الأولى التوسّط؟ فقال له: يا سيدى، اعذرنى بما لك فى قلبى من الإجلال و المحبّة، فإنى كلّما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك إلى أن أتركه عند أول بيت، فاستحسن ذلك منه، و أحسن إليه.

و من هذه القصيدة:

قاض موال برّه و نواله فله جميع العالمين موالى

و كان يهوى و سيما من متأدّبى قرطبة، فصنع فيه شعرا أنشده منه: [البسيط]

و كّلت عينى برعى النجم فى الظّلم و عبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام: أنت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا و لا نهارا، و عاشقا و غير عاشق، فخجل هلال، و كان على عينه نقطة.

و حكى ابن حيان أنّ الأمير عبد الرحمن عثرت به دابته و هو سائر فى بعض أسفاره، و تطأطأت، فكاد يكبو لفيه، و لحقه جزع، و تمثّل أثره بقول الشاعر: [الطويل]

و ما لا ترى ممّا يقى اللّه أكثر

و طلب صدر البيت فعزب عنه، و أمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه إلّا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى، و كان يلقّب بالأصمعى لذكائه و حفظه، فأنشد الأمير:

ترى الشىء ممّا يتّقى فتهابه

فأعجب الأمير، و استحسن شكله، فقال له: الزم السرداق. و أعقب ابنا يسمى حامدا.

و حضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء، فعرض عليهم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۵

فرس مطهّم، فتمثّل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس: [الطويل]

بريد السّرى بالليل من خيل بربرا

[بين الزجالى و الاسكندرانى الوزير و بين الزجالى و ابنه حامد]

ففهم الزجالى بأنه عرض بأنه من البربر، فلم يحتمل ذلك و أراد الجواب، فقال مدبّجا لما أراده و معرّضا: أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل: [الطويل]

و يوم كظلّ الرمح قصّر طوله دم الزّقّ عنّا و اصطفاق المزاهر

و إنّما عرّض للإسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره و معرفة الغناء، فقلق الوزير، و شكاه إلى الحاجب عيسى بن شهيد، فاجتمع مع الزجالى و أخذ معه فى ذلك، فحكى له الزجالى ما جرى من الأول إلى الآخر، و أنشد: [الطويل]

و ما الحرّ إلّا من يدين بمثل ما يدان و من يخفى القبيح و ينصف

هم شرعوا التعريض قذفا فعندما تبعناهم لاموا عليه و عنّفوا

و من نوادر ابنه حامد أنه غلط أمامه فى قوله تعالى الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي [سورة النور، الآية: ۲] بأن قال «فانكحوهما» فأنشده حامد: [مجزوء الرمل]

أبدع القارئ معنى لم يكن فى الثّقلين

أمر الناس جميعا بنكاح الزانيين

و قال لبعض أصحابه حينئذ: أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل الحدود؟ و تضاحكا.

و كتب الوزير أبو عبد اللّه بن عبد العزيز إلى المنصور صاحب بلنسية، و يعرف بالمنصور الصغير، قطعة أولها: [البسيط]

يا أحسن الناس آدابا و أخلاقا و أكرم الناس أغصانا و أوراقا

و يا حيا الأرض لم نكّبت عن سننى و سقت نحوى إرعادا و إبراقا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۶

و يا سنى الشمس لم أظلمت فى بصرى و قد وسعت بلاد اللّه إشراقا

من أىّ باب سعت غير الزمان إلى رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا

قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى أنى أخذت على الأيام ميثاقا

فالآن لم يبق لى بعد انحرافك ما آسى عليه و أبدى منه إشفاقا

فأجابه بهذه القطعة: [البسيط]

ما زلت أوليك إخلاصا و إشفاقا و أنثنى عنك مهما غبت مشتاقا

و كان من أملى أن أقتنيك أخا فأخفق الأمل المأمول إخفاقا

فقلت غرس من الإخوان أكلؤه حتى أرى منه أثمارا و أوراقا

فكان لمّا زها أزهاره و دنا إثمارها حنظلا مرا لمن ذاقا

فلست أوّل إخوان سقيتهم صفوى و أعلقتهم بالقلب إعلاقا

فما جزونى بإحسانى و لا عرفوا قدرى و لا حفظوا عهدا و ميثاقا

[من شعر الوزير أبى عبد اللّه بن عبد العزيز و ترجمته]

و الوزير المذكور قال فى حقه فى المطمح: إنه وزير المنصور بن عبد العزيز، و ربّ السبق فى ودّه و التبريز، و منقض الأمور و مبرمها، و محمد الفتن و مضرمها، اعتقل بالدّهى، و استقلّ بالأمر و النهى، على انتهاض بين الأكفاء، و اعتراض المحو لرسومه و الإعفاء، فاستمرّ غير مراقب، و أمر ما شاء غير ممتثل للعواقب، ينتضى عزائم تنتضى، فإن ألمت من الأيام مظلمة أضا، إلى أن أودى، و غار منه الكوكب الأهدى، فانتقل الأمر إلى ابنه أبى بكر، فناهيك من أى عرف و نكر، فقد أربى على الدّهاة، و ما صبا إلى الظبية و المهاة، و استقلّ بالهول يقتحمه، و الأمر يسديه و يلحمه، فأىّ ندى أفاض، و أىّ أجنحة بمدى هاض، فانقلاب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۷

إليه الآمال بغير خطام، و وردت من نداه ببحر طام، و لم يزل بالدولة قائما، و موقظا من بهجتها ما كان نائما، إلى أن صار الأمر إلى المأمون بن ذى النون أسد الحروب، و مسدّ الثغور و الدروب، فاعتمد عليه و اتّكل، و وكل الأمر إلى غير وكل، فما تعدّى الوزارة إلى الرياسة، و لا تردّى بغير التدبير و السياسة، فتركه مستبدا، و لم يجد من ذلك بدا.

و كان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة، و آراء لم تكن آفلة، أدرك بها ما أحبّ، و قطع غارب كل منافس و جبّ، إلى أن طلّحه العمر و أنضاه، و أغمده الذى انتضاه، فخلّى الأمر إلى ابنيه، فتلبّدا فى التدبير، و لم يفرقا بين القبيل و الدّبير، فغلب عليهما القادر بن ذى النون، و جلب إليهما كل خطب ما خلا المنون، فانجلوا، بعد ما ألقوا ما عندهم و تخلّوا، و كان لأبى عبد اللّه نظم مستبدع، يوضع بين الجوانح و يودع، انتهى المقصود من الترجمة.

[من شعر الوزير أبى الفرج و ترجمته]

و كان للوزير أبى الفرج ابن مكبود قد أعياه علاجه، و تهيّأ للفساد مزاجه، فدلّ على خمر قديمة، فلم يعلم بها إلّا عند حكم، و كان و سيما، و للحسن قسيما، فكتب إليه: [المجتث]

أرسل بها مثل ودّك أرقّ من ماء خدّك

شقيقة النّفس فانضح بها جوى ابنى و عبدك

و كتب رحمه اللّه تعالى معتذرا، عما جناه منذرا: [الخفيف]

ما تغيّبت عنك إلّا لعذر و دليلى فى ذاك حرصى عليكا

هبك أنّ الفرار من عظم ذنب أ تراه يكون إلّا إليكا

و قال فى المطمح فى حقّ أبى الفرج: من ثنيّة رياسة، و عترة نفاسة، ما منهم إلّا من تحلّى بالإمارة، و تردّى بالوزارة، و أضاء فى آفاق الدول، و نهض بين الخيل و الخول، و هو

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۸

أحد أمجادهم، و متقلّد نجادهم، فاقهم أدبا و نبلا، و باراهم كرما تخاله و بلا، إلّا أنه بقى و ذهبوا، و لقى من الأيام ما رهبوا، فعاين تنكرها، و شرب عكرها، و جال فى الآفاق، و استدرّ أخلاف الأرزاق، و أجال للرّجاء قداحا متواليات الإخفاق، فأخمل قدره، و توالى عليه جور الزمان و غدره، فاندفنت آثاره، و عفت أخباره، و قد أثبتّ له بعض ما قاله و حاله قد أدبرت، و الخطوب إليه قد انبرت، أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى و هو الذى آواه، و عنده استقرّت نواه، و عليه كان قادما، و له كان منادما، أنه رغب إليه فى أحد الأيام أن يكون من جملة ندمائه، و أن لا يحجب عنه و تكون منّة من أعظم نعمائه، فأجابه بالإسعاف، و استساغ منه ما كان يعاف، لعلمه بعلته، و إفراط خلّته، فلما كان ظهر ذلك اليوم كتب إليه: [الكامل]

أنا قد أهبت بكم و كلّكم هوى و أحقّكم بالشكر منّى السابق

فالشمس أنت و قد أظلّ طلوعها فاطلع و بين يديك فجر صادق

[من شعر الوزير أبى عامر بن مسلمة و ترجمته]

و قال الوزير أبو عامر بن مسلمة: [الكامل]

حجّ الحجيج منى ففازوا بالمنى و تفرّقت عن خيفه الأشهاد

و لنا بوجهك حجّة مبرورة فى كلّ يوم تنقضى و تعاد

و قال الفتح فى حقّه ما صورته: نبتة شرف باذخ، و مفخر على ذوائب الجوزاء شامخ، وزروا للخلفاء، فانتجعتهم الأدباء و اتّبعتهم العظماء، و انتسبت لهم النعماء، و تنفست عن نور بهجتهم الظّلماء، و أبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل، و جوادهم الذى لا يبخل، و زعيمهم المعظّم، و سلك مفخرهم المنظّم، و كان فتى المدام، و مستفتى النّدام، و أكثر من النعت للراح و الوصف، و آثر الأفراح و القصف، و أرى قينات السرور مجلوّة، و آيات الحسن متلوّة، و له كتاب سماه «حديقة الارتياح، فى وصف حقيقة الراح»، و اختصّ بالمعتضد اختصاصا جرّعه رداه، و صرعه فى مداه، فقد كان فى المعتضد من عدم تحفّظه للأرواح، و تهاونه باللّوّام فى ذلك و اللّواح، فاطمأن إليه أبو عامر و اغترّ، و أنس إلى ما بسم له من مؤانسته و افترّ، حتى أمكنته فى اغتياله فرصة، لم يعلق بها حصّة، و لم يضيق عليه إلّا أنه زلّت به قدمه فسقط

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۱۹

فى البحيرة و انكفا، و لم يعلم به إلّا بعدما طفا، فأخرج و قد قضى، و أدرج منه فى الكفن حسام المجد منتضى، فمن محاسنه قوله

يصف السوسن، و هو ممّا أبدع فيه و أحسن: [البسيط]

و سوسن راق مرآه و مخبره و جلّ فى أعين النظار منظره

كأنه أكؤس البلّور قد صنعت مسندسات تعالى اللّه مظهره

و بينها ألسن قد طوّقت ذهبا من بينها قائم بالملك يؤثره

إلى أن قال: و اجتمع بجنّة خارج إشبيلية مع أخدان له علية، فبينما هم يديرون الراح، و يشربون من كأسها الأفراح، و الجوّ صاح، إذ بالأفق قد غيّم، و أرسل الدّيم، بعدما كسا الجوّ بمطارف الرذاذ، و أشعر الغصون زهر قباذ، و الشمس منتقبة بالسحاب، و الرعد يبكيها بالانتحاب، فقال: [مجزوء الكامل]

يوم كأنّ سحابه لبست عمامات الصوامت

حجبت به شمس الضّحى بمثال أجنحة الفواخت

و الغيث يبكى فقدها و البرق يضحك مثل شامت

و الرعد يخطب مفصحا و الجوّ كالمحزون ساكت

و خرج إلى تلك الخميلة و الربيع قد نشر رداءه، و نثر على معاطف الغصون أنداءه، فأقام بها و قال: [الكامل]

و خميلة رقم الزمان أديمها بمفضّض و مقسّم و مشوب

رشفت قبيل الصبح ريق غمامة رشف المحبّ مراشف المحبوب

و طردت فى أكنافها ملك الصّبا و قعدت و استوزرت كلّ أديب

و أدرت فيها اللّهو حقّ مداره مع كلّ وضّاح الجبين حسيب

[من شعر الوزير أبى حفص أحمد بن برد و ترجمته]

و قال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد: [الكامل]

قلبى و قلبك لا محالة واحد شهدت بذلك بيننا الألحاظ

فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا إنّ الحسود بمثل ذاك يغاظ

و قال: [الكامل]

يا من حرمت لذاذتى بمسيره هذى النوى قد صعّرت لى خدّها

زوّد جفونى من جمالك نظرة و اللّه يعلم إن رأيتك بعدها

و قال فى المطمح فى ابن برد المذكور: إنه غذى بالأدب، و علا إلى أسمى الرتب، و ما من أهل بيته إلّا شاعر كاتب، ملازم لباب السلطان مراقب، و لم يزل فى الدولة العامرية بسبق يذكر، و حقّ لا ينكر، و هو بديع الإحسان، بليغ القلم و اللسان، مليح الكتابة، فصيح الخطابة، و له «رسالة السيف و القلم»، و هو أوّل من قال بالفرق بينهما، و شعره مثقف المبانى، مرهف كالحسام اليمانى، و قد أثبتّ منه ما يلهيك سماعا، و يريك الإحسان لماعا، فمن ذلك قوله يصف البهار: [الطويل]

تأمّل فقد شقّ البهار كمائما و أبرز عن نوّاره الخضل الندى

مداهن تبر فى أنامل فضّة على أذرع مخروطة من زبرجد

و له يصف معشوقا، أهيف القدّ ممشوقا، أبدى صفحة ورد، و بدا فى ثوب لازورد:

[مجزوء الكامل]

لمّا بدا فی لازور دیّ الحریر و قد بهر

کبرت من فرط الجما ل و قلت: ما هذا بشر

فأجابنی: لا تنکرن ثوب السماء علی القمر

[من شعر الوزیر أبی جعفر اللمائی و ترجمة الوزیر حسان بن مالک و بعض شعره]

نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب؛ ج۴؛ ص ۳۲۰

قال الوزیر الکاتب أبو جعفر بن اللمائی: [المتقارب]

ألمّا فدیتکما نستلم منازل سلمی علی ذی سلم

منازل کنت بها نازلا زمان الصّبا بین جید و فم

أما تجدنّ الثری عاطرا إذا ما الریاح تنفسن ثم

نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب، ج۴، ص: ۳۲۱

و قال فی المطمح فیه: إمام من أئمه الکتابة و مفجّر ینبوعها، و الظاهر علی مصنوعها بمطبوعها، إذا کتب نثر الدّرّ فی المهارق، و نمّت فیه أنفاسه کالمسک فی المفارق، و انطوی ذکره علی انتشار إحسانه، مع امتداد لسانه، فلم تطل لدوحته فروع، و لا اتّصل لها من نهر الإحسان کروع، فاندفنت محاسنه من الإهمال فی قبر، و انکسرت الآمال بعدم بدائعه کسرا بعد جبر، و کان کاتب علی بن حمود العلوی و ذکر أنه کان یرتجل بین یدیه و لا یروّی، فیأتی علی البدیه، بما یتقبّله المروّی و یبدیه، فمن ذلک ما کتب به متفننا من ضمن رسالة: روض القلم فی فنائک مونق، و غصن الأدب بمائک مورق، و قد قذف بحر الهند درره، و بعث روض نجد زهره، فأهدی ذلک علی یدی فلان الجاری فی جهده، علی مبانی قصده.

و قال الوزیر حسان بن مالک بن أبی عبدة فی المهرجان: [المتقارب]

أری المهرجان قد استبشرا غداة بکی المزن و استعبرا

و سربلت الأرض أمواجها و جللت السندس الأخضرا

و هزّ الریاح صنابیرها فضوّعت المسک و العنبرا

تهادی به الناس ألطافه و سامی المقلّ به المکثرا

و قال فی حقّه فی المطمح: من بیت جلالة، و عترة أصالة، کانوا مع عبد الرحمن الداخل، و توغّلوا معه فی متشعبات تلک المداخل، و سعوا فی الخلافة حتی حضر مبایعها و کثر مشایعها، و جدّوا فی الهدنة و انعقادها، و أخمدوا نار الفتنة عند اتّقادها، فانبرمت عراها، و ارتبطت أولاها و أخراها، فظهرت البیعة و اتّضحت، و أعلنت الطاعة و أفصحت، و صاروا تاج مفرقها، و منهاج طرقها، و هو ممّن بلغ الوزارة [من] بعد ذلک و أدرکها، و حلّ مطلعها

نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب، ج۴، ص: ۳۲۲

و فلکها، مع اشتهار فی اللغة و الآداب، و انخراط فی سلک الشعراء و الکتّاب، و إبداع لما ألّف، و انتهاض بما تکلّف، و دخل علی المنصور و بین یدیه کتاب ابن السری و هو به کلف، و علیه معتکف، فخرج و عمل علی مثاله کتابا سماه ربیعة و عقیل» جرّد له من ذهنه أیّ سیف صقیل، و أتی به منتسخا مصوّرا فی ذلک الیوم من الجمعة الأخری، و أبرزه و الحسن یتبسّم عنه و یتفرّی، فسرّ به المنصور و أعجب، و لم یغب عن بصره ساعة و لا حجب، و کان له بعد هذه المدة حین أدجت الفتنة لیلها و أزجت إبلها و خیلها، اغتراب کاغتراب الحارث بن مضاض، و اضطراب بین القوانی و المواضی، کالحیّة النضناض، ثم اشتهر بعد، و افتر له السعد، و فی تلک المدة یقول یتشوّق إلی أهله: [الطویل]

سقى بلدا أهلى به و أقاربى غواد بأثقال الحيا و روائح

و هبّت عليهم بالعشى و بالضحى نواسم برد و الظّلال فوائح

تذكرتهم و النأى قد حال دونهم و لم أنس لكن أوقد القلب لافح

و ممّا شجانى هاتف فوق أيكة ينوح و لم يعلم بما هو نائح

فقلت اتّئد يكفيك أنى نازح و أنّ الذى أهواه عنى نازح

و لى صبية مثل الفراخ بقفرة مضى حاضناها فاطّحتها الطوائح

إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها فلم يلقها إلّا طيور بوارح

فمن لصغار بعد فقد أبيهم سوى سانح فى الدهر لو عنّ سانح

و استوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال، و لم يمض فى ذلك الانتحال، و تثاقل عن الحضور فى كل وقت، و تغافل فى ترك الغرور بذلك المقت، و كان المستظهر يستبدّ بأكثر تلك الأمور دونه، و ينفرد مغيّبا عنه شؤونه، فكتب إليه: [الطويل]

إذا غبت لم أحضر و إن جئت لم أسل فسيّان منّى مشهد و مغيب

فأصبحت تيميا و ما كنت قبلها لتيم و لكنّ الشبيه نسيب

و له: [الطويل]

رأت طالعا للشيب بين ذوائبى فباحت بأسرار الدموع السواكب

و قالت أشيب؟ قلت: صبح تجاربى أنار على أعقاب ليل نوائبى

و لمّا مات رثاه الوزير أبو عامر ابن شهيد بقوله: [الطويل]

أفى كلّ عام مصرع لعظيم؟ أصاب المنايا حادثى و قديمى

و كيف اهتدائى فى الخطوب إذا دجت و قد فقدت عيناى ضوء نجوم

مضى السّلف الوضّاح إلّا بقيّة كغرّة مسودّ القميص بهيم

فإن ركبت منّى الليالى هضيمة فقبلى ما كان اهتضام تميم

أبا عبدة إنّا غدرناك عندما رجعنا و غادرناك غير ذميم

أنخذل من كنّا نرود بأرضه و نكرع منه فى إناء علوم

و يجلو العمى عنّا بأنوار رأيه إذا أظلمت ظلماء ذات غيوم

كأنك لم تلقح بريح من الحجا عقائم أفكار بغير عقيم

و لم نعتمر مغناك غدوا و لم نزر رواحا لفصل الحكم دار حكيم

[ترجمة الوزير أبى أيوب بن أبى أمية]

و قال الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبى أمية: [البسيط]

أمسك دارين حيّاك النسيم به أم عنبر الشّحر أم هذى البساتين

بشاطئ النهر حيث النّور مؤتلق و الراح تعبق أم تلك الرياحين

و حلاه فى المطمح بقوله: واحد الأندلس الذى طوّقها فخارا، و طبّقها بأوانه افتخارا، ما شئت من وقار لا تحيل الحركة سكونه، و

مقدار يتمنّى مخبر أن يكونه، إذا لاح رأيت المجد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲۴

مجتمعا، و إذا فاه أضحى كلّ شيء مستمعا، تكتحل منه مقل المجد، و تنتحل المعالى أفعاله انتحال ذى كلف بها و وجد، لو تفرّقت فى الخلق سجاياه لحمدت الشّيم، و لو استسقيت بمحيّاه لما استمسكت الديم، و دعى للقضاء فما رضى، و أعفى عنه فكأنه ما استقضى، لديه تثبت الحقائق، و تنبت العلائق، و بين يديه يسلك عين الجدد، و يدع اللّدد اللّدد، و له أدب إذا حاضر به فلا البحر إذا عصف، و لا أبو عثمان إذا وصف، مع حلاوة مؤانسة تستهوى الجليس، و تهوى حيث شاءت بالنفوس، و أمّا تحبيره و إنشاؤه، ففيهما للسامع تحييره و انتشاؤه، و قد أثبتّ له بدعا، يثنى إليها الإحسان جيدا و أخدعا، فمن ذلك قوله فى منزل حلّه متنزها: [البسيط]

يا منزل الحسن أهواه و آلفه حقا لقد جمعت فى صحنك البدع

للّه ما اصطنعت نعماك عندى فى يوم نعمت به و الشمل مجتمع

و حلّ منية صهره الوزير أبى مروان بن الدب بعدوة إشبيلية المطلّة على النهر، المشتملة على بدائع الزهر، و هو معرّس ببنته، فأقام بها أياما متأنّسا، و لجذوة السرور مقتبسا، فوالى عليه من التّحف، و أهدى إليه من الطّرف، ما غمر كثرة، و بهر نفاسة و أثرة، فلمّا ارتحل و قد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل، كتب إليه: [البسيط]

قل للوزير و أين الشكر من منن جاءت على سنن تترى و تتّصل

غشيت مغناك و الروض الأنيق به يندى و صوب الحيا يهمى و ينهمل

و جال طرفى فى أرجائه مرحا وفق اجتيازى يستعلى و يستفل

ندعو بلفتته حيث ارتمى زهر عليه من منثنى أفنانه كلل

محلّ أنس نعمنا فيه آونة من الزمان و واتانا به الأمل

و حلّ بعد ذلك متنزها بها على عادته، فاحتفل فى موالاة ذلك البرّ و إعادته، فلمّا رحل كتب إليه: [مجزوء الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲۵

يا دار، أمّنك الزما ن صروفه و نوائبه

و جرت سعودك بالذى يهوى نزيلك آيبه

فلنعم مأوى الضيف أن ت إذا تحاموا جانبه

خطر شأوت به الديا ر و أذعنت لك قاطبه

[ترجمة الوزير أبى القاسم بن عبد الغفور]

و صنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها ب «الساجعة» حذا بها حذو أبى العلاء المعرى فى «الصاهل و الساجح» و بعث بها إليه، فعرضها عليه، فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها إليه، و كتب معها: بكر زففتها أعزّك اللّه تعالى نحوك، و هززت بمقدمها سناك و سروك، فلم ألفظها عن شبع، و لا جهلت ارتفاعها عمّا يجتلى من نوعها و يستمع، و لكن لما أنسته من أنسك بانتجاعها، و حرصك على ارتجاعها، دفعت فى صدر الولوع، و تركت بينها و بين مجاثمها بتلك الربوع، حيث الأدب غضّ، و ماء البلاغة مرفضّ، فأسعد أعزّك اللّه بكرتها، و سلّها عن أفانين معرّتها، بما تقطفه من ثمارك، و تغرفه من بحارك، و ترتاح له و لإخوانه من نتائج أفكارك، و إنها لشنشنة أعرفها فيكم من أخزم، و موهبة حزتموها و أحرزتم السبق فيها منذ كم. انتهى.

و ابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح: فتى زكا فرعا و أصلا، و أحكم البلاغة معنى و فصلا، و جرّد من ذهنه على الأعراض نصلا، قدّها به و فراها، و قدح زند المعالى حتى أوراها، مع صون يرتديه، و لا يكاد يبديه، و شبيبة ألحقته بالكهول، فأقفرت

منه ربعها المأهول، و شرف ارتداه، و سلف اقتفى أثره الكريم و اقتداه، و له شعر بديع السّرد، مفوّف البرد، و قد أثبتّ له منه ما ألفيت، و بالدلالة عليه اكتفيت، فمن ذلك قوله: [الطويل]

تركت التصابى للصواب و أهله و بيض الطّلى للبيض و السّمر للسّمر

مدامى مدادى و الكؤوس محابرى و ندماى أقلامى و منقلتى سفرى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲۶

و له: [البسيط]

لا تنكروا أنّنا فى رحلة أبدا نحثّ فى نفنف طورا و فى هدف

فدهرنا سدفة و نحن أنجمها و ليس ينكر مجرى النّجم فى السّدف

لو أسفر الدهر لى أقصرت عن سفرى و ملت عن كلفى بهذه الكلف

و له من قصيدة: [الطويل]

رويدك يا بدر التمّام فإننى أرى العيس حسرى و الكواكب ظلّعا

كأنّ أديم الصبح قد قدّ أنجما و غودر درع الليل فيها مرقّعا

فإنى و إن كان الشباب محبّبا إلىّ و فى قلبى أجلّ و أوقعا

لآنف من حسن بشعرى مفترى و آنف من حسن بشعرى قنّعا

[من شعر الوزير أبى الوليد بن حزم]

و قال الوزير أبو الوليد بن حزم: [الطويل]

إليك أبا حفص و ما عن ملالة ثنيت عنانى و الحبيب حبيب

مقالا يطير الجمر عن جنباته و من تحته قلب عليك يذوب

مضت لك فى أفياء ظلّى صولة لها بين أحناء الضّلوع دبيب

و لكن أبى إلّا إليك التفاته فزاد عليه من هواك رقيب

و كم بيننا لو كنت تحمد ما مضى إذ العيش غضّ و الزمان قشيب

و تحت جناح الغيم أحشاء روضة بها لخفوق العاصفات وجيب

و للزهر فى ظلّ الرياض تبسّم و للطير منها فى الغصون نحيب

و قال فى الزهد: [المتقارب]

ثلاث و ستون قد جزتها فماذا تؤمّل أو تنتظر

و حلّ عليك نذير المشيب فما ترعوى أو فما تزدجر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲۷

تمرّ لياليك مرا حثيثا و أنت على ما أرى مستمر

فلو كنت تعقل ما ينقضى من العمر لاعتضت خيرا بشر

فما لك لا تستعدّ إذن لدار المقام و دار المقر

أ ترغب عن فجأة للمنون و تعلم أن ليس منها مفرّ

فإمّا إلى جنّة أزلفت و إمّا إلى سقر تستعر

[من شعر ابن أبى زمنين و ترجمته]

و قال ابن أبى زمنين: [البسيط]

الموت فى كلّ حين ينشر الكفنا و نحن فى غفلة عمّا يراد بنا

لا تطمئنّ إلى الدنيا و بهجتها و إن توشّحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة و الجيران؟ ما فعلوا؟ أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية فصيّرتهم لأطباق الثرى رهنا

تبكى المنازل منهم كلّ منسجم بالمكرمات و ترثى البرّ و المننا

حسب الحمام لو ابقاهم و أمهلهم أن لا يظنّ على معلوّة حسنا

و قال فى المطمح: الفقيه أبو عبد اللّه محمد بن أبى زمنين فقيه متبتّل، و زاهد لا- منحرف إلى الدنيا و لا- منفتل، هجرها هجر المنحرف، و حلّ أوطانه فيها محلّ المعترف، لعلمه بارتحاله عنها و تفويضه، و إبداله منها و تعويضه، فنظر بقلبه لا بعينه، و انتظر يوم فراقه و بينه، و لم يكن له بعد ذلك بها اشتغال، و لا- فى شعاب تلك المسالك إيغال، و له تآليف فى الوعظ و الزهد و أخبار الصالحين تدلّ على تخليته عن الدنيا و اتّراكه، و التفلّت من حبائل الاغترار و أشراكه، و التنقّل من حال إلى حال، و التأهّب للارتحال، و يستدلّ به على ذلك الانتحال، فمنها قوله: [البسيط]

الموت فى كلّ حين ينشر الكفنا

فذكر الأبيات، انتهى.

[من شعر خلف بن هارون يمدح بن حزم]

و قال خلف بن هارون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲۸

يخوض إلى المجد و المكرمات بحار الخطوب و أهوالها

و إن ذكرت للعلا غاية ترقّى إليها و أهوى لها

[ترجمة الحافظ ابن حزم]

و قال فى المطمح فيه: فقيه مستنبط، و نبيه بقياسه مرتبط، ما تكلّم تقليدا، و لا عدا اختراعا و توليدا، ما تمنّت به الأندلس أن تكون كالعراق، و لا حنّت الأنفس معه إلى تلك الآفاق، أقام بوطنه، و ما برح عن عطفه، فلم يشرب ماء الفرات، و لم يقف عيشة الثمرات، و لكنه أربى على من من ذلك غذى، و أزرى على من هنالك نعل و حذى، تفرّد بالقياس، و اقتبس نار المعارف أىّ اقتباس، فناظر بها أهل فاس، و صنّف و حبّر حتى أفنى الأنقاس، و نابذ الدنيا، و قد تصدّت له بأفتن محيّا، و أهدت إليه أعبق عرف و ريّا، و خلع الوزارة و قد كسته ملاها، و ألبسته حلاها، و تجرّد للعلم و طلبه، و جدّ فى اقتناء نخبه، و له تآليف كثيرة، و تصانيف أثيرة، منها «الإيصال، إلى فهم كتاب الخصال» و كتاب «الإحكام، لأصول الأحكام» و كتاب «الفصل فى الأهواء و الملل و النّحل» و كتاب «مراتب العلوم» و غير ذلك ممّا لم يظهر مثله من هنالك، مع سرعة الحفظ، و عفاف اللسان و اللحظ، و فيه يقول خلف بن هارون: [المتقارب]

يخوض إلى المجد و المكرمات

و لابن حزم فى الأدب سبق لا ينكر، و بديهة لا يعلم أنه روّى فيها و لا فكّر، و قد أثبتّ من شعره ما يعلم أنه أوحد، و ما مثله فيه أحد، ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع.

و كتب أبو عبد اللّه بن مسرة إلى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين و مطر، لقضاء أرب من الأنس و وطر: [الرجز]

أقبل فإنّ اليوم يوم دجن إلى مكان كالضمير مكنى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۲۹

لعلّنا نحكم أشهى فنّ فأنت فى ذا اليوم أمشى منّى

[ترجمة أبى عبد اللّه بن مسرة]

و قال فى المطمح: إنّ ابن مسرّة كان على طريق من الزهد و العبادة سبق فيها، و انتسق فى سلك مقتفيها، و كانت له إشارات غامضة، و عبارة عن منازل الملحدين غير داحضة، و وجدت له مقالات ردية، و استنباطات مردية، نسب بها إليه رهق، و ظهر له فيها مزحل عن الرشد و مزهق، فتتبّعت مصنّفاته بالحرق، و اتّسع فى استباحتها الخرق، و غدت مهجورة، على التالين محجورة، و كان له تنميق فى البلاغة و تدقيق لمعانيها، و تزويق لأغراضها و تشييد لمبانيها، انتهى. و هو من نمط الصوفية الذين تكلّم فيهم، و التسليم أسلم، و اللّه تعالى بأمرهم أعلم.

[فرار أبى عبد اللّه الخشنى من المناصب]

و من حكايات أهل الأندلس فى الانقباض عن السلطان، و الفرار من المناصب، مع العذر اللطيف: ما حكاه فى المطمح فى ترجمة الفقيه أبى عبد اللّه الخشنى إذ قال: كان فصيح اللسان، جزيل البيان، و كان أنوفا منقبضا عن السلطان، لم يتشبّث بدنيا، و لم ينكث له مبرم عليا، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب، و لم يظهر رجاءه المحتجب، و قال: أبيت عن إمامة هذه الديانة، كما أبت السماوات و الأرض عن حمل الأمانة، إباية إشفاق، لا إباية عصيان و نفاق، و كان الأمير قد أمر الوزراء بإجباره، أو حمل السيف إن تمادى على تأبّيه و إصراره، فلمّا بلغه قوله هذا أعفاه، قال: و كان الغالب عليه علم النسب، و اللغة و الأدب، و رواية الحديث، و كان مأمونا ثقة، و كانت القلوب على حبّه متّفقة، و له رحلة دخل فيها العراق، ثم عاد إلى هذه الآفاق، و عندما اطمأنّت داره، و بلغ أقصى مناه مداره، قال: [الطويل]

كأن لم يكن بين و لم تك فرقة

الأبيات، انتهى.

و هذه الأبيات قدّمناها فى الباب الخامس فى ترجمة القاضى ابن أبى عيسى.

فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب فى نسبتها، فمرة نسبها إلى هذا، و مرة نسبها إلى ذاك، و هى قطعة عرفها ذاك.

[من دعابات أهل الأندلس]

و من دعابات أهل الأندلس و ملحهم: ما يحكى عن ابن أبى حلّى، و هو على ابن أبى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۰

حلّى المكناسى أبو الحسن، قال لسان الدين: كان شيخا مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، قائما على المدوّنة، مضطلعا بمشكلاتها، كثير الحكايات، يحكى أنه شاهد غرائب و ملحا فينمقها عليه بعض الطلبة، و يتعدون ذلك إلى الافتعال و المداعبة، حتى

جمعوا من ذلك جزءا سمّوه «السالك و المحلّى، فى أخبار ابن أبى حلّى» فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت إحدى يديها و جعلتها فى الدقيق حتى علق بها و نصبتها بإزاء كوّة فأر و رفعت اليد الأخرى لصيده، فناداها باسمها، فزوت رأسها، و جعلت إصبعها على فمها، على هيئة المشير بالصمت، و أشباه ذلك، و توفى المذكور سنة ۴۰۶، قاله فى الإحاطة.

[من أجوبة ملوك الأندلس و من شجاعة الأندلسيين]

و من أجوبة ملوك الأندلس: أنّ نزارا العبيدى صاحب مصر، كتب إلى المروانى صاحب الأندلس كتابا يسبّه فيه و يهجوه، فكتب إليه المروانى: أمّا بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لأجبناك، و السلام، فاشتدّ ذلك على نزار و أفحمه عن الجواب، و حكى أنه كتب إلى العبيدى ملك مصر مفتخرا: [الطويل]

ألسنا بنى مروان كيف تبدّلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منّا تهلّلت له الأرض و اهتزّت إليه المنابر

و من غريب ما يحكى من قوة أهل الأندلس و شجاعتهم: أنّ الأمير حريز بن عكاشة من ذرّيّة عكاشة بن محصن صاحب رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، لمّا نزل بساحة أذفونش ملك [ملوك] الروم، فبدأهم بخراب ضياعها و قطع الشجر، فكتب إليه حريز: ليس من أخلاق القدير، الفساد و التدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملككك، و لو كان الملك فى عشرة أمثال عددى لم ينزل لى بساحة، و لا تمكن منها براحة، فلمّا وصلته الرسالة عفّ، و أمر بالكفّ، و بعث الملك يرغبه فى الاجتماع به، فاسترهنه فى نفسه عدة من ملوك الروم، فأجاب إلى ما ارتهن، و لمّا ساروا إلى المدينة البيضاء- و هى قلعة رباح غربى طليطلة- خرج حريز لابسا لأمة حربه، يرمق الروم منه شخصا أوتى بسطة فى الجسم و البسالة يتحدثون بآلات حربه، و يتعجّبون من شجاعة قلبه. و لمّا وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب و السعة، و لمّا أراد النزول عن فرسه ركز رمحه، فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدّث، و هيبة يجزع

للقائها الشجاع و يكترث، فدعاه إلى البراز عظيم أبطالهم، فقال له الملك: يا حريز، أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا البطل، فقال له حريز: المبارز لا يبارز إلّا أكفاءه، و إنّ لى بيّنة على صدق قولى أن ليس لى فيهم كفء، هذا رمحى قد ركزته، فمن ركب و اقتلعه بارزته، كان واحدا أو عشرة، فركب عظيمهم فلم يهزّ الرمح من مكانه حين رامه، ثم فعل ذلك مرارا، فقال له الملك: أرنى يا حريز كيف تقلعه، فركب و أشار بيده و اقتلعه، فعجب القوم، و وصله الملك و أكرمه، انتهى.

[ترجمة حريز بن عكاشة]

و كان حريز هذا شاعرا، و لمّا اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير أبو المطرف ابن المثنى كتب إليه: [مجزوء الرمل]

يا فريدا دون ثان و هلالا فى العيان

عدم الراح فصارت مثل دهن البلّسان

فجاوبه حريز، و هو يومئذ أمير قلعته: [مجزوء الرمل]

يا فريدا لا يجارى بين أبناء الزمان

جاء من شعرك روض جاده صوب البيان

فبعثناها سلافا كسجاياك الحسان

و كان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد، فأمره أن يكتب إلى المأمون بن ذى النون فى شأن حصن دخله

النصارى، فكتب: و قد بلغنى أنّ الحصن الفلانى دخله النصارى إن شاء اللّه تعالى، فهذه الواقعة التى ذكرها اللّه تعالى فى القرآن، بل هى الحادثة الشاهدة بأشراط الزمان، فإنّا للّه على هذه المصيبة التى هدّت قواعد المسلمين، و أبقت فى قلوبهم حسرة إلى يوم الدين. فلمّا وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للأرض، و كتب لابن عكاشة جوابه، و فيه: و قد عهدناك منتقيا لأمورك، نقّادا لصغيرك و كبيرك، فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الأبله الجلف، و أسندت إليه الكتب عنك دون أن تطّلع عليه، و قد علمت أن عنوان الرجل كتابه، و رائد عقله خطابه، و ما أدرى من أىّ شىء يتعجّب منه، هل من تعليقه إن شاء اللّه تعالى بالماضى؟ أم من حسن تفسيره للقرآن و وضعه مواضعه؟ أم من تورّعه عن تأويله إلّا بتوقيف من سماع عن إمام؟ أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه؟ أم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۲

من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد عن عظمه و هوله شيئا؟

و لو أنّ حقيرا يخفى عن علم اللّه تعالى لخفى عنه هذا الحصن! ناهيك عن صخرة حيث لا ماء و لا مرعى، منقطع عن بلاد الإسلام، خارج عن سلك النظام، لا يعبره إلّا لصّ فاجر، أو قاطع طريق غير متظاهر، حرّاسه لا يتجاوزون الخمسين، و لا يرون خبز البر عندهم إلّا فى بعض السنين، باعه أحدهم بعشرين دينارا، و لعمرى إنه لم يغبن فى بيعه و لا ربح أرباب ابتياعه، و أراح من الشين بنسبته و النظر فى خداعه، فليت شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل، حتى خطب فى أمره بما لم يخطب به فى حرب وائل؟

فلمّا وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه: و إنّ المذكور ممّن له حرمة قديمة، تغنيه عن أن يمتّ بسواها، و خدمة محمود أولاها و أخراها، و لسنا ممّن اتّسعت مملكته، و عظمت حضرته، فنحتاج إلى انتقاء الكتّاب، و التحفّظ فى الخطاب، و إنما نحن أحلاس ثغور، و كتّاب كتائب لا سطور، و إن كان الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم، فإنه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم، و له الوفاء الذى تحدّث به فلان و فلان، بل سارت بشأنه فى أقصى البلاد الرّكبان، و ليس ذلك يقدح عندنا فيه، بل زاده لكونه دالّا على صحّة الباطن و السذاجة فى الإكرام و التنويه، انتهى.

و لهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الأغبياء، و قد يتنبّه فيه تنبّه الأذكياء، فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور مطلعها: [المتقارب]

يذكّرنى بهم العنبر و ظلم ثناياهم سكّر

إلى أن قال:

و لو لا معاليك يا ذا النّدى لما كان فى الأرض من يشعر

فلا تنكرنّ زحاما على ذراك و فى كفّك الكوثر

و مشى فى موكبه و هم فى سفر، و كان فى فصل المطر و الطين، فجعل فرسه فى ذنب فرس ابن عكّاشة، فلمّا أثارت يدا فرسه طينا جاء فى عنق أميره، ففطن لذلك الأمير، فقال له:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۳

يا أبا محمد، تقدّم، فقال: معاذ اللّه أن أسىء الأدب بالتقدّم على أميرى، فقال: فإن كان كذلك فتأخّر مع الخيل، فقال: مثلى لا يزال على ركابك فى مثل هذه المواضع، فقال له:

فقد و اللّه أهلكتنى بما ترمى يدا فرسك علىّ من الطين، فقال: أعزّ اللّه الأمير! فو اللّه ما علمت أنّ يد فرسى تصل إلى عنقك، فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه.

[بين المقتدر و غلام نشأ عنده]

و كان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بنى يفرن، قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود، و تخلّق بالركوب و الأدب، و كان فى غاية الجمال و الحلاوة و الظّرف فعلق بقلب ابن هود، و كتم حبّه زمانا فلم ينكتم، فكتب له: [المجتث]

يا ظبى، بالله قل لى متى ترى فى حبالى

يمرّ عمرى و حالى من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة: [المجتث]

إن كنت ظبيا فأنت ال هزبر تبغى اغتيالى

و ليس يخطر يوما حلول غيل ببالى

ثم كتب بعدهما: هذا ما اقتضاه حكم الجواب فى النظم، و أنا بعد قد جعلت رسنى بيد سيدى، فعسى أن يقودنى إلى ما أحبّ، لا ما أكره، و الذى أحبّه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الإخلاص، و نأمن فى مغبّته من العار و القصاص، فتركه مدة، ثم كتب له يوما على الصورة التى ذكرها: [الكامل]

ما ذا ترى فى يوم أمن طرّزت حلل السّحاب به البروق المذهبه

و أنا و كاسى لا جليس غيره ملآن لا يخلو إلى أن تشربه

و الأنس إن يسّرته متيسّر و متى تصعّبه فيا ما أصعبه

فأجابه: [الكامل]

يا مالكا بذّ الملوك بعلمه و خلاله و علوّه فى المرتبه

وافى نداك فحرت عند جوابه إذ ما تضمّن ريبة مستغربه

إنّا إذا نخلو، تقوّل حاسد و غدا بهذا الأمر ينصر مذهبه

هبنى إلى يوم تطيش به النّهى و البيض تنضى و القنا متأشبه

و هناك فانظرنى بعين بصيرة فالشّبل يعرف أصله من جرّبه

ثم أعلاه إلى درجة الوزارة و القيادة، إلى أن قتل فى جيش كان قدّمه عليه، فقال فيه من قصيدة: [المجتث]

يا صارما أغمدته عن ناظرىّ الصوارم

و زهرة غيّبتها من الطيور كمائم

يا كوكبا خرّ من أن جمى و أنفى راغم

بكت علىّ و شقّت جيوبهنّ الغمائم

قل للحمائم إنّى أصبحت أحكى الحمائم

و أنثر الدمع مهما رأيت للزهر باسم

تاللّه لا لذّ عيش لمترف لك عادم

و لمّا رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش إلى على الميورقى صاحب فتنة إفريقية أقبل عليه، ثم ولى أخوه يحيى الإمارة بعده، فأسند جميع أموره إليه، فقال يخاطبه:

[الطويل]

أجبنا و رمحى ناصرى و حسامى و عجزا و عزمى قائدى و إمامى

ولى منك بطّاش اليدين غضنفر يحارب عن أشباله و يحامى

ألا غنّياني بالصّهيل فإنه سماعي و رقراق الدماء مدامي

و حطّا على الرمضاء رحلي فإنها مهادي و خفّاق البنود خيامي

[الأمير أبو عبد اللّه بن مردنيش]

و كان الأمير أبو عبد اللّه ابن مردنيش ملك شرق الأندلس من أبطال عصره، و كان يدفع في المواكب، و يشقّها يمينا و شمالا منشدا: [الوافر]

أكرّ على الكتيبة لا أبالي أ حتفي كان فيها أم سواها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۵

حتى إنه دفع مرة في موكب النصارى، فصرع منهم و قتل، و ظهر منه ما أعجبت به نفسه، فقال لشخص من خواصّه عالم بأمور الحرب: كيف رأيت؟ فقال: لو رآك السلطان لزاد فيما لك في بيت المال، و أعلى مرتبتك، أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الإقدام، و يتعرّض بهلاك نفسه إلى هلاك من معه، فقال له: دعني فإني لا أموت مرتين، و إذا متّ أنا فلا عاش من بعدي.

[من ظرف أهل الأندلس]

و من حكاياتهم في الظرف: أنّ القاضي أبا عبد اللّه محمد بن عيسى من بني يحيى بن يحيى خرج إلى حضور جنازة، و كان لرجل من إخوانه منزل بقرب مقبرة قريش، فعزم عليه في الميل إليه، فنزل و أحضر له طعاما، و غنّت جارية: [الكامل]

طابت بطيب لثاتك الأقداح و زها بحمرة وجهك التفاح

و إذا الربيع تنسّمت أرواحه نمّت بعرف نسيمك الأرواح

و إذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدّجى مصباح

فكتبها القاضي طربا على ظهر يده.

قال الراوي: فلقد رأيته يكبّر على الجنازة و الأبيات على ظهر يده.

و من حكاياتهم في البلاغة: ما ذكره في «المطمح» أن أبا الوليد بن عيال لمّا انصرف من الحجّ اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر، ففاوضه قليلا، ثم قال له:

أنشدني لمليح الأندلس، يعني ابن عبد ربه، فأنشده: [الكامل]

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا ورشا بتعذيب القلوب رفيقا

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله درّا يعود من الحياء عقيقا

و إذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطّع خصره من رقّة ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما كمل إنشادها استعادها، ثم صفّق بيديه و قال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيك العراق حبوا، انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۶

[من شعر ابن عبد ربه و من سعة اطلاع ابن زيدون]

و قال مؤلف كتاب «واجب الأدب»: مما يجب حفظه من مخترعات الأندلسيين قول ابن عبد ربه: [الكامل]

يا ذا الذى خطّ العذار بخدّه خطّين هاجا لوعة و بلابلا

ما كنت أقطع أنّ لحظك صارم حتى حملت من العذار حمائلا

و حكى أنّ الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته، و بعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكّر لهم، فقيل: إنه ما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لأحد، قال الصّفدى: و هذا من التوسّع فى العبارة، و القدرة على التفنّن فى أساليب الكلام، و هو أمر صعب إلى الغاية، و أرى أنه أشقّ ممّا يحكى عن واصل بن عطاء أنه ما سمعت منه كلمة فيها راء؛ لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة، و السبب فى تهوين هذا الأمر و عدم تهويله أنّ واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يرادف تلك الكلمة ممّا ليس فيه راء، و هذا كثير فى كلام العرب، فإذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن، أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزنى أو غير ذلك، أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك، و أمّا ابن زيدون فأقول فى حقّه إنه أقلّ مما كان فى تلك الجنازة، و هو وزير، ألف رئيس ممّن يتعيّن عليه أن يتشكّر له، و يضطر إلى ذلك، فيحتاج فى هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر، و هذا كثير إلى الغاية، لا سيما من محزون، فقد قطعة من كبده: [الطويل]

و لكنه صوب العقول إذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحائب

و قد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر، و هو من القدرة على الكلام، و أرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق فى هذا الباب، فإنه أملى مجلدة معناها من أوّلها إلى آخرها «يا أيها الناس اتّقوا اللّه و احذروه فإنكم إليه راجعون»، و هذا أمر بارع معجز، و الناس يذهلون عن هذه النكتة فيه، انتهى كلام الصّفدى ملخّصا.

و قال فى الوافى، بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصّه: و قال بعض الأدباء: من

[من شعر أبى الربيع سليمان بن على الشلبى و ابن مهران و ابن السيد البطليوسى و ابن صارة]

لبس البياض، و تختّم بالعقيق، و قرأ لأبى عمرو، و تفقّه للشافعى، و روى شعر ابن زيدون، فقد استكمل الظّرف. و كان يسمّى بحترىّ المغرب لحسن ديباجة نظمه، و سهولة معانيه، انتهى.

رجع إلى كلام أهل الأندلس:

و كان الأديب المحدّث أبو الربيع سليمان بن على الشلبى الشهير بكثير يهوى من يتجنّى عليه و يقول: إنه أبرد من الثلج، فخاطبه كثير بقوله: [الخفيف]

يا حبيبا له كلام خلوب قلّبت فى لظى هواه القلوب

كيف تعزو إلى محبّك بردا و من الحبّ فى حشاه لهيب

أنت شمس و قلت إنى ثلج فلهذا إذا طلعت أذوب

و قال ابن مهران ممّا يشتمل على أربعة أمثال: [الكامل]

المال زين، و الحياة شهيّة، و الجود يفقر، و الشجاعة تقتل

و البخل عيب، و الجبان مذمّم، و القصد أحكم، و التوسّط أجمل

و قال ابن السّيد البطليوسى متغزّلا: [الكامل]

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللّمى مستحسن بصدوده أضنانى

فى فيه سمطا جوهر يروى الظما لو علّنى ببروده أحيانى

و يخرج من هذه القطعة عدة قطع.

و قال ابن صارة مضمّنا: [الوافر]

إلى كم ينفد الدينار منى و يطلب كفّ من عنه يحيد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۸

أ لم أنشده فى وادى هيامى به لو كان يعطفه النشيد

حبيبى أنت تعلم ما أريد و لكن لا ترقّ و لا تجود

و كم غنّيت حين تنكّبتنى منى شيطانها أبدا مريد

(يريد المرء أن يؤتى مناه و يأبى اللّه إلّا ما يريد)

[من شعر عبد الملك بن رزين و ابن عبد ربه]

و قال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين: [مجزوء الكامل]

بالله إن لم تزدجر يا مشبه البدر المنير

لأسرّحنّ نواظرى فى ذلك الورد النضير

و لآكلنّك بالمنى و لأشربنّك بالضمير

و قال ابن عبد ربه: [مخلع البسيط]

اشرب على المنظر الأنيق و امزج بريق الحبيب ريقى

و احلل و شاح الكعاب رفقا خوفا على خصرها الرقيق

و قل لمن لام فى التصابى خلّ قليلا عن الطريق

و سيأتى إن شاء اللّه تعالى قريبا من بلاغة أهل الأندلس فى الجدّ و الهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه.

[من أنفة الأندلسيين]

و من حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم و الذلّ و الوصف بالأنفة: أنه لمّا ثار أيوب بن مطروح فى المائة الخامسة فى الفتنة على ملك غرناطة عبد اللّه بن بلقين بن حبّوس و خاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل، و حصل فيما بثّ عليهم يوسف بن تاشفين من الحبائل، و كانت له همّة و أنفة عظيمة، و خلع عن إمارته، و حصل فى حبالته، أدخل رأسه تحته، فانتظر من حضر معه أن يتكلّم أو يخرج رأسه، فلم يكن إلّا قليل حتى وقع ميتا، رحمه اللّه تعالى!.

و لمّا ثار الميورقى بإفريقية على بنى عبد المؤمن الثورة المشهورة، و خدمه جملة من أعيان أهل الأندلس، و كان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسى، كتب عنه من رسالة: و بعد، فإنّا لا نحتاج لك إلى برهان على أمير لسانه الحسام، و أيّده التأييد الربانى الذى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۳۹

لا يرام، قد نصب خيامه بالبراح، و لم يتّخذ سورا غير سمر القنا و بيض الصّفاح، له من العزم ردء و من الحزم كمين: [الوافر]

إذا صدق الحسام و منتضيه فكلّ قرارة حصن حصين

و هو من القوم الذين لا يجورون على جار، و لا يرحلون بخزية و لا يتركون من عار، دينهم دين التقوى، و إن كنت من ذلك فى شكّ فأقدم علينا حتى يصحّ لك اختبار الذهب بالسّبك، و أنت بالخيار فى الظعن و الإقامة، فإن حللت نزلت خير منزل، و إن رحلت

ودّعت أفضل وداع، و سرت فى كنف السلامة، إذ قد شهرنا بأنّا لا نقيّد إلّا بالإحسان، و أن ندع لاختياره كل إنسان.

[من كرم الأندلسيين و من شعر أبى العرب الصقلى]

و من حكايات أهل الأندلس فى الجود و الفضل و مكارم الأخلاق: أنّ أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد بن عباد، فأدخلت عليه جملة من دنانير السِّكّة، فيمر له بخريطتين منها، و بين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصّع بنفيس الدّرّ، فقال أبو العرب: ما يحمل هذه الدنانير إلّا جمل، فتبسّم المعتمد و أمر له به، فقال: [البسيط]

أعطيتنى جملا جونا شفعت به حملا من الفضّة البيضاء لو حملا

نتاج جودك فى أعطان مكرمة لا قدّ تعرف من منع و لا عقلا

فاعجب لشأنى فشأنى كلّه عجب رفّهتنى فحملت الحمل و الجملا

و من نظم أبى العرب المذكور: [الطويل]

إلام اتّباعى للأمانى الكواذب و هذا طريق المجد بادى المذاهب

أهمّ و لى عزمان: عزم مشرّق و آخر يثنى همّتى للمغارب

و لا بدّ لى أن أسأل العيس حاجة تشقّ على أخفافها و الغوارب

إذا كان أصلى من تراب فكلّها بلادى و كلّ العالمين أقاربى

و ذكر الحافظ الحجارى فى «المسهب» أنه سأل عمّه أبا محمد عبد اللّه بن إبراهيم عن

أفضل من لقى من أجواد تلك الحلبة، فقال: يا ابن أخى، لم يقدر أن يقضى لى الاصطحاب بهم، فى شباب أمرهم، و عنفوان رغبتهم فى المكارم، و لكن اجتمعت بهم و أمرهم قد هرم، و ساءت بتغير الأحوال ظنونهم، و ملّوا الشكر، و ضجروا من المروءة، و شغلتهم المحن و الفتن، فلم يبق فيهم فضل للإفضال و كانوا كما قال أبو الطيب: [البسيط]

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرّهم و أتيناه على الهرم

[من كرم الوزير أبى بكر بن عبد العزيز و كرم المعتمد بن عباد]

فإن يكن أتاه على الهرم فإنّا أتيناه و هو فى سياق الموت، ثم قال: و مع هذا فإن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز- رحمه اللّه تعالى-! كان يحمّل نفسه ما لا يحمله الزمان، و يبسم فى موضع القطوب، و يظهر الرضا فى حال الغضب، و يجهد ألّا ينصرف عنه أحد غير راض، فإن لم يستطع الفعل عوّض عنه القول.

قلت له: فالمعتمد بن عباد كيف رأيته؟ فقال: قصدته و هو مع أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين فى غزوته للنصارى المشهورة، فرفعت له قصيدة منها: [البسيط]

لا روّع اللّه سربا فى رحابهم و إن رمونى بترويع و إبعاد

و لا سقاهم على ما كان من عطش إلّا ببعض ندى كفّ ابن عباد

ذى المكرمات التى ما زلت تسمعها أنس المقيم و فى الأسفار كالزاد

يا ليت شعرى ما ذا يرتضيه لمن ناداه يا موئلى فى جحفل النادى

فلما انتهيت إلى هذا البيت قال: أما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه، و لكن خذ ما ارتضى لك الزمان، و أمر خادما له

فأعطانى ما أعيش فى فائدته إلى الآن، فإنى انصرفت به إلى المرية، و كان يعجبنى سكناها و التجارة بها، لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم و كافر، فتجرت فيها فكان إبقاء ماء وجهى على يديه، رحمة اللّه تعالى عليه! ثم أخذ البطاقة و جعل يجيل النظر و الفكر فى القصيدة، و أنا مترقّب لنقده، لكونه فى هذا الشأن من أئمته، و كثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك إلّا من عرف من نفسه التبريز، و وثق بها، إلى أن انتهى إلى قولى: [البسيط]

و لا سقاهم على ما كان من عطش إلّا ببعض ندى كفّ ابن عبّاد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۱

فقال: لأى شىء بخلت عليهم أن يسقوا بكفّه؟ فقلت: إذن كان يلحقنى من النقد ما لحق ذا الرمة فى قوله: [الطويل]

و لا زال منهلّا بجرعائك القطر

و كان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك، فتألّقت غرّته، و بدت مسرّته، و قال: إنّا للّه على أن لم يعنّا الزمان على مكافأة مثلك.

قال: و كنت ممّن زاره بسجنه بأغمات، و حملتنى شدّة الحميّة له و الامتعاض لما حلّ به أن كتبت على حائط سجنه متمثّلا: [الطويل]

فإن تسجنوا القسرىّ لا تسجنوا اسمه و لا تسجنوا معروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام، فوجدت تحت البيت: لذلك سجنّاه: [الطويل]

و من يجعل الضّرغام فى الصّيد بازه تصيّده الضّرغام فيما تصيّدا

فما أدرى من جاوب بذلك، ثم عدت له و وجدته قد محى، و أعلمت بذلك ابن عبّاد، فقال: صدق المجاوب، و أنا الجانى على نفسه، و الحافر بيده لرمسه، و لمّا أردت وداعه أمر لى بإحسان على قدر ما استطاع، فارتجلت: [السريع]

آليت لا أقبل إحسانكم و الدّهر فيما قد عراكم مسى

ففى الذى أسلفتم غنية و إن يكن عندكم قد نسى

قال: و فيه أقول من قصيدة: [السريع]

يا طالب الإنصاف من دهره طلبت أمرا غير معتاد

فلو يكون العدل فى طبعه لما عدا ملك ابن عبّاد

[من شعر الحجارى]

و للحجارى المذكور كتاب فى البديع سماه «الحديقة» و أنشد لنفسه فيه: [السريع]

و شادن ينصف من نفسه أمّننى من سطوة الدهر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۲

ينام للشّرب على جنبه و يصرف الذّنب إلى الخمر

و له فى فرس: [الوافر]

و مستبق يحار الطّرف فيه و يسلم فى الكفاح من الجماح

كأنّ أديمه ليل بهيم تحجّل باليسير من الصباح

إذا احتدم التسابق صار جرما تقلّب بين أجنحة الرياح

[من شعر أبى العلاء إدريس بن أزرق و محمد بن هشام المروانى]

و كتب أبو العلاء إدريس بن أزرق إلى ابن رشيق ملك مرسية، و قد طالت إقامته عند ابن عبد العزيز: [الطويل]

ألا ليت شعرى هل أعود إلى الذى عهدت من النّعمى لديكم بلا جهد

فو اللّه مذ فارقتكم ما تخلّصت من الدهر عندى ساعة دون ما كدّ

فمنّوا بإذن كى أطير إليكم فلا عار فى شوق إلى المال و المجد

و وقف بعض أعدائه على هذه الأبيات، فوشى بها إلى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره، و كان ذلك فى محفل ليكون أبلغ، فقال: و اللّه لقد ذكرتنى أمره، و لقد أحسن الدلالة على حاله، فإنّ الرجل كريم، و علينا موضع اللوم، لا عليه، و و اللّه لأوسعنّه مالا و وجدا بقدر و سعى، ثم أخذ فى الإحسان إليه حتى برّ يمينه رحمه اللّه تعالى: [الخفيف]

هكذا هكذا تكون المعالى طرق الجدّ غير طرق المزاح

و لنذكر جملة من بنى مروان بالأندلس، فنقول:

قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب «أخبار الشعراء»: [البسيط]

و روضة من رياض الحزن حالفها طلّ أطلّت به فى أفقها الحلل

كأنما الورد فيما بينها ملك موف و نوّارها من حوله خول

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۳

و كان فى مدة الناصر، و أدخل عليه يوما ليذاكره، فاستحسنه، و أمره بالتزام بنيه ليؤدّبهم بحسن أدبه، و يتخلّقوا بخلقه، فاستعفى من ذلك، و قال: إنّ الفتيان لا يتعلّمون إلّا بشدّة الضبط و القيد و الإغلاظ، و أنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهونى، و قد يحقد لى بعضهم ذلك إلى أن يقدر على النفع و الضرر.

قالوا: و كان يتعشّق المستنصر باللّه ولى عهد الناصر و هو غلام، و له فيه: [المجتث]

متّع بوجهك جفنى يا كوكبا فوق غصن

يا من تحجّب حتى عن كلّ فكر و أذن

و خامر الخوف فيه فما يمر بذهن

فليس للطّرف و القل ب غير دمع و حزن

فإننى ذو ذنوب و أنت جنّة عدن

[من شعر أحمد بن هشام المروانى و علو همته]

و قال أخوه أحمد بن هشام: [الطويل]

قطعت الليالى بارتجاء وصالكم و ما نلت منكم غير متّصل الهجر

و ما كنت أدرى ما التصبّر قبلكم فعلّمتمونى كيف أقوى على الصبر

و ما كنت ممّن يعلق الصبر فكره و لكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

و من حكاياتهم فى علوّ الهمة: أنه كان سبب قراءته و اجتهاده أنه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبى عبدة، و هو غلام، فاستخبره القائد، فرآه بعيدا من الأدب و الظّرف، و رأى له ذهنا قابلا للصلاح، فقال: أىّ سيف لو كانت عليه حلية؟ فقامت من هذه الكلمة قيامته، و ثابت له همّة ملوكيّة عطف بها على الأدب و التعلّم، إلى أن صار ابن أبى عبدة عنده كما كان هو عند ابن أبى عبدة أولا، فحضر بعد ذلك معه، و جالا فى مضمار الأدب، فرأى ابن أبى عبدة جوادا لا يشقّ غباره، فقال: ما هذا؟ أين هذا مما كان؟ فقال: إن كلمتك عملت فى فكرى ما أوجب هذا، فقال: و اللّه إنّ هذه حلية تليق بهذا السيف، فجزاك اللّه عن همّتك خيرا!.

ثم قال له: سر، إنّ لى عليك حقا إذ بعثتك على التأدّب و التميز، فإذا حضرنا فى جماعة فلا تتطاول على تقصيرى، و حافظ على أن لا أسقط من العيون بإرباء غيرى علىّ، فقال:

لك ذلك و زيادة.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۴

[المنذر بن عبد الرحمن الأوسط]

و كان المنذر ابن الأمير عبد الرحمن الأوسط سيىء الخلق فى أول أمره، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة، مفرط القلق ممّا يقال فى جانبه، معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته، مكثر التشكّى ممّن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن، فطال ذلك على الأمير، فقال لوكيل خاصّ به عارف بالقيام بما يكلّفه به: الموضع الفلانى الذى بالجبل الفلانى المنقطع عن العمران تبنى فيه الآن بناء أسكن فيه ابنى المنذر، و أوصاه بالاجتهاد فيه، ففرغ منه، و عاد إليه، فقال له: تعلم المنذر أنى أمرته بالانفراد فيه، و لا تترك أحدا من أصحابه و لا أصحاب غيره يزوره، و لا يتكلّم معه البتّة، فإذا ضجر من ذلك و سألك عنه فقل له: هكذا أمر أبوك، فتولّى الثقة ذلك على ما أمر به، و لمّا حصل المنذر فى ذلك المكان و بقى وحده، و فقد خوله و من كان يستريح إليه، و نظر إلى ما سلبه من الملك ضجر، فقال للثقة: عسى أن يصلنى غلمانى و أصحابى أتأنّس بهم، فقال له الثقة: إنّ الأمير أمر أن لا يصلك أحد و أن تبقى وحدك لتستريح ممّا يرفع لك أصحابك من الوشاية، فعلم أن الأمير قصد محنته بذلك و تأديبه، فاستدعى دواة و كتب إلى أبيه: أنى قد توحّشت فى هذا الموضع توحّشا ما عليه من مزيد، و عدمت فيه من كنت آنس إليه، و أصبحت مسلوب العزّ فقيد الأمر و النهى، فإن كان ذلك عقابا لذنب كبير ارتكبته و علمه مولاى و لم أعلمه فإنى صابر على تأديبه، ضارع إليه فى عفوه و صفحه: [الطويل]

و إنّ أمير المؤمنين و فعله لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

فلمّا وقف الأمير على رقعته، و علم أنّ الأدب بلغ به حقّه، استدعاه فقال له: وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحّش الانفراد فى ذلك الموضع، و ترغب أن تأنس بخولك و عبيدك و أصحابك، و إن كان لك ذنب يترتّب عليه أن تطول سكناك فى ذلك المكان، و ما فعلت ذلك عقابا لك، و إنما رأيناك تكثر الضجر و التشكى من القال و القيل، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك و ينمّ، حتى تستريح منهم، فقال له: سماع ما كنت أضجر منه أخفّ علىّ من التوحّد و التوحّش و التخلّى ممّا أنا فيه من الرفاهية و الأمر و النهى، فقال له: فإذ قد عرفت و تأدبت فارجع إلى ما اعتدته، و عوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۵

و ترى كأنك لم تر، و قد قال النبىّ صلى اللّه عليه و سلم «لو تكاشفتم ما تدافنتم»، و اعلم أنك أقرب الناس إلىّ و أحبّهم فىّ، و بعد هذا فما يخلو صدرك فى وقت من الأوقات عن إنكار علىّ، و سخط لما أفعله فى جانبك أو جانب غيرك، مما لو أطلعنى اللّه تعالى عليه لساءنى، لكن الحمد للّه الذى حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها، و إنك لذو همّة و مطمح، و من يكن هكذا يصبر و يغض و يحمل، و يبدل العقاب بالثواب، و يصير الأعداء من قبيل الأصحاب، و يصبر من الشخص على ما يسوء، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر، و لقد يخف علىّ اليوم من قاسيت من فعله و قوله، ما لو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه منى ما شفيت منهم غيظى، و لكن رأيت الإغضاء و الاحتمال، لا سيما عند الاقتدار، أولى، و نظرت إلى جميع من حولى ممّن يحسن و يسىء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض، و نظرت إلى المسىء يعود محسنا، و المحسن يعود مسيئا، و صرت أندم على من سبق له منه عقاب، و لا أندم على من سبق له منى ثواب، فالزم يا بنىّ معالى الأمور، و إن جماعها فى التغاضى، و من لا يتغاضى لا يسلم له صاحب، و لا يقرب منه جانب، و لا ينال ما تترقى إليه همّته، و لا يظفر بأمله، و لا يجد معينا حين يحتاج إليه، فقبّل المنذر يده، و انصرف، و لم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل، و بلغ ما أوصاه به أبوه، و رفع قدره.

[من شعر المنذر بن عبد الرحمن و من كرم نفس المنذر بن عبد الرحمن]

و من شعره فى ابن عمّ له: [الطويل]

و مولى أبى إلّا أذاى و إننى لأحلم عنه و هو بالجهل يقصد

توددته فازداد بعدا و بغضهٔ و هل نافع عند الحسود التودّد

و قوله: [المجتث]

خالف عدوّك فيما أتاك فيه لينصح

فإنما يبتغى أن تنام عنه فيربح

و من كرم نفسه أنّ أحد التجار أهدى له جاريهٔ بارعهٔ الحسن، و اسمها طرب، و لها صنعهٔ فى الغناء حسنهٔ، فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه، فقال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۶

لأحد خدّامه: ما ترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منّا أحسن موقع؟

فقال: تقدّر ما تساوى من الثمن و تدفع له بقدرها، فقوّمت بخمسمائهٔ دينار، فقال المنذر للخديم: ما عندك فيما ندفع له؟ فقال: الخمسمائهٔ، فقال: إن هذا للؤم، رجل أهدى لنا جاريهٔ، فوقعت منّا موقع استحسان، نقابله بثمنها، و لو أنه باعها من يهودى لوجد عنده هذا، فقال له: إن هؤلاء التجار لؤماء بخلاء، و أقلّ القليل يقنعهم، فقال: و إنّا كرماء سمحاء، فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه، فادفع له ألف دينار، و اشكره على كونه خصّنا بها، و أعلمه بأنها وقعت منّا موقع رضا.

و فيها يقول: [المنسرح]

ليس يفيد السرور و الطرب إن لم تقابل لواحظى طرب

أبهت فى الكأس لست أشربها و الفكر بين الضلوع يلتهب

يعجب منى معاشر جهلوا و لو رأوا حسنها لما عجبوا

و قال له أبوه يوما: إنّ فيك لتيها مفرطا، فقال له: حقّ لفرع أنت أصله أن يعلو، فقال له: يا بنىّ، إن العيون تمجّ التّياه، و القلوب تنفر عنه، فقال: يا أبى، لى من العزّ و النسب و علوّ المكان و السلطان ما يجمّل عن ذلك، و إنى لم أر العيون إلّا مقبلهٔ علىّ، و لا الأسماع إلّا مصغيهٔ إلىّ، و إنّ لهذا السلطان رونقا يرنّقه التبذل، و علوا يخفضه الانبساط، و لا يصونه و يشرفه إلّا التيه و الانقباض، و إنّ هؤلاء الأنذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منّا، فإن رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته، و إن رأوه ناقصا عاملوه بنقصه، و صيّروا تواضعه صغرا، و تخضّعه خسّهٔ، فقال له أبوه: للّه أنت! فابق و ما رأيت.

[المطرف بن عبد الرحمن الأوسط]

و كان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الأوسط، و من شعره: [المجتث]

أفنيت عمرى فى الشّر ب و الوجوه الملاح

و لم أضيّع أصيلا و لا اطلاع صباح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۷

أحيى الليالى سهدا فى نشوهٔ و مراح

و لست أسمع ما ذا يقول داعى الفلاح

و العياذ بالله من هذا الكلام، و حاكى الكفر ليس بكافر.

و عتبه أحد إخوانه على هذا القول فقال: إنى قلته و أنا لا أعقل، و لا أعلم أنه يحفظ عنى، و أنا أستغفر اللّه تعالى منه، و الذى يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول.

و من جيد شعره له: [الخفيف]

يا أخى، فرّقت صروف الليالى بيننا غير زورة الأحلام

فغدونا بعد ائتلاف و قرب نتناجى بألسن الأقلام

[من شعر هشام بن عبد الرحمن الأوسط و يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط]

و قال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان: [الطويل]

أحبّك يا ريحان ما عشت دائما و لو لامنى فى حبّك الإنس و الجان

و لولاك لم أهو الظلام و سهده و لا حبّبت لى فى ذرا الدار غربان

و ما أعشق الريحان إلّا لأنه شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۳۴۷

على أنه لم يكمل الظرف مجلس إذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

و له فيه: [الطويل]

إذا أنا مازحت الحبيب فإنما قصدت شفاء الهمّ فى ذلك المزح

فما العيش إلّا أن أراه مضاحكا كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

و قال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن: [الوافر]

إذا أنا لم أجد يوما و قومى لهم فى الجود آثار عظام

فمن يرجى لتشييد المعالى إذا قعدت عن الخير الكرام

و مدحه بعض الشعراء، فأمر له بمال جزيل، فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر، فقال أحد خدام يعقوب: هذا اللئيم له دين عندنا جاء يقتضيه؟ فقال الأمير: يا هذا، إن كان اللّه تعالى خلقك مجبولا على كره ربّ الصنائع فاجر على ما جبلت عليه فى نفسك، و لا تكن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۸

كالأجرب يعدى غيره، و إنّ هذا الرجل قصدنا قبل، فكان منّا له ما أنس به و حمله على العودة، و قد ظنّ فينا خيرا، فلا نخيب ظنّه، و الحديث أبدا يحفظ القديم، و قد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر، و نحن نسأل اللّه تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده، و يديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه، و يحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه، و لا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن إسداء الأيادى، و أمر الشاعر بما كان أمر له به قبل، و أوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر.

[بين الأميرين محمد و أبان ابنى عبد الرحمن الأسط أبنائه و شىء من شعرهم]

و قال أخوهم الخامس الأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن لأخيهم السادس أبان و قد خلا معه على راحة: هل لك أمل نبلغك إياه؟

فقال: لم يبق لى أمل إلّا أن يديم اللّه تعالى عمرك و يخلد ملكك، فأعجب ذلك الأمير، و قال: ما مالت إليك نفسى من باطل، و كان كل واحد منهما يهيم بالآخر، و فى ذلك يقول أبان: [البسيط]

يا من يلوم و لا يدرى بمن أنا مف تون لو ابصرته ما كنت تلحانى

من مازجت روحه روحى و شاطرنى يا حسنه حين أهواه و يهوانى

و كان للأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء: القاسم، و المطرف، و مسلمة، و لهم أخ رابع اسمه عثمان.

فمن نظم القاسم فى عثمان أخيه، و قد زاره فاستسقاه ماء، فأبطأ عليه غلامه لعلّة لم يقبلها القاسم: [البسيط]

الماء فى دار عثمان له ثمن و الخبز شىء له شأن من الشّان

فاسلح على كل عثمان مررت به غير الخليفة عثمان بن عفان

و له: [مخلع البسيط]

شغلت بالكيمياء دهرى فلم أفد غير كلّ خسر

إتعاب فكر، خداع عقل فساد مال، ضياع عمر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۴۹

و قال شقيقه المطرف، و يعرف بابن غزلان، و هى أمه، و كانت مغنية بديعة محسنة عوّادة أديبة: [المنسرح]

هل أتّكى مشرفا على نهر أرمى بطرفى إليه من قصرى

عند أخ لو دهته حادثة أعطيته ما أحبّ من عمرى

و قال أخوهما مسلمة: [الخفيف]

إنّ شيبا و صبوة لمحال أو لم يأن أن يكون زوال

فدع النفس عن مزاح و لهو تلك حال مضت و جاءتك حال

و كان يقول: إنى لا أفارق إلّا من اختار مفارقتى، و من خادعنى انخدعت له، و أريته أنى غير فطن بخداعه، ليعجبه أمره، و أدخل عليه مسرّة بنفسه و رأيه.

[من شعر محمد بن المنذر بن محمد و عبد اللّه بن الناصر]

و قال محمد بن الأمير المنذر بن الأمير محمد فى جاريته الأراكة: [المجتث]

قل للأراكة قد زا د بالدنوّ اشتياقى

و هاج ما بى إليها تمثّلى للعناق

و إننى و بقلبى جمر جرى فى المآقى

طويت ما بى ليوم يكون فيه التلاقى

فإن أعد لاجتماع حرّمت يوم افتراق

لا يعرف الشوق إلّا من ذاق طعم الفراق

و قال عبد اللّه بن الناصر، و قد أهدى له سعيد بن فرج ياسمينا أبيض و أصفر، و كتب معه: [الكامل]

مولاى قد أرسلت نحوك تحفة بمراد ما أبغيه منك تذكّر

من ياسمين كاللّجين تبرّجت بيضا و صفرا و السّماح يعبّر

فأجابه بما نصّه: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۰

أتاك تفسيرى و لمّا يحل منّى على أضغاث أحلام

اجعله رسما دائما زائرا منى و منك غرّة العام

و بعث إليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير و دراهم، فقال ابن فرج: [الخفيف]

قد سمعنا بجود كعب و حاتم ما سمعنا جودا مدى العمر لازم

فدعائى بأن تدوم دعاء لى ما زال طول ما عشت دائم

ما سمعنا كمثل هذا اختراعا هكذا هكذا تكون المكارم

[من جود بعض ملوك إفريقية و بين عبد اللّه المروانى و صديق و مقتل عبد اللّه بن الناصر و]

تشبه هذه الحكاية حكاية اتّفقت لبعض ملوك إفريقية، و ذلك أنّ رجلا أهدى لى فى قادوس وردا أحمر و أبيض، فأمر أن يملأ له دراهم، فقالت له جارية من جواريه: إن رأى الأمير أن يلوّن ما أعطاه، حتى يوافق ما أهداه، فاستحسن ذلك الأمير، و أمر أن يملأ دنانير و دراهم.

و كان المروانى المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء، فمرّا بجميل، فمال عبد اللّه بطرفه إلى وجهه، و ظهر ذلك لمسايره، فتبسّم، ففهم عبد اللّه تبسمه، فقال: إنّ هذه الوجوه الحسان خلّابة، و لكنّا لا نتغلغل فى نظرها، و لا ندّعى العفّة عنها بالجملة، و فيها اعتبار و تذكار بالحور العين التى وعد اللّه تعالى، فقال له الفقيه: احتجّ لروحك بما شئت، فقال: أو ما هى حجّة تقبل؟ فقال الفقيه: يقبلها من رقّ طبعه، و كاد يضيق عن الصبر وسعه، فقال: و أراك شريكا لى، فقال: و لو لا ذلك للمتك، فأطرق عبد اللّه ساعة ثم أنشد: [المنسرح]

أفدى الذى مرّ بى فمال له لحظى و لكن ثنيته غصبا

ما ذاك إلّا مخاف منتقد فاللّه يعفو و يغفر الذّنبا

فقال له الفقيه: إن كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فإنى أدعوه إليك حتى تملأ منه، و لا تنسب إلىّ ما نسبت، فتبسّم عبد اللّه و قال: و لا هذا كلّه، و قال له: إنّ مثلك فى الفقهاء لمعدوم، فقال له: ما كنت إلّا أديبا، و لكنّى لمّا رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به، فقال له: و من عقل المرء أن لا يفنى عمره فيما لا ينفقه عصره.

و كان عبد اللّه المذكور يسمّى الزاهد، فبايع قوما على قتل والده الناصر و أخيه الحكم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۱

المستنصر ولى العهد، فأخذ يوم عيد الأضحى سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة، فذبح بين يديه رحمة اللّه تعالى!.

[من شعر عبد العزيز بن الناصر و محمد بن الناصر]

و قال أخوه أبو الأصبغ عبد العزيز بن الناصر، و قد دخل ابن له الكتّاب، فكتب أول لوح، فبعثه إلى أخيه الحكم المستنصر ملك الأندلس، و معه: [مجزوء الرمل]

هاك يا مولاى خطّا مطّه فى اللوح مطّا

ابن سبع فى سنيه لم يطق للوح ضبطا

دمت يا مولاى حتى يلد ابن ابنك سبطا

و له: [الرمل]

زارنى من همت فيه سحرا يتهادى كنسيم السّحر

أقبس الصبح ضياء ساطعا فأضا و الفجر لم ينفجر

و استعار الروض منه نفحة بثّها بين الصّبا و الزّهر

أيها الطالع بدرا نيرا لا حللت الدهر إلّا بصرى

و كان مغرى مغرما بالخمر و الغناء، فقطع الخمر، فبلغه أنّ المستنصر لمّا بلغه تركه للخمر قال: الحمد للّه الذى أغنانا عن مفاتحته، و دلّه على ما نريد منه، ثم قال: لو ترك الغناء لكمل خيره، فقال: و اللّه لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها، ثم قال: [الخفيف]

أنا فى صحّة و جاه و نعمى هى تدعو لهذه الألحان

و كذا الطير فى الحدائق تشدو للذى سرّ نفسه بالقيان

و قال أخوه محمد بن الناصر لمّا قدم أخوهما المستنصر من غزوة: [الطويل]

قدمت بحمد اللّه أسعد مقدم و ضدّك أضحى لليدين و للفم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۲

لقد حزت فيها السّبق إذ كنت أهله كما حاز «بسم اللّه» فضل التقدّم

[من شعر محمد بن عبد الملك بن الناصر]

و أما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه: إنه لم يكن فى ولد الناصر ممّن لم يل الملك أشعر منه و من ابن أخيه، و كتب إلى العزيز صاحب مصر:

[الطويل]

ألسنا بنى مروان كيف تبدّلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منّا تهلّلت له الأرض و اهتزّت إليه المنابر

و كان جواب العزيز له: أمّا بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لهجوناك.

و له فى الصّنوبر: [المجتث]

إنّ الصنوبر حصن لديه حرز و باس

خفّت من اجل إرها ب من عداه تراس

كأنما هو ضدّ لما حواه الرياس

و بعض سيوف الأندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر إلّا أنّ تلك ناتئة و هذه محفورة، و قال: [الطويل]

أتانى و قد خطّ العذار بخدّه كما خطّ فى ظهر الصحيفة عنوان

تزاحمت الألحاظ فى وجناته فشقّت عليه للشقائق أردان

و زدت غراما حين لاح كأنما تفتّح بين الورد و الآس سوسان

و قال: [الطويل]

لئن كنت خلّاع العذار بشادن و كأس فإنى غير نزر المواهب

و إنّى لطعّان إذا اشتجر القنا و مقحم طرفى فى صدور الكتائب

و إنى إذا لم ترض نفسى بمنزل و جاش بصدرى الفكر جمّ المذاهب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۳

جليد يؤود الصّخر لو أنّ صبره كصبرى، على ما نابنى، للنوائب

و أسرى إلى أن يحسب الليل أننى لطول مسيرى فيه بعض الكواكب

[من شعر مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك]

و أمّا ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى أميهٔ شبه عبد اللّه بن المعتز فى بنى العباس، بملاحهٔ شعره و حسن تشبيهه.

و من شعره القصيدهٔ المشهورهٔ: [الرمل]

غصن يهتزّ فى دعص نقا يجتنى منه فؤادى حرقا

سال لام الصّدغ فى صفحته سيلان التّبر وافى الورقا

فتناهى الحسن فيه إنما يحسن الغصن إذا ما أورقا

و منها:

أصبحت شمسا وفوه مغربا و يد الساقى المحيّى مشرقا

فإذا ما غربت فى فمه تركت فى الخدّ منه شفقا

و منها:

و كأنّ الورد يعلوه النّدى و جنهٔ المحبوب تندى عرقا

قالوا: و هذا النمط قد فاق به أهل عصره، و يظنّ أنه لا يوجد لأحد منهم أحلى و أكثر أخذا بمجامع القلوب من قوله: [الكامل]

ودّعت من أهوى أصيلا، ليتنى ذقت الحمام و لا أذوق نواه

فوجدت حتى الشمس تشكو وجده و الورق تندب شجوها بهواه

و على الأصائل رقّهٔ من بعده فكأنها تلقى الذى ألقاه

و غدا النسيم مبلّغا ما بيننا فلذاك رقّ هوى و طاب شذاه

ما الروض قد مزجت به أنداؤه سحرا بأطيب من شذا ذكراه

و الزهر مبسمه و نكهته الصّبا و الورد أخضله الندى خدّاه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۴

فلذاك أولع بالرياض لأنها أبدا تذكّرنى بمن أهواه

و للّه قوله: [الخفيف]

و عشىّ كأنه صبح عيد جامع بين بهجهٔ و شحوب

هبّ فيه النسيم مثل محبّ مستعيرا شمائل المحبوب

ظلت فيه ما بين شمسين هذى فى طلوع و هذه فى غروب

و تدلّت شمس الأصيل و لكن شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب

ربّ هذا خلقته من بديع من رأى الشمس أطلعت فى قضيب

أى وقت قد أسعف الدهر فيه و أجابت به المنى عن قريب

قد قطعناه نشوهٔ و وصالا و ملأناه من كبار الذنوب

حين وجه السعود بالبشر طلق ليس فيه أمارهٔ للقطوب

ضيّع اللّه من يضيّع وقتا قد خلا من مكدّر و رقيب

و بات عند أحد رؤساء بنى مروان، فقدّم إليه ذلك الرئيس قدحا من فضّة فيه راح أصفر، و قال: اشرب وصف فداك ابن عمك، فقام إجلالا و شرب صائحا بسروره، ثم قال:

الدواة و القرطاس، فأحضرا، و كتب: [السريع]

اشرب هنيئا لا عداك الطرب شرب كريم فى العلا منتخب

و افاك بالراح و قد ألبست برد أصيل معلما بالحبب

فى قدح لم يك يسقى به غير أولى المجد و أهل الحسب

ما جار إذ سقّاك من كفّه فى جامد الفضّة ذوب الذهب

فقم على رأسك برا به و اشرب على ذكراه طول الحقب

و يحكى أنه لمّا قتل أباه و قد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدة، إلى أن رأى فى منامه النبىّ، صلى اللّه عليه و سلم، يأمره بإطلاقه، فأطلقه، فمن أجل ذلك عرف بالطليق.

[من شعر أحمد بن سليمان بن أحمد]

و قال أحمد بن سلمان بن أحمد بن عبيد اللّه بن عبد الرحمن الناصر فى ابن حزم لمّا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۵

عاداه علماء عصره: [المجتث]

لمّا تحلّى بخلق كالمسك أو نشر عود

نجل الكرام ابن حزم و قام فى العلم عودى

فتواه جدّد دينى جدواه أورق عودى

و له فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها: [الخفيف]

بأبى عامر وصلت حبالى فزمانى به زمان سعيد

فمتى زدت فيه ودا و شكرا فنداه و قد تناهى يزيد

كيف لى وصفه و فى كلّ يوم منه فى المكرمات معنى جديد

[من شعر أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن الناصر و عبد اللّه بن محمد المهدى (الأقرع)]

و قال أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج: [الطويل]

و كم من حديث للنبىّ أبانه و ألبسه من حسن منطقه وشيا

و كم مصعب للنحو قد راض صعبه فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

و قال عبيد اللّه بن محمد المهدى، و هو من حسنات بنى مروان، و يعرف بالأقرع:

[الطويل]

أقول لآمالى ستبلغ إن بدا محيّا ابن عطّاف و نعم المؤمّل

فقالت دعانى كلّ يوم تعلّل فقلت لها إن لاح يفنى التعلّل

لئن كان منى كلّ حين ترحّل فإنى إن أحلل به لست أرحل

فتى ترد الآمال فى بحر جوده و ليس على نعمى سواه المعوّل

و قال هذه فى الوزير ابن عطّاف، فضنّ عليه حتى برجع الجواب، فكتب إليه بقصيدة منها: [الرمل]

أيها الممكن من قدرته لا يراك اللّه إلّا محسنا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۶

إنما المرء بما قدّمه فتخيّر بين ذمّ وثنا

لا تكن بالدهر، غرا و إذا كنت فانظر فعله فى ملكنا

كلّ ما خوّلت منه ذاهب إنما تصحب منه الكفنا

مدّ كفا نحو كفّ طالما أمطرت منه السحاب الهتنا

أو أرحنى بجواب مؤيس فمطال البرّ من شرّ العنا

فلم يعطه شيئا، و كان له كاتب فتحيّل فى خمسين درهما فأعطاها له، فلما سمع الوزير بذلك طرده، و قال له: من أنت حتى تحمّل نفسك هذا و تعطيه؟ قال: فو اللّه ما لبث إلّا قليلا- حتى مات الوزير، و تزوّج الكاتب بزوجته، و سكن فى داره، و تخوّل فى نعمته، فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره: [الطويل]

أيا دار، قولى أين ساكنك الذى أبى لؤمه أن يترك الشّكر خالدا

تسمّى وزيرا و الوزارة سبّة لمن قد أبى أن يستفيد المحامدا

و ولّى و لكن ليس يبرح ذمّه فها هو قد أرضى عدوّا و ناقدا

و أضحى وكيل كان يأنف فعله نزيلك فى الحوض الممنّع واردا

جزاء بإحسان لذا و إساءة لذاك، و ساع ورّث الحمد قاعدا

و المثل السائر فى هذا «ربّ ساع لقاعد».

[من شعر سليمان بن المرتضى بن محمد (الغزال)]

و قال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، و كان فى غاية الجمال، و يلقّب بالغزال: [الكامل]

قدم الربيع عليك بعد مغيب فتلقّه بسلافة و حبيب

فصل جديد فلتجدّد حالة يأتى الزمان بها على المرغوب

الجوّ طلق فالقه بطلاقة و إذا تقطّب فالقه بقطوب

للّه أيام ظفرت بها و من أهواه منقاد بغير رقيب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۷

و له: [الكامل]

لى فى كفالات الرماح لو أنها وفّت ضمان يبلغ الآمالا

و كّلت دهرى فى اقتضاء ضمانها ضنّا به أن لا يحول فحالا

و كان مولعا بالفكاهة و النادر، محبّا للظرفاء، و كان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة، و يحضر معه، و لعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها إلى أن تقسّموا اثنين اثنين، كل شخص و رفيقه، فقال سليمان: و من يكون رفيقى؟ فقال له المضحك: يا مولاى، و هل يكون رفيق الغزال إلّا الزرافة؟ فضحك منه على عادته.

و دخل عليه و هو قاعد فى رحبة قصره، و قد أطلّ عذاره، فقال له: ما تطلب الزرافة؟

فقال: ترعى الحشيش، و أشار إلى عذاره، فقال له: اعزب لعنك اللّه!

و مرّ سليمان به يوما و هو سكران، و قد أوقف ذكره و جعل يقول له: ما ذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خلع و قتل؟ و اللّه إنك سيىء الرأى! فقال له سليمان: و بم لقبت هذا الثائر؟ فقال: يا مولاى، بصفته القائم، فقال: و يحتاج إلى خاتم؟

فقال: نعم، و يكون خاتم سليمان، فقال له: أخزاك اللّه! إنّ الكلام معك لفضيحة.

[من شعر سعيد بن محمد المروانى]

و قال سعيد بن محمد المروانى، و قد هجره المنصور بن أبى عامر مدّة لكلام بلغه عنه، فدخل و المجلس غاصّ، و أنشد: [السريع]

مولاى مولاى، أما آن أن تريحنى باللّه من هجركا

و كيف بالهجر و أنّى به و لم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار، و قام و عانقه، و عفا عنه، و خلع عليه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۸

و له: [الكامل]

و البدر فى جوّ السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزّورق

فتراه من تحت المحاق كأنما غرق الكثير و بعضه لم يغرق

و هو مأخوذ من قول ابن المعتز: [الكامل]

و انظر إليه كزورق من فضّة قد أثقلته حمولة من عنبر

[من شعر القاسم بن محمد المروانى و الأصم المروانى و أحمد المروانى]

و قال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر، و قد سجنه لقول صدر عنه: [الكامل]

ناشدتك اللّه العظيم و حقّه فى عبدك المتوسّل المتحرّم

بوسائل المدح المعاد نشيدها فى كلّ مجمع موكب أو موسم

لا تستبح منى حمى أرعاكه يا من يرى فى اللّه أحمى محتمى

و قال الأصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام: [البسيط]

السيف أصدق أنباء من الكتب

بقصيدة طويلة منها: [البسيط]

ما للعدا جنّة أوقى من الهرب أين المفرّ و خيل اللّه فى الطلب

و أين يذهب من فى رأس شاهقة إذا رمته سماء اللّه بالشّهب

و منها:

و طود طارق قد حلّ الإمام به كالطّور كان لموسى أيمن الرّتب

لو يعرف الطّود ما غشّاه من كرم لم يبسط النور فيه الكفّ للسّحب

و لو تيقّن بأسا حلّ ذروته لصار كالعين من خوف و من رهب

منه يعاود هذا الفتح ثانية أضعاف ما حدّثوا فى سالف الحقب

و يلبس الدين غضا ثوب عزّته كأنّ أيام بدر عنه لم تغب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۵۹

و قال فى نارنجة: [البسيط]

و بنت أيك دنا من لثمها قزح فصار منه على أرجائها أثر

يبدو لعينيك منها منظر عجب زبرجد و نضار صاغه المطر

كأنّ موسى نبىّ اللّه أقبسه نارا و جرّ عليها كفّه الخضر

و قال: [السريع]

و شادن قلت له صف لنا بستاننا هذا و نارنجنا

فقال لى بستانكم جنّة و من جنى النارنج نارا جنى

و قال فى زلبانى: [الكامل]

للّه سفّاح بدا لى مسحرا فأفاد علم الكيميا بيمينه

ذهّبت فضّة خدّه بلواحظى و كذاك تفعل ناره بعجينه

و قال، و قد نزل فى فندق لا يليق بمثله: [مخلع البسيط]

يا هذه لا تفنّدينى أن صرت فى منزل هجين

فليس قبح المحلّ ممّا يقدح فى منصبى و دينى

فالشمس علويّة و لكن تغرب فى حمأة و طين

و قال أحمد المروانى: [الوافر]

حلفت بمن رمى فأصاب قلبى و قلّبه على جمر الصدود

لقد أودى تذكّره بقلبى و لست أشكّ أنّ النفس تودى

فقيد و هو موجود بقلبى فواعجبا لموجود فقيد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۰

[من شعر الأصبغ القرشى و سليمان بن عبد الملك الأموى و أبى يزيد بن العاصى]

و قال الأصبغ القرشى يرثى ابن شهيد و هو من أصحابه: [الطويل]

نأى من به كان السرور مواصلا و أسلم قلبى للصّبابة و الفكر

و منها:

لعمرك ما يجدى النعيم إذا نأت وجوههم عنى و لا فسحة العمر

و قال سليمان بن عبد الملك الأموى: [الوافر]

و ذى جدل أطال القول منه بلا معنى و قد خفى الصواب

فقلت أجيبه فازداد ردا فقلت له قد ازدحم الجواب

و لم أر غير صمتى من مريح إذا ما لم يفد فيه الخطاب

و قال أبو يزيد بن العاصى: [الخفيف]

عابه الحاسد الذى لام فيه أن رأى فوق خدّه جدريّا

إنما وجهه هلال تمام جعلوا برقعا عليه الثّريّا

و له: [الطويل]

إذا شئت أن يصفو صديقك فاطّرح نزاع الذى يبديه فى الهزل و الجدّ

و إن كنت من أخلاقه فى جهنّم فأنزله من مثواك فى جنّة الخلد

إلى أن يتيح اللّه من لطف صنعه فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

و ليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم اللّه تعالى!.

[من شعر أبى الحجاج المنصفى]

و لنرجع إلى أهل الأندلس جملة، فنقول:

أمر أبو الحجاج المنصفى أن يكتب على قبره: [السريع]

قالت لى النّفس أتاك الرّدى و أنت فى بحر الخطايا مقيم

هلا ادّخرت الزاد قلت اقصرى لا يحمل الزاد لدار الكريم

و قد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۱

[بين ابن مرج الكحل و طبيب]

و قال ابن مرج الكحل: اجتمعنا فى حانوت بعض الأطباء بإشبيلية فأضجرناه بكثرة جلوسنا عنده، و تعذّرت المنفعة عليه من أجلنا، فأنشدنا: [مجزوء الرمل]

خفّفوا عنّا قليلا ربّ ضيق فى براح

هل شكوتم من سقام أو جلسنا للصحاح؟

فأضفت إليهما ثالثا، و أنشدته إياه على سبيل المداعبة: [مجزوء الرمل]

إن أتيتم ففرادى ذاك حكم المستراح

[من شعر أبى محمد غانم بن وليد و أبى جعفر اللمائى و أبى عامر بن نيق]

و دخل أبو محمد غانم بن وليد مجلس باديس بن حبوس، فوسّع له على ضيق كان فيه، فقال: [البسيط]

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبّين

و لا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلّما تسع الدنيا بغيضين

و دخل على أبى جعفر اللمائى بعض أصحابه عائدا فى علّته التى مات فيها، و جعل يروّح عليه بمروحة، فقال أبو جعفر على البديهة: [المنسرح]

روّحنى عائدى فقلت له لا لا تزدنى على الذى أجد

أما ترى النار و هى خامدة عند هبوب الرياح تتّقد

و قال الأعلم: ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة: [المتقارب]

دعاك خليلك و اليوم طل و عارض وجه الثّرى قد بقل

لقدرين فاحا و شمّامة و إبريق راح و نعم المحل

و لو شاء زاد و لكنه يلام الصديق إذا ما احتفل

و قال أبو عامر بن ينّق الشاطبى: [البسيط]

ما أحسن العيش لو أنّ الفتى أبدا كالبدر يرجو تماما بعد نقصان

إذ لا سبيل إلى تخليد مأثرة إذ لا سبيل إلى تخليد جثمان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۲

[من شعر أبى الحسن اللورقى و أبى عيسى بن لبون و أبى عامر بن الحمارة و أبى العباس بن السعود]

و قال أبو الحسن اللورقى: [مجزوء الكامل]

عجبا لمن طلب المحا مد و هو يمنع ما لديه

و لباسط آماله للغير لم يبسط يديه

لم لا أحبّ الضّيف أو أرتاح من طرب إليه

و الضّيف يأكل رزقه عندى و يحمدنى عليه

و قال أبو عيسى بن لبّون، و هو من قواد المأمون بن ذى النون: [البسيط]

نفضت كفّى من الدنيا و قلت لها إليك عنى فما فى الحقّ أغتبن

من كسر بيتى لى روض و من كتبى جليس صدق على الأسرار مؤتمن

أدرى به ما جرى فى الدهر من خبر فعنده الحقّ مسطور و مختزن

و ما مصابى سوى موتى و يدفننى قوم و مالهم علم بمن دفنوا

و قال أبو عامر بن الحمارة: [الطويل]

و لى صاحب أحنو عليه و إنه ليوجعنى حينا فلا أتوجّع

أقيم مكانى ما جفانى و ربما يسائلنى الرّجعى فلا أتمنّع

كأنى فى كفّيه غصن أراكة تميل على حكم النسيم و ترجع

و قال أبو العباس بن السعود [البسيط]

تبّا لقلب عن الأحباب منصرف يهوى أحبّته ما خالس النظرا

مثل السّجنجل فيه الشخص تبصره حتى إذا غاب لم يترك به أثرا

[من شعر الحكم بن علندة و القاضى أبى موسى بن عمران و أبى بكر بن الجزار السرقسطى]

و مرض أبو الحكم بن غلندة، فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السنّ، فوفّاه من برّه ما أوجب تغيّرهم، ففطن لذلك و أنشد ارتجالا: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۳

تكثّر من الإخوان للدهر عدّة فكثرة درّ العقد من شرف العقد

و عظّم صغير القوم و ابدأ بحقّه فمن خنصرى كفّيك تبدأ بالعقد

ثم نظر إليهم و أنشدهم ارتجالا قوله: [البسيط]

مغيث أيوب و الكافى لذى النون يحلّنى فرجا بالكاف و النون

كم كربة من كروب الدّهر فرّجها عنى و لم ينكشف وجهى لمن دونى

و قال القاضى أبو موسى بن عمران: [مجزوء الكامل]

ما للتجارب من مدى و المرء منها فى ازدياد

قد كنت أحسب ذا العلا من حاز علما و استفاد

فإذا الفقيه بغير ما ل كالخيام بلا عماد

شرف الفتى بنضاره إنّ الفقير أخو الجماد

ما العلم إلّا جوهر قد بيع فى سوق الكساد

و قال أبو بكر بن الجزار السّرقسطى: [الكامل]

إيّاك من زلل اللسان فإنما عقل الفتى فى لفظه المسموع

و المرء يختبر الإناء بنقره ليرى الصحيح به من المصدوع

و قال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد: تناول بعض أصحابنا نرجسة، فركّبها فى وردة، ثم دفعها إلىّ و إلى صاعد، و قال: قولا، فأبهمت دوننا أبواب القول، فدخل الدميرى، و كان أمّيا لا يذكر من الكلام إلّا ما علق بنفسه فى المجالس، و ينفذ مع هذا فى المطوّلات من الأشعار، فأشعر بأمرنا، فجعل يقول دون روية: [السريع]

ما للأديبين قد اعيتهما مليحة من ملح الجنّة

نرجسة فى وردة ركّبت كمقلة تطرف فى وجنه

[من شعر أبى محمد بن حزم و ابن صارة و أبى القاسم بن العطار]

و قال أبو محمد بن حزم فى «طوق الحمامة»: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۴

خلوت بها و الراح ثالثة لنا و جنح ظلام الليل قد مدّ و اعتلج

فتاة عدمت العيش إلّا بقربها فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج

كأنى و هى و الكأس و الخمر و الدّجا حيا و ثرى و الدّرّ و التبر و السبج

قال: و هذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها إذ تضيق الأعاريض عنه.

قال أبو عامر بن مسلمة: و لا أذكر مثلها إلّا قول بعض: [البسيط]

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا و عضّت على العنّاب بالبرد

إلّا أنه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم، بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات.

قال: و من أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الأكشونى الأندلسى يصف فرسا وردا أغرّ محجّلا: [الكامل]

فكأن غرّته و تحجيلاته خمس من السّوسان وسط شقائق

قال: و هذا على التحقيق ستة على ستة، و لم أسمع بمثله لأحد.

قال ابن الجلاب: و كلام أبى عامر هذا لا يخلو من النقد.

و قال ابن صارة: [السريع]

انظر إلى البدر و إشراقه على غدير موجه يزهر

كمشحذ من حجر أخضر خطّ عليه ذهب أحمر

و قال أبو القاسم بن العطار الإشبيلى: [الطويل]

ركبنا سماء النّهر و الجوّ مشرق و ليس لنا إلّا الحباب نجوم

و قد ألبسته الأيك برد ظلالها و للشمس فى تلك البرود رقوم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۵

[من شعر سهل بن مالك و ابن صارة و صفوان بن إدريس و أبى جعفر بن وضاح]

و قال ابن صارة: [الكامل]

و النّهر قد رقّت غلالة صبغه و عليه من ذهب الأصيل طراز

تترقرق الأمواج فيه كأنها عكن الخصور تضمّها الأعجاز

و قال سهل بن مالك: [البسيط]

و ربّ يوم وردنا فيه كلّ منى و قلّ فى مثل ذاك اليوم أن نردا

فى روضتين بشطّى سلسل شبم كما اجتليت من المحبوب مفتقدا

يبدّد القطر فى أثنائه حلقا فتنظم منها فوقه زردا

و قال ابن صارة: [الخفيف]

انظر النهر فى رداء عروس صبغته بزعفران العشىّ

ثم لمّا هبّ النسيم عليه هزّ عطفيه فى دلاص الكمىّ

و لبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الخباء و تمزّقه الريح أحيانا: [الكامل]

و مطنّب للماء ما أوتاده إلّا نتائج فكر طبّ حاذق

لعبت به أيدى الصبا فكأنها أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

و قال صفوان بن إدريس يصف تفاحة فى ماء:

و لم أر فيما تشتهى العين منظرا كتفاحة فى بركة بقرار

يفيض عليها ماؤها فكأنها بقيّة خدّ فى اخضرار عذار

و قال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب: [الطويل]

و باكية و الروض يضحك كلّما ألحّت عليه بالدموع السواجم

يروقك منها إن تأمّلت نحوها زئير أسود و التفاف أراقم

تخلّص من ماء الغدير سبائكا فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۶

[من شعر الوزير ابن عمار و أبى الحسن بن سعد الخير و ابن أبى الخصال]

و قال الوزير بن عمار: [الكامل]

يوم تكاثف غيمه فكأنّه دون السماء دخان عود أخضر

و الطّلّ مثل برادة من فضّة منثورة فى تربة من عنبر

و الشمس أحيانا تلوح كأنها أمة تعرّض نفسها للمشترى

و قال أبو الحسن بن سعد الخير: [الكامل]

للّه دولاب يفيض بسلسل فى روضة قد أينعت أفنانا

قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها و يرجّع الألحانا

فكأنه دنف يدور بمعهد يبكى و يسأل فيه عمّن بانا

ضاقت مجارى طرفه عن دمعه فتفتّحت أضلاعه أجفانا

و قال ابن أبى الخصال: [الطويل]

و ورد جنىّ طالعتنا خدوده ببشر و نشر يبعثان على السكر

و حفّ ترنجان به فكأنه خدود العذارى فى مقانعها الخضر

[من شعر ابن صارة و الخفاجى و ابن وضاح]

و قال ابن صارة: [البسيط]

يا ربّ نارنجة يلهو النديم بها كأنها كرة من أحمر الذهب

أو جذوة حملتها كفّ قابسها لكنها جذوة معدومة اللهب

و قال الخفاجى: [الطويل]

و ميّاسة تزهو و قد خلع الحيا عليها حلى حمرا و أردية خضرا

يذوب بها ريق الغمامة فضّة و يجمد فى أعطافها ذهبا نضرا

و قال ابن صارة أيضا: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۷

و نارنجة لم يدع حسنها لعينى فى غيرها مذهبا

فطورا أرى لهبا مضرما و طورا أرى شفقا مذهبا

و قال ابن وضاح فى السرو: [الطويل]

أيا سرو، لا يعطش منابتك الحيا و لا يدعن أعطافك الخضل النضر

فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما تلفّ على الخطّىّ راياته الخضر

[من شعر ابى اسحاق خولانى و ابن الابار و حازم]

و قال أبو إسحاق الخولانى: [مخلع البسيط]

نيلوفر شكله كشكلى يعوم فى أبحر الدموع

قد ألبست عطفه دروعا خوذ لريح الصّبا شموع

يلوح إذ لونه كلونى من فوق فضفاضة هموع

مثل مسامير مذهبات فى حلقات من الدروع

و قال ابن الأبّار: [البسيط]

و سوسنات أرت من حسنها بدعا و لم يزل عصر مولانا يرى بدعه

شبيهة بالثّريّا فى تألّفها و فى تألّقها تلتاح ملتمعه

هامت بيمناه تبغى أن تقبّلها و استشرفت تجتلى مرآه مطّلعه

ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا على البدار فوافت و هى مجتمعه

و رفع هذه الأبيات إلى الأمير أبى يحيى زكريا.

و قال حازم: [البسيط]

لا نور يعدل نور اللوز فى أنق و بهجة عند ذى عدل و إنصاف

نظام زهر يظلّ الدّرّ منتثرا عليه من كلّ هامى القطر وكّاف

بينا ترى و هى أصداف لدّرّ حيا بيض غدت دررا فى خضر أصداف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۸

[من شعر ابن سعد الخير و ابن نزار الوادى آشى و بعضهم فى القراسيا و بعضهم يصف معاهد أنسه]

و قال ابن سعد الخير فى رمّانة: [المتقارب]

و ساكنة فى ظلال الغصون بروض يروقك أفنانه

تضاحكك أترابها فيه إذ غدا الجوّ تدمع أجفانه

كما فتح الليث فاه و قد تضرّج بالدم أسنانه

و قال ابن نزار الوادى آشى: [الطويل]

و رمانة قد فضّ عنها ختامها حبيب أعار البدر بعض صفاته

فكسّر منها نهد عذراء كاعب و ناولنى منها شبيه لداته

و قال بعضهم فى القراسيا، و يقال له بالمغرب «حبّ الملوك»: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۳۶۸

و دوح تهدّل أشطانه رعى الدهر من حسنه ما اشتهى

فما احمرّ منه فصوص العقيق و ما اسودّ منه عيون المها

و قال بعضهم: [الوافر]

و أين معاهد للحسن فيها و للأنس التقاء البهجتين

و للأوتار و الأطيار فيها لدى الأسحار أطرب ساجعين

فكم بدر تجلّى من رباها و من بطحائها فى مطلعين

و أغيد يرتعى من تلعتيها و من ثمر القلوب بمرتعين

إذا أهوى لسوسنة يمينا عجبت من التقاء السوسنين

و كم يوم توشّح من سناه و من زهراتها فى حلتين
و راح أصيله ما بين نهر و دولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه سحائب من ظلال الدوحتين
تدرّع للنّواسم حين هزّت عليه كلّ غصن كالرّدينى
ملاعب فى غرامى عند ذكرى صباه و غصنه المتلاعبين
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۶۹

[من شعر الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء]

و قال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء: [السريع]
يا حرقة البين كويت الحشا حتى أذبت القلب فى أضلعه
أذكيت فيه النار حتى غدا ينساب ذاك الذّوب من مدمعه
يا سؤل هذا القلب حتى متى يؤسى برشف الريق من منبعه
فإنّ فى الشهد شفاء الورى لا سيما إن مصّ من مكرعه
و اللّه يدنى منكم عاجلا و يبلغ القلب إلى مطمعه

[كتاب شذور الذهب لعلى بن موسى]

و لو لم يكن للأندلسيين غير كتاب «شذور الذهب» لكفاهم دليلا على البلاغة، و مؤلّفه هو على بن موسى بن على بن محمد بن خلف أبو الحسن الأنصارى، الجيّانى، نزيل فاس، و ولى خطابتها، و لم ينظم أحد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان و فصاحة ألفاظ، و عذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: إن لم يعلّمك صناعة الذهب علّمك الأدب. و فى عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه، لم يفتك أدبه. و قيل فيه: إنه شاعر الحكماء، و حكيم الشعراء. و توفى رحمه اللّه تعالى سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة.

[مثل من سرعة بديهة الأندلسيين]

و لنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الأندلس، و إن مرّت من ذلك جملة، و ستأتى أيضا زيادة على الجميع، فنقول:
قال فى «بدائع البداءة» ما صورته: روى عبد الجبار بن حمديس الصقلى قال: صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر لنا نزهة بوادى إشبيلية، فأقمنا فيه يومنا، فلما دنت الشمس للغروب هبّ نسيم ضعيف غضّن وجه الماء، فقلت للجماعة: أجيزوا: [الرمل]
حاكت الريح من الماء زرد
فأجازه كلّ منهم بما تيسّر له، فقال له أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد؟ فأعدت القسيم له، فقال:
أىّ درع لقتال لو جمد
و قد ذكرنا فى هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع فى محلّه.
ثم قال صاحب «بدائع البداءة» بعد ما سبق ما صورته: و قد نقله ابن حمديس إلى غير هذا الوصف، فقال: [الرمل]
نثر الجوّ على الترب برد أىّ درّ لنحور لو جمد
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۰

فتناقض المعنى بـذكر البرد، و قوله «لو جمـد» إذ ليس البرد إلّا ما جمـده البرد، اللهمّ إلّا أن يريد بقوله «لو جمد» دام جموده، فيصحّ، و ينعقد عن التحقيق.

و مثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوّارة: [الكامل]

و لربّما سلّت لنا من مائها سيفا و كان عن النواظر مغمدا

طبعته لجيّا فزانت صفحة منه و لو جمدت لكان مهنّدا

و قد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا: [الطويل]

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا و لو جمدت أنهاره كنّ بلّورا

و هذا المعنى مأخوذ من قول على التونسى الإيادى من قصيدته الطائية المشهورة: [البسيط]

أ لؤلؤ قطر هذا الجوّ أم نقط؟ ما كان أحسنه لو كان يلتقط

و هذا المعنى كثير للقدماء، قال ابن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى: [الرجز]

لو أنه يبقى على الدهور قرّط آذان الحسان الحور

[بين المعتمد بن عباد و ابن جاخ الصباغ و بين الوزير ابن عمار و ابن جاخ الصباغ]

قال على بن ظافر: و أخبرنى من أثق به قال: ركب المعتمـد على اللّه أبو القاسم ابن عبّاد للنزهـة بظاهر إشبيلية فى جماعة من ندمائه، و خواصّ شـعرائه، فلمّا أبعـد أخذ فى المسابقة بالخيول، فجاء فرسه بين البساتين سابقا، فرأى شـجرة تين قد أينعت و زهت و برزت منها ثمرة قد بلغت و انتهت، فسدّد إليها عصا كانت فى يده فأصابها، و ثبتت على أعلاها، فأطربه ما رأى من حسنها و ثباتها، و التفت ليخبر به من لحقه من أصحابه، فرأى ابن جاخ الصباغ أول من لحق به فقال: أجز: [مجزوء الرجز]

كأنها فوق العصا

فقال:

هامة زنجيّ عصى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۱

فزاد طربه و سروره بحسن ارتجاله، و أمر له بجائزة سنيّة.

قال على بن ظافر: و أخبرنى أيضا أنّ سـبب اشـتهار ابن جاخ هذا أنّ الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الأندلس، لا يسـتقرّ ببلدة، و لا يسـتفزّه عن وطره وطن، و كان كثير التطلّب لما يصدر عن أرباب المهن، من الأدب الحسن، فبلغه خبر ابن جاخ هذا قبل اشـتهاره، فمرّ على حانوته و هو آخذ فى صـناعة صـباغته، و النيل قد جرّ على يديه ذيلا، و أعاد نهارهما ليلا، فأراد أن يعلم سرعة خاطره، فأخرج زنده و يده بيضاء من غير سوء، و أشار إلى يده، و قال: [المجتث]

كم بين زند و زند؟

فقال:

ما بين وصل و صدّ

فعجب من حسن ارتجاله، و مبادرة العمل و استعجاله، و جذب بضبعه، و بلغ من الإحسان إليه غاية وسعه.

[بين الوزير ابن عمار و يحيى القصاب]

و بلغنى أيضا أنه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصّاب السرقسطى، فمرّ عليه، و لحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم، و قال: [المنسرح]

لحم سباط الخرفان مهزول

فقال:

يقول للمفلسين مه زولوا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۲

[بين المتوكل و ابن عبدون و بين ابن الغليظ و ابن السراج]

و لمّا صنع المتوكل على اللّه بن الأفطس صاحب بطليوس هذا القسيم: [المجتث]

الشّعر خطّة خسف

أرتج عليه، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أوّلها:

[البسيط]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

و قد تكرّر ذكره فى هذا الكتاب، و هو أحد وزراء دولته، و خواصّ حضرته، فاستجازه إيّاه، فقال: [المجتث]

لكلّ طالب عرف

للشيخ عيبة عيب و للفتى ظرف ظرف

و ذكر ابن بسّام فى الذخيرة أنّ قائل القسيم الأوّل الأستاذ أبو الوليد بن ضابط، و أنّ عبد المجيد أجازه ارتجالا، و هو ابن ثلاث عشرة سنة، و قد ذكرنا ما يقرب من ذلك فى هذا الكتاب.

و قال ابن الغليظ المالقى: قلت يوما للأديب أبى عبد اللّه بن السراج المالقى، و نحن على جرية ماء: أجز: [الطويل]

شربنا على ماء كأنّ خريره

فقال بديها:

بكاء محبّ بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بإلفه فإنى مشغوف به و كئيب

[بين ابن عبادة و ابن القابلة]

و ذكر ابن بسّام فى الذخيرة أنه اجتمع ابن عبادة و ابن القابلة السبتى بألمرية، فنظر إلى و سيم يسبح فى البحر، و قد تعلّق بسكّان بعض المراكب، فقال ابن عبادة: أجز: [السريع]

انظر إلى البدر الذى لاح لك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۳

فقال ابن القابلة: [السريع]

فى وسط اللجّة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له و اتّخذ الفلك مكان الفلك

[بين ابن شهيد و أبى جعفر وزير الصقلبى]

و قال أبو عامر بن شهيد: لمّا قدم زهير الصقلبى إلى حضرة قرطبة من المرية وجّه وزيره أبو جعفر ابن عباس إلى لمّة من أصحابنا منهم ابن برد و أبو بكر المروانى و ابن الحناط و الطبنى، فحضروا إليه، فسألهم عنّى، و قال: وجّهوا إليه، فوافانى رسوله مع دابة بسرج محلّى ثقيل، فسرت إليه، و دخلت المجلس، و أبو جعفر غائب، فتحرّك المجلس لدخولى، و قاموا جميعا لى، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله، و هو يترنّم، فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال، فردّ ردا لطيفا، فعلمت أنّ فى أنفه نعرة لا تخرج إلّا بسعوط الكلام، و لا تراض إلّا بمستحصد النظام، و رأيت أصحابى يصيخون إلى ترنّمه.

فقال لى ابن الحناط، و كان كثير الإنحاء علىّ، جالبا فى المحافل ما يسوء إلىّ: إنّ الوزير حضره قسيم، و هو يسألنا إجازته، فعلمت أنى المراد، فاستنشدته، فأنشد: [الكامل]

مرض الجفون و لثغة فى المنطق

فقلت لمن حضر: لا تجهدوا أنفسكم، فما المراد غيرى، ثم أخذت الدواة فكتبت:

[الكامل]

سبان جرّا عشق من لم يعشق

من لى بألثغ لا يزال حديثه يذكى على الأحشاء جمرة محرق

ينبى فينبو فى الكلام لسانه فكأنه من خمر عينيه سقى

لا ينعش الألفاظ من عثراتها و لو انها كتبت له فى مهرق

ثم قمت عنهم، فلم ألبث أن وردوا علىّ، و أخبرونى أنّ أبا جعفر لم ترض بما جئت

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۴

به من البديهة، و سألونى أن أحمل مكاوى الهجاء على حتاره، فقلت: [المتقارب]

أبو جعفر كاتب محسن مليح سنا الخطّ حلو الخطابه

تملّأ شحما و لحما و ما يليق تملّؤه بالكتابه

له عرق ليس ماء الحياء و لكنه رشح ماء الجنابه

جرى الماء فى سفله جرى لين فأحدث فى العلو منه صلابه

[بين ابن عباد و ابنه الرشيد و بين الفقيه على بن القاسم و جماعة من أصحابه]

و ذكر الوزير أبو بكر بن اللبّانة الدانى فى كتابه «سقيط الدرر، و لقيط الزهر» أنّ المعتمد بن عباد صنع قسيما فى القبّة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى، و هو: [الكامل]

سعد السعود يتيه فوق الزاهى

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا، فصنع ولده عبد اللّه الرشيد: [الكامل]

و كلاهما فى حسنه متناهى

و من اغتدى سكنا لمثل محمد قد جلّ فى العليا عن الأشباه

لا زال يبلغ فيهما ما شاءه و دهت عداه من الخطوب دواهى

و خرج القاضى الفقيه أبو الحسن على بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الأوسط فى جماعة من أصحابه منهم محمد

بن عيسى بن سوار الأشبونى و رجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح، ثقيل الجسم، فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم، فصنع القاضى أبو الحسن معاتبا له: [السريع]

و شاعر أثقل من جسمه

ثم استجاز ابن سوار، فقال:

تأتى معانيه على حكمه

يهجو فلا يهجى فهل عندكم ظلامة تعدى على ظلمه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۵

لسانه فى هجوه حيّة منيّة الحيّة فى سمّه

يصيب سرّ المرء فى رميه كأنما العالم فى علمه

أمّا أبو موسى ففى كفّه عصا ابنه و السحر فى نظمه

[بين الأمير عبد الرحمن و عبد اللّه بن الشمر و بين الأمير عبد الرحمن و محمد بن سعيد الزجالى]

و فى «المقتبس، فى تاريخ الأندلس» أن الأمير عبد الرحمن خرج فى بعض أسفاره فطرقه خيار جاريته طروب أمّ ولده عبد اللّه، و كانت أعظم حظاياه عنده، و أرفعهنّ لديه، لا يزال كلفا بها، هائما بحبّها، فانتبه و هو يقول: [السريع]

شاقك من قرطبة السارى فى الليل لم يدر به الدارى

ثم أنبه عبد اللّه بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت، فقال: [السريع]

زار فحيّا فى ظلام الدّجى أحبب به من زائر سارى

و صنع الأمير عبد الرحمن المذكور فى بعض غزواته قسيما، و هو: [الطويل]

نرى الشىء ممّا يتّقى فنهابه

ثم أرتج عليه، و كان عبد اللّه بن الشمر نديمه و شاعره غائبا عن حضرته، فأراد من يجيزه، فأحضر بعض قوّاده محمد بن سعيد الزجالى، و كان يكتب له، فأنشده القسيم، فقال:

[الطويل]

و ما لا نرى ممّا يقى اللّه أكثر

فاستحسنه و أجازه، و حمله استحسانه على أن استوزره.

و ذكر ابن بسّام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال و هلال من ذهب، فصيغا، فجاء و زنهما سبعمائة مثقال، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد، و الهلال إلى ابنه الرشيد، فوقع له إلى أن قال: [الوافر]

بعثنا بالغزال إلى الغزال و للشمس المنيرة بالهلال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۶

[بين ابن عباد و ابن المرزبان]

ثم أصبح مصطبحا، و جاء الرشيد فدخل عليه، و جاء الندماء و الجلساء، و فيهم أبو القاسم بن المرزقان فحكى لهم المعتمد البيت، و أمرهم بإجازته، فبدر ابن المرزبان فقال: [الوافر]

فذا سكنى أبوّئه فؤادى و ذا نجلى أقلّده المعالى

شغلت بذا الطلا خلدى و نفسى و لكنى بذاك رخىّ بال

دفعت إلى يديه زمام ملكى محلّى بالصوارم و العوالى

فقام يقرّ عينى فى مضاء و يسلك مسلكى فى كلّ حال

فدمنا للعلاء و دام فينا فإنا للسماح و للنزال

[ابن الصيرفى يزيد على بيت لابن السمط]

و لما أنشد أبو القاسم ابن الصير فى قول عبد اللّه بن السمط: [مجزوء الخفيف]

حار طرف تأمّلك ملك أنت أم ملك

قال بديها: [مجزوء الخفيف]

بل تعاليت رتبة فلك الأرض و الفلك

[فى حضرة العالى بالله الإدريسى]

و ذكر ابن بسام فى الذخيرة أنه غنّى يوما بين يدى العالى بالله الإدريسى بمالقة بيت لعبد اللّه بن المعتز: [المديد]

هل ترين البين يحتال أن غدت للحى أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى بإجازته، فقال بديها: [المديد]

إنما العالى إمام هدى حليت فى عصره الحال

ملك أقيال دولته لذوى الأفهام إقبال

قل لمن أكدت مطالبه راحتاه الجاه و المال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۷

[فى حضرة عبد الرحمن بن الحكم و فى حضرة المعتمد بن عباد]

و غنّى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الأمير عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين، و هما لأبى العتاهية: [الكامل]

قالت ظلوم سميّة الظّلم مالى رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبى فأقصده أنت الخبير بموقع السّهم

فقال عبد الرحمن: هذان البيان منقطعان، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع، فصنع عبيد اللّه بن فرناس بديها: [الكامل]

فأجبتها و الدمع منحدر مثل الجمان وهى من النّظم

فاستحسنه، و أمر له بجائزة.

و ذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنّى بين يديه بقول ابن المعتز: [المتقارب]

و خمّارة من بنات المجوس ترى الزقّ فى بيتها شائلا

و زنّا لها ذهبا جامدا فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه: [المتقارب]

و قلت خذى جوهرا ثابتا فقالت خذوا عرضا زائلا

[بين المعتمد و الوزير ابن عمار و بين المعتمد بن عباد و ابن حمديس الصقلى]

و ركب المعتمد فى بعض الأيام قاصدا الجامع، و الوزير أبو بكر بن عمار يسايره، فسمع أذان مؤذن، فقال المعتمد: [الكامل]

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار:

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد:

طوبى له من شاهد بحقيقة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۸

فقال ابن عمار:

إن كان عقد ضميره كلسانه

و قال عبد الجبار بن حمديس الصقلى: أقمت بإشبيلية لمّا قدمتها على المعتمد بن عباد مدّة لا يلتفت إلىّ و لا يعبأ بى، حتى قنطت لخيبتى مع فرط تعبى، و هممت بالنكوص على عقبى، فإنى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى إذا بغلام معه شمعة و مركوب، فقال لى:

أجب السلطان، فركبت من فورى، و دخلت عليه، فأجلسنى على مرتبة فنك، و قال لى: افتح الطاق التى تليك، ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد، و النار تلوح من بابيه، و واقدة تفتحهما تارة و تسدّهما أخرى، ثم دام سدّ أحدهما و فتح الآخر، فحين تأمّلتهما قال لى: أجز: [المنسرح]

انظرهما فى الظلام قد نجما

فقلت:

كما رنا فى الدّجنّة الأسد

فقال:

يفتح عينيه ثمّ يطبقها

فقلت:

فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال:

فابتزّه الدهر نور واحدة

فقلت:

و هل نجا من صروفه أحد؟

فاستحسن ذلك، و أمر لى بجائزة سنيّة، و ألزمنى خدمته.

[بين عبد الرحمن الناصر و جماعة من خواصه]

و قد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب، و لكن ما هنا أتمّ مساقا فلذلك نبّهت عليه.

و ذكر صاحب «فرحة الأنفس، فى أخبار أهل الأندلس» أنّ أمير المؤمنين عبد الرحمن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۷۹

الناصر جلس فى جماعة من خواصه و معهم أبو القاسم لب، و كان يعدّه للمجون و التطايب، فقال له: اهج عبد الملك بن جهور، يعنى أحد وزرائه، فقال: أخافه، فقال لعبد الملك:

فاهجه أنت، فقال: أخاف على عرضى منه، فقال: أهجوه أنا و أنت، ثم صنع: [السريع]

لبّ أبو القاسم ذو لحية طويلة أزرى بها الطول

فقال عبد الملك: [السريع]

و عرضها ميلان إن كسّرت و العقل مأفون و مخبول

فقال الناصر للبّ: اهجه فقد هجاك، فقال بديها: [السريع]

قال أمين اللّه فى عصرنا لى لحية أزرى بها الطول

و ابن جهير قال قول الذى مأكله القرضيل و الفول

لو لا حيائى من إمام الهدى نخست بالمنخس شو...

ثم سكت، فقال له الناصر: هات تمام البيت، فامتنع، فقال له «قولو» تمام البيت، كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفّظ من زيادة الواو و إبدال الهاء واوا، إذ صوابها «قله» على حكم المشى مع الطبع و الراحة من التكلّف، فقال لب: يا مولانا، أنت هجوته، ففطن الناصر و الحاضرون، و ضحكوا، و أمر له بجائزة.

و القرضيل: شوك له ورق عريض تأكله البقر، و قوله «شو» اسم لذكر الرجل بالرومية، و «قولو» اسم للاست بها، فكأنه قال: لو لا حيائى من إمام الهدى نخست بالمنخس- الذى هو الذّكر- استه.

[بين ابن صارة و ابن القبطرنة]

و قال ابن ظافر: أخبرنى من أثق به قال: اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة و الأستاذ أبو العباس ابن صارة فى يوم جلا ذهب برقه، و أذاب ورق ودقه، و الأرض قد ضحكت لتعبيس السماء، و اهتزّت و ربت عند نزول الماء، فترافدا فى صفتها، فقال ابن صارة: [الكامل]

هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع و حليها النوّار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۰

فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

و كأنّ هذا الجوّ فيها عاشق قد شفّه التعذيب و الإضرار

فقال ابن صارة: [الكامل]

فإذا شكا فالبرق قلب خافق و إذا بكى فدموعه الأمطار

فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

فمن اجل عزّة ذا و ذلّة هذه تبكى الغمام و تضحك الأزهار

[بين أبى بكر بن الزبيدى و أبى الحسن المصحفى و من شعر أبى بكر بن الزبيدى]

و قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى النحوى صاحب الشّرطة يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفى لمّا كتب كتابا له فيه «فاضت نفسه» بالضاد- مبينا له الخطأ دون تصريح: [المنسرح]

قل للوزير السنىّ محتده لى ذمّة منك أنت حافظها

عناية بالعلوم معجزة قد بهظ الأوّلين باهظها

يقرّ لى عمرها و معمرها فيها و نظّامها و جاحظها

قد كان حقا قبول حرمتها لكنّ صرف الزمان لافظها

و فى خطوب الزمان لى عظة لو كان يثنى النفوس واعظها

إن لم تحافظ عصابة نسبت إليك قدما فمن يحافظها

لا تدعن حاجتى بمطرحة فإنّ نفسى قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفىّ: [المنسرح]

خفّض فواقا فأنت أوحدها علما و نقّابها و حافظها

كيف تضيع العلوم فى بلد أبناؤها كلّهم يحافظها

ألفاظهم كلّها معطّلة ما لم يعوّل عليك لافظها

من ذا يساويك إن نطقت و قد أقرّ بالعجز عنك جاحظها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۱

علم ثنى العالمين عنك كما ثنى عن الشمس من يلاحظها

و قد أتتنى فديت شاغلة للنفس أن قلت فاظ فائظها

فأوضحنها تفز بنادرة قد بهظ الأوّلين باهظها

فأجابه الزبيدى، و ضمّن شعره الشاهد على ذلك: [الطويل]

أتانى كتاب من كريم مكرّم فنفّس عن نفس تكاد تفيظ

فسرّ جميع الأولياء وروده وسىء رجال آخرون و غيظوا

لقد حفظ العهد الذى قد أضاعه لدىّ سواه و الكريم حفيظ

و باحثت عن فاظت و قبلى قالها رجال لديهم فى العلوم حظوظ

روى ذاك عن كيسان سهل و أنشدوا مقال أبى الغياظ و هو مغيظ

و سميت غياظا و لست بغائظ عدوّا و لكن للصديق تغيظ

فلا رحم الرحمن روحك حيّة و لا هى فى الأرواح حين تفيظ

قلت: و فى خطاب الوزير بهذا البيت و إن حكى عن قائله ما لا يخفى أن اجتنابه المطلوب، على أنه قد يقال «فاضت نفسه» بالضاد، كما ذكره ابن السكيت فى خلل «الألفاظ» له، و اللّه أعلم.

و كتب الزبيدى المذكور إلى أبى مسلم بن فهد: [الطويل]

أبا مسلم، إنّ الفتى بجنابه و مقوله، لا بالمراكب و اللبس

و ليست ثياب المرء تغنى قلامة إذا كان مقصورا على قصر النفس

و ليس يفيد العلم و الحلم و الحجا أبا مسلم طول القعود على الكرسى

و قال، و قد استأذن الحكم المستنصر فى الرجوع إلى أهله بإشبيلية و لم يأذن له، فكتب إلى جاريته سلمى: [مخلع البسيط]

و يحك يا سلم، لا تراعى لا بدّ للبين من زماع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۲

لا تحسبينى صبرت إلّا كصبر ميت على النّزاع

ما خلق اللّه من عذاب أشدّ من وقفة الوداع

ما بينها و الحمام فرق لو لا المناحات و النواعى

إن يفترق شملنا و شيكا من بعد ما كان ذا اجتماع

فكلّ شمل إلى افتراق و كلّ شعب إلى انصداع

و كلّ قرب إلى بعاد و كلّ وصل إلى انقطاع

[بين سهل بن مالك و جماعة من الأدباء]

و اجتمع جماعة من الأدباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك و المهر بن الفرس و غيرهما بمدينة سبتة سنة ۵۸۱، فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم، فقالوا: ليقل كلّ واحد منكم شيئا فيه، فقال سهل بن مالك: [الكامل]

لمّا حططت بسبتة قتب النّوى و القلب يرجو أن يحوّل حاله

و الجوّ مصقول الأديم كأنما يبدى الخفىّ من الأمور صقاله

عاينت من بلد الجزيرة مكنسا و البحر يمنع أن يصاد غزاله

كالشكل فى المرآة تبصره و قد قربت مسافته و عزّ مناله

فقال الجماعة: و اللّه لا يقول أحد منا بعد هذا شيئا.

[بين ابن مطروح البلنسى و أبى الربيع الكلاعى]

و لمّا قرأ أبو محمد عبد اللّه بن مطروح البلنسى صداق إملاك، و غيّر فيه حال القراءة لفظة «غير» برفع ما كان منصوبا أو بالعكس، أنشد بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه: [مخلع البسيط]

غيرت غيرا فصرت عيرا و هكذا من يجدّ سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى، و كان إلى جانبه، بديهة: [مخلع البسيط]

ما أنت مما يظنّ فيه بذاك جهل فظنّ خيرا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۳

[بين ابن حمدون و الشلوبين]

و وقف أبو أمية بن حمدون بباب الأستاذ الشلوبين، فكتب فى ورقة «أبو أمية بالباب» و دفع الورقة لخادم الأستاذ، فلمّا نظر إليها الأستاذ نوّن تاء أمية، و لمن يزد على ذلك، و أمر الخادم بدفع الورقة إليه، فلمّا نظر فيها أبو أمية انصرف، علما منه أن الأستاذ صرفه، فانظر إلى فطنة الشيخ و التلميذ، مع أنّ الشيخ منسوب إلى التغفّل فى غير العلم.

[من عفو المعتصم بن صمادح و من شعر أبى عبد اللّه الرصافى]

و من حكايات أهل الأندلس فى العفو أنّ المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنّحلى البطليوسى، ثم إنّ النّحلى سار إلى إشبيلية، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه: [المتقارب]

أباد ابن عبّاد البربرا و أفنى ابن معن دجاج القرى

و نسى ما قاله، حتى حلّ بالمريّة، فأحضره ابن صمادح لمنادمته، و أحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج، فقال النّحلى: يا مولاى، ما عندكم فى المرية لحم غير الدجاج؟ فقال:

إنما أردنا أن نكذبك فى قولك:

و أفنى ابن معن دجاج القرى

فطار سكر النحلى، و جعل يعتذر، فقال له: خفّض عليك، إنما ينفق مثلك بمثل هذا، و إنما العتب على من سمعه فاحتمل منك فى حقّ من هو فى نصابه، ثم أحسن إليه، و خاف النّحلى، ففرّ من المرية، ثم ندم فكتب إلى المعتصم: [المتقارب]

رضا ابن صمادح فارقته فلم يرضنى بعده العالم

و كانت مريّته جنّة فجئت بما جاءه آدم

فما زال يتفقّده بالإحسان على بعد دياره، و خروجه عن اختياره، انتهى.

و قال فى بلنسية أبو عبد اللّه الرصافى، و قد خرج منها صغيرا: [الطويل]

بلادى التى ريشت قويدمتى بها فريخا و آوتنى قرارتها و كرا

مهادى و لين العيش فى ريّق الصّبا أبى اللّه أن أنسى اعتيادى بها خيرا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۴

[من شعر أبى بكر محمد بن يحيى الشلطيشى و أبى بكر بن العطار اليابسى و محمد بن الحسن الجيلى]

و قال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشى: [الوافر]

وفاة المرء سرّ لم يكاشف و لم تثبت حقيقته درايه

سيفنى كلّ ذى شبح و نفس و تلتحق النهاية بالبدايه

و ينصدع الجميع إلى صدوع تعود به البريّة كالبرايه

كأنّ مصائب الدنيا سهام لها الأيام أغراض الرمايه

فنل ما شئت إنّ الفقر بدء و عش ما شئت إنّ الموت غايه

و قال أبو بكر محمد بن العطار اليابسى، و هو من رجال الذخيرة: [البسيط]

أمطيت عزمك منه متن سابحة خلت الحباب على لبّاتها لببا

تبدو على الموج أحيانا و يضمرها كالعيس تعتسف الأهضاب و الكثبا

و قال محمد بن الحسن الجبلى النحوى: [الطويل]

و ما الأنس بالناس الذين عهدتهم بأنس و لكن فقد رؤيتهم أنس

إذا سلمت نفسى و دينى منهم فحسبى أنّ العرض منى لهم ترس

[من شعر محمد بن حرب و محمد بن اليسع]

و قال محمد بن حرب: [مجزوء الكامل]

طوبى لروضة جنّة لك قد نويت ورودها

نظمت على لبّاتها أيدى الغمام عقودها

وسقت بماء الورد و ال مسك الفتيت صعيدها

و الطير تشدو فى الغصو ن المائدات قصيدها

و تعير سمع المستعى ر نظيمها و نشيدها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۵

و كان فى دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة، و كان يهدى وردها كلّ عام إلى عارض الجيش أحمد بن سعيد، فغاب العارض سنة، فقال: [مجزوء الرمل]

قال لى الورد و قد لا حظته فى روضتيه

و هو قد أينع طيبا جمع الحسن لديه

أين مولاى الذى قد كنت تهدينى إليه

قلت غاب العام فايأس أن ترى بين يديه

فبدا يذبل حتى ظهر الحزن عليه

[من شعر أحمد بن أفلح و أحمد بن تليد و إسحاق بن المنادى]

و قال أحمد بن أفلح: [البسيط]

ما أستريح إلى حال فأحمدها بالبين قلبى و قبل البين قد ذهبا

إن كان لى أرب فى العيش بعدكم فلا قضيت إذن من حبّكم أربا

و قال أحمد بن تليد الكاتب: [السريع]

لم أرض بالذّلّ و إن قلّا و الحرّ لا يحتمل الذّلّا

يا ربّ خلّ كان لى خامل صار إلى العزّة ماخلا

حرّمت إلمامى على بابه و وصله لم أره حلّا

تأبى علىّ النفس من أن أرى يوما على مستثقل كلّا

و قال إسحاق بن المنادى، و قد أهدى له من يهواه تفاحة: [الوافر]

مجال العين فى ورد الخدود يذكّر طيب جنّات الخلود

و آرجة من التفاح تزهو بطيب النشر و الحسن الفريد

أقول لها فضحت المسك طيبا فقالت لى بطيب أبى الوليد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۶

[من شعر غالب بن عبد اللّه الثغرى و الوزير أبى الحسن الغرناطى]

و قال غالب بن عبد اللّه الثّغرى: [البسيط]

يا راحلا عن سواد المقلتين إلى سواد قلب عن الأضلاع قد رحلا

غدا كجسم و أنت الروح فيه فما ينفكّ مرتحلا ما دمت مرتحلا

و للفراق جوى لو مرّ أبرده من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

و قال الوزير أبو الحسن ابن الإمام الغرناطى يهجو مراكش المحروسة: [البسيط]

يا حضرة الملك ما أشهاك لى وطنا لو لا ضروب بلاء فيك مصبوب

ماء زعاق و جوّ كلّه كدر و أكلة من بذنجان ابن معيوب

و ابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر، يزعم الناس أنه سمّ ابن باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان.

[من شعر الوزير أبى عامر بن الحمارة و ابن بقى]

و لمّا بنى الفقيه أبو العباس ابن القاسم قصره بسلا و شيّده وصفته الشعراء، و هنّته به، و دعت له، و كان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة، و لم يكن أعدّ شيئا، فأفكر قليلا ثم قال: [البسيط]

يا أوحد الناس قد شيّدت واحدة فحلّ فيها حلول الشمس فى الحمل

فما كدارك فى الدنيا لذى أمل و لا كدارك فى الأخرى لذى عمل

و فيهم يقول ابن بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها:

إن جئت أرض سلا تلقاك بالمكارم فيدان

هم سطور العلا و يوسف بن القاسم عنوان

[بين ابن عبادة و ابن القابلة]

و كان محمد بن عبادة بالمرية، و معه ابن القابلة السبتى، فنظر إلى غلام و سيم يسبح، و قد تعلّق بسفينة، فقال ابن عبادة: [السريع]

انظر إلى البدر الذى لاح لك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۷

فقال ابن القابلة: [السريع]

فى وسط اللّجّة تحت الحلك

قد جعل الماء مكان السما و اتّخذ الفلك مكان الفلك

[من شعر ابن خروف]

و قال ابن خروف، و يروى لغيره: [السريع]

أيتها النفس إليه اذهبى فحبّه المشهور من مذهبى

مفضّض الثغر له شامة مسكيّة فى خدّه المذهب

أيأسنى التوبة من حبّه طلوعه شمسا من المغرب

[بين ابن خفاجة و ابن عائشة و ابن الزقاق]

و اجتمع فى بستان واحد ثلاثة من شعراء الأندلس، و هم: ابن خفاجة، و ابن عائشة و ابن الزقاق، فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك: [مخلع البسيط]

للّه نوريّة المحيّا تحمل ناريّة الحميّا

درنا بها تحت ظلّ دوح قد راق مرأى و طاب ريّا

تجسّم النّور فيه نورا فكلّ غصن به ثريّا

و قال ابن عائشة: [مخلع البسيط]

و دوحة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصّبا علينا فخلتها أرسلت رجوما

كأنما الأفق غار لمّا بدت فأغرى بها النسيما

و قال ابن الزقاق: [الخفيف]

و رياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها و الغمام يجلد منها زهرات تفوق لون الراح

قلت ما ذنبها؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

[من شعر الحسين بن الضحاك:]

و قال الأديب أبو الحسن بن زنون: وقع بيدى- و أنا أسير بقيجاطة، أعادها اللّه تعالى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۸

دار إسلام!- كتاب ترجمته «كتاب التحف و الطرف» لابن عفيون فوجدت فيه: قال الحسين بن الضحاك: [البسيط]

ما كان أحوجنى يوما إلى رجل فى وسطه ألف دينار على فرس

فى كفّه حربة يفرى الدروع بها و صارم مرهف الحدّين كالقبس

فلو رجعت و لم أظفر بمهجته و قد خضبت ذباب الصارم الشكس

فلا اغتبطت بعيش و ابتليت بما يحول بينى و بين الشادن الأنس

و وقف على هذه القطعة أبو نواس فقال: [البسيط]

ما كان أحوجنى يوما إلى خنث حلو الشمائل فى باق من الغلس

فى كفّه قهوة يسبى النفوس بها محكّم الطّرف للألباب مختلس

فلو رجعت و لم أظفر بتكّته و قد رويت من الصهباء كالقبس

فلا هنيت بعيش و ابتليت بما يكون منه صدود الشادن الأنس

هذا ألذّ و أشهى من منى رجل فى وسطه ألف دينار على فرس

و وقف على ذلك الوزير أبو عامر بن ينّق فقال: [البسيط]

ما كان أحوجنى يوما إلى رجل يردّد الذكر فى باق من الغلس

فى حلقه غنّة يشفى النفوس بها و فى الحشا زفرة مشبوبة القبس

فلو رجعت و لم أوثر تلاوته على سماع غناء الشادن الأنس

فلا حمدت إذن نفسى و لا اعتمدت بى النجائب قصد البيت ذى القدس

و لا أسلت لقبر المصطفى مقلا تبكى عليه بهامى الدمع منبجس

قال ابن زنون: فوقفت على ذلك، فقلت: و كلّ ينفق ممّا عنده، و من عجائب صنعه تعالى أنه عند فراغى من كتب هذه القطعة وصل الفكاك إلىّ، و حلّ قيودى، و أخرجنى إلى بلاد المسلمين، و هى: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۸۹

ما كان أحوجنى يوما إلى رجل يأتى فينبهنى فى فحمة الغلس

يفكّ قيدى و غلّى غير مرتقب و لا مبال من الحجّاب و الحرس

و قوله لى تأنيسا و تسلية هذا سلاحى فالبسه و ذا فرسى

فلو جبنت و لم أقبل مقالته و أمتطى الطّرف و ثبا فعل مفترس

إذن خلعت لباس المجد من عنقى و صار حظّى منه حظّ مختلس

و أخلفتنى أمانىّ التى طمحت نفسى إليها و إحسانى لكلّ مسى

[من شعر أبى بكر بن حبيش و أبى بكر اللخمى]

و قال أبو بكر بن حبيش، و قد زاره بعض أودّائه فى يوم عيد فطر: [السريع]

أكلّ ذا الإجمال فى ذا الجمال اللّه أستحفظ ذاك الكمال

يا مالكا بالبرّ رقّى أما يكفيك أن تملكنى بالوصال

سرت إلى ربعى زورا كما سرى إلى المهجور طيف الخيال

العيد لى وحدى بين الورى حقا لأنى قد رأيت الهلال

صومى مقبول و برهانه أنى أدخلت جنان الوصال

[بين أبى زيد بن أبى العافية و ابن العطار]

و قال أبو بكر بن يوسف اللخمى، و قد عاده فى شكاية فتى وسيم من الأعيان كان والده خطيب البلد: [مخلع البسيط]

يا عائدى و هو أصل ما بى أفديك من ممرض طبيب

أصميت لمّا رميت قلبى بسهم ألحاظك المصيب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۳۸۹

و جئتنى منكرا لسقمى و تلك من عادة الحبيب

يا ساعة قد غفرت فيها ما كان للدهر من ذنوب

ما كان فى فضلها مثال لو لم تكن جلسة الخطيب

و خاطب أبو زيد بن أبى العافية أبا عبد اللّه بن العطار القرطبى بقصيدة منها هذا البيت:

[الوافر]

و كيف يفيق ذو صبر قصير حليف وساوس حول طوال

يعرّض له بطوله و حوله، و لصاحبه أبى محمد بن بلال بقصره، فراجعه أبو عبد اللّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۰

المذكور بهذه الأبيات يعرض له فيها بجربه، و كان أبو زيد أصابه جرب كثير: [الوافر]

أجل يا نافث السّحر الحلال أتانى منك نظم كاللآلى

يروقك أوّلا لفظا و معنى و يلدغ آخرا لدغ الصّلال

تعرّض فيه أنك ذو مطال حليف وساوس حول طوال

كأنك لم تجرّب قطّ خلقا و لم تعرف بتجربة الليالى

أ أنسيت التجارب إذ تجارى بهنّ الجربياء مع الشمال

فلا تغفل عن التجريب يوما و لو أعطيت فيه جراب مال

و جرّب جار بيتك و اختبره و جرّ برجله إن كان قالى

و جار بنيك لا تستحى منه و من نجّار بابك لاتبال

و أجر ببالك الجرباء تبصر نجوم الأفق تجرى بانتقال

و جرّب أهل جربة تلف قوما أبوا لبس الجوارب و النعال

تجارا باعة تجروا بزيت تسمّوا بالتّجار بغير مال

إذا سمعوا بتمر فى جريب جروا ببطالة التمر البوالى

إذا جرّبت هذا الخلق أبدى لك التجريب أجربة خوالى

ترى بالنّجح دهرا جرّ بؤسا عليك و جار بالنّوب الثقال

[بين ثلاثة أدباء]

و خرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية، و صلّوا خلف إمام بمسجد قرية، فأخطأ فى قراءته، و سها فى صلاته، فلمّا خرج أحدهم كتب على حائط المسجد: [المجتث]

يا خجلتى لصلاة صلّيتها خلف خلف

فلما خرج الثانى كتب تحته:

أغضّ عنها حياء من المهيمن طرفى

فلما خرج الثالث كتب تحته:

فليس تقبل منّا لو أنها ألف ألف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۱

[من شعر أبى إسحاق بن خفيف و أبى الصلت و بعض المغاربة ۳۹۱]

و قال أبو إسحاق بن خفيف الأندلسى فى أحدب أخذ مع صبى فى خلوة فضربا، و طيف بهما، و الأحدب على عنق الصبى: [مجزوء الوافر]

رأيت اليوم محمولا و أعجب منه من حمله

جمال الناس تحملهم و هذا حامل جمله

و قال أبو الصلت الأندلسى: [الطويل]

و قائلة: ما بال مثلك خاملا أ أنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها: ذنبى إلى القوم أننى لما لم يحوزوه من المجد حائز

و كتب بعض المغاربة لأبى العباس بن مضاء يذكره بحاله: [مخلع البسيط]

يا غارسا لى ثمار مجد سقيتها العذب من زلالك

أخاف من زهرها سقوطا إن لم يكن سقيها ببالك

[من شعر عبد اللّه القرطبى و ابن هذيل الفزارى و ابن الزقاق]

و كتب الكاتب أبو عبد اللّه القرطبى مستنجزا وعدا: [الوافر]

أبا عبد الإله وعدت وعدا فأنجز تربح الشكر الجزيلا

و لا تمطل فإنّ المطل يمحو من الإحسان رونقه الصقيلا

إذا كان الجميل يحبّ طبعا فإنى أكره الصبر الجميلا

و كتب ابن هذيل الفزارى للغنى باللّه سلطان لسان الدين بن الخطيب: [الرمل]

ليس يا مولاى لى من جابر إذ غدا قلبى من البلوى جذاذا

غير صكّ أحمر تكتب لى فيه يمناك اعتناء صحّ هذا

و قال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجلس معه و ينادمه يوم سبت: [الطويل]

و حبّب يوم السبت عندى أننى ينادمنى فيه الذى أنا أحببت

و من أعجب الأشياء أنى مسلم حنيف و لكن خير أيامى السبت

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۲

[من شعر أبى حيان و أبى العباس بن سعيد و السميسر]

و قال أبو حيان: [المتقارب]

و يعجبنى رشف تلك الشفاه و عضّ الخدود و هصر القوام

محاسن فاقت قضيب الأراك و ورد الرياض و كأس المدام

و كتب أحد الأدباء بمرسية إلى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقّه عليه، بأبيات فى غرض، فراجعه عنه أبو العباس بن سعد بقوله: [الكامل]

ما للمحبّ لدىّ غير صبابة تقضى عليه و لوعة و غرام

فدع الطماعة و استرح باليأس من وصل عليك إلى الممات حرام

و قال السميسر: [مخلع البسيط]

قرابة السوء شرّ داء فاحمل أذاهم تعش حميدا

و من تكن قرحة بفيه يصبر على مصّه الصديدا

[من شعر ابن خفاجة و بعض الأندلسيين و يحيى بن هشام القرطبى]

و قال ابن خفاجة: [الرمل]

إنّ للجنّة بالأندلس مجتلى عين و ريّا نفس

فسنا صبحتها من شنب و دجا ليلتها من لعس

فإذا ما هبّت الريح صبا صحت: و اشوقى إلى الأندلس

و قال بعض الأندلسيين ممّن لم يحضرنى اسمه الآن: [الطويل]

إذا صال ذو ودّ بودّ صديقه فيا أيها الخلّ المصاحب لى صل بى

فإنى مثل الماء لينا لصاحبى و ناهيك للأعداء من رجل صلب

و قال أبو يحيى بن هشام القرطبى: [مخلع البسيط]

و خائط رائع جمالا وصاله غاية اقتراحى

تنعم منه الخيوط فتلا بين أقاح و بين راح

تراه فى السلم ذا طعان بنافذات بلا جراح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۳

حلّته أشبهت فؤادى لكثرة الوخز فى النواحى

تقطّع الثوب راحتاه كصنع ألحاظه الملاح

فقبله ما رأيت بدرا ممزّقا بردة الصباح

[من شعر أبى جعفر البلنسى و أبى العباس القيجاطى و أبى العباس المالقى]

و قال أبو جعفر أحمد بن عبد الولى البلنسى: [الطويل]

غصبت الثريّا فى البعاد مكانها و أودعت فى عينىّ صادق نوئها

و فى كلّ حال لم تزالى بخيلة فكيف أعرت الشمس حلّة ضوئها

قال ابن الأبار: أنشد مؤلف «قلائد العقيان» هذين البيتين لأبى جعفر البنى اليعمرى، و أحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما، و التفرقة بينهما مستوفاة فى تأليفى المسمى ب «هداية المعتسف، فى المؤتلف و المختلف» انتهى.

و أبو جعفر بن عبد الولى المذكور أحرقه القنبيطور- لعنه اللّه تعالى!- حين تغلّبه بالروم على بلنسية. قال ابن الأبار: و ذلك فى سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة، و قيل: إنّ إحراقه كان سنة تسعين و أربعمائة، انتهى.

و قال أبو العباس القيجاطى فيما أنشده له ابن الطيلسان: [المجتث]

ليس الخمول بعار على امرئ ذى جلال

فليلة القدر تخفى و تلك خير الليالى

و قال أبو محمد بن جحاف المعافرى البلنسى: [المتقارب]

أقول و قد خوّفونى القران و ما هو من شرّه كائن

ذنوبى أخاف و أمّا القران فإنى من شرّه آمن

و أبوه أبو أحمد هو المحرّق ببلنسية كما ذكرناه فى غير هذا الموضع.

و قال أبو العباس المالقى. [الطويل]

و بين ضلوعى للصبابة لوعة بحكم الهوى تقضى علىّ و لا أقضى

جنى ناظرى منها على القلب ما جنى فيا من رأى بعضا يعين على بعض

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۴

[جازة بين أبى القاسم بن عبد المنعم و أبى عبد اللّه الشاطبى و أبى بكر بن طاهر]

و دخل أبو القاسم بن عبد المنعم، و كان أزرق وسيما، و معه أبو عبد اللّه الشاطبى و أبو عثمان سعيد بن قوشترة، على صاحب كتاب «مشاحذ الأفكار، فى مآخذ النّظّار» فقال ابن قوشترة: [الكامل]

عابوه بالزّرق الذى بجفونه و الماء أزرق و السّنان كذلكا

فقال الشاطبى: [الكامل]

و الماء يهدى للنفوس حياتها و الرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال أبو بكر بن طاهر صاحب كتاب «المشاحذ»: [الكامل]

و كذاك فى أجفانه سبب الردى لكن أرى طيب الحياة هنالكا

و هذا من بارع الإجازة، و كم لأهل الأندلس من مثل هذا الديباج الخسروانى، رحمهم اللّه تعالى و سامحهم!

و كتب الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد اللّه محمد بن الصائغ الأندلسى النحوى عند قول الحريرى «آمنا أن يعززا بثالث» ما نصّه: قد جىء لهما بثالث و رابع فى قافيتهما، و هو قول بعض الفضلاء: [السريع]

ما الأمة اللّكعاء بين الورى كمسلم حرّ أتى ملأمه

فمه إذا استجديت من قول لا فالحرّ لا يملأ منها فمه

ثم قال: و بخامس و سادس:

انقدّ مهوى أزره فانثنى مه يا عذولى فى الذى انقدّ مه

مندمة قتل المعنّى فلا ترسل سهام اللحظ تأمن دمه

قلت: رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما يتيف على سبعين بيتا كلّها مساجلة لبيتى الحريرى، رحمه للّه تعالى!

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۵

[من شعر أبى بكر بن عبادة و أبى بكر بن قزمان و ترجمته]

و قال أبو بكر بن عبادة الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد بن زيدون: [الخفيف]

أىّ ركن من الرياسة هيضا و جموم من المكارم غيضا

حملوه من بلدة نحو أخرى كى يوافوا به ثراه الأريضا

مثل حمل السحاب ماء طيبا لتداوى به مكانا مريضا

و كان المذكور توفى فى ضيعة له، و نقل تابوته إلى قرطبة فدفن فى الرّبض سنة ۴۰۵، و ولد سنة ۳۰۴.

و قال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات: [الوافر]

و عهدى بالشباب و حسن قدّى حكى ألف ابن مقلة فى الكتاب

فصرت اليوم منحنيا كأنى أفتّش فى التراب على شبابى

و قال: [السريع]

يا ربّ يوم زارنى فيه من أطلع من غرّته كوكبا

ذو شفة لمياء معسولة ينشع من خدّيه ماء الصبا

قلت له هب لى بها قبلة فقال لى مبتسما مرحبا

فذقت شيئا لم أذق مثله للّه ما أحلى و ما أعذبا

أسعدنى اللّه بإسعاده يا شقوتى يا شقوتى لو أبى

قال لسان الدين: كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا و ظرفا و لوذعية و شهرة؛ قال ابن عبد الملك: كان أديبا بارعا، حلو الكلام، مليح النثر، مبرزا فى نظم الزجل، قال لسان الدين: و هذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكّم فيها ألقاب البديع، و تنفسح لكثير ممّا يضيق على الشاعر سلوكه، و بلغ فيها أبو بكر، رحمه اللّه تعالى، مبلغا حجره اللّه عمّن سواه، فهو آيتها المعجزة، و حجّتها البالغة، و فارسها المعلم، و المبتدىء فيها و المتمّم.

و قال الفتح فى حقّه: مبرز فى البيان، و محرز للسّبق عند تسابق الأعيان، اشتمل عليه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۶

المتوكل على اللّه فرقّاه إلى مجالس، و كساه ملابس، فامتطى أسمى الرتب و تبوّأها، و نال أسنى الخطط و ما تملأها، و قد أثبتّ له ما يعلم به رفيع قدره، و يعرف كيف أساء له الزمان بغدره، كقوله: [الكامل]

ركبوا السيول من الخيول و ركّبوا فوق العوالى السّمر زرق نطاف

و تجلّلوا الغدران من ماذيّهم مرتجّة إلّا على الأكناف

و الماذى: العسل، و النّطاف: جمع النّطفة و هى الماء الصافى قل أو كثر.

[من شعر أبى بكر بن القوطية و من شرع القاضى يونس بن عبد اللّه بن مغيث ترجمته]

و قال الفقيه أبو بكر بن القوطية صاحب «الأفعال» فى اللغة و الغريب، فى زمن الربيع:

[الكامل]

ضحك الثرى و بدا لك استبشاره فاخضرّ شاربه و طرّ عذاره

ورنت حدائقه و زرّر نبته و تعطّرت أنواره و ثماره

و اهتز ذابل كل ماء قرارة لما أتى متطلعا آذاره

و تعمّمت صلع الرّبا بنباته و ترنّمت من عجبها أطياره

و قال فى المطمح فى حقّ ابن القوطية المذكور: إنه ممّن له سلف. و ثنيّة كلّها شرف، و هو أحد المجتهدين فى الطلب، و المشتهرين بالعلم و الأدب، و المنتدبين للعلم و التصنيف، و المرتّبين له بحسن الترتيب و التأليف، و كان له شعر نبيه، و أكثره أوصاف و تشبيه، انتهى.

و قال القاضى الأجلّ يونس بن عبد اللّه بن مغيث: [الطويل]

أتوا حسبة إذ قيل جدّ نحوله فلم يبق من لحم عليه و لا عظم

فعادوا قميصا فى فراش فلم يروا و لا لمسوا شيئا يدلّ على جسم

طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى و ليس بمحسوس بعين و لا وهم

و قال فى المطمح فيه: إنه قاضى الجماعة بقرطبة، فاضل، ورع، مبرز فى النسّاك و الزهّاد، دائم الأرق فى التخشّع و السّهاد، مع التحقّق

بالعلم و التميز بحمله، و التحيز إلى فئة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۷

الورع و أهله، و له تآليف فى التصوّف و الزهـد، منها «كتاب المنقطعين إلى اللّه» و «كتاب المجتهـدين» و أشـعار فى هذا المعنى، منها قوله: [الوافر]

فررت إليك من ظلمى لنفسى و أوحشنى العباد و أنت أنسى

قصدت إليك منقطعا غريبا لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى

و للعظمى من الحاجات عندى قصدت و أنت تعلم سرّ نفسى

و لمّا أراد المستنصـر باللّه غزو الروم تقدّم إلى أبى محمد والده بالكون فى صـحبته، و مسايرته فى غزوته، فاعتذر بعذر يجده، و ألم لا ينجده، فقال له الحكم: إن ضـمن له أن يؤلف فى أشـعار خلفائنا بالمشرق و الأندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزاة، و جازيته أفضل المجازاة، فأجابه إليه على أن يؤلفه بالقصر، فزعم أنه رجل مزور، و أن ذلك الموضع ممتنع على من يلمّ به و يزور، فألفّه بدار الملك المطلّة على النهر، و أكمله فيما دون شهر، و توفى و المستنصر بعد فى غزاته.

[من شعر ابن سيده و ترجمته:]

و قال ابن سيده صاحب «المحكم» يخاطب إقبال الدولة: [الطويل]

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل؟ فإنّ الأمن فى ذاك و اليمنا

قال فى المطمـح: الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سـيده إمام فى اللغة و العربية، و همام فى الفئة الأدبية، و له فى ذلك أوضاع، لأفهام أخلافها اسـتدرار و استرضاع، حرّرها تحريرا، و أعاد طرف الذكاء بها قريرا، و كان منقطعا إلى الموفّق صاحب دانية، و بها أدرك أمانيه، و وجد تجرّده للعلم و فراغه، و تفرّد بتلك الإراغة، و لا سـيما كتابه المسـمى بالمحكم، فإنه أبدع كتاب و أحكم، و لمّا مات الموفّق رائش جناحه، و مثبت غرره و أوضاحه، خاف من ابنه إقبال الدولـة، و أطاف به مكروها بعض من كان حوله، إذ أهل الطلب كحيات مساورة، ففرّ إلى بعض الأعمال المجاورة، و كتب إليه منها مستعطفا: [الطويل]

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل؟ فإنّ الأمن فى ذاك و اليمنا

فتنضى هموم طلّحته خطوبها و لا غاربا يبقين منه و لا متنا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۳۹۸

غريب نأى أهلوه عنه و شفّه هواهم فأمسى لا يقرّ و لا يهنا

فيا ملك الأملاك، إنى محلأ عن الورد لا عنه أذاد و لا أدنى

تحققت مكروها فأقبلت شاكيا لعمرى أ مأذون لعبدك أن يعنى

و إن تتأكّد فى دمى لك نيّة فإنى بسيف لا أحبّ له جفنا

إذا ما غدا من حرّ سيفك باردا فقدما غدا من برد نعماكم سخنا

و هل هى إلّا ساعة ثم بعدها ستقرع ما عمّرت من ندم سنّا

و مالى من دهرى حياة ألذّها فتجعلها نعمى علىّ و تمتنّا

إذا ميتة أرضتك عنا فهاتها حبيب إلينا ما رضيت به عنّا

[من شعر أبى محمد غانم بن الوليد المالقى]

و قال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الأندلسى المخزومى المالقى: [البسيط]

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبّين

و لا تسامح بغيضا فى معاشرة فقلّما تسع الدنيا بغيضين

و له: [السريع]

الصبر أولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حالة كان على أيامه بالخيار

و قال فى المطمح فيه: إنه عالم متفرّس، و فقيه مدرّس، و أستاذ متجرد، و إمام لأهل الأندلس مجوّد، و أما الأدب فكان جلّ شرعته، و هو رأس بغيته، مع فضل و حسن طريقة، و جدّ فى جميع الأمور و حقيقة، انتهى.

[ابن عبد البر- ترجمته و شعره]

و قال المحدّث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة: [الطويل]

تجاف عن الدنيا و هوّن لقدرها و وفّ سبيل الدين بالعروة الوثقى

و سارع بتقوى اللّه سرّا و جهرة فلا ذمّة أقوى هديت من التقوى

و لا تنس شكر اللّه فى كلّ نعمة يمنّ بها فالشكر مستجاب النّعمى

فدع عنك ما لا حظّ فيه لعاقل فإنّ طريق الحق أبلج لا يخفى

و شحّ بأيام بقين قلائل و عمر قصير لا يدوم و لا يبقى

أ لم تر أنّ العمر يمضى مولّيا فجدّته تبلى و مدته تفنى

نخوض و نلهو غفلة و جهالة و ننشر أعمالا و أعمارنا تطوى

تواصلنا فيه الحوادث بالردى و تنتابنا فيه النوائب بالبلوى

عجبت لنفس تبصر الحقّ بيّنا لديها و تأبى أن تفارق ما تهوى

و تسعى لما فيه عليها مضرّة و قد علمت أن سوف تجزى بما تسعى

ذنوبى أخشاها و لست بآيس و ربّى أهل أن يخاف و أن يرجى

و إن كان ربى غافرا ذنب من يشا فإنى لا أدرى أ أكرم أم أخزى

و قال فى المطمح: الفقيه الإمام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن عبد البر، إمام الأندلس و عالمها، الذى التاحت به معالمها، صحّح المتن و السند، و ميّز المرسل من المسند، و فرّق بين الموصل و القاطع، و كسا الملّة منه نور ساطع، حصر الرواة، و أحصى الضعفاء منهم و الثقات، و جدّ فى تصحيح السقيم، و جدد منه ما كان كالكهف و الرّقيم، مع معاناة العلل، و إرهاف ذلك العلل، و التنبيه و التوقيف، و الإتقان و التثقيف، و شرح المقفل، و استدراك المغفل، و له فنون هى للشريعة رتاج، و فى مفرق الملّة تاج، أشهرت للحديث ظبا، و فرعت لمعرفته ربا، و هبّت لتفهّمه شمال و صبا، و شفت منه و صبا، و كان ثقة، و الأنفس على تفضيله متّفقة، و أما أدبه فلا تعبر لجّته، و لا تدحض حجّته، و له شعر لم نجد منه إلّا ما نفث به أنفة، و أقصى فيه عن معرفة، فمن ذلك قوله- و قد دخل إشبيلية فلم يلق فيها مبرّة، و لم يلق من أهلها تهلل أسرّة، فأقام بها حتى أخلقه مقامه، و أطبقه اغتمامه، فارتحل و قال: [الطويل]

تنكّر من كنّا نسرّ بقربه و عاد زغاقا بعدما كان سلسلا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۰

و حقّ لجار لم يوافقه جاره و لا لاءمته الدار أن يتحوّلا

بليت بحمص و المقام ببلدة طويلا لعمرى مخلق يورث البلى

إذا هان حرّ عند قوم أتاهم و لم ينأ عنهم كان أعمى و أجهلا

و لم تضرب الأمثال إلّا لعالم و ما عوتب الإنسان إلّا ليعقلا

[من شعر أبى بكر بن أبى الدوس و أخباره و أبى الفضل بن الأعلم و أخباره]

و قال الفقيه أبو بكر بن أبى الدوس: [الطويل]

إليك أبا يحيى مددت يد المنى و قدما غدت عن جود غيرك تقبض

و كانت كنور العين يلمع بالدجا فلمّا دعاه الصبح لبّاه ينهض

و قال فى المطمح: إنه من أبدع الناس خطّا، و أصحهم نقلا و ضبطا، اشتهر بالإقراء، و اقتصر بذلك على الأمراء، و لم ينحطّ لسواهم، و مطل الناس بذلك و لواهم، و كان كثير التحوّل، عظيم التجوّل، لا يستقرّ فى بلد، و لا يستظهر على حرمانه بجلد، فقذفته النوى، و طردته عن كل ثوى، ثم استقرّ آخر عمره بأغماث، و بها مات، و كان له شعر بديع يصونه أبدا، و لا يمدّ به يدا.

أخبرنى من دخل عليه بالمريّة فرآه فى غاية الإملاق، و هو فى ثياب أخلاق، و قد توارى فى منزله توارى المذنب، و قعد عن الناس قعود مجتنب، فلمّا علم ما هو فيه، و ترفّعه عمّن يجتديه، عاتبه فى ذلك الاعتزال، و آخذه حتى استنزله بغيض الإنزال، و قال له: هلا كتبت إلى المعتصم، فما فى ذلك ما يصم، فكتب إليه: إليك أبا يحيى مددت يد المنى- البيتين، انتهى.

و قال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الأعلم، حين أقلع و أناب، و ودع ذلك الجناب، و تزهد و تنسّك، و تمسّك من طاعة اللّه بما تمسّك، و تذكّر يوما يتجرّد من أمله، و ينفرد فيه بعمله: [مجزوء الكامل]

الموت يشغل ذكره عن كلّ معلوم سواه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۱

فاعمر له ربع ادّكا ركّ فى العشيّة و الغداه

و اكحل به طرف اعتبا ركّ طول أيام الحياه

قبل ارتكاض النفس ما بين الترائب و اللّهاه

فيقال هذا جعفر رهن بما كسبت يداه

عصفت به ريح المنو ن فصيّرته كما تراه

فضعوه فى أكفانه و دعوه يجنى ما جناه

و تمتّعوا بمتاعه الم حزون و احووا ما حواه

يا منظرا مستبشعا بلغ الكتاب به مداه

لقّيت فيه بشارة تشفى فؤادى من جواه

و لقيت بعدك خير من نبّاه ربى و اجتباه

فى دار خفض ما اشتهت نفس المقيم بها أتاه

و قال فى المطمح: إنه كهل الطريقة، و فتى الحقيقة، تدرّع الصيانة، و برع فى الورع و الديانة، و تماسك عن الدنيا عفافا، و ما

تماسك التماسا بأهلها و التفافا، فاعتقل النّهى، و تنقّل فى مراتبها حتى استقرّ فيها فى السّنها، و عطّل أيام الشباب، و مطل فيها سعاد و زينب و الرّباب، إلّا ساعات وقفها على المدام، و عطفها إلى النّدام، حتى تخلّى عن ذلك و اتّرك، و أدرك من المعلومات ما أدرك، و تعرّى من الشبهات، و سرى إلى الرشد مستيقظا من تلك السّنات، و له تصرّف فى شتى الفنون، و تقدّم فى معرفة المفروض و المسنون، و أمّا الأدب فلم يجاره فى ميدانه أحد، و لا استولى على إحسانه فيه حصر و لا حدّ، و جدّه أبو الحجاج الأعلم هو خلّد منه ما خلّد، و منه تقلّد ما تقلّد، و قد أثبتّ لأبى الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا، و يريك سحر البيان حلالا، فمن ذلك ما كتب به إلىّ، و قد مرت على شنت مرية بعد ما رحل عنها و انتقل، و اعتقل من نوانا و بيننا ما اعتقل، و شنت مرية هذه داره، و بها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۲

كمل خلاله و إبداره، و فيها استقضى، و شيم مضاؤه و انتضى، فالتقينا بها على ظهر، و تعاطينا ذكر ذلك الدهر، فجددت من شوقه، ما كان قد شبّ على طوقه، فرامنى على الإقامة، و سامنى على ذلك بكلّ كرامة، فأبيت إلّا النوى، و انثنيت عن الثّوى، فودعنى، و دفع إلىّ تلك القطعة حين شيّعنى: [الكامل]

بشراى أطلعت السعود على آفاق أنسى بدرها كملا

و كسا أديم الأرض منه سنا فكست بسائطها به حللا

إيه أبا نصر، و كم زمن قصر ادكارك عندى الأملا

هل تذكرن و العهد يخجلنى هل تذكرن أيامنا الأولا

أيام نعثر فى أعنّتنا و نجرّ من أبرادنا خيلا

و نحلّ روض الأنس مؤتنقا و تحلّ شمس مرادنا الحملا

و نرى لياليا مساعفة تدعو رفاقتنا لنا الجفلى

زمن نقول على تذكره ما تمّ حتى قيل قد رحلا

عرضت لزورتكم و ما عرضت إلّا لتمحق كلّ ما فعلا

و وافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا، و عودنا إلى مجلس الطلب و اختلافنا، فرأيته مستشرفا متطلّعا، يرتاد موضعا يقيم به لثغور الأنس مرتشفا و لثديه مرتضعا، فحين مقلنى، تقلّدنى إليه و اعتقلنى، و ملنا إلى روضة قد سندس الربيع فى بساطها، و دبّج الزهر درانك أوساطها، و أشعرت النفوس فيها بسرورها و انبساطها، فأقمنا بها نتعاطى كؤوس أخبار، و نتهادى أحاديث جهابذة و أحبار، إلى أن نثر زعفران العشى، و أذهب الأنس خوف العالم الوحشى، فقمت و قام، و عوّج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام، و قال: [الكامل]

و عشيّة كالسيف إلّا حدّه بسط الربيع بها لنعلى خدّه

عاطيت كأس الأنس فيها واحدا ما ضرّه إن كان جمعا وحده

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۳

و تنزّه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطّرد نهرها، و توقّد زهرها، و الريح يسقطه فينظم بلبّة الماء، و يتبسّم به فتخاله كصفحة خضرة السماء، فقال: [الكامل]

انظر إلى الأزهار كيف تطلّعت بسماوة الروض المجود نجوما

و تساقطت فكأنّ مسترقا دنا للسّمع فانقضّت عليه رجوما

و إلى مسيل الماء قد رقمت به صنع الرياح من الحباب رقوما

ترمى الرياح لها نثير أزاهر فتمدّه فى شاطئيه رقيما

و له يصف قلم يراعة، و برع فى صفته أعظم براعة: [الكامل]

و مهفهف ذلق صليب المكسر سبب لنيل المطلب المتعذّر

متألّق تنبيك صفرة لونه بقديم صحبته لآل الأصفر

ما ضرّه أن كان كعب يراعة و بحكمه اطّردت كعوب السّمهرى

و له عندما شارف الكهولة، و استأنف قطع صبوة كانت موصولة: [الكامل]

أمّا أنا فقد ارعويت عن الصّبا و عضضت من ندم عليه بنانى

فأطعت نصّاحى و ربّ نصيحة جاؤوا بها فلججت فى العصيان

أيام أسحب من ذيول شبيبتى مرحا و أعثر فى فضول عنانى

و أجلّ كأسى أن ترى موضوعة فعلى يدى أو فى يدى ندمانى

أيام أحيا بالغوانى و الغنا و أموت بين الراح و الريحان

فى فتية فرضوا اتّصال هواهم فمناهم دنّ من الأدنان

هزّت علاهم أريحيّات الصّبا فهى النسيم و هم غصون البان

من كلّ مخلوع الأعنّة لم يبل فى غيّه بمصارف الأزمان

إلى أن قال: و من نثره يصف فرسا: انظر إليه سليم الأديم، كريم القديم، كأنما نشأ بين الغبراء و اليحموم، نجم إذا بدا، و وهم إذا عدا، يستقبل بغزال، و يستدبر برال، و يتحلّى

بشيات تقسيمات الجمال.

و له يصف سرجا: بزة جياد، و مركب أجواد، جميل الظاهر، رحيب ما بين القادمة و الآخر، كأنما قدّ من الخدود أديمه، و اختصّ بإتقان الحبك تقويمه.

و له فى وصف لجام: متناسب الأشلاء، صريح الانتماء، إلى ثريّا السماء، فكلّه نكال، و سائره جمال.

و له فى وصف رمح: مطّرد الكعوب، صحيح اتّصال الغالب و المغلوب، أخ ينوب كلّما استنيب و يصيب.

و له فى وصف قميص: كافورىّ الأديم، بابلىّ الرسوم، تباشر منه الجسوم، ما يباشر الروض من النسيم.

و له فى وصف بغل: مترف النسب، مستخبر الشرف، آمن الكبب، إن ركب امتنع اعتماله، أو وكب استقلّ به أخواله.

و له فى وصف حمار: وثيق المفاصل، عتيق النهضة إذا ونت المراسل، انتهى ببعض اختصار.

[الرمادى: ترجمته و بعض شعره]

و قال الأديب الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون الكندى، المعروف بالرمادى: [الكامل]

أومى لتقبيل البساط خنوعا فوضعت خدّى فى التراب خضوعا

ما كان مذهبه الخنوع لعبده إلّا زيادة قلبه تقطيعا

قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلّما يمنن علىّ بردّه مصدوعا

العبد قد يعصى، و أحلف أننى ما كنت إلّا سامعا و مطيعا

مولاى يحيى فى حياة كاسمه و أنا أموت صبابة و ولوعا

لا تنكروا غيث الدموع فكلّ ما ينحلّ من جسمى يكون دموعا

و الرمادى المذكور عرّف به غير واحد، منهم الحافظ أبو عبد اللّه الحميدى فى كتابه «جذوة المقتبس» و قال: أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة و هى موضع بالمغرب، و هو قرطبى، كثير الشعر، سريع القول، مشهور عند الخاصّة و العامة هنالك، لسلوكه فى فنون من المنظوم و المنثور مسالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب فى وقته يقولون: فتح الشعر بكندة، و ختم بكندة، يعنون امرأ القيس و المتنبى و يوسف بن هارون، على أنّ فى كون المتنبى من كندة القبيلة كلاما مشهورا.

و أخذ أبو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره، و ضمّنها بعض تأليفه.

قال ابن حيان: توفى الرمادى سنة ۴۰۳، و ذكر ابن سعيد فى «المغرب» أن الرمادى اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبى بكر يحيى بن هذيل الكفيف عالم أدباء الأندلس، و هو القائل رحمه اللّه تعالى: [الخفيف]

لا تلمنى على الوقوف بدار أهلها صيّروا السقام ضجيعى

جعلوا لى إلى هواهم سبيلا ثم سدّوا علىّ باب الرجوع

و روى الرمادى عن أبى علىّ كتاب «النوادر» و مدح أبا على بقصيدة كما أشرنا إليه فى غير هذا الموضع.

و قال فى المطمح: إنه شاعر مفلق، انفرج له من الصناعة المغلق، و ومض له برقها المؤتلق. و سال بها طبعه كالماء المندفق، فأجمع على تفضيله المختلف و المتّفق، فتارة يحزن و أخرى يسهل، و فى كلتاهما بالبديع يعلّ و ينهل، فاشتهر عند الخاصّة و العامّة بانطباعه فى الفريقين، و إبداعه فى الطريقين، و كان هو و أبو الطيب متعاصرين، و على الصناعة متغايرين، و كلاهما من كندة، و ما منها إلّا من اقتدح فى الإحسان زنده، و تمادى بأبى عمر، طلق العمر، حتى أفرده صاحبه و نديمه، و هريق شبابه و استشن أديمه، ففارق تلك الأيام و بهجتها، و أدرك الفتنة فخاض لجّتها، و أقام فرقا من هيجانها شرقا بأشجانها، و لحقته فيها فاقة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۶

نهكته، و بعدت عنه الإفاقة حتى أهلكته، و قد أثبتّ من محاسنه ما يعجبك سرده، و لا يمكنك نقده، فمن ذلك قوله: [البسيط]

شطّت نواهم بشمس فى هوادجهم لو لا تلألؤها فى ليلهنّ عشوا

شكت محاسنها عينى و قد غدرت لأنها بضمير القلب تنخمش

شعر و وجه تبارى فى اختلافهما بحسن هذا و ذاك الروم و الحبش

شككت فى سقمى منها أفى فرشى منها تنكست و إلّا الطيف و الفرش

إلى أن قال: و كان كلفا بفتى نصرانى استسهل لباس زنّاره، و الخلود معه فى ناره و خلع بروده لمسوحه، و تسوغ الأخذ عن مسيحه، و راح فى بيعته، و غدا من شيعته، و لم يشرب نصيبه، حتى حطّ عليه صليبه، فقال: [الوافر]

أدرها مثل ريقك ثم صلّب كعادتهم على و همى و كاسى

فيقضى ما أمرت به اجتلابا لمسرورى و زاد خضوع راسى

و له فى مثله: [مجزوء الكامل]

و رأيت فوق النّحر در عا فاقعا من زعفران

فزجرته لونا سقا مى‌بالنوى و الزّجر شانى

يا من نأى عنّى كما تنأى العيون الفرقدان

فأرى بعينى الفرقدى ن و لا أراه و لا يرانى

لا قدّرت لك أوبة حتى يؤوب القارظان

هل ثم إلّا الموت فر دا لا تكون متيّتان

و له أيضا: [الخفيف]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۷

اشرب الكاس يا نصير و هات إنّ هذا النهار من حسناتى

بأبى غرّة ترى الشخص فيها فى صفاء أصفى من المرآة

تنزح الناس نحوها بازدحام كازدحام الحجيج فى عرفات

هاتها يا نصير إنّا اجتمعنا بقلوب فى الدين مختلفات

إنما نحن فى مجالس لهو نشرب الراح ثم أنت مواتى

فإذا ما انقضت ديانة ذا الله و اعتمدنا مواضع الصلوات

لو مضى الدهر دون راح و قصف لعددنا هذا من السيئات

و شاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة و أهلها، سدّد إليهم صائبات نبلها، و سقاهم كؤوس نهلها، أوغرت عليه الصّدور، و نعرت عليه المنايا و لكن لم يساعدها المقدور، فسجنه الخليفة دهرا، و أسكنه من النكبة و عرا، فاستعطفه أثناء ذلك و استلطفه، و أجناه كل زهر من الإحسان و أقطفه، فما أصغى إليه، و لا ألغى موجدته عليه، و له فى السجن أشعار صرّح فيها ببثّه، و أفصح فيها عن جلّ الخطب لفقد صبره و نكثه، فمن ذلك قوله: [الطويل]

لك الأمن من شجو يزيد تشوقى

و منها:

فوافوا بنا الزهراء فى حال خالع ال أئمّة لاستيفائهم فى التوثّق

و حولى من أهل التأدّب مأتم و لا جؤذر إلّا بثوب مشقّق

فلو أنّ فى عينى الحمام كروضها و إن كان فى ألوانه غير مشفق

و نادى حمامى مهجتى لتقلقلت فهلّا أجابت و هو عندى بمحنق

أعينىّ إن كانت لدمعك فضلة تثبت صبرى ساعة فتدفّقى

فلو ساعدت قالت أمن قلّة الأسى تنقت دموعى أم من البحر تستقى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۸

و منها:

و قالت تظنّ الدهر يجمع بيننا فقلت لها من لى بظنّ محقّق

و لكننى فيما زجرت بمقلتى زجرت اجتماع الشمل بعد التفرّق

فقد كانت الأشفار فى مثل بعدنا فلمّا التقت بالطيف قالت سنلتقى

أ باكية يوما و لم يأت وقته سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

إلى أن قال: و له أيضا: [الطويل]

على كمدى تهمى السحاب و تذرف و من جزعى تبكى الحمام و تهتف

كأنّ السحاب الواكفات غواسلى و تلك على فقدى نوائح هتّف

ألا ظعنت ليلى و بان قطينها و لكننى باق فلوموا و عنّفوا

و آنست فى وجه الصباح لبينها نحولا كأنّ الصبح مثلى مدنف

و أقرب عهد رشفة بلّت الحشا فعاد شتاء باردا و هو صيّف

و كانت على خوف فولّت كأنها من الرّدف فى قيد الخلاخل ترسف

و له: [السريع]

قبّلته قدّام قسّيسه شربت كاسات بتقديسه

يقرع قلبى عند ذكرى له من فرط شوقى قرع ناقوسه

و سجن معه غلام من أولاد العبيدىّ فيه مجال، و فى نفس متأمّله من لوعته أوجال، فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها: [الطويل]

حبيسك ممّن أتلف الحبّ عقله و يلذع قلبى حرقة دونها الجمر

هلال و فى غير السماء طلوعه وريم و لكن ليس مسكنه القفر

تأمّلت عينيه فخامرنى السكر و لا شكّ فى أنّ العيون هى الخمر

أناطقه كيما يقول، و إنما أناطقه عمدا لينتثر الدّرّ

أنا عبده و هو المليك كما اسمه فلى منه شطر كامل و له شطر

انتهى باختصار.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۰۹

[ابن هانىء: ترجمته و بعض شعره]

و قال محمد بن هانىء: [الخفيف]

قد مررنا على مغانيك تلك فرأينا بها مشابه منك

عارضتنا المها الخرائد سربا عند أجراعها فلم نسل عنك

لا يرع للمها بذكرك سرب أشبهتك فى الوصف إن لم تكنك

كن عذيرى لقد رأيت معاجى يوم تبكى بالجزع ولهى و أبكى

بحنين مرجّع و تشكّ و أنين موجع كتشكّى

و قال صاحب المطمح فى حقّه: الأديب أبو القاسم محمد بن هانىء، ذخر خطير، و روض أدب مطير، غاص فى طلب الغريب حتى أخرج درّه المكنون، و بهرج بافتنانه فيه كلّ الفنون، و له نظم تتمنّى الثريا أن تتوّج به و تتقلّد، و يودّ البدر أن يكتب ما اخترع فيه و ولّد، زهت به الأندلس و تاهت، و حاسنت ببدائعه الأشمس و باهت، فحسد المغرب فيه المشرق، و غصّ به من بالعراق و شرق، غير أنه نبت به أكنافها، و شمخت عليه آنافها، و برئت منه، و زويت الخيرات فيها عنه، لأنه سلك مسلك المعرّى، و تجرّد من التدين و عرى، و أبدى الغلوّ، و تعدّى الحقّ المجلوّ، فمجّته الأنفس، و أزعجته الأندلس، فخرج على غير اختيار، و ما عرّج على هذه الديار، إلى أن وصل الزاب و اتّصل بجعفر بن الأندلسيّة، مأوى تلك الجنسيّة، فناهيك من سعد ورد عليه فكرع، و من باب ولج فيه و ما قرع، فاسترجع عنده شبابه، و انتجع وبله و ربابه، و تلقّاه بتأهيل و رحب، و سقاه صوب تلك السّحب، فأفرط فى مدحه فيه فى الغلوّ و زاد، و فرّغ عنده تلك المزاد، و لم يتورّع، و لا ثناه ذو ورع، و له بدائع يتحيّر فيها و يحار، و يخال لرقّتها أنها أسحار، فإنه اعتمد التهذيب و التحرير، و اتّبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير، و أما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد، و ما شاء منها اقتاد، و قد أثبتّ له ما تحنّ له الأسماع، و لا تتمكّن منه الأطماع، فمن ذلك قوله: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۰

أليلتنا إذ أرسلت واردا وحفا و بتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

و بات لنا ساق يقوم على الدّجى بشمعة صبح لا تقطّ و لا تطفا

أغنّ غضيض خفّف اللّين قدّه و ثقّلت الصهباء أجفانه الوطفا

و لم يبق إرعاش المدام له يدا و لم يبق إعنات التثنّى له عطفا

نزيف نضاه السكر إلّا ارتجاجة إذا كلّ عنها الخصر حمّلها الرّدفا

يقولون حقف فوقه خيزرانة أما يعرفون الخيزرانة و الحقفا

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا و قدّت لنا الأزهار من جلدها لحفا

فمن كبد توحى إلى كبد هوى و من شفة تؤوى إلى شفة رشفا

و منها:

كأنّ السّماكين اللّذين تراهما على لبدتيه ضامنان له حتفا

فذا رامح يهوى إليه سنانه و ذا أعزل قد عضّ أنمله لهفا

كأنّ سهيلا فى مطالع أفقه مفارق إلف لم يجد بعده إلفا

كأنّ بنى نعش و نعشا مطافل بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا

كأنّ سهاها عاشق بين عوّد فآونة يبدو و آونة يخفى

كأنّ قدامى النّسر و النّسر واقع قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا

كأنّ أخاه حين حوّم طائر أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا

كأنّ ظلام الليل إذ مال ميلة صريع مدام بات يشربها صرفا

كأنّ عمود الصبح خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشىّ فاستخفى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۱

كأن لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

و له أيضا: [الكامل]

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر و أمدّكم فلق الصباح المسفر

و جنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر

أبنى العوالى السمهريّة و السيو ف المشرفيّة و العديد الأكثر

من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تبّع فى حمير

جيش تعدّ له الليوث و فوقها كالغيل من قصب الوشيج الأخضر

و كأنما سلب القشاعم ريشها ممّا يشقّ من العجاج الأكدر

لحق القبول مع الدّبور و سار فى جمع الهرقل و عزمة الإسكندر

فى فتية صدأ الحديد لباسهم فى عبقرىّ البيض جنّة عبقر

و كفاه من حبّ السماحة أنه منها بموضع مقلة من محجر

و منها:

نعماؤه من رحمة، و لباسه من جنّة، و عطاؤه من كوثر

و له أيضا من قصيدة فى جعفر بن على: [الطويل]

ألا أيها الوادى المقدّس بالندى و أهل الندى قلبى إليك مشوق

و يا أيها القصر المنيف قبابه على الزاب لا يسدد إليك طريق

و يا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجد و هو فريق

فما أنس لا أنس الأمير إذا غدا يروع بحور ملكه و يروق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۲

فللجود مجرى من صفيحة وجهه إذا كان من ذاك الجبين شروق

و هزّته للمجد حتى كأنما جرت فى سجاياه العذاب رحيق

أما و أبى تلك الشمائل إنها دليل على أنّ النّجار عتيق

فكيف بصبر النفس عنه و دونه من الأرض مغبّرّ الفجاج عميق

فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما فليس لهذا الملك غيرك فوق

و لا تشكر الدنيا على نيل رتبة فما نلتها إلّا و أنت حقيق

و له من أخرى: [الطويل]

خليلىّ، أين الزاب منى و جعفر و جنّات عدن بنت عنها و كوثر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۴۱۲

فقبلى نأى عن جنّة الخلد آدم فلما راقه من جانب الأرض منظر

لقد سرّنى أنى أمرّ بباله فيخبرنى عنه بذلك مخبر

و قد ساءنى أنى أراه ببلدة بها منسك منه عظيم و مشعر

و قد كان لى منه شفيع مشفّع به يمحص اللّه الذنوب و يغفر

أتى الناس أفواجا إليك كأنما من الزاب بيت أو من الزاب محشر

فأنت لمن قد مزّق اللّه شمله و معشره و الأهل أهل و معشر

و له أيضا: [الطويل]

ألا طرقتنا و النجوم ركود و فى الحىّ أيقاظ و نحن هجود

و قد أعجل الفجر الملمّع خطوها و فى أخريات الليل منه عمود

سرت عاطلا غضبى على الدّرّ وحده و لم يدر نحر ما دهاه وجيد

فما برحت إلّا و من سلك أدمعى قلائد فى لبّاتها و عقود

و يا حسنها فى يوم نضّت سوالفا تروغ إلى أترابها و تحيد

أ لم يأتها أنّا كبرنا عن الصّبا و أنا بلينا و الزمان جديد

و لا كالليالى ما لهنّ مواثق و لا كالغوانى ما لهنّ عهود

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۳

و لا كالمعزّ ابن النبىّ خليفة له اللّه بالفخر المبين شهيد

و له من قصيدة يمدح بها يحيى بن على بن رمان: [الطويل]

قفا بى فلا مسرى سرينا و لا نسرى و إلّا نرى مشى القطا الوارد الكدر

قفا نتبيّن أين ذا البرق منهم و من أين تأتى الريح طيبة النّشر

لعلّ ثرى الوادى الذى كنت مرّة أزورهم فيه تضوّع للسّفر

و إلّا فما واد يسيل بعنبر و إلّا فما تدرى الركاب و لا ندرى

أكلّ كناس بالصريم تظنّه كناس الظباء الدّعج و الشّدن العفر

و هل عجبوا أنى أسائل عنهم و هم بين أحناء الجوانح و الصّدر

و هل علموا أنى أيمّم أرضهم و مالى بها غير التعسّف من خبر

و لى سكن تأتى الحوادث دونه فيبعد عن عينى و يقرب من فكرى

إذا ذكرته النفس جاشت بذكره كما عثر الساقى بجام من الخمر

فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا فوالعصر إنى قبل يحيى لفى خسر

و آليت لا أعطى الزمان مقادتى على مثل يحيى ثم أغضى على الوتر

حنينى إليه ظاعنا و مخيّما و ليس حنين الطير إلّا إلى الوكر

و له من قصيدة: [الكامل]

فتكات طرفك أم سيوف أبيك و كؤوس خمرك أم مراشف فيك

أجلاد مرهفة و فتك محاجر لا أنت راحمة و لا أهلوك

يا بنت ذى السيف الطويل نجاده أكذا يجوز الحكم فى ناديك

عيناك أم مغناك موعدنا، و فى وادى الكرى ألقاك أم واديك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۴

و له أيضا: [الكامل]

أحبب بهاتيك القباب قبابا لا بالحداة و لا الركاب ركابا

فيها قلوب العاشقين تخالها عنما بأيدى البيض أو عنّابا

و اللّه لو لا أن يعنّفنى الهوى و يقول بعض العاذلين تصابى

لكسرت دملجها بضيق عناقها و رشفت من فيها البرود رضابا

بنتم فلو لا أن أغيّر لمّتى عبثا و ألقاكم علىّ غضابا

لخضبت شيبا فى مفارق لمتى و محوت محو النّقس عنه شبابا

و خضبت مبيضّ الحداد عليكم لو أننى أجد البياض خضابا

و إذا أردت على المشيب وفادة فاحثث مطيّك دونه الأحقابا

فلتأخذنّ من الزمان حمامة و لتدفعنّ إلى الزمان غرابا

و منها:

قد طيّب الأقطار طيب ثنائه من أجل ذا نجد الثغور عذابا

لم تدننى أرض إليك و إنما جئت السماء ففتحت أبوابا

و رأيت حولى وفد كلّ قبيلة حتّى توهّمت العراق الزبا

أرض وطئت الدّرّ من رضراضها و المسك تربا و الرياض جنابا

و رأيت أجبل أرضها منقادة فحسبتها مدّت إليك رقابا

سدّ الإمام بك الثغور و قبله هزم النبىّ بقومك الأحزابا

و قال ابن هانىء يصف الأسطول: [الطويل]

معطّفة الأعناق نحو متونها كما نبّهت أيدى الحواة الأفاعيا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۵

إذا ما وردن الماء شوقا لبرده صدرن و لم يشربن غرفا صواديا

إذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة ترى عقربا منها على الماء ماشيا

[أبو أحمد بن فرج الجيانى: ترجمته و بعض شعره]

و قال الأديب أبو عمر أحمد بن فرج الجيّانى رحمه اللّه تعالى: [الوافر]

و طائعة الوصال عدوت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع

بدت فى الليل ساترة ظلام ال دّياجى منه سافرة القناع

و ما من لحظة إلّا و فيها إلى فتن القلوب لها دواعى

فملّكت النّهى جمحات شوقى لأجرى بالعفاف على طباعى

و بتّ بها مبيت الطفل يظما فيمنعه الفطام عن الرّضاع

كذاك الروض ليس به لمثلى سوى نظر و شمّ من متاع

و لست من السوائم مهملات فأتّخذ الرياض من المراعى

و قال: [مخلع البسيط]

للروض حسن فقف عليه و اصرف عنان الهوى إليه

أما ترى نرجسا نضيرا يرنو إليه بمقلتيه

نشر حبيبى على رباه و صفرتى فوق و جنتيه

و قال: [الطويل]

بمهلكة يستهلك الحمد عفوها و يترك شمل العزم و هو مبدّد

ترى عاصف الأرواح فيها كأنها من الأين تمشى ظالع أو مقيّد

و قال فى المطمح: محرز الخصل، مبرّز فى كل معنى و فصل، متميز بالإحسان، منتم إلى فئة البيان، ذكى الخلد مع قوة العارضة، و المنّة الناهضة، حضر مجلس بعض القضاة و كان مشتهر الضّبط، منتصرا لمن انبسط فيه بعض البسط، حتى إنّ أهله لا يتكلّمون فيه إلّا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۶

رمزا، و لا يخاطبون إلّا إيماء فلا تسمع لهم ركزا، فكلّم فيه خصما له كلاما استطال به عليه لفضل بيانه، و طلاقة لسانه، ففارق عادة المجلس فى رفض الأنفه، و خفض الحجّة المؤتنفة، و هزّ عطفه و حسر عن ساعده، و أشار بيده، مادا بها لوجه خصمه، خارجا عن حدّ المجلس و رسمه، فهمّ الأعوان بتقويمه و تثقيفه، و وزعهم رهبة منه و خشية، حتى تناوله القاضى بنفسه، و قال له: مهلا، عافاك اللّه، اخفض صوتك، و اقبض يدك، و لا تفارق مركزك، و لا تعد حقّك، و أقصر عن إدلالك، فقال له: مهلا يا قاضى، أمن المخدّرات أنا فأخفض صوتى و أستر يدى، و أغطى معاصمى لديك؟ أم من الأنبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك؟ و ذلك لم يجعله اللّه تعالى إلّا لرسوله عليه الصلاة و السلام، لقول اللّه تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِ [سورة الحجرات، الآية: ۲]- إلى قوله: تَشْعُرُونَ [سورة الحجرات، الآية: ۲] و لست به و لا كرامة، و قد ذكر اللّه تعالى أنّ النفوس تجادل فى القيامة فى موقف الهول الذى لا يعدله مقام، و لا يشبه انتقامه انتقام، فقال تعالى يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها [سورة النحل، الآية: ۱۱۱]- إلى قوله تعالى: وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ [سورة النحل، الآية:

۱۱۱] لقد تعديت طورك، و علوت فى منزلك، و إنما البيان، بعبارة اللسان، و بالنطق يستبين الحقّ من الباطل، و لا بدّ فى الخصام، من

إفصاح الكلام. و قام و انصرف. فبهت القاضى، و لم يحر جوابا، و كان فى الدولة صدرا من أعيانها، و ناسق درر تبيانها، نفق فى سوقها و صنّف، و قرّط محاسنها و شنّف، و له الكتاب الرائق، المسمّى بالحدائق، و أدركه فى الدولة سعى، و رفض له فيها الرّعى، و اعتقله الخليفة و أوثقه فى مكان أخيه فلم يومض له عفو، و لم يشبّ كدر حاله صفو، حتى قضى معتقلا، و نعى للنائبات نعيا مثكلا، و له فى السجن أشعار كثيرة، و أقوال مبدعات منيرة، فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالا طرقه، بعد ما أسهره الوجد و أرّقه: [الوافر]

بأيّهما أنا فى الشّكر بادى بشكر الطّيف أم شكر الرقاد

سرى و ازداد فى أملى و لكن عففت فلم أجد منه مرادى

و ما فى النوم من حرج و لكن جريت من العفاف على اعتيادى

[أبو عبد اللّه محمد بن الحداد: ترجمته و بعض شعره]

و قال الشاعر المشهور أبو عبد اللّه محمد بن الحدّاد: [البسيط]

يا غائبا، خطرات القلب محضره الصّبر بعدك شىء لست أقدره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۷

تركت قلبى و أشواقى تفطّره و دمع عينى و أحداقى تحدّره

لو كنت تبصر فى تدمير حالتنا إذن لأشفقت مما كنت تبصره

فالعين دونك لا تحلى بلذّتها و الدّهر بعدك لا يصفو تكدّره

أخفى اشتياقى و ما أطويه من أسف عن البرية و الأنفاس تظهره

قال فى المطمح: هو شاعر مادح، و على أيك الندى صادح، لم ينطقه إلّا معن أو صمادح، فلم يرم مثواهما، و لم ينتجع سواهما، و اقتصر على المرية، و اختصر قطع المهامه و خوض البرّيّة، فعكف فيها ينثر درره فى ذلك المنتدى، و يرشف أبدا ثغور ذلك النّدى، مع تميّزه بالعلم، و تحيّزه إلى فئة الوقار و الحلم، و انتمائه إلى آية سلف، و مذهبه مذاهب أهل الشّرف، و كان له لسن و رواء يشهدان له بالنباهة، و يقلّدان كاهله ما شاء من الوجاهة، و قد أثبتّ له بعض ما قذفه من درره، وفاه به من محاسن غرره؛ فمن ذلك قوله: [الطويل]

إلى الموت رجعى بعد حين فإن أمت فقد خلّدت خلد الزمان مناقبى

و ذكراى فى الآفاق طيبا كأنها بكلّ لسان طيب عذراء كاعب

ففى أىّ علم لم تبرّز سوابقى و فى أىّ فنّ لم تبرّز كتائبى

و حضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبّانة فأنشد فيه قصيدا أبرز به من عرا الإحسان ما لم ينفصم و استمرّ فيها يكمل بدائعها و قوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوّله: [الكامل]

عج بالحمى حيث الظّباء العين

فقال ابن الحداد مرتجلا: [الكامل]

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى فى سلك غيرى درّى المكنون

و إليكها تشكو استلاب مطيّها: عج بالحمى حيث الظّباء العين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۸

فاحكم لها و اقطع لسانا لا يدا فلسان من سرق القريض يمين

و له: [مجزوء الكامل]

إنّ المدامع و الزّفير قد أعلنا ما فى الضّمير

فعلام أخفى ظاهرا سقمى علىّ به ظهير

هب لى الرّضا من ساخط قلبى بساحته الأسير

و له أيضا: [مجزوء الرمل]

أيّها الواصل هجرى أنا فى هجران صبرى

ليت شعرى أىّ نفع لك فى إدمان ضرّى

و له أيضا: [البسيط]

يا مشبه الملك الجعدىّ تسمية و مخجل القمر البدرىّ أنوارا

و له: [الطويل]

تطالبنى نفسى بما فيه صونها فأعصى، و يسطو شوقها فأطيعها

و و اللّه ما يخفى علىّ ضلالها و لكنها تهوى فلا أستطيعها

و قال: [الطويل]

بخافقة القرطين قلبك خافق و عن خرس القلبين دمعك ناطق

و فى مشرق الصّدغين للبدر مغرب و للفكر إظلام و للعين شارق

و بين حصا الياقوت ماء وسامة محلّأة عنه الظّباء السوابق

و حشو قباب الرّقم أحوى مقرطق كما آس روض عطفه و القراطق

انتهى باختصار.

[الأسعد بن بليطة: ترجمته و بعض شعره]

و قال الأسعد بن بليطة: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۱۹

برامة ريم زارنى بعدما شطّا تقنّصته بالحلم فى الشّطّ فاشتطّا

رعى من أفانين الهوى ثمر الحشا جنيا و لم يرع العهود و لا الشرطا

خيال لمرقوم غرير برامة تأوبنى بالرقمتين لدى الأرطى

فألثمنى من خدّها روضة الجنى و ألذعنى من صدغها حية رقطا

و باتت ذراعاها نجادا لعاتقى إذا التقتا بالحلى غنى لها لغطا

و سلّ اهتصارى غصنها من مخصّر طواه الضنى طىّ الطوامير فامتطّا

و قد غاب كحل الليل فى دمع فجره إلى أن تبدّى الصبح فى اللّمّة الشمطا

و منها فى وصف الديك:

و قام لها ينعى الدجى ذو شقيقة يدير لنا من عين أجفانه سقطا

إذا صاح أصخى سمعه لأذانه و بادر ضربا من قوادمه الإبطا

كأنّ أنوشروان أعلاه تاجه و ناطت عليه كفّ مارية القرطا

سبى حلّة الطاووس حسن لباسها و لم يكفه حتى سبى المشية البطّا

و من غزلها:

غلاميّة جاءت و قد جعل الدجى لخاتم فيها فصّ غالية خطّا

فقلت أحاجيها بما فى جفونها و ما فى الشفاه اللّعس من حسنها المعطى

مخمرة العينين من غير سكرة متى شربت ألحاظ عينيك إسفنطا

أرى نكهة المسواك فى حمرة اللّمى و شاربك المخضرّ بالمسك قد خطّا

عسى قزح قبّلته فإخاله على الشفة اللمياء قد جاء مختطّا

و قال فى المطمح فى تحلية الأسعد: إنه سرد البدائع أحسن السّرد، و افترس المعانى كالأسد الورد و أبرز درر المحاسن من صدفها، و حاز من فخر الإجادة و شرفها، و مدح ملوكا طوّقهم من مدائحه قلائد، و زفّ إليهم منها خرائد، و جلاها عليهم كواعب، بالألباب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۰

لواعب، فأسالت العوارف، و ما تقلّص له من الحظوة ظلّ وارف، و قد أثبتّ له ما يعترف بحقّه، و يعرف به مقدار سبقه، فمن ذلك قوله: [الكامل]

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا و المزن يبكينا بعينى مذنب

و الشمس قد مدّت أديم شعاعها فى الأرض تجنح غير أن لم تغرب

و قوله: [الكامل]

و تلذّ تعذيبى كأنّك خلتنى عودا فليس يطيب ما لم يحرق

و هو مأخوذ من قول ابن زيدون: [الطويل]

تظنونى كالعود حقّا و إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار.

و قال الأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء، و هو كما فى المطمح: من فحول الشعراء، و أئمتهم الكبراء، و كان منتجعا بشعره، مسترجعا من صرف دهره، و كانت له همّة أطالت همّه، و أكثرت كمده و غمّه: [الطويل]

يؤرّقنى الليل الذى أنا نائمه فتجهل ما ألقى و طرفك عالمه

و فى الهودج المرقوم وجه طوى الغشا عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه

إذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه يضلّهم عن منهج القصد فاحمه

أظلما رأوا تقليده الدّرّ أم زروا بتلك اللآلى أنهنّ تمائمه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۱

فهرس الرسائل و الخطب و المراجعات للجزء الرابع من كتاب نفح الطيب

رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلسيين ۴/ ۷

رسالة الشقندى فى فضل الأندلس و الأندلسيين ۴/ ۲۷

ابن الجفان، أبو الوليد رسالة يستدعى فيها بعض إخوانه ۴/ ۱۶

ابن الربيب: رسالته إلى أبى المغيرة ابن حزم حول إهمال الأندلسيين لتراثهم ۴/ ۷

ابن سعيد، أبو الحسن: تذييله على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس ۴/ ۲۲

ابن الفخار، أبو عبد اللّه خطبته فى الدفاع عن القاضى التوحيدى ۴/ ۱۹۲

ابن الفراء، أبو عبد اللّه: رسالته إلى يوسف بن تاشفين ۴/ ۱۸۷

ابن غانم: جوابه على رسالة وصلته من هاشم بن عبد العزيز ۴/ ۱۷۶

أبو محمد عبد الرحمن المعافرى الوزير: رسالة منه إلى الفتح بن خاقان ۴/ ۶۳

أبو الوليد حبيب: رسالته إلى أبيه ۴/ ۲۲۰

ابن خفاجة، أبو إسحاق رسالة إلى من بقل عذاره ۴/ ۲۴۷

ابن اللمائى: قطعة من رسالة له ۴/ ۳۲۰

أبو أمية: رسالة إلى ابن عبد الغفور ۴/ ۳۲۵

أبو الفضل ابن الأعلم: نماذج من نثره ۴/ ۴۰۳

أيوب المروانى: رسالته إلى بسام بن شمعون الوشقى ۴/ ۳۰۶

حريز بن عكاشة: رسالة منه إلى الأذفونش ۴/ ۳۳۱

مراجعة لابن ذى النون حول رسالة منه ۴/ ۳۳۲

عبد الحميد بن لاطون: رسالة له على لسان حريز بن عكاشة ۴/ ۳۳۱

المأمون بن ذى النون: ردّه على رسالة كتبها عبد الحميد بن لاطون على لسان حريز ۴/ ۳۳۱

المنذر المروانى: رسالته إلى أبيه ۴/ ۳۴۶

يحيى بن يطفت: رسالته إلى ابن هود ۴/ ۳۳۳

على بن خير التطيلى: رسالته إلى أبى عبد الصمد السرقسطى ۴/ ۲۰۱

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۲

فهرس موضوعات الجزء الرابع

من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرّى الباب السابع فى نبذة مما منّ اللّه به على أهل الأندلس ۳

ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين فى كتابه «فرحة الأنفس». ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين فى كتابه «فرحة الأنفس». ۴

ابن سعيد يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين ۵

الحميدى يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين ۵

ابن بسام و الحجارى يذكران محاسن الأندلس و الأندلسيين ۶

رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلسيين ۷

تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم ۲۲

رسالة الشقندى فى فضل الأندلس و الأندلسيين ۲۷

شمائل أهل الأندلس ۴۷

فضائل البلاد ۴۷

إشبيليته ۴۷

قرطبة ۴۹

جيان ۵۱

غرناطة ۵۱

مالقة ۵۲

المرية ۵۳

مرسية ۵۳

بلنسية ۵۴

جزيرة ميورقة ۵۴

بعض حكايات الأندلسيين ۵۶

مذهب الأندلسيين ۶۰

من شعر ابن يغمور ۶۱

الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى ۶۲

بين المعتمد و البطليوسى النحلى ۶۴

ابن عبد البر يفتى بجواز أكل طعام الأمراء ۶۵

أبو بكر يحيى بن مجير الفهرى ۶۷

من شعر الأندلسيين ۶۹

سرعة ارتجال الأندلسيين ۷۰

بين ابن شهيد و ابن أبى عامر ۷۱

ابن شهيد عند القاضى ابن ذكوان ۷۲

بين ابن شهيد و جماعة من أصحابه ۷۲

بين أبى العلاء بن زهر و ابن رزين ۷۴

عبد اللّه بن عاصم صاحب الشرطة فى قرطبة ۷۴

بين ابن ظافر و الملك الأشرف الأيوبى ۷۵

بعض بدائع ابن ظافر ۷۶

من ارتجال ابن قلاقش الاسكندرى ۸۰

عود إلى كلام أهل الأندلس ۸۴

البطليوسى و أولاد ابن الحاج ۱۰۷

من ملح أشعار الأندلسيين ۱۰۸

من ملح ابن الزقاق ۱۰۹

من ملح السميسر ۱۱۰

لابن رزين ۱۱۱

لسلطان بلنسية ۱۱۱

للبطليوسى المتلمس ۱۱۱

لابن غالب ۱۱۲

لابن خرج السميسر ۱۱۲

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۳

لابن برد ۱۱۲

لابن عبدون ۱۱۲

لأبى الفضل بن حسداى ۱۱۳

بين ابن عبد ربه و يحيى القلفاط ۱۱۳

من مروءة ابن جبير الرحالة ۱۱۴

من شعر أبى عمران المارتلى الزاهد ۱۱۴

من شعر أبى الصلب أمية بن عبد العزيز ۱۱۵

من شعر ابن خفاجة ۱۱۶

من مجون أهل الأندلس ۱۱۶

من شعر ابن خفاجة ۱۲۰

لابن الأبار ۱۲۱

ترجمة ابن الأبار ۱۲۱

لجماعة من شعراء الأندلس ۱۲۲

أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير ۱۲۳

عود إلى ملح أهل الأندلس ۱۲۶

أبو أمية بن عفيرة قاضى إشبيلية ۱۲۷

على بن ظافر و يعقوب ۱۲۸

من محاسن أبى الحجاج البياسى ۱۳۲

ابن صارة و إخوان له ۱۳۲

بين ابن خفاجة و ابن وهبون ۱۳۳

ابن خفاجة و أصحاب له ۱۳۳

بين السميسر و بعض رؤساء المرية ۱۳۵

عباد بن الحريش و رجال من سراة أصبهان ۱۳۵

أبو الصلت و إخوان له ۱۳۶

للوزير الوقشى فى غلام أسود ۱۳۶

أبو يحيى اليكى ۱۳۷

من شعر ابن مفيد ۱۳۷

لجماعة من أهل الأندلس ۱۳۷

ابن عمار و غلامان من بنى جهور ۱۳۸

ابن عمار و ابن معيشة الكنانى ۱۳۹

ابن عمار و غلام لابن هود ۱۳۹

المعتصم بن صمادح ۱۴۰
بعض ما قيل فى البعوض ۱۴۱
عود إلى أهل الأندلس ۱۴۲
فى وصف الأهرام ۱۴۴
فى وصف فرس ۱۴۴
بكار المروانى ۱۴۶
محمد بن أيوب المروانى ۱۵۰
للمطرف بن عمر المروانى ۱۵۱
بين الأمير هشام بن عبد الرحمن و أخيه ۱۵۲
بين سعيد بن اضحى و بعض الشعراء ۱۵۳
لابن خفاجة ۱۵۳
لأبى بكر محمد بن سهل ۱۵۴
لابن اللبانة ۱۵۴
بين الحجارى و القاضى اللوشى ۱۵۵
بين ابن بقى و التطيلى الأعمى ۱۵۶
وصف حمام ۱۵۷
وصف دار جمال الملك البغدادى ۱۵۸
بعض ما قيل فى الحمام ۱۵۹
عود إلى ملح أهل الأندلس ۱۶۰
لابن الزقاق ۱۶۲
لابن خفاجة ۱۶۲
لأبى الصلت ۱۶۲
ليحيى بن هذيل ۱۶۳
لمهيار الديلمى ۱۶۳
لأبى عامر بن شعيد ۱۶۴
لابن شهيد يرثى القاضى ابن ذكوان ۱۶۵
لابن شهيد يشكو دهره ۱۶۶
مرض ابن شهيد و آخر شعر قاله ۱۶۸
بين ابن غصن و ابن ذى النون و ابن هود ۱۶۸
بين أبى عامر و الرمادى ۱۶۹
من عدل المعتصم بن صمادح ۱۷۱
عز الدولة بن المعتصم بن صمادح ۱۷۲
بين ابن اللبانة و عز الدولة بن المعتصم ۱۷۳

من شعر عز الدولة بن المعتصم ۱۷۳

من شعر رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح ۱۷۳

من شعر أبى جعفر بن المعتصم ۱۷۴

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۴

لابن زهر ۱۷۴

لابن شرف ۱۷۴

لابن خفاجة ۱۷۴

للبياسى ۱۷۴

لابن حريق ۱۷۵

لأبى الحسن بن الفضل ۱۷۵

قصة فى الوفاء و القيام بحق الإخاء ۱۷۵

قصة فى علو الهمة ۱۷۶

عباس بن فرناس حكيم الأندلس ۱۷۷

أول من اشتهر فى الأندلس بالحساب و النجوم ۱۷۸

المشهورون فى الأندلس بالطب و المعالجات ۱۷۸

مثل من حفظ أهل الأندلس ۱۸۰

ابن سيده و شىء من شعره ۱۸۲

المظفر بن الأفطس و حبه للعلم ۱۸۲

من كبار مؤلفات أهل الأندلس ۱۸۲

من دعابات أهل الأندلس ۱۸۲

من شعر ابن الفداء ۱۸۳

من ملح الزهرى خطيب إشبيلية ۱۸۴

ابن ورد و أحد الأعيان ۱۸۵

من ملح ابن الطراوة نحوى المرية ۱۸۵

مدغليس صاحب الموشحات و الأزجال ۱۸۶

لابن الفراء و ترجمته ۱۸۷

جد ابن الفراء ۱۸۷

ابن الفراء الأخفش بن ميمون ۱۸۸

ابن مسعود و الطليق القرشى ۱۸۹

بين جارية و شاعر من المرية ۱۹۰

البياسى و شيخ ثقيل ۱۹۰

أبو على بن حسون قاضى مالقة ۱۹۱

موقف لابن الفخار ۱۹۲

لابن شرف ۱۹۳

ابن شرف الجذامى ۱۹۵

من شعر الحكيم الفيلسوف أبى الفضل الجذامى ۱۹۵

أبو عبد اللّه محمد بن معمر ابن أخت غانم ۱۹۶

بين أبن عبدون و ابن ضابط ۱۹۷

من شعر غانم المخزومى ۱۹۷

بين ابن الغليظ و ابن السراج ۱۹۸

العطاء المالقى فى وصف غادة ۱۹۸

أبو القاسم السهيلى ۱۹۹

بين السهيلى و الرصافى ۲۰۰

أبو الفضل بن حسداى الوزير الكاتب ۲۰۰

أبو الربيع السرقسطى ۲۰۱

بين على بن خير و ابن عبد الصمد السرقسطى ۲۰۱

قصة من رقة طباع الأندلسيين ۲۰۲

بين ابن خفاجة و ابن عنق الفضة ۲۰۳

من شعر أبى بكر بن سدراى الوزير ۲۰۵

من شعر مروان بن عبد العزيز ملك بلنسية ۲۰۵

من شعر أبى عامر بن الفرج الوزير ۲۰۶

من شعر أبى الحسن على بن حريق ۲۰۷

لأبى جعفر بن الذهبى ۲۰۸

بين المعتصم بن صمادح و خلف السميسر ۲۰۸

لابن صارة ۲۱۰

لابن الزقاق ۲۱۰

من شعر أبى تمام غالب بن رباح الحجام ۲۱۱

لابن زقاق و ابن مسعدة ۲۱۴

ابن أزرق ۲۱۵

لأبى جعفر بن أزرق و أبى القاسم بن أزرق ۲۱۵

لراشد بن عريف ۲۱۵

لابن عائش ۲۱۶

لأبى الحسن بن شعيب ۲۱۷

لأبى حامد بن شعيب ۲۱۷

لأبى الحسن بن رجاء ۲۱۷

لأبى محمد بن الفتح ۲۱۷
لأبى مروان بن غصن ۲۱۸
لإبراهيم الحجارى ۲۱۹
لابن خيرة ۲۲۰
لأبى جعفر الإشبيلى ۲۲۰
للوزير أبى الوليد بن حبيب ۲۲۰
للوزير أبى الحسن بن حصن ۲۲۲
للوزير ابن طريف ۲۲۲
لأبى العباس الخزرجى ۲۲۳
للوزير أبى سليمان بن أبى أسيهٔ ۲۲۳
لأبى على عمر بن أبى خالد ۲۲۳
للكاتب عبد اللّه المهيريس ۲۲۴
للكاتب أبى بكر بن البناء ۲۲۴
حديث عن بنى زهر ۲۲۴
أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر ۲۲۶
لأبى الوليد بن حزم ۲۲۶
لابن عبد ربه ۲۲۷
لأبى عبد اللّه الرندى ۲۲۷
للمعتمد بن عباد ۲۲۸
لأبى الفرج الجيانى ۲۲۸
للرصافى و ابن عبد ربه و ابن صارهٔ و غيرهم ۲۲۹
لابن شهيد ۲۳۰
فى لبس الأندلسيين البياض فى الحزن ۲۳۱
لأبى جعفر بن خاتمهٔ ۲۳۱
للقسطلى يصف البحر ۲۳۱
للرمادى يهنئ بمولود ۲۳۲
لابن صارهٔ يصف النار ۲۳۲
لابن لبال و ابن شهيد ۲۳۳
لابن هانىء ۲۳۳
من ابن عمار إلى ابن رزين ۲۳۴
لابن الجد و ابن عبد ربه و النحلى ۲۳۴
لابن شهيد ۲۳۴
أبى عمر بن أبى محمد الوزير ۲۳۵

بين ابن عياش و ابن زرقون ۲۳۶
بين ابن عبد ربه و فتى يهواه ۲۳۶
لغانم المالقى ۲۳۶
ابن بقى و الأبيض ۲۳۶
لابن صارة و عبدون البلنسى ۲۳۷
الوزير ابن الحكيم ۲۳۸
لابن جعفر بن برطال ۲۳۸
لابن خفاجة ۲۳۸
لأبى الوليد بن الحضرمى ۲۳۸
لأبى أيوب البطليوسى ۲۳۹
أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى ۲۴۰
من شعر إبراهيم البطليوسى ۲۴۰
من شعر القلندر البطليوسى ۲۴۰
من شعر ابن جاخ الصباغ ۲۴۰
من شعر الكميت البطليوسى ۲۴۰
من شعر محمد بن البين البطليوسى ۲۴۱
بين المتوكل و مضحك يدعى «الخطارة» ۲۴۲
من شعر أبى زيد بن مولود الوزير ۲۴۲
من شعر عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى ۲۴۲
ضوابط لحروف الزيادة ۲۴۳
من شعر عبد اللّه بن الليث ۲۴۴
من شعر أبى القاسم بن الأبرشى ۲۴۵
من شعر أبى الحسين على بن بسام الشنترينى ۲۴۵
من شعر عمر بن كوثر ۲۴۶
من شعر أبى محمد بن سارة ۲۴۶
من شعر منذر الأشبونى ۲۴۶
من شعر خلف القطينى ۲۴۶
من شعر أبى محمد بن السيد النحوى ۲۴۶
من شعر ابن خفاجة ۲۴۷
من شعر الرصافى ۲۴۷
من شعر أبى بكر بن حبيش ۲۴۷
من شعر أبى الحسن بن جابر ۲۴۸
من شعر أبى بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلى ۲۴۸

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۶

من شعر صفوان ۲۴۸

من شعر أبى بكر بن يوسف ۲۴۹

من شعر أبى القاسم القبتورى ۲۴۹

من شعر أبى الحسن بن الحاج ۲۴۹

من شعر أحمد بن أميهٔ البلنسى ۲۴۹

من شعر ابن برطلهٔ ۲۴۹

من شعر ابن خروف ۲۴۹

من شعر أبى بكر بن مالك ۲۵۰

من شعر أبى الحسن بن حريق ۲۵۰

من شعر أبى الحسن بن زقاق ۲۵۰

من شعر أبى بكر بن الجزار السرقسطى ۲۵۱

من شعر أبى عبد الله الجذامى ۲۵۱

من شعر سلمهٔ بن أحمد ۲۵۱

من شعر أبى الحسن بن حزمون ۲۵۱

من شعر أبى بكر بن مالك ۲۵۲

من شعر أبى بكر بن مالك ۲۵۲

من شعر القاضى ابن السليم ۲۵۲

من شعر الوزير ابن أبى الخصال ۲۵۲

من شعر الرصافى ۲۵۲

من شعر ابن باجهٔ ۲۵۳

من شعر أبى العباس أحمد الإشبيلى ۲۵۳

من شعر ابن زهر الحفيد ۲۵۴

من شعر أبى بكر بن زهر الأصغر ۲۵۴

من شعر أبى جعفر عمر ابن صاحب الصلاهٔ ۲۵۵

من شعر أبى بكر محمد ابن صاحب الصلاهٔ فى عمرو بن مذحج ۲۵۵

من شعر ابن السيد البطليوسى فى عمرو بن مذحج ۲۵۶

من شعر ابن عبدون ۲۵۶

جواب عمرو بن مذحج ۲۵۶

لعمرو بن مذحج فى أبى العلاء بن زهر ۲۵۷

من شعر محمد بن مذحج ۲۵۷

من شعر أبى الوليد بن مذحج ۲۵۷

من شعر أبى الحسين بن فندلهٔ ۲۵۸

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۴؛ ص۴۲۶

شعر أبى العباس بن سيد فى ابن فندلة ۲۵۸

من شعر أبى القاسم بن حسان ۲۵۸

من شعر أبى بكر بن مرتين ۲۵۹

من شعر القاضى ابن زرقون ۲۵۹

من شعر أبى عبد اللّه محمد بن عمر الإشبيلى ۲۶۰

من شعر أبى بكر الزبيدى ۲۶۰

من شعر أبى بكر بن طلحة الإشبيلى ۲۶۰

من شعر أبى جعفر بن الأبار الإشبيلى ۲۶۱

من شعر أبى القاسم العطار الإشبيلى ۲۶۲

من شعر أبى عمرو الإشبيلى ۲۶۲

أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبيلى ۲۶۲

من شعر مالك بن وهيب الإشبيلى ۲۶۳

من شعر أبى الصلت أمية بن عبد العزيز ۲۶۳

من شعر عبد الرحمن بن سبلاق ۲۶۷

من شعر أبى بكر محمد بن نصر الإشبيلى ۲۶۷

من شعر أحمد بن محمد الإشبيلى ۲۶۷

من شعر ابن الأصبغ بن سيد ۲۶۸

من شعر إبراهيم بن خيرة الصباغ ۲۶۸

من شعر أبى بكر بن حجاج ۲۶۸

من شعر أبى عبد اللّه الرصافى ۲۶۹

من شعر أبى جعفر بن الجزار ۲۶۹

من شعر أبى جعفر بن البنى ۲۶۹

من شعر أبى المطرف أحمد بن عميرة ۲۷۰

من شعر أبى جعفر أحمد بن طلحة ۲۷۰

من شعر أبى إسحاق بن خفاجة ۲۷۱

من شعر أبى بكر محمد بن أحمد الأنصارى المعروف بالأبيض ۲۷۱

من شعر أبى على عمر الشلوبين النحوى ۲۷۳

من شعر أبى إسحاق إبراهيم الإلبيرى ۲۷۳

من شعر أبى بكر بن عبادة القزاز ۲۷۳

من شعر أبى الحسن بن نزار و خبره ۲۷۴

بين ابن نزار و أبى جعفر بن سعيد ۲۷۷

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۷

بين ابن نزار و ابن سعيد و الكتندى ۲۷۸
من شعر أبى الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم ۲۷۹
من شعر أبى عامر بن أبى الأصبغ ۲۷۹
من شعر أبى محمد عبد البر بن فرسان ۲۸۰
من شعر حاتم بن حاتم العنسى ۲۸۰
من شعر التطيلى الأعمى ۲۸۰
ابن ظافر و القاضى المؤيد ۲۸۱
من شعر ابن شعبهٔ الوادى آشى ۲۸۲
من شعر ابن الحداد الوادى آشى ۲۸۲
الوزير الفقيه أبو بلال ۲۸۵
من شعر ابن البراق ۲۸۵
من شعر أبى محمد عبد اللّه ۲۸۶
من شعر على بن مهلهل الجليانى ۲۸۶
من شعر يحيى بن مطروح ۲۸۶
من شعر أبى بكر محمد بن نصر الأوسى ۲۸۷
من شعر أبى عبد اللّه محمد بن على اللوشى ۲۸۷
من شعر أبى محمد عبد المولى اللوشى و أخباره ۲۸۸
من شعر حاتم بن سعيد ۲۹۱
من شعر مالك بن محمد بن سعيد ۲۹۱
بين محمد بن غالب و الكتندى و أبى جعفر بن سعيد ۲۹۲
من شعر أبى جعفر بن سعيد ۲۹۴
بين ابن الصابونى و أحد الأدباء ۲۹۶
من شعر ابن الصابونى و بعض أخباره ۲۹۷
بين ابن الخصال و القاضى ابن مالك ۲۹۸
بين أبى بكر بن المنخل و ابنه ۲۹۸
من شعر ابن المرغوى ۲۹۹
من شعر نسيم الإسرائيلى ۳۰۰
من شعر إبراهيم بن سهل الإسرائيلى ۳۰۰
ترجمهٔ إبراهيم بن سهل الإسرائيلى ۳۰۰
من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاهٔ ۳۰۲
إبراهيم بن الفخار اليهودى ۳۰۴
بين الياس بن المدور اليهودى و طبيب آخر ۳۰۵
قسمونهٔ بنت إسماعيل الشاعرهٔ ۳۰۶

من شعر أبى عبد اللّه بن رشيق القلعى ۳۰۷
حديث عن ابن رشيق القلعى ۳۰۸
من شعر أبى عيسى لبّ بن عبد الوارث القلعى ۳۰۸
من شعر جابر بن خلف الفحصى ۳۰۹
من شعر أبى يحيى بن الرميمى ۳۱۰
من شعر أبى بحر يوسف بن عبد الصمد ۳۱۰
من شعر أبى جعفر أحمد بن عباس الوزير ۳۱۱
من شعر أبى بكر التطيلى الأعمى ۳۱۲
من شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى ۳۱۲
من شعر عبد الملك بن سعيد الخازن ۳۱۲
من شعر محمد بن الأستجى (زحكون) ۳۱۳
من شعر المقدم بن المعافى ۳۱۳
من شعر عبد الملك بن نظيف ۳۱۳
من شعر هلال البيانى بن حمدين ۳۱۴
بين الزجالى و الاسكندرانى الوزير ۳۱۵
بين الزجالى و ابنه حامد ۳۱۵
من شعر الوزير أبى عبد اللّه بن عبد العزيز و ترجمته ۳۱۶
من شعر الوزير أبى الفرج ۳۱۷
ترجمة الوزير أبى الفرج ۳۱۷
من شعر الوزير أبى عامر بن مسلمة ۳۱۸
ترجمة الوزير أبى عامر بن مسلمة ۳۱۸
من شعر الوزير أبى حفص أحمد بن برد و ترجمته ۳۱۹
من شعر الوزير أبى جعفر اللمائى ۳۲۰
ترجمة الوزير حسان بن مالك و بعض شعره ۳۲۱
ترجمة الوزير أبى أيوب بن أبى أمية ۳۲۳
ترجمة الوزير أبى القاسم بن عبد الغفور ۳۲۵
من شعر الوزير أبى الوليد بن حزم ۳۲۶
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۸
من شعر ابن أبى زمنين و ترجمته ۳۲۷
من شعر خلف بن هارون يمدح بن حزم ۳۲۷
ترجمة الحافظ ابن حزم ۳۲۸
ترجمة أبى عبد اللّه بن مسرة ۳۲۹
فرار أبى عبد اللّه الخشنى من المناصب ۳۲۹

من دعابات أهل الأندلس ۳۲۹
من أجوبة ملوك الأندلس ۳۳۰
من شجاعة الأندلسيين ۳۳۰
ترجمة حريز بن عكاشة ۳۳۱
بين المقتدر و غلام نشأ عنده ۳۳۳
الأمير أبو عبد اللّه بن مردنيش ۳۳۴
من ظرف أهل الأندلس ۳۳۵
من شعر ابن عبد ربه ۳۳۶
من سعة اطلاع ابن زيدون ۳۳۶
من شعر أبى الربيع سليمان بن على الشلبى ۳۳۷
من شعر ابن مهران ۳۳۷
من شعر ابن السيد البطليوسى ۳۳۷
من شعر ابن صارة ۳۳۷
من شعر عبد الملك بن رزين ۳۳۸
من شعر ابن عبد ربه ۳۳۸
من أنفة الأندلسيين ۳۳۸
من كرم الأندلسيين ۳۳۹
من شعر أبى العرب الصقلى ۳۳۹
من كرم الوزير أبى بكر بن عبد العزيز ۳۴۰
من كرم المعتمد بن عباد ۳۴۰
من شعر الحجارى ۳۴۱
من شعر أبى العلاء إدريس بن أزرق ۳۴۲
من شعر محمد بن هشام المروانى ۳۴۲
من شعر أحمد بن هشام المروانى ۳۴۳
علو همة أحمد بن هشام ۳۴۳
المنذر بن عبد الرحمن الأوسط ۳۴۴
من شعر المنذر بن عبد الرحمن ۳۴۵
من كرم نفس المنذر بن عبد الرحمن ۳۴۵
المطرف بن عبد الرحمن الأوسط ۳۴۶
من شعر هشام بن عبد الرحمن الأوسط ۳۴۷
من شعر يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ۳۴۷
بين الأميرين محمد و أبان ابنى عبد الرحمن الأسط ۳۴۸
أبناء محمد بن عبد الرحمن و شيء من شعرهم ۳۴۸

من شعر محمد بن المنذر بن محمد ۳۴۹
من شعر عبد اللّه بن الناصر ۳۴۹
من جود بعض ملوك إفريقية ۳۵۰
بين عبد اللّه المروانى و صديق ۳۵۰
مقتل عبد اللّه بن الناصر ۳۵۰
من شعر عبد العزيز بن الناصر ۳۵۱
من شعر محمد بن الناصر ۳۵۱
من شعر محمد بن عبد الملك بن الناصر ۳۵۲
من شعر مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك ۳۵۳
من شعر أحمد بن سليمان بن أحمد ۳۵۴
من شعر أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن الناصر ۳۵۵
من شعر عبد اللّه بن محمد المهدى (الأقرع) ۳۵۵
من شعر سليمان بن المرتضى بن محمد (الغزال) ۳۵۶
من شعر سعيد بن محمد المروانى ۳۵۷
من شعر القاسم بن محمد المروانى ۳۵۸
من شعر الأصم المروانى ۳۵۸
من شعر أحمد المروانى ۳۵۹
من شعر الأصبغ القرشى ۳۶۰
من شعر سليمان بن عبد الملك الأموى ۳۶۰
من شعر أبى يزيد بن العاصى ۳۶۰
من شعر أبى الحجاج المنصفى ۳۶۰
بين ابن مرج الكحل و طبيب ۳۶۱
من شعر أبى محمد غانم بن وليد ۳۶۱
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۲۹
من شعر أبى جعفر اللمائى ۳۶۱
من شعر أبى عامر بن نيق ۳۶۱
من شعر أبى الحسن اللورقى ۳۶۲
من شعر أبى عيسى بن لبون ۳۶۲
من شعر أبى عامر بن الحمارة ۳۶۲
من شعر أبى العباس بن السعود ۳۶۲
من شعر الحكم بن علندة ۳۶۲
من شعر القاضى أبى موسى بن عمران ۳۶۳
من شعر أبى بكر بن الجزار السرقسطى ۳۶۳

من شعر أبى محمد بن حزم ۳۶۳
من شعر ابن صارة ۳۶۴
من شعر أبى القاسم بن العطار ۳۶۴
من شعر سهل بن مالك ۳۶۵
من شعر ابن صارة ۳۶۵
من شعر صفوان بن إدريس ۳۶۵
من شعر أبى جعفر بن وضاح ۳۶۵
من شعر الوزير ابن عمار ۳۶۶
من شعر أبى الحسن بن سعد الخير ۳۶۶
من شعر ابن أبى الخصال ۳۶۶
من شعر ابن صارة ۳۶۶
من شعر الخفاجى ۳۶۶
من شعر ابن وضاح ۳۶۷
من شعر ابى اسحاق خولانى ۳۶۷
من شعر ابن الابار ۳۶۷
من شعر حازم ۳۶۷
من شعر ابن سعد الخير ۳۶۸
من شعر ابن نزار الوادى آشى ۳۶۸
من شعر بعضهم فى القراسيا ۳۶۸
من شعر بعضهم يصف معاهد أنسه ۳۶۸
من شعر الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء ۳۶۹
كتاب شذور الذهب لعلى بن موسى ۳۶۹
مثل من سرعة بديهة الأندلسيين ۳۶۹
بين المعتمد بن عباد و ابن جاخ الصباغ ۳۷۰
بين الوزير ابن عمار و ابن جاخ الصباغ ۳۷۰
بين الوزير ابن عمار و يحيى القصاب ۳۷۱
بين المتوكل و ابن عبدون ۳۷۲
بين ابن الغليظ و ابن السراج ۳۷۲
بين ابن عبادة و ابن القابلة ۳۷۲
بين ابن شهيد و أبى جعفر وزير الصقلبى ۳۷۳
بين ابن عباد و ابنه الرشيد ۳۷۴
بين الفقيه على بن القاسم و جماعة من أصحابه ۳۷۴
بين الأمير عبد الرحمن و عبد اللّه بن الشمر ۳۷۵

بين الأمير عبد الرحمن و محمد بن سعيد الزجالى ۳۷۵
بين ابن عباد و ابن المرزبان ۳۷۶
ابن الصيرفى يزيد على بيت لابن السمط ۳۷۶
فى حضرة العالى بالله الإدريسى ۳۷۶
فى حضرة عبد الرحمن بن الحكم ۳۷۷
فى حضرة المعتمد بن عباد ۳۷۷
بين المعتمد و الوزير ابن عمار ۳۷۸
بين المعتمد بن عباد و ابن حمديس الصقلى ۳۷۸
بين عبد الرحمن الناصر و جماعة من خواصه ۳۷۸
بين ابن صارة و ابن القبطرنة ۳۸۰
بين أبى بكر بن الزبيدى و أبى الحسن المصحفى ۳۸۰
من شعر أبى بكر بن الزبيدى ۳۸۰
بين سهل بن مالك و جماعة من الأدباء ۳۸۲
بين ابن مطروح البلنسى و أبى الربيع الكلاعى ۳۸۲
بين ابن حمدون و الشلوبين ۳۸۳
من عفو المعتصم بن صمادح ۳۸۳
من شعر أبى عبد اللّه الرصافى ۳۸۳
من شعر أبى بكر محمد بن يحيى الشلطيشى ۳۸۴
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۴، ص: ۴۳۰
من شعر أبى بكر بن العطار اليابسى ۳۸۴
من شعر محمد بن الحسن الجيلى ۳۸۴
من شعر محمد بن حرب ۳۸۴
من شعر محمد بن اليسع ۳۸۵
من شعر أحمد بن أفلح ۳۸۵
من شعر أحمد بن تليد ۳۸۵
من شعر إسحاق بن المنادى ۳۸۵
من شعر غالب بن عبد اللّه الثغرى ۳۸۶
من شعر الوزير أبى الحسن الغرناطى ۳۸۶
من شعر الوزير أبى عامر بن الحمارة ۳۸۶
من شعر ابن بقى ۳۸۶
بين ابن عبادة و ابن القابلة ۳۸۶
من شعر ابن خروف ۳۸۷
بين ابن خفاجة و ابن عائشة و ابن الزقاق ۳۸۷

من شعر أبى بكر بن حبيش ۳۸۹
من شعر أبى بكر اللخمى ۳۸۹
بين أبى زيد بن أبى العافية و ابن العطار ۳۸۹
بين ثلاثة أدباء ۳۹۰
من شعر أبى إسحاق بن خفيف ۳۹۱
من شعر أبى الصلت ۳۹۱
من شعر بعض المغاربة ۳۹۱
من شعر عبد اللّه القرطبى ۳۹۱
من شعر ابن هذيل الفزارى ۳۹۱
من شعر ابن الزقاق ۳۹۱
من شعر أبى حيان ۳۹۲
من شعر أبى العباس بن سعيد ۳۹۲
من شعر السميسر ۳۹۲
من شعر ابن خفاجة ۳۹۲
من شعر بعض الأندلسيين ۳۹۲
من شعر يحيى بن هشام القرطبى ۳۹۲
من شعر أبى جعفر البلنسى ۳۹۳
من شعر أبى العباس القيجاطى ۳۹۳
من شعر أبى العباس المالقى ۳۹۳
إجازة بين أبى القاسم بن عبد المنعم و أبى عبد اللّه الشاطبى و أبى بكر بن طاهر ۳۹۴
من شعر أبى بكر بن عبادة ۳۹۵
من شعر أبى بكر بن قزمان و ترجمته ۳۹۵
من شعر أبى بكر بن القوطية ۳۹۶
من شرع القاضى يونس بن عبد اللّه بن مغيث ۳۹۶
ترجمة القاضى ابن مغيث ۳۹۶
من شعر أبى محمد غانم بن الوليد المالقى ۳۹۸
ابن عبد البر- ترجمته و شعره ۳۹۸
من شعر أبى بكر بن أبى الدوس و أخباره ۴۰۰
من شعر أبى الفضل بن الأعلم و أخباره ۴۰۰
الرمادى: ترجمته و بعض شعره ۴۰۴
ابن هانىء: ترجمته و بعض شعره ۴۰۹
أبو أحمد بن فرج الجيانى: ترجمته و بعض شعره ۴۱۵
أبو عبد اللّه محمد بن الحداد: ترجمته و بعض شعره ۴۱۶

الأسعد بن بليطة: ترجمته و بعض شعره ۴۱۸

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹